بسم الله الرحمن الرحيم

بهج الصباغة

في شرح نهج البلاغة

العلامة المحقق الحاج الشيخ محمد تقي التستري قدس سره

المجلد التاسع



دار امير كبير للنشر
تهران: ۱۳۷۶



بهج الصباغة في شرح نهج البلاغة (المجلد التاسع)
المصنف : الشيخ محمدتقي التستري (قدس سره)
اعداد و ترتيب : مؤسسة نهج البلاغة
الناشر : دار اميركبير للنشر
الطبعة الاولى : (١٣٧٦ هـ ش) (١٤١٨ هـ ق) (١٩٩٧ م)
المطبعة : سبهر
عدد النسخ المطبوعة : ٢٠٠٠ نسخة

شابك ١ - ٠٢٦٣ - ٠٠ - ٩٦٤ ISBN 964-00-0263-1

الجمهورية الاسلامية في ايران - طهران - ص. ب ٤١٩١-١١٣٦٥

٤

الكتاب (٢٧)

ومن عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر حين قلّده مصر:

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ، وَٱبْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ، وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ، وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ. فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمالِكُمْ وَٱلْكَبِيرَةِ وَالظَّاهِرَةِ وَٱلْمَسْتُورَةِ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ.

وَٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الآخِرَةِ فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ ٱلدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ، سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَاسُكِنَتْ وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ فَحَظُوا مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ ٱلْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ، ثُمَّ ٱنْقَلَبُوا عَنْها بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ، أَصَابُوا لَذَّةَ

زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ ٱللهِ غَداً فِي آخِرَتِهِمْ، لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ.

فَاحْذَرُوا عِبَادَ ٱللهِ المَوْتَ وَقُرْبَهُ وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَداً أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَداً، فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا، وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ ٱلْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ. وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ. ٱلْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ. فَاحْذَرُوا نَاراً قَعْرُهَا بَعِيدٌ وَحَرُّهَا شَدِيدٌ وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ، دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ. وَإِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ ٱللهِ وَأَنْ يَحْسُنَ ظَنُّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا، فَإِنَّ ٱلْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْهُ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنّاً بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفاً لِلّٰهِ.

وَٱعْلَمْ يَا مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْر، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ، وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ، وَلَا تُسْخِطِ ٱللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي ٱللهِ خَلَفاً مِنْ غَيْرِهِ وَلَيْسَ مِنَ ٱللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ.

أقول: رواه الشيخان في (أماليهما)، ورواه الثقفي في (غاراته)، ورواه ابن أبي شعبة الحلبي في (تحفه) ورواه الطبري في (تاريخه).

أمّا الشيخان فرويا بإسنادهما إلى كتاب إبراهيم الثقفي عن عبدالله بن محمد ابن عثمان عن علي بن محمد بن أبي سعيد عن فضيل بن الجعد عن أبي إسحاق الهمداني قال: ولّى عليٌّ عليه السلام محمد بن أبي بكر مصر وأعمالها وكتب له كتاباً وأمره أن يقرأه على أهل مصر وليعمل بما أوصاه به، فكان الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبدالله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل مصر ومحمد بن أبي بكر، سلام عليكم فإنّي أحمد إليكم الله الذي لا إله إلّا هو.

أمّا بعد: فإنّي أوصيكم بتقوى الله فيما أنتم عنه مسؤلون وإليه تصيرون، فإنّ الله تعالى يقول: ﴿كل نفس بما كسبت رهينة﴾[(١)] ويقول: ﴿ويحذركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[(٢)] ويقول: ﴿فوربّك لنسألنّهم أجمعين* عمّا كانوا يعملون﴾[(٣)].

واعلموا عباد! الله أنّ الله عزّوجل سائلكم عن الصغير من عملكم والكبير فإنْ يعذّب فنحن أظلم وإنْ يعفُ فهو أرحمُ الراحمين، يا عباد الله! إنّ أقرب ما يكون العبد من المغفرة والرحمة حين يعمل لله بطاعته وينصحه في التوبة، عليكم بتقوى الله فإنّها تجمع الخير ـ ولا خير غيرها ـ ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها من خير الدنيا وخير الآخرة، قال الله عزوجل: ﴿وقيل للذين اتّقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتقين﴾[(٤)].

اعلموا يا عباد الله! أنّ المؤمن من يعمل لثلاث: إمّا لخير فإنّ الله يثيبه بعمله في دنياه. قال سبحانه لابراهيم: ﴿وآتيناه أجره في الدنيا وإنّه في الآخرة لمن الصالحين﴾[(٥)] فمن عمل لله تعالى أعطاه أجره في الدنيا والآخرة وكفاه المهم فيهما وقد قال تعالى ﴿يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للّذين أحسنوا في هذه الدّنيا حسنة وأرض الله واسعة إنّما يوفّى الصابرون أجرهم

---

(١) المدثر : ٣٨.

(٢) آل عمران : ٢٨.

(٣) الحجر : ٩٢ ـ ٩٣.

(٤) النحل : ٣٠.

(٥) العنكبوت : ٢٧.

بغير حساب﴾[١]، وما أعطاهم لم يحاسبهم به في الآخرة قال تعالىٰ: ﴿للّذين أحسنوا الحسنى وزيادة﴾[٢] والحسنى هي الجنّة والزيادة في الدنيا، وإن الله تعالى يكفِّر بكلّ حسنة سيّئة، قال عزوجل ﴿إنّ الحسنات يذهبن السيّئات ذلك ذكرى للذاكرين﴾[٣] حتى إذا كان يوم القيامة حسبت لهم حسناتهم ثم أعطاهم بكلّ واحدة عشر أمثالها إلى سبعمئة ضعف، قال عزوجل: ﴿جزاءً من ربك عطاءً حساباً﴾[٤] وقال: ﴿أُولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون﴾[٥] فارغبوا في هذا رحمكم الله واعملوا له وحاضّوا عليه.

واعلموا يا عباد الله! أنّ المتّقين حازوا عاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، أباحهم الله ما كفاهم وأغناهم، قال عز اسمه: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾[٦]، سكنوا الدّنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أُكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا معهم من طيبات ما يأكلون وشربوا من طيبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون وسكنوا من أفضل ما يسكنون وتزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون وركبوا من أفضل ما يركبون، أصابوا لذّة الدنيا مع أهل الدنيا وهم غداً جيران الله، يتمنّون عليه فيعطيهم ما تمنّوه ولا يردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم نصيباً من اللذة، فإلى هذا

---

(١) الزمر : ١٠.

(٢) يونس : ٢٦.

(٣) هود: ١١٤.

(٤) النبأ : ٣٦.

(٥) سبأ : ٣٧.

(٦) الأعراف : ٣٢.

يا عباد الله يشتاق من كان له عقل ويعمل له بتقوى الله، ولا حول ولا قوة إلّا بالله.

يا عباد الله! إن اتّقيتم الله وحفظتم نبيّكم في أهل بيته فقد عبدتموه بأفضل ما عبد، وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر، وأخذتم بأفضل الصّبر والشّكر، واجتهدتم بأفضل الاجتهاد، وان كان غيركم أطول منكم صلاة وأكثر منكم صياماً فأنتم أتقى لله عزّوجلّ منهم وأنصح لأولي الأمر.

احذروا عباد الله! الموت وسكرته، فإنّه يفجأكم بأمر عظيم بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً أو بشرٍّ لا يكون معه خيرٌ أبداً، فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها ومن أقرب إلى النّار من عاملها، إنّه ليس أحد من الناس تفارق روحه جسده حتى يعلم إلى أيّ المنزلتين يصير إلى الجنّة أم النّار وعدوٌّ لله أم وليّ، فان كان ولياً فتحت له أبواب الجنة وشرع له طرقها ونظر إلى ما أعد الله له فيها، ففرغ من كلّ شغل ووضع عنه كلّ ثقل، وإن كان عدواً لله فتحت له أبواب النّار وشرع له طرقها ونظر إلى ما أعدّ الله فيها فاستقبل كلّ مكروه وترك كلّ سرور، كلّ هذا يكون عند الموت وعنده يكون اليقين، قال الله تعالىٰ: ﴿الّذين تتوفّاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السّلم ما كنّا نعمل من سوء بلى إنّ الله عليم بما كنتم تعملون* فادخلوا أبواب جهنّم خالدين فيها فبئس مثوى المتكبّرين﴾[1].

عباد الله! إنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه قبل وقوعه وأعدّوا له عدّته، فإنّكم طرد الموت؛ إنّ أقمتم له أخذكم وإن فررتم منه أدرككم، وهو ألزم لكم من ظلّكم، الموت معقود بنواصيكم والدنيا تُطوى خلفكم عندما تنازعكم إليه

---

(١) النحل: ٢٨ ـ ٢٩.

أنفسكم من الشهوات، فكفى بالموت واعظاً، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يوصي أصحابه بذكر الموت فيقول: «أكثِروا ذكر الموت فإنّه هادم اللذّات حائل بينكم وبين الشهوات».

يا عباد الله! ما بعد الموت لمن لا يغفر له أشدّ من الموت؛ القبر، فاحذروا ضيقه وضنكه وظلمته وغربته، إنّ القبر يقول كلّ يوم: أنا بيت الغربة، أنا بيت التراب، أنا بيت الوحشة، أنا بيت الدود والهوام، والقبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران، إنّ العبد المؤمن إذا دفن قالت الأرض مرحباً وأهلاً قد كنت ممّن أحبُّ أن يمشي على ظهري، فإذ وليتك فستعلم كيف صنيعي بك فتتّسع له مدّ البصر، وإن الكافر إذا دفن قالت له الأرض: لا مرحباً بك ولا أهلاً، لقد كنت من أبغض من يمشي على ظهري، فإذ وليتك فستعلم كيف صنيعي بك، فتضمّه حتى تلقي أضلاعه، وإن المعيشة الضنك التي حذّر الله منها عدوّه؛ عذاب القبر، إنّه يسلّط على الكافر في قبره تسعة وتسعين تنيناً فينهشن لحمه ويكسرن عظمه يتردّدن عليه كذلك إلى يوم يبعث، لو أن تنيناً منها تنفخ في الأرض لم تنبت زرعاً.

يا عباد الله! إن أنفسكم الضعيفة وأجسادكم الناعمة الرقيقة التي يكفيها اليسير تضعف عن هذا، فإن استطعتم أن تنزعوا أجسادكم وأنفسكم ممّا لا طاقة لكم به ولا صبر لكم عليه فاعملوا بما أحبُّ الله وأتركوا ما كره الله.

يا عباد الله! إنّ بعد البعث ما هو أشدّ من القبر؛ يومٌ يشيب فيه الصغير ويسكر فيه الكبير ويسقط فيه الجنين وتذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعت، يوم عبوس قمطرير، يوم كان شرّه مستطيراً، إنّ فزع ذلك اليوم ليرهب الملائكة الذين لا ذنب لهم، وترعد منه السبع الشداد والجبال الأوتاد والأرض المهاد، وتنشقّ السماء فهي يومئذ واهية وتتغير فكأنها كالدهان، وتكون الجبال

كثيباً مهيلاً بعدما كانت صمّاً صلاباً، وينفخ في الصور فيفزع من في السماوات والأرض إلّا ما شاء الله، فكيف من عصى بالسمع والبصر واللسان واليد والرجل والفرج والبطن، إن لم يغفر الله له ويرحمه من ذلك اليوم لأنّه يصير إلى غيره، إلى نار قعرها بعيد وحرّها شديد وشرابها صديد وعذابها جديد ومقامعها حديد لا يفتر عذابها ولا يموت ساكنها، دار ليس فيها رحمة ولا تسمع لأهلها دعوة.

واعلموا يا عباد الله! ان مع هذا رحمة الله التي لا تقصر عن العباد؛ جنة عرضها كعرض السماء والأرض أُعدت للمتقين، لا يكون معها شرّ أبداً، لذّاتها لا تملّ ومجتمعها لا يتفرق، سكّانها قد جاوروا الرحمن وقام بين أيديهم الغلمان بصحاف من ذهب فيها الفاكهة والريحان.

ثم اعلم يا محمد بن أبي بكر! أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي في نفسي؛ أهل مصر، فإذ ولّيتك ما وليتك من أمر الناس فأنت حقيق أن تخاف منه على نفسك وان تحذر منه على دينك، فإن استطعت ألّا تسخط ربّك برضا أحد من خلقه فافعل، فإنّ في الله عزوجل خَلَفاً من غيره وليس في شيء سواه خلف منه، إشتدّ على الظالم وخذ عليه، ولِن لأهل الخير وقرّبهم واجعلهم بطانتك وأقرانك ـ إلى أن قال ـ:

يا محمّد بن أبي بكر! إعلم أن أفضل العفّة الورع في دين الله والعمل بطاعته، وإنّي أوصيك بتقوى الله في أمر سرّك وعلانيتك وعلى أيّ حال كنت عليه، والدّنيا دار بلاء ودار فناء والآخرة دار الجزاء ودار البقاء، واعمل لما بقي واعدل عمّا يفنى ولا تنس نصيبك من الدنيا.

أوصيك بسبع هن جوامع الاسلام: تخشى الله عزوجل في النّاس ولا تخش الناس في الله، وخير القول ما صدّقه العمل، ولا تقض في أمر واحد

بقضاءَين مختلفين فيختلف أمرك وتزيغ عن الحق، وأحبّ لعامّة رعيّتك ما تحبُّ لنفسك وأهل بيتك واكره لهم ما تكره لنفسك وأهل بيتك فإنّ ذلك أوجب للحجّة وأصلح للرعية، وخض الغمرات إلى الحقّ ولا تخف في الله لومة لائم، وانصح المرء إذا استشارك واجعل نفسك أُسوة لقريب المسلمين وبعيدهم.

جعل الله مودّتنا في الدين، وحلّانا وإيّاكم حلية المتقين، وأبقى لكم طاعتكم حتى يجعلنا وإيّاكم بها اخواناً على سررٍ متقابلين.

أحسنوا أهل مصر! مؤازرة محمّد أميركم واثبتوا على طاعته تردوا حوض نبيكم، أعاننا الله على ما يرضيه والسلام ورحمة الله وبركاته[١][٢].

وأمّا ما رواه الثقفي؛ فروى عن يحيى بن صالح عن مالك بن خالد الأسدي عن الحسن بن إبراهيم عن عبدالله بن الحسن قال: كتب عليٌّ عليه السلام إلى أهل مصر لما بعث محمد بن أبي بكر إليهم يخاطبهم فيه ويخاطب محمداً أيضاً فيه:

أمّا بعد، فإنّي أوصيكم بتقوى الله في سرائركم وعلانيتكم وعلى أيّ حال كنتم عليها، وليعلم المرء منكم أنّ الدنيا دار بلاء وفناء والآخرة دار جزاء وبقاء فمن استطاع أن يؤثر ما بقي على ما يفنى فليفعل فإنّ الآخرة تبقى والدنيا تفنى، رزقنا الله وإياكم بصراً لما بصرنا وفهماً لما فهمنا حتى لا نقصر عمّا أمرنا ولا نتعدى إلى ما نهانا.

واعلم يا محمد! أنّك إلى نصيبك من الآخرة أحوج، فان عرض لك أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا فابدأ بأمر الآخرة، ولتعظم رغبتك في الخير ولتحسن فيه نيّتك، فإنّ الله عزوجل يعطي العبد على قدر نيته، وإذا أحبّ الخير

---

(١) أمالي المفيد : ٢٦٠ ح ٣ المجلس ٣١.

(٢) أمالي الطوسي ١ : ٢٤ الجزء ١.

وأهله ولم يعمله كان إن شاء الله كمن عمله، فإنّ رسول الله ﷺ قال حين رجع من تبوك «إنّ بالمدينة لأقواماً ما سرتم من مسير ولا هبطتم من دار إلّا كانوا معكم ما حبسهم إلّا المرض» ـ يقول كانت لهم نية ـ

ثم اَعلم يا محمد! أنّي ولّيتك أعظم أجنادي؛ أهل مصر، وولّيتك ما ولّيتك من أمر الناس فأنت محقوق أن تخاف على نفسك وتحذر فيه على دينك ولو كان ساعة من نهار فإن استطعت أن لا تسخط ربّك لرضى أحد من خلقه فافعل، فإنّ في الله خلفاً من غيره وليس في شيء خلف منه، فاشتدّ على الظالم ولِنْ لأهل الخير وقرّبهم إليك واجعلهم بطانتك واخوانك[1].

وعن يحيى بن صالح أيضاً بالإسناد قال: كتب عليٌّ عليه السلام إلى محمد وأهل مصر: أمّا بعد فإنّي أوصيكم بتقوى الله والعمل بما أنتم عنه مسؤولون وأنتم به رهن وإليه صائرون، فإنّ الله عزوجل يقول: ﴿كلُّ نفس بما كسبت رهينة﴾[2] وقال: ﴿ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[3] وقال ﴿فوربّك لنسألنّهم أجمعين* عمّا كانوا يعملون﴾[4].

فاعلموا عباد الله! أنّ الله سائلكم عن الصغير من أعمالكم والكبير؛ فإن يعذّب فنحن الظالمون وإن يغفر ويرحم فهو أرحم الراحمين.

واعلموا أنّ أقرب ما يكون العبد إلى الرّحمة والمغفرة حين ما يعمل بطاعة الله ومناصحته في التوبة، فعليكم بتقوى الله تعالى فإنّها تجمع من الخير ما لا يجمع غيرها ويدرك بها من الخير ما لا يدرك بغيرها، خير الدنيا وخير الآخرة، يقول سبحانه: ﴿وقيل للّذين اتّقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيراً

---

(١) الغارات ١ : ٢٢٨ ـ ٢٣٠.

(٢) المدثر : ٣٨.

(٣) آل عمران : ٢٨.

(٤) الحجر : ٩٢ ـ ٩٣.

للّذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير ولنعم دار المتّقين﴾[1].

واعلموا عباد الله! أن المؤمنين المتقين قد ذهبوا بعاجل الخير وآجله، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم، يقول الله عزوجل ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة﴾[2]، سكنوا الدنيا بأفضل ما سكنت وأكلوها بأفضل ما أكلت، شاركوا أهل الدنيا في دنياهم فأكلوا من أفضل ما يأكلون وشربوا من أفضل ما يشربون ولبسوا من أفضل ما يلبسون، أصابوا لذّة أهل الدّنيا مع أهل الدنيا مع أنّهم غداً جيران الله يتمنّون عليه لا يردّ لهم دعوة ولا ينقص لهم لذّة أما في هذا ما يشتاق إليه من كان له عقل؟

واعلموا عباد الله! أنكم إن اتّقيتم ربّكم وحفظتم نبيّكم في أهل بيته؛ فقد عبدتموه بأفضل ما عُبد وذكرتموه بأفضل ما ذكر وشكرتموه بأفضل ما شكر وأخذتم بأفضل الصبر وجاهدتم بأفضل الجهاد، وإن كان غيركم أطول صلاة منكم وأكثر صياماً إذ كنتم اتقى لله وأنصح لأولياء الله من آل محمّد صلّى الله عليه وآله وأخشع.

واحذروا عباد الله الموت ونزوله وخذوا له فإنّه يدخل بأمر عظيم؛ خير لا يكون معه شرّ أبداً وشرّ لا يكون معه خير أبداً، ليس أحد من الناس يفارق روحه جسده حتّى يعلم إلى أيّ المنزلين يصير؛ إلى الجنة أم إلى النار، أعدوٌّ هو لله أم وليّ؛ فإن كان وليّاً فتحت له أبواب الجنّة وشرع له طريقها ونظر إلى ما أعدّ الله عزّوجلّ لأوليائه فيها، فرغ من كلّ شغل ووضع من كل ثقل، وإن

---

(١) النحل : ٣٠.

(٢) الأعراف : ٣٢.

كان عدوّاً فتحت له أبواب النّار وسهّل له طريقها ونظر إلى ما أعدّ الله لأهلها واستقبل كلّ مكروه وفارق كلّ سرور، قال تعالىٰ: ﴿خالدين فيها فبئس مثوى المتكبرين﴾(١).

واعلموا عباد الله! أنّ الموت ليس منه فوت فاحذروه وأعدّوا له عدّته، فانكم طرداء الموت؛ إن أقمتم أخذكم وإن هربتم أدرككم وهو ألزم لكم من ظلّكم معقود بنواصيكم والدنيا تطوى من خلفكم. إلى آخر ما مر عن الاماليّين مع أدنى اختلاف، ففيه بدل قوله «من ذلك اليوم...» «واعلموا عباد الله! أنّ ما بعد ذلك اليوم أشدّ وأدهىٰ»(٢).

وأما الحلبي فقال في (تحفه): «ومنه إلى محمد بن أبي بكر وأهل مصر: أمّا بعد فقد وصل كتابك وفهمت ما سألت عنه وأعجبني اهتمامك بما لا بدّ لك منه وما لا يصلح المسلمين غيره، وظننت أنّ الذي أخرج ذلك منك نيّة صالحة ورأي غير مدخول، أمّا بعد فعليك بتقوى الله في مقامك ومقعدك وسرّك وعلانيتك، وإذا أنت قضيت بين الناس فاخفض لهم جناحك وليّن لهم جانبك، وابسط لهم وجهك وآس بينهم في اللحظ والنظر، حتى لا يطمع العظماء في حيفك لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، وأن تسأل المدعي البيّنة وعلى المدّعىٰ عليه اليمين، ومن صالح أخاه على صلح فأجز صلحه إلّا أن يكون صلحاً يحرّم حلالاً أو يحلّل حراماً، وآثر الفقهاء وأهل الصدق والوفاء والحياء والورع على أهل الفجور والكذب والغدر، وليكن الصالحون الأبرار إخوانك والفاجرون الغادرون أعداؤك، وان أحبّ اخواني الي أكثرهم لله ذكراً وأشدّهم منه خوفاً، وأرجو أن تكون منهم إن شاء الله. وإنّي أوصيكم بتقوى الله فيما

---

(١) الزمر : ٧٢.

(٢) الغارات ١: ٢٣١ ـ ٢٤٤.

أنتم عنه مسؤولون وعمّا أنتم إليه صائرون، فإنّ الله تعالى قال في كتابه: ﴿كلّ نفس بما كسبت رهينة﴾[١] وقال ﴿ويحذّركم الله نفسه﴾[٢]. مثل ما مر مع أدنى اختلاف والأصل في الجميع واحد.

وأمّا الطبري فروى عن أبي مخنف عن الحارث بن كعب الوالبي عن أبيه قال: كنت مع محمد بن أبي بكر حين قدم مصر فقرأ عليهم عهده «هذا ما عهد عليه عبدالله عليٌّ أمير المؤمنين إلى محمّد بن أبي بكر حين ولّاه مصر، أمره بتقوى الله في السرّ والعلانية وخوف الله عزوجل في المغيب والمشهد، وباللين على المسلمين وبالغلظة على الفاجرين، وبالعدل على أهل الذمة وبانصاف المظلوم وبالشدة على الظالم، وبالعفو عن الناس وبالاحسان ما استطاع، والله يجزي المحسنين ويعذّب المجرمين، وأمره أن يدعو من قبله أهل الطاعة والجماعة، فإنّ لهم في ذلك من العاقبة وعظيم المثوبة ما لا يقدرون قدره ولا يعرفون كنهه، وأمره أن يجبي خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل لا ينقص منه ولا يبتدع فيه، ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه من قبل، وأن يليّن لهم جناحه وأن يواسي بينهم في مجلسه وجهه، وليكن القريب والبعيد في الحق سواء، وأمره أن يحكم بين الناس بالحق وأن يقوم بالقسط ولا يتّبع الهوى ولا يخاف في الله عزّوجلّ لومة لائم، فإنّ الله جلّ ثناؤه مع من اتّقى وآثر طاعته وأمره على ما سواه»[٣].

ورواه الثقفي في (غاراته) كما مرّ في سابقه، ومرّ خبرانّ أن محمداً لما قتل أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية وفيها كتاب كتبه عليه السلام له فيه أدب

---

(١) المدثر: ٣٨.

(٢) تحف العقول: ١٧٦ ـ ١٨٠. والآية ٢٨ من آل عمران.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٥٦.

وسنّة وأن معاوية كان ينظر فيه ويتعجّب منه وقال لجلسائه: نقول للناس: إنّه كان من كتب أبي بكر، وأنه عليه السلام تأسف على وصول ذلك الكتاب إلى معاوية.

والظاهر عدم نقل ذلك الكتاب لنا لأن المفهوم من الخبر الثاني أنّه كان مشحوناً من سنن لا يعرفها الناس، والكتاب الواصل ليس فيه إلّا مختصر من الوضوء والصلاة.

قول المصنف (ومن عهد له عليه السلام إلى محمد بن أبي بكر) زادهم (ابن ميثم)[١] و(الخطية) «رحمه الله» و (ابن أبي الحديد)[٢] «رضي الله عنه».

(حين قلّده مصر) جميع ما نقله المصنف لم يكن حين التقليد بل حينه وبعده كما عرفت من روايات غارات الثقفي، قلّده بعد قيس بن سعد بن عبادة.

قوله عليه السلام «واخفض لهم جناحك» خفض الجناح كناية عن التواضع ويعبّر عنه بالفارسية «بشكسته بالي» والأصل فيه قوله تعالىٰ لنبيه: ﴿وٱخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾[٣].

في (تاريخ بغداد): كان موسى بن إسحاق القاضي لا يُرى متبسّماً قطّ، فقالت له امرأة: أيُّها القاضي! لا يحلّ لك أن تحكم بين الناس، فإنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا يحل للقاضي أن يحكم بين اثنين وهو غضبان» فتبسّم[٤].

«وألِنْ لهم جانبك» قال تعالىٰ لنبيه: ﴿فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضّوا من حولك﴾[٥].

«وابسط لهم وجهك» قال لقمان لابنه: ﴿ولا تصعّر خدك للناس ولا تمش

---

(١) شرح ابن ميثم ٤ : ٤١٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٦٣.

(٣) الشعراء : ٢١٥.

(٤) تاريخ بغداد ١٣ : ٥٣.

(٥) آل عمران : ١٥٩.

في الأرض مرحاً انّك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً* كلّ ذلك كان سيّئه عند ربّك مكروها﴾[١].

«وآس» أي: ساو، وفي النهاية أي: إجعل كلّ واحد منهم أُسوة خصمه.

«بينهم في اللحظة» أي: النظر بمؤخّر العين.

«والنظرة» أي: تأمّل الشيء بالعين.

في الخبر كان النبي صلى الله عليه وآله يقسم لحظاته بين جلسائه[٢]، وقال خالد بن صفوان لوالٍ دخل عليه: قدمت فأعطيت كلّاً بقسطه من نظرك ومجلسك وصلاتك وعدلك حتى كأنّك من كلّ أحد أو كأنّك لست من أحد.

«حتى لا يطمع العظماء في حيفك» أي: جورك.

«لهم ولا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم» وقال عليه السلام لشريح: ثمّ واس بين المسلمين بوجهك ومنطقك ومجلسك حتّى لا يطمع قريبك في حيفك ولا ييأس عدوّك من عدلك[٣].

روت العامّة عن زيد بن أسلم عن أبيه قال: خلا عمر لبعض شأنه وقال: أمسك عليَّ الباب، فطلع الزبير، فكرهته حين رأيته، فأراد أن يدخل، فقلت: هو على حاجة، فلم يلتفت إليّ وأهوى ليدخل، فوضعت يدي في صدره، فضرب أنفي فأدماه، ثم رجع، فدخلت على عمر فقال: مابك؟ قلت: الزبير، فأرسل إليه، ثمّ دخل الزبير، فجئت لأنظر ما يقول له، فقال له: ما حملك على ما صنعت أدميتني للناس. فقال الزبير ـ يحكيه ويمطّط في كلامه ـ «أدميتني»، أتحجب عنّا يا ابن الخطاب، فوالله ما احتجب عنّي النبي صلى الله عليه وآله ولا أبو بكر. فقال عمر

(١) الاسراء: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) معاني الاخبار: ٨٢.

(٣) الكافي ٧: ٤١٣ ح ١؛ الفقيه ٣: ٨ ح ١٠؛ التهذيب ٦: ٢٢٦ ح ١.

كالمعتذر: إنّي كنت في بعض شأني، فلما سمعته يعتذر إليه يئست من أن يأخذ لي بحقّي منه، وخرج الزبير، فقال عمر: إنّه الزُّبير وآثاره ما تعلم[١].

«فان الله تعالى يسائلكم معشر عباده عن الصغيرة من أعمالكم والكبيرة» ﴿وكل صغير وكبير مستطر﴾[٢]، ﴿ويقولون يا ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها ووجدوا ما عملوا حاضراً﴾[٣]، ﴿يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليُروا أعمالهم* فمن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره* ومن يعمل مثقال ذرّة شرّاً يره﴾[٤].

«والظاهرة والمستورة» قال لقمان لابنه: ﴿يا بني إنّها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السماوات أو في الأرض يأت بها الله إنّ الله لطيف خبير﴾[٥]، ﴿يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور﴾[٦] ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنّه آثم قلبه﴾[٧]، ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كلّ أولئك كان عنه مسؤولا﴾[٨].

وعن أبي جعفر عليه السلام: كان في بني إسرائيل قاض كان يقضي بالحق فيهم، فلما حضره الموت قال لامرأته: إذا أنا متّ فاغسليني وكفّنيني وضعيني على سريري وغطّي وجهي، فإنّك لا ترين سوءً، فلمّا مات فعلت ذلك، ثم مكثت بذلك حيناً، ثم إنّها كشفت عن وجهه لتنظر إليه، فإذا هي بدودة

---

(١) رواه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢١: ٤٥ ـ ٤٦، بتصرّف.

(٢) القمر : ٥٣ .

(٣) الكهف : ٤٩ .

(٤) الزلزلة : ٦ .

(٥) لقمان : ١٦ .

(٦) غافر : ١٩ .

(٧) البقرة : ٢٨٣ .

(٨) الاسراء : ٣٦ .

تقرض منخره، ففزعت من ذلك، فلمّا كان الليل أتاها في منامها فقال لها: أفزعك ما رأيت؟ قالت: أجل لقد فزعت. فقال لها: أما لئن كنت فزعت ما كان الذي رأيت إلّا في أخيك فلان؛ أتاني ومعه خصم له، فلمّا جلسا إليّ قلت: اللّهم اجعل الحق له ووجّه القضاء على صاحبه، فلمّا اختصما كان الحق له ورأيت ذلك بيّناً في القضاء، فوجّهت القضاء له على صاحبه، فأصابني ما رأيت لموضع هواي مع موافقة الحقّ[1].

«فإن يعذّب» قال النبي صلى الله عليه وآله لا ينقضي كلام شاهد الزور بين يدي الحاكم حتى يتبوأ مقعده من النار[2].

«فأنتم أظلم» قال ابن أبي الحديد: أفعل هاهنا بمعنى فاعل[3].

قلت: يمكن أن يكون من باب ﴿وجزاء سيّئة سيّئة مثلها﴾[4] ويمكن أن يكون المراد: إنكم أظلم من كلّ عبد عصى سيّده.

«وإن يعف فهو أكرم» من كلّ سلطان يعفو عن رعيته: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[5].

«واعلموا عباد الله! أنّ المتّقين ذهبوا بعاجل الدنيا وآجل الآخرة فشاركوا أهل الدنيا في دنياهم ولم يشاركهم أهل الدنيا في آخرتهم» قد عرفت في أسانيده أنه عليه السلام إستشهد لكلامه بقوله تعالى: ﴿قل من حرّم زينة الله الّتي أخرج لعباده والطيّبات من الرزق قل هي للّذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيمة

---

(١) الكافي ٧: ٤١٠ ح ٢، التهذيب ٦: ٢٢٢ ح ٢١، أمالي الطوسي ١: ١٢٦ ـ ١٢٧ الجزء ٥.

(٢) الكافي ٧: ٣٨٣ ح ٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٥.

(٤) الشورىٰ : ٤٠.

(٥) الشورىٰ : ٣٠.

كذلك نفصّل الآيات لقوم يعلمون﴾[١].

«سكنوا من الدّنيا بأفضل ما سُكنت وأكلوها بأفضل ما أُكلت فحظوا» يقال: حظي فلان عند السلطان، وحظيت المرأة عند الزوج.

«من الدّنيا بما حظي به المترفون» قال ابن دريد: رجل مترف: منعّم[٢].

«وأخذوا منها ما أخذه الجبابرة المتكبّرون» قد عرفت من روايات الثقفي انّه بدّل قوله «فحظوا ـ إلى ـ المتكبرون» بقوله «فأكلوا معهم من طيّبات ما يأكلون، وشربوا من طيبات ما يشربون، ولبسوا من أفضل ما يلبسون، وسكنوا من أفضل ما يسكنون، وتزوّجوا من أفضل ما يتزوّجون، وركبوا من أفضل ما يركبون»[٣]، وما هنا إجمال وثمة تفصيل، فاللّذائد الدنيوية منحصرة في هذه الستة من المآكل والمشارب والملابس والمساكن والمناكح والمراكب.

«ثم انقلبوا عنها بالزاد المبلّغ» أي: زاد التقوى الذي وصفه تعالى بكونه خير زاد.

«والمتجر الرابح» وهو الايمان وعمل الصالحات.

«أصابوا لذّة زهد الدنيا في دنياهم» لأنّ الزهد فيها ليس بترك نعيمها بل بعدم العلقة بها كما قال تعالىٰ ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[٤]، وأما الحريص فدائماً متألم بفوت ما فات من دنياه وعدم حصول زيادة له.

---

(١) الاعراف: ٣٢.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٣٩٣.

(٣) الغارات باختلاف يسير ١: ٢٣٦، وأمالي المفيد: ٢٦٣، أمالي الطوسي ١: ٢٦.

(٤) الحديد: ٢٣.

«وتيقنوا أنّهم جيران الله غداً في آخرتهم» ﴿سلام قولاً من ربٍّ رحيم﴾[١]، ﴿والملائكة يدخلون عليهم من كلّ باب* سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[٢]، ﴿وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾[٣].

«لا تردّ لهم دعوة» ﴿ولهم ما يدّعون﴾[٤].

«ولا ينقص لهم نصيب من لذّة» ﴿وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً* عاليهم ثياب سندس خضر وإستبرق وحلّوا أساور من فضة وسقاهم ربهم شراباً طهوراً* إنّ هذا كان لكم جزاءً وكان سعيكم مشكوراً﴾[٥].

«فاحذروا عباد الله الموت وقربه» ﴿فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[٦].

«وأعدّوا له عدّته» ﴿وأنفقوا ممّا رزقناكم من قبل أن يأتي أحدكم الموت فيقول ربِّ لولا أخّرتني إلى أجلٍ قريب فأصّدّق وأكن من الصالحين * ولن يؤخّر الله نفساً إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون﴾[٧].

«فإنّه يأتي بأمر عظيم وخطب» أي: شأن.

«جليل، بخير لا يكون معه شرٌّ أبداً أو شرٌّ لا يكون معه خير أبداً» قال ابن أبي الحديد: نص في مذهب أصحابنا في الوعيد، أنّ من دخل النّار فليس بخارج منها، ولو كان خارجاً منها لكان الموت قد جاءه بشرّ معه خير...[٨].

---

(١) يس : ٥٨ .

(٢) الرعد: ٢٣ ـ ٢٤ .

(٣) القيامة : ٢٢ ـ ٢٣ .

(٤) يس : ٥٧.

(٥) الإنسان : ٢٠ ـ ٢٢ .

(٦) الاعراف : ٣٤.

(٧) المنافقون: ١٠ ـ ١١ .

(٨) شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٦٦ .

قلت: يمكن حمل كلامه عليه السلام على القرآن وأكثر الأخبار في الاقتصار على ذكر المؤمنين المخلصين والكافرين دون المؤمنين المسرفين.

وفي (اعتقادات الصدوق): قيل لأمير المؤمنين عليه السلام: صف لنا الموت. فقال: على الخبير سقطتم، هو أحد ثلاثة أُمور ترد عليه: إمّا بشارة بنعيم الأبد وإمّا بشارة بعذاب الأبد، وإمّا تحزين وتهويل وأمرٌ مبهم لا يُدرىٰ من أيّ الفرق هو، فأمّا وليّنا المطيع لأمرنا فهو المبشَّر بنعيم الأبد، وأمّا عدونا المخالف علينا فهو المبشَّر بعذاب الأبد، وأمّا المبهم أمره الذي لا يُدرىٰ ما حاله فهو المؤمن المسرف على نفسه يأتيه الخير مبهماً محزناً ثم لن يسوّيه الله تعالى بأعدائنا ولكن يخرجه من النار بشفاعتنا، فاعملوا وأطيعوا ولا تتكلوا ولا تستصغروا عقوبة الله عزّوجلّ، فإنّ من المسرفين ما لا يلحقه شفاعتنا إلّا بعذاب ثلاثمئة ألف سنة.

وسئل الحسن عليه السلام عن الموت فقال: أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا انقلبوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد، وأعظم ثبور يرد على الكافرين إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفد.

ولما اشتدّ الأمر بالحسين عليه السلام نظر إليه من كان معه فإذا هو بخلافهم لأنّهم كلّما اشتدّ الأمر بهم تغيّرت ألوانهم وارتعدت فرائصهم ووجلت قلوبهم ووجبت جنوبهم، وكان الحسين وبعض خصائصه تشرق ألوانهم وتهدأ جوارحهم وتسكن نفوسهم، وقال بعضهم لبعض: أُنظروا إليه ما يبالي الموت، فقال عليه السلام لهم: صبراً بني الكرام فما الموت إلّا قنطرة تعبر بكم من البؤس والضرّاء إلى الجنان الواسعة والنعيم الدائم، فأيّكم يكره أن ينقل من سجن إلى قصر وما هو لأعدائكم إلّا كمن ينقل من قصر إلى سجن وعذاب أليم.

وقيل لعلي بن الحسين عليه السلام: ما الموت؟ فقال: للمؤمن كنزع ثياب وسخة قملة أو فك قيود ثقيلة والاستبدال بأفخر الثياب وأطيبها روائح وأوطأ المراكب وآنس المنازل، وللكافر كخلع ثياب فاخرة والنقل عن منازل أنيسة والاستبدال بأوسخ الثياب وأخشنها وأوحش المنازل وأعظم العذاب.

وقيل لمحمد الباقر عليه السلام: ما الموت؟ قال: هو النوم الذي يأتيكم كلّ ليلة إلّا انّه طويل لا ينبه منه إلّا يوم القيامة، فمن رأى في نومه من أصناف الفرح ما لا يقادر قدره ورأى في منامه من أصناف الأهوال ما لا يقادر قدره فكيف حال فرحه في النوم ووجله فيه، هذا هو الموت فاستعدوا له.

وقيل للصادق عليه السلام: صف لنا الموت. فقال: هو للمؤمن كأطيب ريح يشم فينعس لطيبه وينقطع التعب والألم كلّه عنه، وللكافر كلسع الأفاعي ولذع العقارب وأشد. قيل له: فإنّ قوماً يقولون: إنّه أشدّ من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض ورضخ بالحجارة وتدوير قطب الأرحية في الأحداق. فقال عليه السلام: كذلك هو على بعض الكافرين والفاجرين، ألا ترون منهم من يعاين تلك الشدائد؟ قيل: فما بالنا نرى كافراً يسهل عليه النزع فينطفئ وهو يضحك ويتحدّث ويتكلّم، وفي المؤمنين من يكون كذلك، وفي المؤمنين والكافرين من يقاسي عند سكرات الموت هذه الشدائد؟ فقال عليه السلام: ما كان من راحة للمؤمن هناك فهو عاجل ثوابه، وما كان من شدّة فتمحيصه من ذنوبه ليرد الآخرة نفيضاً نظيفاً مستحقاً لثواب الأبد لا مانع له دونه، وما كان من سهولة هناك على الكافر فليتوفّى أجر حسناته ليرد الآخرة وليس له إلّا ما يوجب العذاب، وما كان من شدة على الكافر هناك فهو ابتداء عقاب الله عند نفاد حسناته، ذلكم بأن الله عدل لا يجور.

ودخل موسىٰ بن جعفر عليه السلام على رجل في سكرات الموت لا يجيب

داعياً. فقالوا: يا ابن رسول الله وددنا لو عرفنا كيف الموت وكيف حال صاحبنا فقال: الموت هو المصفاة يصفّي المؤمنين من ذنوبهم فيكون آخر ألم يصيبهم وكفارة آخر وزر عليهم، ويصفّي الكافرين من حسناتهم فيكون آخر لذة أو نعمة أو رحمة تلحقهم وهو آخر ثواب حسنة تكون لهم، وأما صاحبكم هذا فقد نخل من الذنوب نخلاً وصفّي من الآثام تصفية، وخلص حتى نقّي كما ينقّى الثوب وصلح لمعاشرتنا في دار الأبد.

ومرض رجل من أصحاب الرضا عليه السلام فعاده فقال له: كيف تجدك؟ فقال: لقيت الموت بعدك ـ يريد شدّة المرض ـ فقال: إنّما الناس رجلان: مستريح بالموت ومستراح به منه، فجدّد الإيمان بالله وبالنبوّة وبالولاية تكن مستريحاً ففعل الرجل ذلك.

وقيل للجواد عليه السلام: ما بال هؤلاء المسلمين يكرهون الموت؟ قال: لأنّهم جهلوه فكرهوه ولو عرفوه ـ وكانوا من أولياء الله حقّاً ـ لأحبّوه ولعلموا ان الآخرة خير لهم من الدنيا. ثم قال عليه السلام: ما بال الصبي أو المجنون يمتنع من الدواء المنقّي لبدنه والنافي الألم عنه. فقالوا: لجهلهم بنفع الدواء. فقال: والذي بعث محمداً بالحق إنّ من قد استعدّ للموت حق الاستعداد هو أنفع له من هذا الدواء لهذا المتعالج، أما لو عرفوا ما يؤدّي إليه الموت من النعيم لاستدعوه أشدّ مما يستدعي العاقل الحازم الدواء لرفع الآفات واجتلاب السلامات.

ودخل الهادي عليه السلام على مريض من أصحابه وهو يبكي من الموت فقال له: تخاف من الموت لأنك لا تعرفه، أرأيتك لو تقذّرت واتّسخت من كثرة الوسخ والقذر عليك وأصابك قروح وجرب وعلمت أن الغسل في الحمام يزيل ذلك عنك أما تريد أن تدخله فتزيل ذلك كلّه عنه؟ قال: بلى. قال: فذلك الموت هو ذلك الحمام وهو آخر ما بقي عليك من تمحيص ذنوبك، فاذا أنت وردت عليه

فقد نجوت من كلّ هم وغم وأذى ووصلت إلى كلّ فرح وسرور، فسكن الرجل ونشط واستسلم وغمض عين نفسه ومضى لسبيله.

وسئل الحسن العسكري عليه السلام عن الموت ما هو، فقال: التصديق بما يكون، ان أبي حدّثني عن أبيه عن جدّه عن الصادق عليه السلام قال: ان المؤمن إذا مات لم يكن ميتاً وان الكافر هو الميت، ان الله عزوجل يقول ﴿يخرج الحيَّ من الميّت ويخرج الميّت من الحيّ﴾[١] يعني المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن.

وجاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: مالي لا أحبُّ الموت. فقال: ألك مال؟ قال: نعم. قال: قد قدمته؟ قال: لا. قال: فمن ثمَّ لا تحبُّ الموت.

وقال رجل لأبي ذر: ما بالنا نكره الموت، فقال: لأنكم عمّرتم الدنيا وخرّبتم الآخرة فتكرهون أن تنتقلوا من العمران إلى الخراب. فقيل له: فكيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله، وأما المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل: فكيف حالنا عند الله؟ فقال: أعرضوا أعمالكم على كتاب الله، إنّ الله عزوجل يقول: ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم* وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾[٢] قال الرجل: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿إن رحمة الله قريب من المحسنين﴾[٣].

«فمن أقرب إلى الجنّة من عاملها» ﴿وأما من خاف مقام ربّه ونهى النّفس عن الهوىٰ * فإنّ الجنة هي المأوى﴾[٤]، ﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من

(١) يونس : ٣١.

(٢) الانفطار: ١٤ .

(٣) الاعتقادات: ١٤ ـ ١٨ . والآية ٥٦ من سورة الأعراف.

(٤) النازعات : ٤٠ ـ ٤١.

كان تقياً﴾[١]، ﴿ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون﴾[٢].

ومرّ في رواية الثقفي ذكره عليه السلام لقوله تعالىٰ: ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾[٣].

«ومن أقرب إلى النار من عاملها» ﴿وأما من طغى وآثر الحياة الدنيا فان الجحيم هي المأوىٰ﴾[٤]، ﴿ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم خالدين فيها﴾[٥].

ومر في رواية الثقفي ذكره عليه السلام لقوله تعالىٰ ﴿الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم فألقوا السلم ما كنّا نعمل من سوء بلى ان الله عليم بما كنتم تعملون * فادخلوا أبواب جهنم خالدين فبئس مثوى المتكبرين﴾[٦].

«وأنتم طرداء» جمع طريد، قال الجوهري الطرد الابعاد، تقول طردته فذهب، ولا يقال منه انفعل وافتعل إلّا في لغة رديئة، والرجل مطرود وطريد[٧].

(الموت ان أقمتم له أخذكم وان فررتم منه أدرككم» قال تعالىٰ ﴿أينما تكونوا يدرككم الموت ولو كنتم في بروج مشيدة﴾[٨]، ﴿قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملاقيكم ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة فينبئكم

---

(١) مريم: ٦٣.

(٢ و ٣) النحل : ٣٢.

(٣) الغارات ١: ٢٣٧.

(٤) النازعات : ٣٩.

(٥) الجنّ: ٢٣.

(٦) الغارات ١: ٢٣٧. والآيات ٢٨ ـ ٢٩ من سورة النحل.

(٧) جوهري ٢: ٥٠١.

(٨) النساء : ٧٨.

بما كنتم تعملون﴾[١].

«وهو ألزم لكم من ظلّكم» في (الكافي): ان ملكاً كان له عند الله منزلة عظيمة فتعبت عليه فأهبطه من السماء إلى الأرض فأتى إدريس عليه السلام فقال: ان لك من الله منزلة فاشفع لي عند ربك. فصلّى ثلاث ليال لا يفتر وصام أيامها لا يفطر، ثم طلب إلى الله تعالى في السحر في الملك، فقال له الملك: إنّك قد أُعطيت سؤلك وقد أُطلق جناحي وأنا أحبّ أن أكافئك فاطلب إليّ حاجة. فقال: تريني ملك الموت لعلّي آنس به فإنّه ليس يهنا مع ذكره شيء، فبسط جناحه ثم قال: إركب! فصعد به يطلب ملك الموت في السّماء الدنيا فقيل له: إصعد، فاستقبله بين السماء الرابعة والخامسة، فقال الملك يا ملك الموت مالي أراك قاطباً. قال: العجب أنّي تحت ظل العرش فأمرت أن أقبض روح آدمي في السّماء الرابعة والخامسة، فسمع إدريس عليه السلام ذلك فامتعض فخرّ من جناح الملك فقبض روحه مكانه، وقال عزوجل: ﴿ورفعناه مكاناً عليّاً﴾[٢].

«الموت معقود بنواصيكم» في (اللّهوف): لما عزم الحسين عليه السلام على الشخوص إلى العراق من مكّة قام خطيباً فقال: خُطّ الموت على ولد آدم مخطّ القلادة على جيد الفتاة[٣].

«والدنيا تُطوىٰ من خلفكم» ﴿مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح﴾[٤].

«فاحذروا ناراً قعرها بعيد وحرّها شديد» وزاد في رواية الثقفي

(١) الجمعة: ٨.

(٢) الكافي ٣: ٢٥٧ ح ٢٦. والآية ٥٧ من سورة مريم.

(٣) اللهوف: ٢٦.

(٤) الكهف: ٤٥.

«وشرابها صديد»[١].

«وعذابها جديد» ﴿كلما نضجت جلودهم بدّلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب﴾[٢]، ﴿ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً مأواهم جهنّم كلّما خبت زدناهم سعيراً﴾[٣].

وزاد في روايه الثقفي «ومقامعها حديد»[٤].

«دار ليس فيها رحمة» ﴿وأعتدنا لمن كذّب بالسّاعة سعيراً* إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيّظاً وزفيراً* وإذا أُلقوا منها مكاناً ضيّقاً مقرّنين دعوا هنالك ثبوراً* لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً﴾[٥].

«ولا تسمع فيها دعوة» ﴿ونادوا يا مالك ليقض علينا ربّك قال إنّكم ماكثون﴾[٦].

«ولا تفرج فيها كربة» ﴿وقال الّذين في النّار لخزنة جهنّم ادعوا ربّكم يخفف عنّا يوماً من العذاب* قالوا أولم تك تأتيكم رسلكم بالبيّنات قالوا بلى قالوا فادعوا وما دعاء الكافرين إلّا في ضلال﴾[٧]، ﴿ربّنا أخرجنا منها فإنّ عدنا فإنّا ظالمون* قال اخسئوا فيها ولا تكلمون﴾[٨].

«وإن استطعتم أن يشتدّ خوفكم من الله وأن يحسن ظنّكم به فاجمعوا بينهما، فإنّ العبد إنّما يكون حسن ظنّه بربّه على قدر خوفه من ربّه، وإنّ أحسن النّاس ظنّاً

---

(١) الغارات ١: ٢٤١.

(٢) النساء: ٥٦.

(٣) الاسراء: ٩٧.

(٤) الغارات ١: ٢٤١.

(٥) الفرقان: ١١ و ١٤.

(٦) الزخرف: ٧٧.

(٧) غافر: ٤٩ ـ ٥٠.

(٨) المؤمنون: ١٠٧ ـ ١٠٨.

بالله أشدّهم خوفاً لله».

في (الكافي) عن الصادق عليه السلام كان في وصية لقمان الأعاجيب، وكان أعجب ما فيها أن قال لابنه: خف الله خيفةً لو جئته ببرّ الثّقلين لعذبك، وآرج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثّقلين لرحمك، ثم قال عليه السلام كان أبي يقول: ليس من عبد مؤمن إلّا وفي قلبه نوران نور خيفة، ونور رجاء؛ لو وزن هذا لم يزد على هذا.

وعنه عليه السلام: أُرج الله رجاءً لا يجرّئك على معاصيك، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»[1].

وقال ابن أبي الحديد: قال عليّ بن الحسين عليه السلام: لو أنزل الله تعالى كتاباً أنّه معذّبٌ رجلاً واحداً رجوت أن أكونه أو أنّه راحم رجلاً واحداً لرجوت أن أكونه، أو أنّه معذّبي لا محالة ما ازددت إلّا اجتهاداً لئلّا أرجع إلى نفسي بلائمة[2].

«وأعلم يا محمّد بن أبي بكر! أنّي قد ولّيتك أعظم أجنادي» كلّ مدينة يحصل منها عسكر هي جند.

«في نفسي أهل مصر» فكانت أعظم مدينة بيده عليه السلام.

«فأنت محقوق» أي: خليق.

«أن تخالف على نفسك» قال يوسف الصديق: ﴿إنّ النفس لأمّارة بالسّوء إلّا ما رحم ربي﴾[3].

«وأن تنافح» أي: تخاصم عن دينك.

«ولو لم يكن لك إلّا ساعة من الدهر» في الولاية، ولقد فعل رحمه الله

---

(١) الكافي ٢: ٦٧ ح ١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٦٧.

(٣) يوسف: ٥٣.

ما أمره فجاهد حتى قتل.

وفي (الطبري) ـ بعد أسره بيد العدو ـ قال له معاوية بن حديج: أتدري ما أصنع بك؟ أدخلك في جوف حمار ثم أحرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم بي ذلك فطال ما فُعل ذلك بأولياء الله، وإنّي لأرجو هذه النار التي تحرقني بها أن يجعلها الله عليّ برداً وسلاماً كما جعلها على خليله إبراهيم، وأن يجعلها عليك وعلى أوليائك كما جعلها على نمرود وأوليائه، ان الله يحرقك ومن ذكرته قبل ـ يعني عثمان ـ وامامك ـ يعني معاوية ـ وهذا ـ وأشار إلى عمرو بن العاص ـ بنار تلظى عليكم كلما خبت زادها الله سعيراً. قال له معاوية بن حديج: اني انما اقتلك بعثمان. قال له محمد: وما أنت وعثمان، ان عثمان عمل بالجور ونبذ حكم القرآن وقد قال تعالىٰ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ فنقمنا ذلك عليه فقتلناه، وحسنت أنت له ذلك ونظراؤك فقد برأنا الله من ذنبه وأنت شريكه في إثمه وعظم ذنبه وجاعلك على مثاله، فغضب معاوية ابن حديج فقدمه فقتله ثم ألقاه في جيفة حمار ثم أحرقه بالنار[1].

«ولا تسخط الله برضا أحد من خلقه فان في الله خلفاً من غيره وليس من الله خلف في غيره» في (العقد): قال ابن هبيرة للحسن البصري ـ وعنده الشعبي ـ: ما ترى في كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها فان أنفذتها وافقت سخط الله وان لم أنفذها خشيت على دمي؟ فقال له: هذا الشعبي فقيه الحجاز عندك، فسأله فقال: قارب وسدد فانما أنت عبد مأمور. فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن وقال له: أنت ما تقول. قال: ابن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله، يا ابن هبيرة ان الله مانعك من يزيد وان يزيد لا يمنعك من

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ١٠٤ ـ ١٠٥.

الله، يا ابن هبيرة لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، فانظر ما كتب اليك يزيد فاعرضه على كتاب الله فما وافقه فأنفذه وما خالفه فلا تنفذه، فان الله أولى بك من يزيد وكتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة يده على كتف الحسن وقال: هذا الشيخ صدقني وربّ الكعبة[1].

٥
الكتاب (٧٢)

ومن كتاب له عليه السلام إلى عبدالله بن العباس:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ.

وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ: يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ.

«أمّا بعد فإنّك لست بسابق أجلك» حتى يتخلّف عنك، قال تعالى: ﴿ولكلّ أمّة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون﴾[2].

«ولا مرزوق ما ليس لك» ﴿أهم يقسمون رحمة ربّك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتّخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾[3].

«واعلم بأنّ الدهر يومان: يوم لك ويوم عليك» ملكاً كنت أم سوقة.

«وان الدنيا دار دول» ﴿وتلك الأيّام نداولها بين الناس﴾[4].

«فما كان منها لك أتاك على ضعفك» لأنّه لا مانع لما أعطى.

«وما كان منها عليك لم تدفعه بقوّتك» ﴿وإن يمسسك الله بضر فلا كاشف

---

(١) العقد الفريد:

(٢) الاعراف: ٣٤.

(٣) الزخرف: ٣٢.

(٤) آل عمران: ١٤٠.

له إلّا هو وإن يردك بخير فلا رادّ لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهو الغفور الرحيم﴾(١).

وفي (اليتيمة) قال الميكالي:

تق الله لا الأعداء واعلم يقيناً ... بأن الذي لم يقضه لن يصيبكا

وحظك لا يعدوك ان كنت قاعداً ... وإنك تعدو حين تعدو نصيبكا

٦
الكتاب (٧٦)

ومن وصية له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إياه على البصرة:

سَعِ النَّاسَ بَوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ، وَإِيَّاكَ وَالْغَضَبَ فَإِنَّهُ طَيْرَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ، وَاعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ اللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ النَّارِ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ اللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ النَّارِ.

أقول: رواها ابن قتيبة في (خلفائه) فقال: ذكروا أنّ علياً عليه السلام لما سار من البصرة بعد فراغه من الجمل استعمل عليها ابن عباس وقال له: أُوصيك بتقوى الله عزّوجل والعدل على من ولّاك الله أمره. سع الناس بوجهك وعلمك وحلمك، وإيّاك والإحن فإنّها تميت القلب والحق، وأعلم أنّ ما قرّبك من الله بعّدك من النار، وما قرّبك من النّار بعّدك من الجنّة، أُذكر الله كثيراً ولا تكن من الغافلين(٢).

قول المصنّف: (ومن وصيّة له عليه السلام لعبد الله بن العباس عند استخلافه إيّاه على البصرة) قد عرفت أنّه كان بعد الجمل عند شخوصه إلى الكوفة.

---

(١) يونس: ١٠٧.

(٢) الامامة والسياسة ١: ٨٥.

قوله عليه السلام: «سع الناس بوجهك ومجلسك وحكمك» لأنّه من عدل الوالي الواجب عليه أو من كرائم أخلاقه المندوب إليها.

وقال النبي صلى الله عليه وآله لبني عبد المطلب: إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم، فسعوهم بأخلاقكم[١].

وكان النبي صلى الله عليه وآله يساوي بين أهل مجلسه في النظر إليهم.

«وإيّاك والغضب فإنّه طيرة» أي: خفّة يريد أن يطير بها، قال العماني:

وأحلم عن طيراته كلّ ساعة إذا ما أتاني مغضباً يتهدّم

والطيرة في مقابل الحلم، قال الكميت:

وحلمك عزٌّ إذا ما حلمت وطيرتك الصّاب والحنظل

«من الشيطان» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إنّ هذا الغضب جمرة من الشيطان توقد في قلب ابن آدم، وإنّ أحدكم إذا غضب احمرّت عيناه وانتفخت أوداجه ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض فإنّ رجس الشيطان يذهب عند ذلك.

وعن الصادق عليه السلام في (التوراة): يا ابن آدم! اُذكرني حين تغضب أذكرك حين غضبي فلا أمحقك فيمن أمحق، وإذا ظُلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك فإنّ انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك.

وعنه عليه السلام قال رجل للنبي صلى الله عليه وآله: علّمني. قال: إذهب ولا تغضب. فقال الرجل قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قاموا صفوفاً لابسي السّلاح، فلمّا رأى ذلك لبس سلاحه وقام معهم ثم ذكر قول النبي صلى الله عليه وآله لا تغضب، فرمى السلاح ثم مشى إلى قوم عدوّ قومه فقال: يا هؤلاء! ما كانت لكم من جراحة أو قتل أو ضرب فعلي في مالي. فقالوا: نحن أولى بذلك فما

---

(١) اخرجه الحاكم في المستدرك، وأبو نعيم في حلية الأولياء، عن الجامع الصغير ١: ١٠١، والنقل بتصرّف في اللفظ.

كان فهو لك، فاصطلحوا فذهب الغضب[١].

«وأعلم أنّ ما قرّبك إلى الله» وهو طاعته وطاعة رسوله.

«يباعدك من النّار» ويدخلك الجنة قال تعالىٰ: ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك الفوز العظيم﴾[٢].

«وما باعدك من الله» وهو عصيانه وعصيان رسوله.

«يقرّبك من النّار» ﴿ومن يعص الله ورسوله ويتعدّ حدوده يدخله ناراً خالداً فيها وله عذاب مهين﴾[٣].

٧
الكتاب (٦٩)

ومن كتاب له عليه السلام إلى الحارث الهمدانيّ:

وَتَمَسَّك بِحَبْلِ الْقُرآنِ وَاسْتَنْصِحْهُ، وَأَحِلَّ حَلاَلَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنيا لِمَا بَقِيَ مِنْهَا فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضا وَآخِرَهَا لاَ حِقٌ بِأَوَّلِهَا وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ، وَعَظِّمِ اسْمَ اللهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ المَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحى مِنْهُ فِي الْعَلاَنِيَةِ، وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ وَاعْتَذَرَ مِنْهُ، وَلاَ تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضاً لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلاَ تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِباً، وَلاَ تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ

---

(١) الكافي ٢: ٣٠٤ ح ١٠ ـ ١٢.

(٢) النساء: ١٣.

(٣) النساء: ١٤.

جَهْلًا، وَاكْظِمِ الْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ، وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ.

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ، وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ وَاسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ، وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، وَاقْصِرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ، وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ، وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلاً فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ، وَأَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا، وَخَادِعْ نَفْسَكَ وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوباً عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا.

وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا، وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ، وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ، وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ. وَالسَّلَامُ.

أقول: ونقل روايته عن الآمدي في (غرره) مع اختلاف يسير في بعض الفقرات[1].

قول المصنّف: (إلى الحارث الهمداني) فانّه ـ كما في (ذيل الطبري) ـ

(١) الغرر للخوانساري ٣: ٣١٣.

الحارث بن عبدالله بن كعب بن أسد بن يخلد بن حوث بن سبع بن صعب بن معاوية بن كثير بن مالك بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيوان بن نوف بن همدان.

قال الطبري: كان من متقدّمي أصحاب علي عليه السلام في الفقه والعلم بالفرائض والحساب، قال الشعبي: تعلّمت منه الفرائض والحساب، مات أيام ابن الزبير[1].

وروى (أمالي المفيد): مسنداً عن الأصبغ قال: دخل الحارث الهمداني في نفر من الشيعة وكنت فيهم، فجعل الحارث يتأوّد في مشيته ويخبط الأرض بمحجنه ـ وكان مريضاً ـ فأقبل عليه أمير المؤمنين عليه السلام ـ وكانت له منه منزلة ـ فقال: كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر منّي ـ إلى أن قال ـ فقال عليه السلام له: أبشّرك يا حارث! تعرفني عند الممات وعند الصراط وعند الحوض وعند المقاسمة. قال الحارث: وما المقاسمة؟ قال: مقاسمة النار، أقاسمها قسمة صحيحة، أقول هذا وليّي فاتركيه وهذا عدوّي فخذيه[2].

وروى الكشي عن الشعبي قال: سمعت الحرث الأعور وهو يقول: أتيت أمير المؤمنين عليه السلام ذات ليلة فقال: يا أعور! ما جاء بك؟ قلت: جاء بي والله حبّك. فقال: أما إنّي سأحدثك لتشكرها، أما إنّه لا يموت عبد يحبني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يحبّ، ولا يموت عبد يبغضني فتخرج نفسه حتى يراني حيث يكره. ثم قال الشعبي بعد روايته: أما إنّ حبّه لا ينفعه وبغضه لا يضره[3].

---

(١) ذيل المذيل: ١٤٦.

(٢) أمالي المفيد: ٣ ح ٣ المجلس ١.

(٣) رجال الكشي: ٨٨ ح ١٤٢.

قوله عليه السلام «وتمسك بحبل القرآن» فالقرآن أحد الحبلين اللّذين أمر الناس التمسّك بهما حتى لا يضلّوا والآخر هو أهل بيته عليهم السلام.

روى أحمد بن حنبل في (مسنده) عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي صلى الله عليه وآله إنّي قد تركت فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ألا وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض.

وعن زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّي تارك فيكم خليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض[1].

ورواه الثعلبي في (تفسيره) في قوله تعالى: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾[2] وفيه: اني تارك فيكم الثقلين خليفتين ان أخذتم بهما لن تضلوا بعدي أحدهما أكبر من الآخر...[3].

وروى الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) من مسند زيد بن أرقم من عدة طرق قال زيد: قام النبي صلى الله عليه وآله فينا خطيباً بماءٍ يدعى خمّاً بين مكّة والمدينة فقال: أيُّها الناس! إنّما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربّي فأُجيب، وأنا تارك فيكم الثقلين أوّلهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي. ورواه مسلم في (صحيحه) مع زيادات[4].

---

(١) حديث أبي سعيد أخرجه أحمد في مسنده ٣: ١٤، ١٧، ٢٦، ٥٩، وحديث زيد بن ثابت أخرجه في مسنده ٥: ١٨٧ ـ ١٨٩.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الطرائف ١٦٠: ١٢٢، عن الثعلبي.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٨٧٣ ـ ١٨٧٤ ح ٣٦ ـ ٣٧، الطرائف ١: ١٢٢ ح ١٨٦.

ثم معنى قول النبي: «إن أهل بيته والقرآن لن يفترقا» أنّ غيرهم يفترقون عن القرآن ويقطعون حبله كما فصلوا وصلة عترته.

وقال أبو عبدالله عليه السلام فيما أخبر عن الملاحم: لا والله لا يرجع الأمر والخلافة إلى آل أبي بكر وعمر أبداً ولا إلى بني أُميّة أبداً ولا في ولد طلحة والزبير أبداً، وذلك انهم نبذوا القرآن وأبطلوا السنن وعطلوا الأحكام.

«واستنصحه» هكذا في (المصرية) والصواب: «وانتصحه» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[١] (والخطية)، أي: عده واعتقده نصيحاً لك.

قال الزهري قال علي بن الحسين عليه السلام: لو مت بين المشرق والمغرب لما استوحشت بعد أن يكون القرآن معي. كان عليه السلام إذا قرأ ﴿مالك يوم الدين﴾[٢] يكررها حتى كاد أن يموت.

«وأحل حلاله وحرّم حرامه» ولا تحل حرامه ولا تحرم حلاله، قال تعالىٰ ﴿ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب﴾[٣].

«وصدق بما سلف من الحق» من كتبه ورسله، قال تعالى في كتابه في موضعين ﴿ولكن تصديق الذي بين يديه﴾[٤] وفي موضع ﴿مصدق الذي بين يديه﴾[٥] وفي رسوله ﴿ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم﴾[٦]، وقال تعالى في قوم ﴿ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٣، شرح ابن ميثم ٥ : ٢١٩.

(٢) الفاتحه: ٤.

(٣) النحل : ١١٦.

(٤) يوسف : ١١١.

(٥) الانعام : ٩٢.

(٦) آل عمران: ٨١.

ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقاً﴾[١].

وقال ابن أبي الحديد أي: صدّق بما في القرآن من أيّام الله في الأمم السالفة...[٢] وهو كما ترى.

«واعتبر بما مضى من الدنيا لما بقي منها» في (وزراء الجهشياري): وجد في ثني مصلّى الفضل بن يحيى لمّا نقل من محبس إلى آخر رقعة فيها:

لو لم تكن هذه الدنيا لها دول بين البريّة بالآفات والعطب
إذن صفت لأناس قبلنا وبهم كانت تليق ذوي الأخطار والحسب
ولم ننلها وفيما قد ذكرت أسى وعبرة لذوي الألباب والأدب

«فإنّ بعضها يشبه بعضاً وآخرها لاحق بأوّلها وكلّها حائل مفارق» في الخبر عن أبي جعفر عليه السلام: ينادي منادٍ كلّ يوم: يا ابن آدم لِدْ للموت واجمع للفناء وابن للخراب[٣].

وعن أبي عبدالله عليه السلام: جاء جبرئيل إلى النبي صلى الله عليه وآله فقال: عش يا محمّد ما شئت فانّك ميت، وأحبب من شئت فإنّك مفارقه، واعمل ما شئت فإنّك لاقيه.

وقال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام في غير هذا الفصل: الماضي للمقيم عبرة، والميّت للحي عظة، وليس لأمس عودة، ولا المرء من غد على ثقة، الأوّل للأوسط رائد، والأوسط للأخير قائد، وكلٌّ بكلٍّ لاحق، والكلّ للكلّ مفارق[٤].

«وعظّم اسم الله أن تذكره إلّا على حق» عن أبي عبدالله عليه السلام: من أجلَّ الله أن يحلف به أعطاه خيراً ممّا ذهب عنه.

وعنه عليه السلام اجتمع الحواريّون إلى عيسى فقالوا: يا معلّم الخير! أرشدنا.

---

(١) النساء: ١٥٠ ـ ١٥١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٣.

(٣) الكافي ٢: ١٣١ ح ١٤.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٤.

فقال لهم: إن موسى نبيّ الله أمركم ألّا تحلفوا بالله كاذبين وأنا آمركم ألا تحلفوا بالله كاذبين ولا صادقين.

وعنه عليه السلام: من حلف بالله كاذباً فقد كفر، ومن حلف بالله صادقاً أثم، إنّ الله عزّوجلّ يقول: ﴿ولا تجعلوا الله عرضةً لأيمانكم﴾.

وعنه عليه السلام: من حلف على يمين وهو يعلم أنّه كاذب فقد بارز الله، ومن قال «علم الله ما لم يعلم» اهتزّ العرش إعظاماً له.

وعنه عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله إنّ لله ملكاً رجلاه في الأرض السفلى مسيرة خمسمئة عام ورأسه في السماء العليا مسيرة ألف سنة يقول: «سبحانك سبحانك حيث كنت فما أعظمك» فيوحي تعالى إليه: ما يعلم ذلك من يحلف بي كاذباً.

وفي كتاب علي عليه السلام: اليمين الكاذبة وقطيعة الرحم تذران الديار بلاقع من أهلها وتنغّل في الرحم ـ يعني انقطاع النسل.

وعنه عليه السلام: إذا اَدّعى عليك مال ولم يكن له بيّنة فأراد أن يحلفك فإنّ بلغ مقداره ثلاثين درهماً فأعطه ولا تحلف، وإن كان أكثر فاحلف ولا تعطه.

«وأكثر ذكر الموت وما بعد الموت» حتّى تكون أفطن الناس، وقال أبو عبيدة الحذاء لأبي جعفر عليه السلام: حدثني بما انتفع به. فقال له: أكثر ذكر الموت فإنّه لم يكثر انسان ذكر الموت إلّا زهد في الدنيا.

«ولا تتمنّ الموت إلّا بشرط وثيق» روي أنّ رجلاً جاء إلى الصادق عليه السلام فقال: قد سئمت الدنيا فأتمنّى على الله الموت. قال: تمنّ الحياة لتطيع لا لتعصي، فلئن تعيش فتطيع خير لك من أن تموت.

والشرط الوثيق معلومية كونه من الأبرار ومن أولياء الله تعالى، قال

عزّوجلّ ﴿وما عند الله خير للأبرار﴾[١] وقال لليهود المدّعين كونهم من أولياء الله ﴿فتمنوا الموت إن كنتم صادقين﴾[٢] وقد حكى تمنّي كثير من أوليائه تعالى وموتهم عقيب تمنّيهم.

«واحذر كلّ عمل يرضاه صاحبه لنفسه ويكره» هكذا في النسخ[٣] والظاهر كونه محرف «ويكرهه».

«لعامّة المسلمين، واحذر كلّ عمل يعمل به في السر ويُستحىٰ منه في العلانية» من القبائح لا ما ورد أصله سرّاً كالمناكح[٤].

«واحذر كلّ عمل إذا سئل عنه صاحبه أنكره واعتذر منه» قال ابن أبي الحديد: الثلاثة الّتي أمر عليه السلام بالحذر منها متقاربة في المعنى، ويشملها معنى قول الشاعر:

لا تنه عن خُلُقٍ وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

وقال تعالىٰ حاكياً عن أحد أنبيائه: ﴿وما أُريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه﴾[٥]، ومن كلام الجنيد: ليكن عملك من وراء سترك كعملك من وراء الزجاج الصافي. وفي المثل «إيّاك وما يعتذر منه»[٦].

قلت: بل البيت والآية في معنى الأوّل، وكلام الجنيد في معنى الثاني، والمثل في معنى الثالث، لا أنّ كلّاً منها يشمل الجميع.

«ولا تجعل عِرْضَك غرضاً» أي: هدفاً.

---

(١) آل عمران: ١٩٨.

(٢) البقرة: ٩٤.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢١٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤١.

(٥) هود: ٨٨.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٤٤ ـ ٤٥.

«لنبال القول» أي: سهام أقوالهم، قال الشاعر:

مقالة السوء إلى أهلها أسرع من منحدر سائل

ومن دعا الناس إلى ذمّه ذمّوه بالحقّ وبالباطل

أيضاً:

لا تستثر أبداً ما لاتقوم له ولا تهيجنّ مِنْ عرينه الأسدا

إنّ الزنابير إذا حرّكتها سفهاً عن كورها أوجعت من لسعها الجسدا

في (سنن أبي داود) عن السجّاد عليه السلام قالت صفية: كان النبي صلى الله عليه وآله معتكفاً فأتيته أزوره ليلاً فحدثته ثم قمت فانقلبت فقام معي ليقلبني ـ وكان مسكنها في دار اسامة ـ فمر رجلان من الأنصار فلمّا رأيا النبي صلى الله عليه وآله أسرعا فقال: على رسلكما انّها صفية بنت حي. قالا: سبحان الله يا رسول الله! قال: إنّ الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدّم فخشيت أن يقذف في قلوبكما شيئاً.

«ولا تحدّث الناس بكل ما سمعت به» بأن تقول لهم الأمر الفلاني كذا وكذا استناداً إلى سماعك.

«فكفى بذلك كذباً» لأنّ أكثر ما يسمع الإنسان كذب وحينئذ فالواجب ألّا يحدّث إلّا بما رأى بعينه أو كرؤية العين من السماع عن الثقة.

وهذا نظير قوله عليه السلام في موضع آخر: «بين الحق والباطل أربع أصابع» وأراد بالحق ما رآه بعينه وبالباطل ما سمعه باذنه.

وقال ابن أبي الحديد: قد نهى عليه السلام أن يحدّث الإنسان بكلّ ما رأى من العجائب، فضلاً عمّا سمع، لأنّ الحديث الغريب المعجب تسارع النفس إلى تكذيبه، وإلى أن تقوم الدلالة على صدقه قد فرط من سوء الظن فيه ما فرط،

ويقال إنّ بعض العلويّة قال في حضرة عضد الدولة ببغداد: عندنا في الكوفة نبق، وزن كلّ نبقة مثقالان، فاستظرف الملك ذلك وكاد يكذّبه الحاضرون، فلمّا قام ذكر ذلك لأبيه، فأرسل حماماً كان عنده في الحال إلى الكوفة يأمر وكلاءه بإرسال مئة حمام في رجلي كلّ واحد نبقتان من ذلك النبق، فجاء النبق في بكرة الغد وحمل إلى عضد الدولة، فاستحسنه وصدّقه، ثم قال له: لعمري لقد صدقت، ولكن لا تحدّث فيما بعد بكل ما رأيت من الغرائب، فليس كلّ وقت يتهيّأ لك إرسال الحمام[1].

قلت: هو كما ترى، فكلامه عليه السلام أنّه لا يجوز للإنسان أن يحدّث بجميع مسموعاته ممّا لا شاهد لصدقه لأن أكثرها كذب فإذا حدث كذب، وما قاله شيء آخر وهو أنّه لا ينبغي للعاقل أن يحدّث بكل ما رأى من الغرائب مخافة أن يكذّبه الناس مع صدقه فيحصل له استصغار كما هو مفاد تحديث العلوي.

«ولا تردّ على الناس كلّ ما حدّثوك به» ولو كان غريباً ففي مخلوقاته تعالى عجائب.

«فكفى بذلك جهلاً» ففي العالم أشياء لم ترها أصلاً فكيف تنكر وجودها بعدم رؤيتك، وإنّما قال عليه السلام لا تردَّ كلّ ما حدثوك لأنّ من الأُمور أموراً ممكنة ومنها أُموراً ممتنعة قد قام البرهان على استحالتها، فيجوز لك ردّ الممتنع دون الممكن كما في رد حضّار مجلس العضد لكلام العلويِّ الممكن.

«واكظم الغيظ» قال ابن أبي الحديد: روى أنّ عبداً لموسى بن جعفر عليه السلام قدّم إليه صحفة فيها طعام حارّ، فعجل فصبّها على رأسه ووجهه، فغضب، فقال العبد: ﴿والكاظمين الغيظ﴾[2] قال: قد كظمت، قال ﴿والعافين عن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٥ ـ ٤٦.

(٢) آل عمران: ١٣٤.

الناس﴾[١]. قال: قد عفوت. قال: ﴿والله يحب المحسنين﴾[٢]. قال: أنت حرّ لوجه الله، وقد نحلتك ضيعتي الفلانية[٣].

قلت: وروى المفيد في (إرشاده): أنّ رجلاً من أهل بيت علي بن الحسين عليه السلام وقف عليه فأسمعه وشتمه فلم يكلمه، فلمّا انصرف قال لجلسائه: لقد سمعتم ما قال هذا الرجل وأنا أحبّ أن تبلغوا معي إليه حتّى تسمعوا منّي ردّي عليه. فقالوا له: نفعل، ولقد كنّا نحبُّ أن تقول له ونقول، فأخذ نعليه ومشى وهو يقول: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾[٤]، فعلموا انه لا يقول له شيئاً، فلمّا أتى بابه قال: قولوا: له هذا علي بن الحسين، فخرج متوثّباً للشرّ وهو لا يشكّ أنّه إنّما جاء مكافئاً له على بعض ما كان له، فقال عليه السلام له: يا أخي! كنت قد وقفت عليَّ آنفاً وقلتَ وقلتَ، فإنْ كنتَ قلتَ ما فيَّ؛ فأستغفرُ الله منه، وإن كنتَ قلتَ ما ليس فيَّ فغفر الله لك. فقبّل الرجل بين عينيه وقال: بل قلتُ فيك ما ليس فيكَ وأنا أحقُّ به. قال الراوي: والرجل هو الحسن بن الحسن[٥].

«وتجاوز عند المقدرة، واحلم عند الغضب» هكذا في (المصرية) والصواب: (وأحلم عند الغضب وتجاوز عند المقدرة) كما في (ابن أبي الحديد)[٦] و (ابن ميثم)[٧] و(الخطية).

في (تاريخ اليعقوبي): قال رجل لأمير المؤمنين عليه السلام: أوصني. فقال له:

(١ و ٢) آل عمران: ١٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٦.

(٤) آل عمران : ١٣٤.

(٥) الارشاد : ٢٥٧.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٦.

(٧) شرح ابن ميثم ٥ : ٢٢٠.

أُوصيك بتقوى الله واجتناب الغضب وترك الأماني، وأن تحافظ على ساعتين من نهار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ومن العصر إلى غروبها، ولا تفرح بما علمت ولكن بما عملت فيهما[١].

«واصفح مع الدولة» أي: الغلبة، قال تعالىٰ: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس﴾[٢] أي: مرّة لهؤلاء ومرّة لهؤلاء، وقال الشاعر:

استدل الايام والدهر دول

«تكن لك العاقبة» في (ذيل الطبري): قال سالم مولى أبي جعفر: كان هشام بن اسماعيل يؤذي عليّ بن الحسين عليه‌السلام وأهل بيته؛ يخطب على المنبر وينال من عليّ، فلمّا ولي الوليد بن عبد الملك عزله، وأمر به أن يوقف للناس ـ كان هشام يقول لا والله ما كان أحد من الناس أهمّ إليّ من عليّ بن الحسين، كنت أقول رجل صالح يسمع قوله ـ فوقف للناس، فجمع علي بن الحسين ولده وحامته، ونهاهم عن التعرّض له، وغدا عليه‌السلام مارّاً لحاجة، فما عرض له، فناداه هشام ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾[٣].

وقال ابن أبي الحديد: قوله: «إصفح مع الدولة» هذه كانت شيمة النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله وشيمة عليّ، أمّا النبي فظفر بمشركي قريش وعفا عنهم، وأمّا عليّ فظفر بأصحاب الجمل وقد شقّوا عصا الاسلام عليه، وطعنوا فيه وفي خلافته، فعفا عنهم مع علمه بأنّهم يفسدون عليه أمره فيما بعد، ويصيرون إلى معاوية إمّا بأنفسهم أو بآرائهم ومكتوباتهم، وهذا أعظم من الصفح عن أهل مكة لأنّ أهل مكّة لم يبق لهم لمّا فُتِحَتْ فئة يتحيّزون

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٩.

(٢) آل عمران: ١٤٠.

(٣) ذيل المذيل: ١٢٠. والآية ١٢٤ من سورة الأنعام.

إليها، ويفسدون الدين عندها[١].

«واستصلح كلّ نعمة أنعمها الله عليك» لأنّه تعالى يسلب نعمته إذا أفسدها العبد ﴿ان الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيروا ما بأنفسهم﴾[٢].

«ولا تضيّعنّ نعمة من نعم الله عندك» فمن ضيّع نعمته تعالى فسلبت عنه ثم دعا لعودها كان من طوائف لا يستجيب دعاءهم.

ويمكن أن يراد بتضييع النعمة أن لا يتمتع هو منها ولا يمتّع الناس منها، كمن عنده فاكهة فلا يأكلها ولا يعطيها غيره حتّى تفسد فيكون من المفسدين.

«وليُرَ عليك أثر ما أنعم الله به عليك» فإنّ كتمانها كفران يوجب السلب، ولا يرتضي هذه الخلّة المخلوق فكيف الخالق.

قال أبو هلال العسكري في (ديوان معانيه): قال ابن قتيبة: أراد جعفر حاجة كان طريقه إليها على باب الأصمعي، فدفع إلى خادم له ألف دينار وقال: إنّي سأنزل في رجعتي إلى الأصمعي ثم يحدثني ويضحكني فإذا ضحكت فضع الكيس بين يديه فلمّا رجع دخل عليه فرأى حبّاً مكسور الرأس وجرّةً مكسورة العنق وقصعةً مشعّبة وجفنة أعشار، ورآه على مصلّى بالٍ وعليه بركان أجرد، فغمز غلامه ألّا يضع الكيس بين يديه، فلم يدع الأصمعي شيئاً ممّا يضحك الثكلان والغضبان إلّا أورده عليه فما تبسّم، ثم خرج فقال لرجل يسايره: من استرعى الذئب ظلم، ومن زرع سبخة حصد الفقر، إنّي والله لو علمت أن هذا يكتم المعروف بالفعل ما حفلت له بنشره له باللسان، وأين يقع مديح اللسان من آثار الإنسان، إنّ اللسان قد يكذب والحال لا يكذب،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٧.

(٢) الرعد : ١١.

ولله در نصيب حيث يقول:

فعاجوا فأثنوا بالذي أنت أهله ـــــ ولو سكتوا أثنت عليك الحقائب

ثم قال: أما علمت ان طاق أبرويز أمدح لأبرويز من شعر زهير لآل سنان[١].

«واعلم أنّ أفضل المؤمنين أفضلهم تقدمة من نفسه وأهله وماله» قال تعالىٰ: ﴿وقدّموا لأنفسكم واتّقوا الله واعلموا أنّكم ملاقوه وبشّر المؤمنين﴾[٢]، ﴿ولتنظر نفس ما قدّمت لغد﴾[٣]، ﴿إنّ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقّاً في التوراة والإنجيل والقرآن ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم﴾[٤].

وفي (مقاتل أبي الفرج): قال العباس بن علي يوم الطف لأخيه من أبيه وأُمه عبدالله بن علي: تقدّم بين يديَّ حتّى أراك قتيلاً وأحتسبك[٥].

وفي (الطبري): قال عابس بن شبيب الشاكري لشوذب مولى شاكر يوم الطف: ما في نفسك أن تصنع؟ قال: أُقاتل معك دون ابن بنت رسول الله حتّى أُقتل. قال: ذلك الظن بك، فتقدّم بين يدي أبي عبدالله عليه السلام حتّى يحتسبك كما احتسب غيرك من أصحابه وحتّى أحتسبك أنا، فإنّه لو كان معي السّاعة أحدٌ أنا أولى به منّي بك لسرّني أن يتقدّم بين يديّ حتّى أحتسبه، فإنّ هذا يوم ينبغي أن نطلب الأجر فيه بكلّ ما قدرنا عليه، فإنّه لا عمل

---

(١) ديوان المعاني لأبي هلال العسكري

(٢) البقرة : ٢٢٣ .

(٣) الحشر : ١٨ .

(٤) التوبة : ١١١ .

(٥) مقاتل الطالبيين: ٥٤ .

بعد اليوم وإنّما هو الحساب[١].

«فإنّك» هكذا في (المصرية) والصواب: (وإنّك) كما في (ابن أبي الحديد)[٢] و(ابن ميثم)[٣] و(الخطية).

«ما تقدّم من خير يبقى لك ذخره» ﴿وما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً وأعظم أجراً﴾[٤].

«وما تؤخّره يكن لغيرك خيره» ولذا قيل: إنّ الناس مال غيرهم أحبُّ إليهم من مالهم لأنّه ليس مالهم إلّا ما قدّموه وأنفقوه في سبيله تعالىٰ، وأمّا ما ادّخروه فهو مال ورثتهم.

«واحذر صحابة من يفيل» أي: يضعف.

«رأيه» قال جرير:

رأيتك يا أُخيطل إذ جرينا وجرّبت الفراسة كنت فالا

«وينكر عمله فإنّ الصاحب معتبر بصاحبه» قال الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع ولا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

قال النبي صلى الله عليه وآله: المرء على دين خليله وقرينه، وقال ابن أبي الحديد[٥]: قال طرفة:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكلُّ قرينٍ بالمقارن يقتدى

«واسكن الأمصار العظام فإنّها جُمّاع» بالضم والتشديد، أي: الاخلاط والإشابه، قال أبو قبيس بن الأسلت:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٤٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤١.

(٣) شرح ابن ميثم ٥ : ٢٢٠.

(٤) المزّمّل : ٢٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٨.

ثـمّ تـجلّت ولنـا غـاية من بين جمع غير جمّاع

وجماع الثريا كواكبها المجتمعة، قال ذو الرمّة:

ونـهب كـجمّاع الثـريا حـويته بأجرد محتوت الصفاقين خـيفق

«المسلمين» ولأنّ فيها كلّ ما يحتاج إليه.

«واحذر منازل الغفلة والجفاء وقلّة الأعوان على طاعة الله» ولذا يكون التعرّب بعد الهجرة كبيرة، وكانت الهجرة قبل الفتح فريضة.

«واقصر» أي: أحصر.

«رأيك على ما يعنيك» أي: يهمّك وإلّا فمن تابع الفضول فاتته الأُصول.

«وإيّاك ومقاعد الأسواق فإنّها محاضر» أي: أمكنة حضور.

«الشيطان ومعاريض» أي: مواضع عروض.

«الفتن» عن أبي جعفر عليه السلام: جاء أعرابي من بني عامر إلى النبيّ صلى الله عليه وآله فسأله عن خير بقاع الأرض وشرّ بقاع الأرض. فقال صلى الله عليه وآله: إنّ خير بقاع الأرض المساجد وأحبّ أهلها إلى الله أوّلهم دخولاً وآخرهم خروجاً، وإنّ شرّ بقاع الأرض الأسواق وهي ميدان ابليس يغدو برايته ويضع كرسيه ويبثّ ذرّيّته فبين مطفّف في قفيز أو طائش في ميزان، أو سارق في ذرع أو كاذب في سلعة، فلا يزال مع أوّل من يدخل وآخر من يخرج.

«وأكثر أن تنظر إلى من فُضّلت عليه فإنّ ذلك من أبواب الشّكر» يمكن أن يراد بإكثار النظر إلى المفضّل عليه التفكّر في نعمة الله عليك بتفضيلك فتشكره تعالى على ذلك، ويمكن أن يراد به إكثار مساعدته ليكون شكراً لنعمته تعالى عليه.

وفي (وزراء الجهشياري): قال ابن المعتمر: كنت أسير مع يحيى

البرمكي وهو بين ابنيه الفضل وجعفر، فإذا ابن طرخان واقف على الطريق، فناداني فاستشرفت له فقال:

صحبت البرامك عشراً ولاء وبيتي كراء وخبزي شراء

فسمعه يحيى فالتفت إلى ابنيه فقال: أُفٍّ لهذا العقل فلان ممّن يحاسب، فلمّا كان من الغد جاء ابن طرخان فقلت له: ويحك ما هذا الذي عرضت له نفسك بالأمس. فقال: أُسكت ما هو إلّا أن انصرفت إلى منزلي حتّى جاءني من قبل الفضل بدرة ومن قبل جعفر بدرة، ووهب لي كلّ واحد منهما داراً وأجرى لي من مطبخه ما يكفيني.

وكان يحيى يقول: ما وقع غبار مركبي على لحية رجل قط إلّا أوجبت له على نفسي حفظه وألزمتها حقّه.

«ولا تسافر في يوم جمعة حتّى تشهد الصلاة» ﴿إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله﴾[1] وقبل النداء إذا سافر فوّتَ على نفسه فضلاً كثيراً.

«إلّا فاصلا في سبيل الله» في الجهاد الواجب.

«أو في أمرٍ تعذر به» من السفر الاضطراري.

«واطع الله في جميع» هكذا في (المصرية) والصواب: (في جُمَلِ) كما في (ابن أبي الحديد)[2] و (ابن ميثم)[3] و(الخطية).

«أُمورك فإنّ طاعة الله فاضلة على ما سواها» ﴿ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾[4]، ﴿ومن يطع الله ورسوله فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم

---

(١) الجمعة : ١٠ .

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٤٢ .

(٣) شرح ابن ميثم ٥ : ٢٢٠ .

(٤) الاحزاب : ٧١ .

من النبيّين والصدّيقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[١]، ﴿ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتّقه فأولئك هم الفائزون﴾[٢]، ﴿ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك هو الفوز العظيم﴾[٣].

«وخادع نفسك في العبادة» روى (إرشاد المفيد) عن سعد بن كلثوم قال: كنت عند جعفر بن محمّد عليه السلام فذكر علياً فقال: والله ما أكل من الدنيا حراماً قطّ حتّى مضى لسبيله، وما عرض له أمران قطّ هما لله رضىً إلّا أخذ بأشدّهما عليه في دينه، وما نزلت بالنبي صلى الله عليه وآله نازلة قطّ إلّا دعاه ثقةً به، وما أطاق عمل النبي من هذه الأمة غيره، وإن كان ليعمل عمل رجل كأنَّ وجهه بين الجنّة والنّار يرجو ثواب هذه ويخاف من عقاب هذه، ولقد أعتق من ماله مئة ألف مملوك في طلب وجه الله والنجاة من النار ممّا كدّ بيده ورشح منه جبينه، وإن كان ليقوت أهله بالزيت والخلّ والعجوة، وما كان لباسه إلّا الكرابيس، إذا فضل شيء عن يده من كمه دعا بالجلم فقصّه.

وما من أهل بيته أحد أقرب شبهاً به في لباسه وفقهه من علي بن الحسين عليه السلام، ولقد دخل أبو جعفر ابنه عليه فإذا هو قد بلغ من العبادة ما لم يبلغه، فرآه قد اصفرّ لونه من السهر ورمضت عيناه من البكاء، ودبرت جبهته وانخرم أنفه من السجود، وورمت ساقاه وقدماه من القيام في الصلاة، فلم يملك نفسه من البكاء حين رآه بتلك الحال فبكى رحمة له وإذا هو يفكر، فالتفت إليه بعد هنيهة وقال له: يا بنيّ! اعطني بعض تلك الصحف التي فيها عبادة علي

(١) النساء: ٦٩.

(٢) النور: ٥٢.

(٣) النساء: ١٣.

بن ابي طالب، فأعطاه فقرأ فيها شيئاً يسيراً ثم تركها من يده تضجّراً وقال: من يقوى على عبادة علي عليه السلام[١].

وروى (أمالي الشيخ): أن فاطمة بنت علي عليه السلام لما نظرت إلى ما يفعل ابن أخيها علي بن الحسين بنفسه من الدأب في العبادة أتت جابر الأنصاري فقالت له: يا صاحب النبي! إنّ لنا عليكم حقوقاً. ومنها إذا رأيتم أحدنا يهلك نفسه اجتهاداً أن تذكّروه الله وتدعوه إلى البقى على نفسه ـ وهذا علي بن الحسين بقية أخي الحسين قد انخرم أنفه وثفنت جبهته وركبتاه وراحتاه إدآباً منه لنفسه في العبادة. فأتى جابر إليه عليه السلام وقال له: أما علمت يا ابن رسول الله أنّ الله تعالى إنمّا خلق الجنة لكم ولمن أحبّكم وخلق النّار لمن أبغضكم وعاداكم، فما هذا الجهد الذي كلفته نفسك؟ فقال عليه السلام: أما علمت يا صاحب النبي أنّ جدّي رسول الله قد غُفر له ما تقدّم من ذنبه وما تأخّر فلم يدع الاجتهاد له وتعبّد ـ بأبي هو وأمي ـ حتّى انتفخ السّاق وورم القدم؟ وقيل له: أتفعل هذا وقد غفر الله لك ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر؟ قال: أفلا أكون عبداً شكوراً؟ فلمّا رأى جابر أنّه ليس يغني فيه قوله قال له: يا ابن رسول الله! البقيا على نفسك فإنّك من أُسرة بهم يستدفع البلاء ويستكشف اللّأواء وبهم يستمطر السماء. فقال عليه السلام له: يا جابر! لا أزال على منهاج أبويّ صلوات الله عليهما مؤتسياً بهما حتّى ألقاهما. فأقبل جابر على من حضر فقال لهم: والله ما أرى في أولاد الأنبياء بمثل علي بن الحسين إلّا يوسف بن يعقوب، والله لذرّيّة علي بن الحسين أفضل من ذرية يوسف بن يعقوب إذ منهم لَمَن يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً[٢].

---

(١) الارشاد للمفيد: ٢٥٥ ـ ٢٥٦.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٢٤٩، المجلس ١٣.

«وارفق بها ولا تقهرها، وخذ عفوها ونشاطها» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ هذا الدين متين فأوغلوا فيه برفق، ولا تكرّهوا عبادة الله إلى عباد الله فتكونوا كالراكب المنبّت الذي لا سفراً قطع ولا ظهراً أبقى[١].

«إلّا ما كان مكتوباً عليك من الفريضة فإنّه لابدّ من قضائها» أي: أدائها كقوله تعالى: ﴿فإذا قضيت الصلاة﴾[٢].

«وتعاهدها عند محلّها» أي: عند وقتها سواءً كان لك نشاط أم لا بخلاف النافلة.

وفي (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله: إنّ للقلوب إقبالاً وإدباراً، فإذا أقبلت فتنفّلوا وإذا أدبرت فعليكم بالفريضة.

وروي أنّ أبا الحسن موسى عليه السلام كان إذا أهمّ ترك النافلة[٣].

«وإيّاك أن ينزل بك الموت وأنت آبق من ربك في طلب الدّنيا» قيل لأبي ذر: كيف ترى قدومنا على الله؟ قال: أمّا المحسن فكالغائب يقدم على أهله وأمّا المسيء فكالآبق يقدم على مولاه. قيل له: فكيف حالنا عند الله؟ قال: إعرضوا أعمالكم على كتاب الله إنّه تعالى يقول: ﴿إنّ الأبرار لفي نعيم* وإنّ الفجّار لفي جحيم﴾[٤]. قيل له: فأين رحمة الله؟ قال: ﴿إنّ رحمة الله قريب من المحسنين﴾[٥].

«وإيّاك ومصاحبة الفسّاق فإنّ الشرّ بالشرّ ملحق» روى (الكافي): أنّ الهادي عليه السلام قال للجعفري: مالي رأيتك عند عبد الرحمن بن أبي يعقوب؟ فقال

---

(١) الكافي ٢: ٨٦ ح١.

(٢) الجمعة: ١٠.

(٣) الكافي ٣: ٤٥٤، ح ١٥ و ١٦.

(٤) الانفطار: ١٣ ـ ١٤.

(٥) الاعراف: ٥٦.

له: إنّه خالي. فقال عليه السلام: إنّه يقول في الله تعالى قولاً عظيماً يصف الله تعالى ولا يوصف فإمّا جلست معه وتركتنا وإمّا جلست معنا وتركته. فقال الجعفري: هو يقول ما شاء، أيُّ شيء عليَّ منه إذا لم أقل بقوله؟ فقال: أما تخاف أن تنزل به نقمة فتصيبكم جميعاً؟ أما علمت الذي كان من أصحاب موسىٰ عليه السلام وكان أبوه من أصحاب فرعون، فلمّا لحق خيل فرعون موسى تخلّف عنه ليعظ أباه فيلحقه بموسىٰ، فمضى أبوه وهو يراغمه حتّى بلغا طرفاً من البحر فغرقا جميعاً وأتى موسى الخبر فقال: هو في رحمة الله ولكنّ النّقمة إذا نزلت لم يكن لها عمّن قارب المذنب دفاع.

وروى عن محمّد بن مسلم قال: مرّ بي أبو جعفر عليه السلام وأنا جالس عند قاض بالمدينة، فدخلت عليه من الغد فقال لي: ما مجلسٌ رأيتك فيه أمس؟ قلت له: جعلت فداك! إنّ هذا القاضي لي مكرم فربّما جلست إليه. فقال لي: وما يؤمنك أن تنزل اللعنة عليه فتعمَّ من في المجلس[1].

«ووقر الله» فإنّه لازم الإيمان به ولازم المعرفة بعظمته وقدرته، قال نوح لقومه: ﴿ مالكم لا ترجون لله وقارا* وقد خلقكم أطواراً﴾[2].

«وأحبب أحباءه» في (الكافي) عن النبي صلى الله عليه وآله قال لأصحابه: أيُّ عرى الإيمان أوثق؟ فقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال صلى الله عليه وآله: لكلّ ما قلتم فضل، ولكنّ أوثق عرى الإيمان بالله الحبّ في الله، والبغض في الله وتوالي أوليائه والتبرّي من أعدائه.

وعنه صلى الله عليه وآله قال: وُدُّ المؤمن للمؤمن من أعظم شعب الإيمان، ألا ومن

---

(١) الكافي ٢: ٣٧٤ ح ٢.

(٢) نوح: ١٣ ـ ١٤.

أحبّ في الله وأبغض في الله وأعطى في الله ومنع في الله فهو من أصفياء الله.

وعن السجاد عليه السلام قال: إذا جمع الله الأوّلين والآخرين قام منادٍ يُسمع الناس فيقول: أين المتحابُّون في الله؟ فيقوم عنق من الناس فيقال لهم: اذهبوا إلى الجنّة بغير حساب، فتتلقّاهم الملائكة فتقول لهم: فأيُّ ضرب أنتم من الناس؟ فيقولون: نحن المتحابون في الله، فيقولون: أيُّ شيء كانت أعمالكم؟ قالوا كنّا نحبّ في الله ونبغض في الله، فيقولون لهم: نعم أجر العاملين[1].

«واحذر الغضب فإنّه جند عظيم من جنود إبليس» روى (الكافي): أنّ رجلاً بدوياً أتى النبي صلى الله عليه وآله فقال: إنّي أسكن البادية فعلّمني جوامع الكلم. فقال: آمرك ألّا تغضب، فأعاد عليه المسألة ثلاث مرّات حتّى رجع الرجل إلى نفسه فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني النبيّ إلّا بالخير.

وكان أبي يقول: أيّ شيءٍ أشدّ من الغضب؟! إنّ الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرّم الله ويقذف المحصنة.

وعن أبي جعفر عليه السلام: إنّ الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتّى يدخل النار، فأيّما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك فإنّه سيذهب عنه رجز الشيطان، وأيّما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه وليمسّه فإنّ الرّحم إذا مسّت سكنت[2].

٨
الخطبة (٢٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ ٱلأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى ٱلأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ إِلَى كُلِّ

---

(١) الكافي ٢: ١٢٥ ـ ١٢٦ ح ٣ و ٦ و ٨، بتصرّف في بعض الألفاظ.

(٢) الكافي ٢: ٣٠٢ ـ ٣٠٣ ح ٢ و ٤.

نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصانٍ، فإذا رَأَى أَحَدُكُمْ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ فَلَا يَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً، فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ مَالَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَى بِهَا لِئَامُ النَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ الْيَاسِرِ الَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَم وَيُرْفَعُ بِـهَا عَـنْهُ الْمَغْرَمُ، وَكَذَلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ الْبَرِيءِ مِنَ الْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ. وَإِمَّا رِزْقَ اللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ. إِنّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ لِأَقْوَامٍ، فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَـا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ وَاخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ، وَاعْمَلُوا في غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ، فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلْهُ ٱللهُ لِمَنْ عَمِلَ لَـهُ. نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ، وَمُعَايَشَةَ السُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ ٱلأَنْبِيَاءِ.

أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي الرَّجُلُ ـ وَإِنْ كَانَ ذَا مالٍ ـ عَـنْ عَشِـيرَتِهِ وَدِفاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ النَّاسِ حَيْطَةً مِنْ وَرَائِـهِ وَأَلَمُّهُمْ لِشَعْثِهِ وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِنْ نَزَلَتْ بِهِ، وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ في النَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ.

ومنها:

أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهِا ٱلْخَصَاصَةِ أَنْ يَسُدَّهَا بالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ، وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِه فَـإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَيُقْبَضُ مِنْهُمْ عنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ، وَمَـنْ تَـلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ.

قال الشريف: أَقُولُ: الغَفِيرَةُ هنا ٱلزِّيادَةُ وَٱلْكثرَةُ، مِنْ قَوْلِهِمْ للجمعِ الكثِيرِ «ٱلْجَمُّ الغَفِيرُ وَٱلجمّاءُ الغَفِير»، وَيُرْوى «عَفْوَةً مِـنْ أهـلٍ أو

مال» وَالعَفْوَةُ ٱلْخِيار من الشَّـيْءِ، يـقال: أكـلْتُ عَـفْوةَ الطـعام؛ أي خِيَارَه، وَما أحْسنَ المعنى الذِي أرَادهُ عليه السلام بِقولِه «وَمن يَقْبِضْ يدهُ عَنْ عَشِيرتِه» إلى تمام الكلام -فإنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَن عَشِيرَتِهِ إنّما يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحدةٍ فإذا احْتَاجَ إلَى نُصْرَتِهِمْ وَاضطُرَّ إلَى مُرَافَدَتِهِمْ قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْته، فَمُنِعَ تَرَافُدَ الأيـدي الكَـثِيرةِ وَتَنَاهُضَ الأقدَامِ ٱلْجَمّةِ.

وقال في فصل غريب حـديثه عليه السلام بـعد (٢٦٠) فـي الثـامن: «وَمِـنْ حَدِيثِهِ كَالْيَاسِرِ الْفالِج يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ» اليَـاسِرُونَ هُـمُ الّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بالِقداحِ عَلَى الْجَزُورِ، والْفالِجُ الْقَاهِرُ والْغَالِبُ، يُقَالُ: فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ، قَالَ الرّاجِزُ:

* لمَّا رَأيْتُ فَالِجاً قَدْ فَلَجا *

أقول: الثاني كما ترى جزء الأول فهو من المواضع التي قال: «وربّما بعد العهد» بما اختير أوّلاً فأُعيد بعضه سهواً ونسـياناً، وروى الأول نـصر بـن مزاحم في (صفينه) والدينوري في (طواله) وابن قتيبة في (خلفائه) واليعقوبي في (تاريخه) ومحمّد بن يعقوب في (كافيه) بزيادة ونقصان واختلاف، وكذا ابن عساكر في ترجمته عليه السلام بطريقين عن يحيى بن معمر، وفي طريق الثاني سفيان بن عيينة وقال قال من يحسن أن يتكلم بهذا الكلام إلّا عليّ[1]!؟

وروى الأول عن عليّ بن الحسين عليه السلام قال: خطبة عليّ بن أبي طالب في الجمعة بالكوفة والمدينة، أن الحمد لله أحمده وأستعينه وأسـتهديه، وأعـوذ بالله من الضّلالة، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد ألا إلّه إلّا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمّداً عبده ورسوله، انتخبه لأمره واختصّه

(١) ابن عساكر ٣: ٢٦٩ ـ ٢٧١ ح١٢٩١ ـ ١٢٩٢.

بالنبوّة أكرم خلقه عليه وأحبهم إليه، فبلّغ رسالة ربّه ونصح لأُمته وأدّى الذي عليه وأوصيكم بتقوى الله، فإنّ تقوى الله خير ما تَواصى به عباد الله وأقربه لرضوان الله وخيره في عواقب الأمور عند الله، وبتقوى الله أُمِرتم وللاحسان والطاعة خلقتم، فاحذروا من الله ما حذّركم من نفسه، فإنّه حذّر بأساً شديداً، واخشوا الله خشية ليست بتعذير، واعملوا بغير رياء ولا سمعة، فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى ما عمل له، ومن عمل لله مخلصاً تولّى الله أجره، وأشفقوا من عذاب الله فإنّه لم يخلقكم عبثاً ولم يترك شيئاً من أمركم سدى، قد سمّى آثاركم وعلم أعمالكم وكتب آجالكم، فلا تغتروا بالدّنيا فإنّها غرّارة بأهلها مغرور من اغترّ بها وإلى فناء ما هي، إنّ الآخرة هي دار الحيوان لو كانوا يعلمون، أسأل الله منازل الشهداء ومرافقة الأنبياء ومعيشة السعداء فانما نحن له وبه[1].

ومثله الثاني إلّا أنّه قال: وإنّ أول جمعة صلّى بالكوفة خطب فقال...[2].

وقال الثالث: ذكروا أن علياً عليه السلام قام خطيباً فقال: أيُّها النّاس! ألا إنّ هذا القدر ينزل من السماء كقطر المطر على كلّ نفس بما كتب من زيادة أو نقصان في أهل أو مال، فمن أصابه نقصان في أهل أو مال فلا يغشّ نفسه، ألا وإنّما المال حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام. وقد دخل في هذا العسكر طمع من معاوية فضعوا عنكم همّ الدنيا بفراقها وشدّة ما اشتدّ منها برجاء ما بعدها، فإنّ نازعتكم أنفسكم إلى غير ذلك فردّوها إلى الصبر ووطّنوها على العزاء، فوالله إنّ أرجى ما أرجوه الرزّق من الله من حيث

---

(١) وقعة صفين لنصر بن مزاحم : ١٠ .

(٢) الأخبار الطوال : ١٥٢ ـ ١٥٣ .

لا يحتسب، وقد فارقكم مصقلة بن هبيرة فآثر الدنيا على الآخرة، وفارقكم بسر ابن أرطأة فأصبح ثقيل الظهر من الدماء مفتضح البطن من المال، وفارقكم زيد ابن عديّ بن حاتم فأصبح ليسأل الرجعة، وأيم الله لودّت رجال مع معاوية أنّهم معي فباعوا الدنيا بالآخرة، ولودّت رجال معي أنّهم مع معاوية فباعوا الآخرة بالدنيا[1].

وما فيه من فراق بسر عنه كمصقلة وزيد غريب؛ فلم يذكر أحد أنه كان معه عليه السلام أولا.

وقال أيضاً ـ بعد ذكر بيعته عليه السلام ـ وذكروا أن البيعة له عليه السلام لما تمّت بالمدينة خرج إلى المسجد فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ووعد الناس خيراً ثم قال: لا يستغني الرجل وان كان ذا مال وولد عن عشيرته ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم، هم أعظم الناس حيطة من ورائه وألمّهم لشعثه وأعطفهم عليه إن أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأُمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّه يقبض عنهم يداً واحدة وتقبض عنه أيدٍ كثيرة، ومن بسط يده بالمعروف ابتغاء وجه الله تعالى يخلف الله ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته.

واعلموا أنّ لسان صدق يجعله الله للمرء في الناس؛ خيرٌ له من المال، فلا يزدادنّ أحدكم كبرياءً ولا عظمة في نفسه، ولا يغفل أحدكم عن القرابة أن يصلها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه.

واعلموا أنّ الدنيا قد أدبرت والآخرة قد أقبلت. ألا وإنّ المضمار اليوم والسبق غداً، ألا وإنّ السبق الجنّة والغاية النّار، ألا إنّ الأمل يسهي القلب ويكذب الوعد ويأتي بغفلة ويورث حسرة فهو غرور وصاحبه في عناء،

---

(١) الامامة والسياسة ١: ١١٤.

فافزعوا إلى قوام دينكم وإتمام صلاتكم وأداء زكاتكم والنّصيحة لإمامكم، وتعلّموا كتاب الله وأصدقوا الحديث عن رسول الله ﷺ وأوفوا بالعهد إذا عاهدتم وأدّوا الأمانات إذا ائتُمِنتم وأرغبوا ثواب الله وارهبوا عذابه واعملوا بالخير تجزوا بالخير يوم يفوز بالخير من قدّم الخير[1].

وقال الرابع: خطب عليه السلام فتلا قوله عزوجل: ﴿إنّا نحن نحي الموتى ونكتب ما قدّموا وآثارهم وكلّ شيءٍ أحصيناه في إمام مبين﴾[2] ثم قال: إنّ هذا الأمر ينزل من السماء كقطر المطر إلى كلّ نفس بما كتب الله لها من نقصان في نفس أو أهل أو مال، فمن أصابه نقص في أهله وماله ورأى عند أخيه عفوه فلا يكونَنّ ذلك عليه فتنة، فإنّ المرء المسلم ما لم يأت دناءة يخشع لها وذلة إذا ذكرت وتغرى به لئام النّاس كالياسر الفالج الذي ينتظر أول فوزه من قداحه يوجب له المغنم ويدفع عنه المغرم، كذلك المرء البريء من الخيانة والكذب يترقب كلّ يوم وليلة إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خير له وإما فتحاً من الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه حسبه ودينه، المال والبنون حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام[3].

وروى الخامس مسنداً عن الحسن قال: خطب عليه السلام فحمد الله وأثنى عليه وقال: أما بعد فإنّه إنّما هلك من كان قبلكم حيث ما عملوا من المعاصي ولم ينههم الربّانيّون والأحبار عن ذلك، وإنّهم لمّا تمادوا في المعاصي ولم ينههم الربّانيّون والأحبار عن ذلك نزلت بهم العقوبات، فأمُروا بالمعروف وانهَوا عن المنكر. واعلموا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لن يقرّبا

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) يس: ١٢.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٧.

أجلاً ولن يقطعا رزقاً، إن الأمر ينزل من السماء إلى الأرض كقطر المطر إلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان، فإنْ أصاب أحدكم مصيبة في أهل أو مال أو نفس ورأى عند أخيه غفيرة في أهل أو مال أو نفس فلا يكوننّ له فتنة، فإنّ المرء المسلم لبريء من الخيانة ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت ويغرى بها لئام الناس، كان كالفالج الياسر الذي ينتظر أوّل فوزة من قداحه حتّى توجب له المغنم ويدفع عنه بها المغرم، وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خيرٌ له، وإمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه، إنّ المال والبنين حرث الدنيا والعمل الصالح حرث الآخرة وقد يجمعهما الله لأقوام، فاحذروا من الله ما حذركم من نفسه واخشوه خشية ليست بتعذير واعملوا في غير رياء ولا سمعة، فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله إلى من عمل له، نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء.

وعن أبي عبدالله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين: لن يرغب المرء عن عشيرته وإن كان ذا مال وولد عن مودّتهم وكرامتهم ودفاعهم بأيديهم وألسنتهم، هم أشدّ الناس حيطة من ورائه وأعطفهم عليه وألمّهم لشعثه ان أصابته مصيبة أو نزل به بعض مكاره الأُمور، ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما يقبض عنهم يداً واحدة ويُقبض عنه منهم أيدٍ كثيرة، ومن يلن حاشيته يعرف صديقه منه المودّة ومن بسط يده بالمعروف إذا وجده يخلف الله له ما أنفق في دنياه ويضاعف له في آخرته، ولسان الصدق للمرء يجعله الله في الناس خير من المال يأكله ويورّثه، ولا يزدادنّ أحدكم كبراً وعظماً في نفسه ونأياً عن عشيرته إن كان موسراً في المال، ولا يزدادن أحدكم في أخيه زهداً ولا منه بعداً إذا لم يرَ منه مروّة وكان معوزاً في المال، لا يغفل أحدكم عن

القرابة بها الخصاصة أن يسدّها بما لا ينفعه إن أمسكه ولا يضرّه إن استهلكه[١].

وظهر لك ممّا نقلنا من المدارك والأسانيد مع اختلافهما أنّ ما عنونه المصنف جمع بين روايتين كما أنّه جمع بين موضوعين، فمن أوّله إلى قوله: «ومرافقة الأنبياء» رواية وكانت الخطبة بعد صفّين، ومن قوله بعده: «أيها الناس! إنّه لا يستغني الرجل...» خطبة أُخرى خطب عليه السلام بها أوّل بيعة الناس له، ولا وجه لجمع المصنّف بينهما سوى ربط يسير بين قوله في الأولى: «فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة...» وقوله في الثانية: «لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرة...»، لكنّه كما ترى فالأول دستور للمسلم في سيرته مع المسلمين، والثاني حثّ على صلة الارحام.

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في تكلف الخوئي للربط بينهما لعدم تفطّنه لكونهما كلامين كغيره ممّن سبقه من الشرّاح، فقال عند قوله عليه السلام «أيّها الناس» لمّا أشار إلى تأديب الفقراء بالنهي عن التعرض للأغنياء بما يوجب لهم ملكات السوء من الحسد ونحوه، أردف ذلك بتأديب الأغنياء واستدراجهم في حقّ الفقراء ذوي الأرحام...[٢].

«أما بعد فإنّ الأمر ينزل من السماء كقطرات...» هكذا في (المصرية) والصواب: «كقطر» كما في (ابن أبي الحديد)[٣] و (ابن ميثم)[٤] و(الخطية) بل وفي مداركه.

«المطر إلى كلّ نفس بما قسم لها من زيادة و» هكذا في (المصرية)

---

(١) الكافي ٢: ١٥٤.

(٢) شرح الخوئي ١: ٢٨٨ و ٣٩٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٢.

(٤) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

والصواب: (أو) كما في (ابن أبي الحديد)[١] و (ابن ميثم)[٢] و(الخطية) بل وفي مداركه.

«نقصان» قال تعالىٰ: ﴿وجعلنا لكم فيها معايش ومن لستم له برازقين* وإن من شيءٍ إلّا عندنا خزائنه وما ننزّله إلّا بقدر معلوم﴾[٣]، ﴿يهب لمن يشاء إناثاً ويهب لمن يشاء الذكور* أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً ويجعل من يشاء عقيماً﴾[٤]، ﴿قل اللّهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء وتعزّ من تشاء وتذلّ من تشاء بيدك الخير انّك على كلّ شيء قدير* تولج اللّيل في النّهار وتولج النّهار في اللّيل وتخرج الحيّ من الميّت وتخرج الميّت من الحيّ وترزق من تشاء بغير حساب﴾[٥]، ﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾[٦].

«فإذا رأى أحدكم لأخيه غفيرة» أي: كثرة وزيادة.

«في أهل أو مال أو نفس فلا تكوننّ» تلك الغفيرة أو رؤيتها له.

«فتنة» بأن يحسده عليها فيهلكه الحسد لأن الحسد يأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب، كما كانت تلك الغفيرة لمن هي عنده فتنة هل يشكرها أم لا، قال تعالىٰ لنبيه: ﴿ولا تمدّن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقىٰ﴾[٧].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

(٣) الحجر: ٢٠ ـ ٢٢.

(٤) الشورىٰ: ٤٩ ـ ٥٠.

(٥) آل عمران: ٢٦ ـ ٢٧.

(٦) الرعد: ٢٦.

(٧) طه: ١٣١.

«فإنّ المرء المسلم ما لم يغش دناءة تظهر فيخشع لها إذا ذكرت» قالت ليلى الأخيلية:

لعمرك ما بالموت عار على امرئٍ إذا لم تصبه في الحياة المعاير

في (الأغاني): مرّ مالك بن الريب بليلى الأخيلية فجلس إليها يحادثها طويلاً وأنشدها، فأقبلت عليه وأُعجبت به حتّى طمع في وصلها ثم إذا هو بفتىً قد جاء إليها كأنّه نصل سيف فجلس إليها فأعرضت عن مالك وتهاونت حتّى كأنّه عندها عصفور، وأقبلت على صاحبها مليّاً من نهارها فغاظه ذلك من فعلها وأقبل على الرجل فقال: من أنت؟ فقال: توبة بن الحُمَيِّر. فقال: هل لك في المصارعة؟ قال: وما دعاك إلى ذلك وأنت ضيفنا وجارنا. قال: لابدّ منه. فظنّ أنّ ذلك يخوفه منه فازداد لجاجاً، فقام توبة فصارعه فصرعه، فلمّا سقط إلى الأرض صدرت منه ريح ذات صوت، فضحكت ليلى منه فاستحى مالك فاكتتب بخراسان وقال: لا أُقيم ببلد العرب أبداً وقد تحدثت عني بهذا الحديث، فأقام ثمة حتّى مات وقبره هناك معروف[1].

وكان المخبّل السعدي خطب ـ كما في (الأغاني) ـ إلى الزبرقان بن بدر أُخته خليدة فمنعه ثم زوّجها بآخر فقال المخبّل:

فأنكحته زهواً كأنّ عجانها مشقّ إهابٍ أوسع السلخ ناجله

ثم مر المخبل بعدما أسن وضعف بصره بخليدة فأنزلته وقرّبته وأكرمته ووهبت له وليدة قالت له: إني آثرتك بها يا أبا يزيد فاحتفظ بها. فقال: ومن أنتِ حتّى أعرفك وأشكرك. قالت: لا عليك. قال: بلى والله. قالت: أنا بعض من هتكت بشعرك ظلماً أنا خليدة بنت بدر. فقال: واسوأتاه منك فإنّي استغفر الله وأستقيلك، ثم قال:

---

(١) الأغاني ٢٢: ٢٩٧، دار احياء التراث العربي ـ بيروت.

لقد ضلّ حلمي في خليدة إنّني ... سأعتب نفسي بعدها وأتوب

فأقسم بالرّحمن إنّي ظلمتها ... وجرت عليها والهجاء كذوب[1]

«وتغرى» من الإغراء أو التغرية أي: تولع.

«به لئام الناس» في (المعجم): اجتاز القاضي التنوخي يوماً في بعض الدروب فسمع امرأة تقول لأُخرىٰ: كم عمر بنتك يا أُختي؟ فقالت لها: رزقتها يوم شهر بالقاضي التنوخي وضرب بالسياط فرفع رأسه إليها وقال: يا بظراء! صار صفعي تاريخك ما وجدت تاريخاً غيره.

وفي (العيون): دخل اعرابي على المساور الضبّي وهو بندار الريّ فسأله فلم يعطه فقال:

أتيت المساور في حاجة ... فما زال يسعل حتّى ضرط

وحكّ قفاه بكرسوعه ... ومسّح عثنونه وامتخط

فأمسك عن حاجتي خيفة ... لأُخرى تقطّع شرخ السفط

فأُقسم لو عدت في حاجتي ... للطّخ بالسلح وشي النمط

وقال غلطنا حساب الخراج ... فقلت من الضرط جاء الغلط

فكان مساور كلّما ركب صاح به الصبيان: «من الضرط جاء الغلط» فهرب من غير عزل إلى بلاد أصبهان[2].

«كان كالفالج الياسر» هكذا في النهج بتقديم «الفالج» في الاول وبتقديم الياسر بلفظ «كالياسر الفالج» في الثاني، والظاهر أنّه أخذ الأول من رواية (الكافي) وأخذ الثاني من كتب عريب الحديث، بدليل أنّ النهاية أيضاً نقله

---

(١) الاغاني ١٣ : ١٩٦ .

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٣: ١٥٤ .

كالثاني[١] وهو الصحيح لأن الفالج صفة الياسر والصفة لا تتقدم على الموصوف وكذلك نقله اليعقوبي كما مر.

وأما قول ابن أبي الحديد ـ ولم يتفطّن للإختلاف بين لموضعين كغيره ـ: إنّه من باب تقديم الصفة على الموصوف كقوله تعالىٰ: ﴿وغرابيب سود﴾[٢]...[٣]، ففي غير محله؛ فإنّ المواضع التي تتقدّم فيها الصفة تجعل مضافة لا موصوفة، كأن يقال في «الليالي السود» «سود الليالي»، وأما «غرابيب سود» فقال الجوهري «سود» بدل من «غرابيب» لأن تواكيد الألوان لا تتقدم[٤]، مع أنه بعد وجود الرواية الصحيحة لا نحتاج إلى تأويل.

ثم إنّ المصنّف في الأوّل لم يتعرّض لتفسير الكلمتين، وإنّما فسّرهما في الثاني بأنّ الياسرين هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور، والفالج القاهر الغالب، واعترض عليه ابن أبي الحديد ثمّة في تفسير الفالج بأنّ الغالب لا ينتظر كما قد وصف به بعد وإنّما يعني بالفالج الميمون النقيبة الّذي له عادة مطّردة أن يغلب، وقلّ أن يكون مقهوراً[٥]، مع أنّه نفسه في الأول فسره بما فسّره المصنّف ثمّة فقال: الفالج الظافر الفائز[٦]، فالاعتراض عليه نفسه، مع أنّه لم يفسّر أحد الفالج بالميمون النقيبة، وكان عليه أن يقول ليس المراد بالغالب؛ الغالب فعلاً بل شأناً، وهو الّذي يغلب غالباً. وفسّره ابن ميثم[٧] بأن

---

(١) النهاية ٥ : ٢٩٦.

(٢) فاطر: ٢٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨ : ٣١٤.

(٤) شرح ابن ميثم ٢ : ٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ١١٥.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٤.

(٧) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

ألمراد الفائز الذي ينتظر قبل فوزه أول فوزة من قداحه.

«الذي ينتظر أول فوزة من قِداحه» بالكسر جمع القِدح بالكسر، وأمّا القَدَح بفتحتين فجمعه أقداح للشرب، والقداح للميسر.

«توجب له المغنم» أي: الغنيمة.

«ويرفع بها عنه» هكذا في (المصرية) والصواب: (ويرفع عنه بها) كما في (ابن أبي الحديد)[1] و (ابن ميثم)[2] و(الخطية).

«المغرم» أي: الغرامة، قال ابن دريد في (جمهرته)، أسماء قِداح الميسر ممّا اتّفق عليه الأصمعي وغيره من أهل العلم الفائزة منها سبعة وهي الفذ والتوأم والضريب ـ وهو المصفح ـ والحلس والنافس والمسبل والمعلّى، فهذه سبعة ومنها ما لا نصيب له الفسيح والمنيح والرقيب والوغد[3].

وقال ابن ميثم: المنقول أنّ الخشبات المسمّيات قِداحاً ـ وهي التي كانت لأيسار الجزور ـ سبعة: أولها الفذ وفيه فرض واحد، والثاني التوأم وفيه فرضان، وثالثها الضريب وفيه ثلاثة فروض، ورابعها الحلس وفيه أربعة، والخامس النافس وفيه خمسة، والسادس المسبل وفيه ستة، والسابع المعلّى وله سبعة، وليس بعده قدح فيه شيء من الفروض إلّا أنّهم يدخلون مع هذه السبعة أربعة أُخرى تسمّى أوغاداً لا فروض فيها وإنّما تنقل بها القداح وأسماؤها: المصدر ثم المضعف ثم المنيح ثم السفيح، فإذا اجتمع أيسار الحي أخذ كلّ منهم قدحاً وكتب عليه اسمه أو علّمه بعلامة ثم أتوا بجزور فينحرها صاحبها ويقسمها عشرة أجزاء على الوركين والفخذين والعجز

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٢.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

(٣) جمهرة اللغة ١: ٥٠٤.

والكاهل والزور والملجأ والكتفين، ثم يعمد إلى الطفاطف وخرز الرقبة فيقسمها على تلك الأجزاء بالسويّة، فإذا استوت وبقي منها عظم أو بضعة لحم انتظر به الجازر من أراده ممن يفوز قدحه، فإذا أخذه عُيِّر به وإلّا فهو للجازر. ثم يؤتى برجل معروف أنّه لم يأكل لحماً قط بثمن إلّا ان يصيبه عند غيره ـ ويسمى الحرضة ـ فيجعل على يديه ثوب ويعصب رؤوس أصابعه بعصابة كيلا يجد مس الفروض، ثم يدفع إليه القِداح ويقوم خلفه رجل يقال له الرقيب فيدفع إليها قِدحاً قِدحاً منها من غير أن ينظر إليها، فمن خرج قدحه أخذ من أجزاء الجزور بعدد الفروض التي في قدحه، ومن لم يخرج قدحه حتّى استوفيت أجزاء الجزور غرم بعدد فروض قدحه كأجزاء تلك الجزور من جزور أُخرىٰ لصاحب الجزور الذي نحرها، فإنّ اتّفق أن خرج المعلّى أوّلاً فأخذ صاحبه سبعة أجزاء من أجزاء الجزور، ثم خرج المسبل فلم يجد صاحبه إلّا ثلاثة أجزاء أخذها وغرم له من لم يفز قدحه ثلاثة أجزاء من جزور أُخرىٰ.

وأمّا القداح الأربعة الأوغاد فليس في خروج أحدها غنم ولا من عدم خروجه غرم، والمنقول عن الأيسار أنّهم كانوا يحرّمون ذلك اللحم على أنفسهم ويعدّونه للأضياف[1].

«وكذلك المرء المسلم البريء من الخيانة ينتظر من الله إحدى الحسنيين إمّا داعي الله فما عند الله خيرٌ له) ﴿الذين تتوفّاهم الملائكة طيّبين يقولون سلام عليكم ادخلوا الجنّة بما كنتم تعملون﴾[2]، ﴿إنّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة الّتي

(١) شرح ابن ميثم ٢: ٦.

(٢) النحل: ٣٢.

كنتم توعدون* نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدّعون* نزلاً من غفور رحيم﴾[1].

وعنهم عليهم السلام: ما بين أحدكم وبين الجنة إلّا أن تبلغ نفسه حلقه.

ولما انتهى الحسين عليه السلام إلى عذيب الهجانات فإذا هم بأربعة قد أقبلوا من الكوفة على رواحلهم ومعهم دليلهم الطرمّاح بن عديّ على فرسه وهو يقول:

يا ناقتي لا تذعري من زجري	وشمّري قبل طلوع الفجر
بخير ركبان وخير سفر	حتّى تحلي بكريم النجر
أتى به الله لخير أمر	ثمّة أبقاه بقاء الدهر

فقال الحسين عليه السلام: والله أرجو أن يكون ما أراد الله بنا خيراً قتلنا أم ظفرنا.

«وإمّا رزق الله فإذا هو ذو أهل ومال ومعه دينه وحسبه» روى (الكافي): أنّ الصادق عليه السلام قال لسفيان الثوري وأصحابه الصوفية ـ لما رأى عليه ثياباً بيضاً كأنها غرقئ البيض وأنكره ـ فيما ردّ عليه: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: ما عجبت من شيء كعجبي من المؤمن إنّه إن قرض جسده في دار الدنيا بالمقاريض كان خيراً له، وان ملك ما بين مشارق الأرض ومغاربها كان خيراً له، وكلّ ما يصنع الله عزوجل به فهو خير له. وأخبروني أين أنتم عن سليمان بن داود عليه السلام حيث سأل الله ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه الله تعالى ذلك وكان يقول الحق ويعمل به، وداود النبي قبله في ملكه وشدّة سلطانه، ثم يوسف النبيُّ حيث قال لملك مصر ﴿إجعلني على خزائن الأرض إنّي حفيظ

(١) فصلت: ٣٠ ـ ٣٢.

عليم﴾[١]، ثم ذو القرنين عبد أحبّ الله فأحبه وطوى له الأسباب وملكه مشارق الأرض ومغاربها وكان يقول الحق ويعمل به ثم لم نجد أحداً عاب عليه ذلك...[٢].

وروى (روضة الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام قال: كان عابد في بني اسرائيل ـ وكان محارفاً لا يتوجه في شيء فيصيب فيه شيئاً ـ فأنفقت عليه امرأته حتّى لم يبق عندها شيء، فجاعوا يوماً من الأيام فدفعت إليه فضلاً من غزل وقالت له بعه واشتر شيئاً نأكله، فانطلق به فوجد السوق قد أُغلقت فقال لو أتيت هذا الماء فتوضأت منه وصببت عليّ منه وانصرفت، فجاء إلى البحر فإذا هو بصيّاد قد ألقى شبكته فأخرجها وليس فيها إلّا سمكة ردّية قد مكثت عنده حتّى صارت رخوة منتنة، فقال له بعني هذه السمكة وأعطيك هذا الغزل تنتفع به في شبكتك. قال: نعم، فأخذ السمكة ودفع إليه الغزل وانصرف بالسمكة إلى منزله، فلمّا شقّت امرأته السمكة بدت في جوفها لؤلؤة فأرتها زوجها فانطلق بها إلى السوق فباعها بعشرين ألف درهم وانصرف إلى منزله بالمال، فإذا سائل يدقّ الباب ويقول: يا أهل الدار تصدّقوا على المسكين. فقال له الرجل: أُدخل فدخل، فقال له: خذ أحد الكيسين فأخذ أحدهما وانطلق، فقالت له امرأته: بينما نحن مياسير إذ ذهب بنصف يسارنا، فلم يكن ذلك بأسرع من أن دق السائل الباب ووضع الكيس مكانه ثم قال له: كل هنيئاً مريئاً إنّما أنا ملك أراد ربُّك أن يبلوك فوجدك شاكراً[٣].

«إن المال والبنين حرث الدنيا» في (العقد الفريد): من قبائل مذحج سعد

---

(١) يوسف : ٥٤.

(٢) الكافي ٥ : ٦٥ ـ ٧٠.

(٣) الكافي ٨ : ٣٨٥ و ٣٨٦ ح ٥٨٥ .

العشيرة بن مالك بن أدد، وإنّما سمّي سعد العشيرة لأنّه لم يمت حتّى ركب معه من ولده وولد ولده ثلاثمئة رجل[١].

«والعمل الصالح حرث الآخرة» قال تعالىٰ: ﴿من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها وماله في الآخرة من نصيب﴾[٢].

«وقد يجمعهما الله لأقوام» قال تعالىٰ: ﴿ومنهم من يقول ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار * أُولئك لهم نصيب مما كسبوا﴾[٣].

وروى الكشي: إن الصادق عليه‌السلام إذا رأى اسحاق بن عمّار، وإسماعيل بن عمّار قال: قد يجمعهما الله لأقوام ـ يعني الدنيا والآخرة ـ[٤].

هذا، وقالوا: دخل أبو ورق على هارون وبين يديه جارية حسناء فقال له: صفها وإنّ اسمها دنيا، فقال:

ان دنـيا هـي الـتي	تـملك الـقلب قـاهره
ظلموا شطرَ اسمها	فـهي دنـيا وآخـره

ولما قتل طاهر ذو اليمينين الأمين كتب إلى المأمون: وجّهت إليك بالدنيا وهو رأس المخلوع وبالآخرة وهي البردة والقضيب.

«فاحذروا ما حذركم الله من نفسه» ﴿لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء إلّا أن تتّقوا منهم تقاةً

(١) العقد الفريد ٣: ٣٠٧.

(٢) الشورىٰ: ٢٠.

(٣) البقرة: ٢٠٢.

(٤) رجال الكشي: ٤٠٢ ح ٧٥٢.

ويحذّركم الله نفسه وإلى الله المصير﴾[١]، ﴿يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تودّ لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذّركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد﴾[٢].

وفي (الارشاد): لما عاد النبي ﷺ من تبوك قدم إليه عمرو بن معد يكرب فقال له النبي: أسلم يا عمرو! يؤمنك الله من الفزع الأكبر. قال: يا محمّد! ما الفزع الأكبر؟ فإنّي لا أفزع. فقال: يا عمرو! انّه ليس كما تظنّ وتحسب، إنّ الناس يُصاح بهم صيحة واحدة فلا يبقى ميّت إلّا نُشر ولا حيٌّ إلّا مات إلّا ما شاء الله، ثم يُصاح بهم صيحة أُخرىٰ فينشر من مات ويصفّون جميعاً وتنشقّ السماء وتهدّ الأرض وتخرّ الجبال هدّاً، وترمي النّار بمثل الجبال شراراً فلا يبقى ذو روح إلّا انخلع قلبه وذكر ذنبه وشغل بنفسه إلّا ما شاء الله[٣].

«واخشوه خشية» عن الحقيقة.

«ليست بتعذير» أي: بإظهار العذر وليس له عذر، ولكن قال الجوهري: كان ابن عباس يقرأ ﴿وجاء المعذرون﴾[٤] من أعذر ويقول: والله لهكذا أنزلت، ويقول لعن الله المعذرين ـ كان الأمر عنده أنَّ المعذر هو المظهر للعذر اعتلالاً من غير حقيقة له في العذر، والمعذر من له عذر[٥].

في الخبر: ان الله تعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه أنّه يكون من خلقي لمحسّنون الدنيا بالدين يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشدّ مرارة من الصبر وألسنتهم أحلى من العسل وأعمالهم الباطنة

---

(١) آل عمران: ٢٨.

(٢) آل عمران: ٣٠.

(٣) إرشاد المفيد: ٨٤.

(٤) التوبة: ٩٠.

(٥) الصحاح للجوهري ٢: ٧٤١١.

أنتن من الجيف، بي يغترّون أم إيّاي يخادعون أم عليّ يجترئون؟ فبعزّتي حلفت لأبعثن عليهم فتنة تطأ في خطامها حتّى تبلغ أطراف الأرض، تترك الحليم منها حيران[1].

«**واعملوا في غير رياء ولا سمعة فإنّه من يعمل لغير الله يكله الله**» أي: يدعه.

«**لمن**» هكذا في (المصرية) والصواب: (إلى من) كما في (ابن أبي الحديد)[2] و(ابن ميثم)[3] و(الخطية).

«**عمل له**» روى (الكافي): أنّ الصادق عليه السلام قال لعباد البصري: ويلك يا عباد! إيّاك والرياء فإنّه من عمل لغير الله وكله الله إلى من عمل له.

وقال عليه السلام: قال تعالى: «أنا خير شريك، من أشرك معي غيري في عمل عمله لم أقبله إلّا ما كان لي خالصاً».

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿فمن كان يرجو لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربّه أحداً﴾[4] هو الرجل يعمل شيئاً من الثواب لا يطلب به وجه الله إنّما يطلب تزكية الناس يشتهي أن يسمع به الناس، فهذا الذي أشرك بعبادة ربه. ثم قال عليه السلام: ما من عبد ستر خيراً فذهبت الأيام أبداً حتّى يظهر الله له خيراً، وما من عبد يستر شرّاً فذهبت الايام حتّى يظهر الله له شرّاً.

وقال عليه السلام في قوله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيرة * ولو ألقى معاذيره﴾[5] ما يصنع الإنسان أن يتقرب إلى الله تعالى بخلاف ما يعلمه الله، ان النبي صلى الله عليه وآله كان يقول: من أسر سريرة رداه الله ردائها ان خيراً

---

(١) الجوهري ٢: ٧٤١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣١٢.

(٣) شرح ابن ميثم ٢: ٣.

(٤) الكهف : ١١٠.

(٥) القيامة : ١٤ ـ ١٥.

فخير وان شراً فشر[١].

وروى (عقاب الأعمال) عن النبي صلى الله عليه وآله: إن الرياء الشرك بالله، وإن المرائي يدعى يوم القيامة بأربعة أسماء: يا كافر، يا فاجر، يا غادر، يا خاسر، حبط عملك، وبطل أجرك، فلا خلاص لك اليوم، فالتمس أجرك ممّن كنت تعمل له[٢].

وقال ابن أبي الحديد: قال علي عليه السلام: ليست الصلاة قيامك وقعودك، إنّما الصلاة إخلاصك وأن تريد بها الله وحده.

وتوصّل ابن الزبير إلى امرأة ابن عمر ـ وهي أخت المختار ـ في أن تكلّم بعلها أن يبايعه، فكلّمته في ذلك وذكرت قيامه وصيامه، فقال لها: أما رأيت البغلات الشهب الّتي كنّا نراها تحت معاوية بالحجر إذا قدم مكة. قالت: بلى. قال: فإيّاها يطلب ابن الزبير بصومه وصلاته[٣].

هذا، وذكروا أن رجلاً من قريش قال لأشعب الطمّاع: ما شكرت معروفي عندك. فقال له: ان معروفك كان من غير محتسب فوقع عند غير شاكر.

«نسأل الله منازل الشهداء ومعايشة السعداء ومرافقة الأنبياء» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ومن يطع الله والرسول فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيّين والصدّيقين والشّهداء والصّالحين وحسن أولئك رفيقاً﴾[٤].

«أيها الناس! إنّه لا يستغني الرجل وإن كان ذا مال عن عشيرته» وفي (القاموس): قال علي عليه السلام «من يطل هن أبيه ينتطق به» أي: من كثر بنو أبيه

---

(١) الكافي ٢: ٢٩٣ ـ ٢٩٥، ١، ٤، ٦، ٩.

(٢) عقاب الأعمال: ٣٠٣ ح ١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٥ ـ ٣١٦.

(٤) النساء: ٦٩.

يتقوّى بهم، وقال غيلان بن سلمة الثقفي:

وإنّ ابن عمّ المرء مثل سلاحه يقيه إذا لاقى الكميُّ المقنّعا

وقال:

لم أر عزاً لامرئٍ كعشيرة ولم أرَ ذلاً مثل نأيٍ عن الأهل[1]

«ودفاعهم عنه بأيديهم وألسنتهم» في (العقد الفريد): كان مهلهل صار إلى قبيلة من اليمن يقال لهم جنب فخطبوا إليه فزوجهم وهو كاره لاغترابه عن قومه، ومهروا ابنته أدماً، فقال:

أنكحها فقدها الأراقم في جنب وكان الحباء من أدم

لو بأبانين جاء يخطبها رُمِّلَ ما أنف خاطب بدم[2]

«وهم أعظم النّاس حيطة» أي: رعاية.

«من ورائه» في (كامل المبرد): قال ذو الرمّة لهلال بن أحوز المازني:

رفعت مجد تميم يا هلال لها رفع الطراف على العلياء بالعمد

حتّى نساء تميم وهي نازحة بقلّة الحزن فالصمّان فالعقد

لو يستطعن إذا ضافتك مجحفة وقينك الموت بالآباء والولد[3]

وفي (الأغاني): قال الشمردل في أخيه حكم لما أتاه نعيه:

وكنت سنان رمحي من قناتي وليس الرمح إلّا بالسّنان

وكنت بنان كفّي من يميني وكيف صلاحها بعد البنان

وكان يرى فيما يرى النائم كأن سنان رمحه سقط فأتاه نعي أخيه وائل، فقال:

---

(١) القاموس ٣: ٣٨٥.

(٢) العقد الفريد ٦: ٧٧.

(٣) الكامل للمبرد ١: ٥٠.

وتحقيق رؤيا في المنام رأيتها فكان أخي رمحاً ترقّص عامله[١]

«وألمّهم» أي: أجمعهم.

«لشعثه» أي: تفرّقه.

«وأعطفهم» أي: أشفقهم.

«عليه عند نازلة» أي: شديدة نازلة.

«إذا» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم)[٢] و(الخطية) (ان)[٣] وهو أحسن.

«نزلت به» في (العقد): قال عليٌّ عليه السلام: عشيرة الرجل خيرٌ للرجل من غير العشيرة فإنّ كفَّ عنهم يداً واحدة كفّوا عنه أيدياً كثيرة مع مودتهم وحفاظهم ونصرتهم، ان الرجل ليغضب للرجل لا يعرفه إلّا بنسبه. وسأتلو عليكم من ذلك آيات من كتاب الله قال عزّوجلّ فيما حكاه عن لوط: ﴿لو أنّ لي بكم قوّة أو آوي إلى ركن شديد﴾[٤] يعني العشيرة ولم يكن للوط عشيرة، فوالّذي نفسي بيده ما بعث الله نبياً من بعده إلّا في ثروة من قومه ومنعة من عشيرته، ثم ذكر شعيباً وقال له قومه ﴿إنّا لنراك فينا ضعيفاً ولولا رهطك لرجمناك﴾[٥] وكان مكفوفاً والله ما هابوا إلّا عشيرته[٦].

في (الطبري) ـ بعد ذكر قتل أصحاب معاوية لحجر وستة من أصحابه ـ فقال عبد الرحمن بن حسان العنزي وكريم بن عفيف الخثعمي: إبعثوا بنا إلى

---

(١) الأغاني ١٣: ٣٥٣ و ٣٥٦.

(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٣.

(٤) هود: ٨٠.

(٥) هود: ٩١.

(٦) العقد ٢: ٢٠٨.

معاوية فنحن نقول في هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا إلى معاوية يخبرونهما بمقالتهما فأجاز، فأُدخلا عليه فقال معاوية للخثعمي: ما تقول في عليّ؟ قال: أقول فيه قولك؛ أتبرّأ من دين عليٍّ الذي كان يدين الله به، فسكت معاوية وكره أن يجيبه فقال شمر بن عبدالله من بني قحافة: هب لي ابن عمي. فقال: هو لك. قال: فخلى سبيله على أن لا يدخل الكوفة ما كان له سلطان. فقال له: تخيّر بلداً، فاختار الموصل، وكان يقول: لو قد مات معاوية قدمت المصر، فمات قبل معاوية بشهر، ثم أقبل معاوية على العنزيّ فقال له: يا أخا ربيعة! ما قولك في عليٍّ؟ قال: دعني ولا تسألني. قال: لا أدعك. قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً ومن الآمرين بالحق والقائمين بالقسط. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظلم وأرتج أبواب الحقّ. قال: قتلت نفسك. قال: بل إيّاك قتلت «ولا ربيعة بالوادي»، قال ذلك لأن شمر الخثعمي كلّم معاوية في كريم الخثعمي ولم يكن له أحد من قومه يكلّمه فيه، فبعث به إلى زياد وقال له: إنّ هذا شرّهم فاقتله شرّ قتلة، فدفنه زياد حياً بقسّ الناطف[1].

وفيه: كان عبدالله بن خليفة الطائي شهد مع حجر فطلبه زياد فتوارى، فبعث إليه الشرط فأخذوه فقالت أُخته: يا معشر طيّ! أتسلمون سنانكم ولسانكم عبدالله بن خليفة؟ فشد الطائيّون عليهم وانتزعوه، فرجعوا إلى زياد فأخبروه فوثب على عدي بن حاتم وهو في المسجد فقال: إئتني بابن خليفة. فقال: هذا شيء كان في الحيِّ لا علم لي به. قال: والله لتأتينّي به. قال: أُجيئك بابن عمّي تقتله، والله لو كان تحت قدمي ما رفعتهما عنه، فأمر بعديٍّ إلى السجن فلم يبق بالكوفة يماني ولا ربعي إلّا أتاه وكلّمه وقالوا تفعل هذا بعدي بن حاتم صاحب النبي ﷺ؟ قال: فإنّي أخرجه على أن يخرج ابن عمه عنّي

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٦.

فلا يدخل الكوفة ما دام لي بها سلطان. فقال عديٌّ لعبدالله: إنّ هذا لجّ في أمرك فالحق بالجبلين[١].

ومرّ في الفصل في وصيته عليه السلام إلى ابنه قوله: «وأكرم عشيرتك فإنّهم جناحك الذي به تطير ويدك التي بها تصول...»، مع شروح مفيدة.

«ولسان الصدق يجعله الله للمرء في الناس خير له من المال يورثه غيره»

قال إبراهيم عليه السلام: ﴿واجعل لي لسان صدق في الآخرين﴾[٢] أي: ثناءً حسناً، وقال تعالى في نوح وإبراهيم وموسى وهارون وإلياس: ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على نوح في العالمين﴾[٣]، ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم﴾[٤]، ﴿وتركنا عليهما في الآخرين * سلام على موسى وهارون﴾[٥]، ﴿وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إلياسين﴾[٦] أي: تركنا قول «سلام عليهم» في الآخرين.

وفي (الكافي): قال الصادق عليه السلام لأبي كهمس: إقرأ عبدالله بن أبي يعفور السلام وقل له: إنّ جعفر بن محمّد يقول لك: أُنظر ما بلغ به عليٌّ عند النبي فالزمه وإنّ علياً إنّما بلغ ما بلغ به بصدق الحديث وأداء الامانة[٧].

وروى: أنّ الرجل ليصدق حتّى يكتبه الله صديقاً. وفي (كامل المبرد): قال ابن حلزة اليشكري:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٢٦٧.

(٢) الشعراء: ٨٤.

(٣) الصافات: ٧٨ ـ ٧٩.

(٤) الصافات: ١٠٨ ـ ١٠٩.

(٥) الصافات: ١١٩ ـ ١٢٠.

(٦) الصافات: ١٢٩ ـ ١٣٠.

(٧) الكافي ٢: ١٠٤ ح ٥.

قلت لعمرو حين ارسلته وقد خبا من دوننا عالج
لا تكسع الشول بأغبارها انك لا تدري من الناتج
وأصبب لأضيافك ألبانها فإنّ شر اللبن الوالج

وفيه: قال معاوية لابن الأشعث بن قيس: ما كان جدّك قيس بن معد يكرب أعطى الأعشى؟ فقال: أعطاه مالاً وظهراً ورقيقاً وأشياء أُنسيتها. فقال معاوية: لكن ما أعطاكم الأعشى لا يُنسى.

هذا، وفي (نسب قريش مصعب الزبيري): أتى عمرو بن سعيد الأشدق فتى من قريش يذكر حقاً له في كراع من أديم بعشرين ألف درهم على أبيه بخط مولى أبيه وشهادة أبيه بخطه على نفسه، فقال له: وما سبب مالك؟ قال: رأيته وهو معزول يمشي وحده، فقمت فمشيت معه حتّى بلغ إلى باب داره ثم وقفت فقال: هل لك من حاجة؟ فقلت: لا إلّا أنّي رأيتك تمشي وحدك فأحببت أن أصل جناحك. قال: وصلتك رحم يا ابن أخي، فكتب هذا الكتاب وقال: ليس اليوم عندنا شيء فإذا أتانا شيء فأتنا به، فمات قبل أن يصل إليه. فقال له عمرو: لا جرم؛ لا تأخذها إلّا وافية.

قول المصنّف: «ومنها» هكذا في (المصرية) ونسخة (ابن أبي الحديد) ولكن في (ابن ميثم والخطية) «منها»[1] وهو الأحسن فلم تتقدمها أُخرى.

قوله «ألا لا يعدلنّ» هكذا في (المصرية) والصواب: «ألا لا يعدلنّ أحدكم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

«عن القرابة يرى بها الخصاصة» أي: الفاقة.

«ان يسدّها بالذي لا يزيده إن أمسكه ولا ينقصه إن أهلكه».

روى (الكافي) عن البزنطي قال: قرأت في كتاب أبي الحسن الرضا عليه السلام

(١ و ٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣١٣.

إلى ابنه أبي جعفر الجواد: بلغني أنّ الموالي إذا ركبت أخرجوك من الباب الصغير، فإنّما ذلك من بخل منهم لئلا ينال منك أحد خيراً، وأسألك بحقي عليك لا يكن مدخلك ومخرجك إلّا من الباب الكبير، فإذا ركبت فليكن معك ذهب وفضة ثم لايسألك أحد شيئاً إلّا أعطيته، ومن سألك من عمومتك ان تبرّه فلا تعطه أقلّ من خمسين ديناراً والكثير إليك، ومن سألك من عمّاتك فلا تعطها أقلّ من خمسة وعشرين ديناراً والكثير إليك، إنّما أنا أُريد بذلك أن يرفعك الله، فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقتارا.

وروى أنّ الباقر عليه السلام قال للحسين بن أيمن: أنفق وأيقن بالخلف من الله، فإنّه لم يبخل عبد ولا أمة بنفقة فيما يُرضي الله عزّوجلّ إلّا أنفق أضعافها فيما يسخط الله.

وروى انّه عليه السلام قال: ان الشمس لتطلع ومعها أربعة أملاك ملك ينادي يا صاحب الخير أتمّ وأبشر، وملك ينادي يا صاحب الشرّ إنزع وأقصر، وملك ينادي أعط منفقاً خلفاً وممسكاً تلفاً، وملك ينضحها بالماء ولولا ذلك اشتعلت الأرض.

وروى عن الصادق عليه السلام قال: من يضمن أربعة بأربعة أبيات في الجنة: انفق ولا تخف فقراً، وأنصف الناس من نفسك، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإنْ كنت محقّاً[1].

«ومن يقبض يده عن عشيرته فإنّما تقبض منه عنهم يد واحدة وتقبض منهم عنه أيدٍ كثيرة» روى (أمالي المفيد) عن الشعبي قال: قال صعصعة: عادني أمير المؤمنين عليه السلام في مرضي ثم قال: أُنظر فلا تجعلنّ عيادتي إيّاك فخراً على قومك، وإذا رأيتهم في أمر فلا تخرج منه فإنّه ليس بالرجل غنىً عن

(١) الكافي ٤: ٤٢ ـ ٤٤ ح ١ و ٥ و ٧ و ١٠.

قومه، إذا خلع منهم يداً واحدة يخلعون منه أيدي كثيرة، فإذا رأيتهم في خير فأعنهم عليه، وإذا رأيتهم في شر فلا تخذلنهم، وليكن تعاونكم على طاعة الله فإنكم لن تزالوا بخير ما تعاونتم على طاعة الله تعالى وتناهيتم عن معاصيه[1]. ومن الشعر في ذلك:

أخاك أخاك إنّ من لا أخاً له ... كساعٍ إلى الهيجا بغير سلاح

وإنّ ابن عم المرء فاعلم جناحه ... وهل ينهض البازي بغير جناح

أيضاً:

إن كان ذا عضد يدرك ظلامته ... إنّ الذليل الذي ليست له عضد

تنبو يداه إذا ما قلّ ناصره ... ويأنف الضيم إن أثرى له عدد

أيضاً:

تناسَ ذنوب الأقربين فإنّه ... لكلّ حميم راكب هو راكبه

له هفوات في الرخاء يشوبها ... بنصرة يوم لا توارى كواكبه

تراه عدوّاً ما أمنت ويتّقي ... بجبهته يوم الوغى من يحاربه

لكلّ امرئٍ اخوان بؤس ونعمة ... وأعظمهم في النائبات أقاربه

أيضاً:

ألم تر أنّ جمع القوم يُخشى ... وان حريم واحدهم مباح

وأنّ القدح حين يكون فرداً ... فيهصر لا يكون له اقتداح

وإنّك ان قبضت بها جميعاً ... أبت ما سُمتَ واحدها القداح

كذاك تفرّق الإخوان مما ... يذلهم وفي الذلّ افتضاح

وعن النبيّ ﷺ: حافتا الصّراط يوم القيامة الرحم والأمانة، فإذا مرّ الوصول للرحم المؤدي للأمانة نفذ إلى الجنّة، وإذا مرّ الخائن للأمانة القطوع

---

(١) لم يوجد هذا الحديث في أمالي المفيد، بل رواه الطوسي في أماليه (١ / ١٢٥٧ الجزء ١٢.

للرحم لم ينفعه معه عمل فتُكفئُ به الصراط في النار.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قال عثمان: إنّ عمر كان يمنع أقرباءه ابتغاء وجه الله، وأنا أعطيتهم ابتغاء وجه الله[١].

قلت: ما قاله عثمان مغالطة، فإعطاء الأقرباء إن كان من مال المعطي فلا يمكن أن يكون منعه كما فعل عمر ابتغاء وجه الله، لأنّه قطع الرحم المذموم الذي فاعله ملوم، وإن كان من مال الله وكان المعطي غير مستحقه فأعطاؤه كما فعل عثمان ونهب بيت المال ووهبه لبني الشجرة الملعونة في القرآن كيف يكون ابتغاء وجه الله، لقد مني الناس لعمر الله من هؤلاء بخبط وشماس.

«ومن تلن حاشيته يستدم من قومه المودّة» هو نظير قوله عليه السلام: «من لان عوده كثفت أغصانه».

في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام: لما خرج أمير المؤمنين عليه السلام يريد البصرة نزل بالرّبذة فأتاه رجل من محارب فقال: إنّي تحمّلت في قومي حمالة وإنّي سألت في طوائف منهم المواساة والمعونة فسبقت إليّ ألسنتهم بالنكد فمرهم بمعونتي. فقال: أين هم؟ فقال: هؤلاء فريق منهم حيث ترى، فنصَّ عليه السلام راحلته فأدلفت كأنّها ظليم فدلف بعض أصحابه في طلبها فلاى بلاى ما لحقت، فانتهى إلى القوم فسلّم عليهم وسألهم ما يمنعهم من مواساة صاحبهم، فشكوه وشكاهم فقال عليه السلام «وصل امرؤ عشيرته فانّهم أولى ببره وذات يده ووصلت العشيرة أخاها إن عثر به دهر وأدبرت عنه دنيا فإنّ المتواصلين المتباذلين مأجورون وان المتقاطعين المتدابرين موزورون» ثم بعث راحلته[٢].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣٣٠.

(٢) الكافي ٢: ١٥٣، ١٨.

قول المصنف في الأول (قال الشريف أقول) هكذا في (المصرية) وإنّما في (ابن أبي الحديد) قال الرضي، وفي (ابن ميثم)[١] قال السيّد[٢]، وهو دليل على أن أصله من كلام الشرّاح وأنّ «أقول» زائدة (الغفير هاهنا) انما قال ههنا لأن الغفيرة تأتي في موضع آخر بمعنى آخر، قال الجوهري يقال «ما فيهم غفيرة» أي: لا يغفرون ذنباً لأحد، قال الراجز:

يا قوم ليست فيهم غفيرة فامشوا كما تمشي جمال الحيرة[٣]

وقال ابن دريد: وكلّ شيء غطيته فقد غفرته، ومنه المغفرة والغفيرة[٤] (الزيادة والكثرة من قولهم للجمع الكثير، الجمُّ الغفير والجماء الغفير) المفهوم من الجوهري انهما يأتيان بالوصفية معرفة ونكرة وبالاضافة، فقال وقولهم «جاءوا جماء غفيراً والجماء الغفير وجم الغفير وجماء الغفير» أي: جاءوا بجماعتهم: الشريف والوضيع[٥].

(ويروى: عفوة من أهل أو مال) هو رواية اليعقوبي، فقد عرفت أنّ في خبره «فمن أصابه نقص في أهله وماله ورأى عند أخيه عفوة فلايكوننّ ذلك عليه فتنة» والغفيرة رواية (الكافي) كما مر وكذا (النهاية)[٦].

(والعفوة الخيار من الشيء، يقال عفوة الطعام أي: خياره) وقال الجوهري وقال بعضهم العفاوة بالكسر أول المرق وأجوده، والعفاوة بالضم آخره يردُّها مستعير القدر مع القدر يقال منه «عفوة

---

(١) شرح ابن ميثم ٢ : ١١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١ : ٣١٣.

(٣) شرح ابن ميثم ٢ : ١١.

(٤) الصحاح للجوهري ٢: ٧٧١.

(٥) جمهرة اللغة ٢: ٧٧٨.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٠٧، والنهاية ٣: ٣٧٤.

القدر» إذا تركت ذلك في أسفلها[١].

(وما أحسن المعنى الذي أراده عليه السلام) إلى (واضطر إلى مرافقتهم) أي: معاونتهم (قعدوا عن نصره وتثاقلوا عن صوته).

في (الأغاني): كان عقيل بن علفة قد اطرد بنيه فتفرّقوا في البلاد وبقي وحده، ثم إنّ رجلاً من بني صرمة يُقال له بجيل ـ وكان كثير المال والحاشية ـ حطّم بيوت عقيل بماشيته ولم يكن قبل ذلك أحد يقرب من بيوت عقيل إلّا لقي شرّاً، فطردت أمة له الماشية فضربها بجيل بعصاً كانت معه فشجها، فخرج إليه عقيل وحده وقد هرم يومئذ فزجر بجيلاً فضربه بجيل بعصاه واحتقره فجعل عقيل يصيح يا علفة يا عملس يا فلان يا فلان ـ بأسماء أولاده ـ مستغيثاً بهم وهو يحسب لهرمه أنّهم معه، فقال له أرطأة بن سهية:

أكلت بنيك أكل الضبّ حتىٰ ... وجدت مرارة الأكل الوبيل

ولو كان الأولى غابوا شهوداً ... منعت فناء بيتك من بجيل

وبلغ خبر عقيل إلى ابنه العملس وهو بالشام، فأقبل حتّى نزل عليه ثم عمد إلى بجيل فضربه ضرباً مبرحاً وعقر عدّة من أهله وأوثقه بحبل وجاء به يقوده حتّى ألقاه بين يدي أبيه، ثم ركب راحلته وعاد من وقته لم يطعم لأبيه طعاماً ولم يشرب شراباً[٢].

قول المصنّف في الثاني (الياسرون هم الذين يتضاربون بالقداح على الجزور) أي: الابل الذكر والأنثىٰ، ثم لفظ الخبر «الياسر» وهو قال «الياسرون» وكأنّه أراد أن يقول: إنّ اللّام هنا للجنس.

(والفالج القاهر والغالب) هكذا في (المصرية)، والصواب: (القاهر

---

(١) الصحاح الجوهري ٦ : ٢٤٣٢.

(٢) الاغاني ١٢ : ٢٦٩.

الغالب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[١] (يقال فلج عليهم وفلجهم) لم أقف على من جوّز فلجهم، ففي (الجمهرة): فلج الرجل على خصمه وأفلج إذا ظهر عليه[٢]، وفي (الصحاح): فلج على خصمه وأفلجه الله عليه[٣]، وفي (الأساس): فلجت على خصمك وفلجت حجتك[٤].

(وقال) هكذا في (المصرية) والصواب: (قال) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥] ولأنّه قال ذلك شاهداً (الراجز) في الصحاح الرجز داء يصيب الإبل في أعجازها فإذا ثارت الناقة ارتعشت فخذاها ساعة ثم تنشط ومنه سمّي الرجز من الشعر لتقارب أجزائه وقلّة حروفه.

(لما رأيت فالجاً قد فلجا) ان ذكره شاهداً لكون معنى الفالج القاهر الغالب فصحيح وان ذكره لصحّة (فلجهم) فهو أعم.

هذا، ولفظ خبري ابن عساكر في العنوان «الأول» هكذا: خطب فقال: أيّها الناس! إنّما هلك من هلك ممّن كان قبلكم بركوبهم المعاصي، ولم ينههم الربّانيّون والأحبار، فأنزل الله بهم العقوبات، ألا فمروا بالمعروف، وانهوا عن المنكر قبل أن ينزل بكم الذي نزل بهم، واعلموا أنّ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا يقطع رزقاً، ولا يقرّب أجلاً، إنّ الأمر ينزل من السماء كقطر المطرإلى كلّ نفس بما قدّر الله لها من زيادة أو نقصان في أهل أو مال أو نفس، فإذا أصاب أحدكم النقصان في أهل أو مال أو نفس في الآخرة عقوبة فلا يكونن ذلك له فتنة ـ إلى آخره «وقد يجمعهما الله لأقوام».

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ١١٥.

(٢) جمهرة اللغة ١ : ٤٨٧.

(٣) صحاح اللغة للجوهري ١ : ٣٣٥.

(٤) أساس البلاغة : ٢٤٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ١١٥.

والثاني قريب منه لكن أَوَّلَ من قوله «إنّ الأمر ينزل من السماء» وفيه أيضاً «فمن رأى نقصاً في أهله أو نفسه أو ماله ورأى لغيره عثرة فلا يكونن ذلك له فتنة»[١].

وما فيه هو الصحيح ويصدقه نقل اليعقوبي و(الكافي) كما مرّ دون ما في المتن وباقي الأسانيد، لكن «عثرة» في هذا مصحف عفوة أو غفيرة.

ولله الحمد أوّلاً وأخيراً.

---

(١) ابن عساكر ٣: ٢٦٩ ـ ٢٧١ ح١٣٩١ ـ ١٣٩٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمّد وآله الطاهرين.

وبعد: فقد ذكر ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة مقداراً من خرافات العرب والأصل فيه الخالع في كتابه «آراء العرب وأديانها»، ذكر ذلك فيما تفرّد به من نسبته إلى النهج أنّ فيه «وقال عليه‌السلام: العين حقّ، والرقا حقّ، والسحر حقّ، والفال حق، والطيرة ليست بحقّ، والعدوى ليست بحق، والطيب نشرة، والعسل نشرة، والركوب نشرة، والنظر إلى الخضرة نشرة»، مع أنّه لو كان ذلك من كلامه عليه‌السلام فرضاً فليس من النهج قطعاً، لأنّ موضوع النهج كلام كان في غاية البلاغة لا ما كان من الأحاديث المتعارفة.

وكيف كان فحيث كان فيها أشياء غريبة وأُمور عجيبة أحببت افرادها في موضع، وقد أنقل من غيره في طيّه وأنقل بعده كلام المروج.

قال في شرح فقرة «والعدوى ليست بحق» قال النبي صلى‌الله‌عليه‌وآله «لا عدوى ولا هامة ولا صفر» العدوى معروفة، أي: بأن المراد تعدي الداء من حي إلى حي. والهامة ما كانت العرب تزعمه في المقتول لا يؤخذ بثأره، والصفر ما كانت

العرب تزعمه من الحية في البطن تعض عند الجوع.

قال: نذكر نكتاً ممتعة من مذاهب العرب وتخيّلاتها، أنشد ابن الكلبي لأميّة ابن أبي الصلت:

سنة أزمة تبرّح بالناس ... ترى للعضاه فيها صريراً
لا على كوكب تنوء ولا ريـ ... ـح جنوبٍ ولا ترى طحرورا
ويُسَقُّونَ باقر السهل للطو ... د مهازيل خشيةً أن تبورا
عاقدين النِّيران في ثكن الأذ ... ناب منها لكي تهيج البحورا
سَلَعٌ ما ومثله عُشَرٌ ما ... عاملٌ ما وعالت البيقورا

يروى أن عيسى بن عمر قال: ما أدري معنى هذا البيت ـ أي: البيت الأخير ـ.

ويقال: إن الأصمعي صحّف فيه فقال «وغالت» بالغين المعجمة وقال غيره «عالت» بمعنى أثقلت البقر بما حمّلتها من السلع والعشر. والبيقور البقر، وعائل أي: غالب أو مثقل.

قلت: والسلع بفتحتين: شجر مرّ، والعشر بالضم فالفتح: شجر له صمغ من العضاة.

قال: وكانت العرب إذا أجدبت وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يستمطروا عمدوا إلى السلع والعشر فحزّموهما وعقدوهما في أذناب البقر وأضرموا فيهما النيران وأصعدوها في جبل وَعِرٍ واتّبعوها يدعون الله ويستسقونه، وإنّما يضرمون النيران في أذناب البقر تفاؤلاً للبرق بالنار، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات، وقال اعرابي:

شفعنا ببيقور إلى هاطل الحيا ... فلم يغن عنّا ذاك بل زادنا جدبا

فــــعدنا إلى ربّ الحـــــيا فأجـــارنا

وصيّر جدب الأرض من بعده خـصبا

وقال آخر:

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتـطلبون الغـيث جـهلاً بـالبقر

وســـلَعٍ مـــن بـعد ذاك وعُشَـرْ ليس بـذا يـجلِّل الأرضَ المـطر

وقال آخر:

لمّا كسونا الأرض أذناب البـقر بالسَّلَعِ المعقود فـيها والعُشَـرْ

وقال آخر:

يا كحل قد أثقلت أذناب البقر بسَـــلَع يـــعقد فـيها وعُشَـرْ

* فهل تجودين ببرقٍ ومطر *

وقال آخر يعيب العرب بفعلهم هذا:

لا در درّ رجــــال خــاب ســــعيهم يستمطرون لدى الإعسار بـالعُشَرِ

أجـــــاعل أنت بـــــيقوراً مســـلّعة ذريـــــعة لك بــــين الله والمـــطر

وقال بعض الأذكياء: كلّ أمة قد تحذو في مذاهبها مذاهب ملّة أُخـرىٰ، وقد كانت الهند تزعم أنّ البقر ملائكة سخط الله عليها فجعلها في الأرض وأن لها عنده حرمة، وكانوا يلطخون الأبدان بأخثائها ويغسلون الوجوه بـبولها ويجعلونها مهور نسائهم ويتبرّكون بها في جـميع أحـوالهـم، فـلعل أوائـل العرب حذوا هذا الحذو وانتهجوا هذا المسلك.

وللعرب في البقر خيال آخر، وذلك أنّهم إذا أوردوها فلم ترد ضــربوا الثور ليقتحم الماء فتقتحم البقر بعده. ويقولون: إنّ الجنّ تصد البقر عن الماء وإنّ الشيطان يركب قرني الثور، قال قائلهم:

إنّي وقتلي سليك حـين أعـقله كالثور يُضرب لما عافت البقر

وقال نهشل بن حري:

كذاك الثور يضرب بالهراوى إذا ما عافت البقر الظماء

وقال آخر:

كالثور يضرب للورو دِ إذا تمنَّعت البَقَر

فإنّ كان ليس إلّا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب، لأنّه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتّى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرق أو دخول الدار والأخبية حتّى يتقدّمها الكبش أو التَّيس، وكالنحل تتبع اليعسوب، والكراكي تتبع أميرها. ولكن الذي تدلّ عليه أشعارهم أن الثور يرد ويشرب ولكن البقر تعاف الماء وقد رأت الثور يشرب فحينئذٍ يُضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه، وهذا هو العجب، قال الشاعر:

فإنّي إذن كالثور يُضرب جنبه إذا لم يعف شرباً وعافت صواحبه

وقال آخر:

فلا تجعلوها كالبقير وفحلها يُكَسّر ضرباً وهو للورد طائع

وما ذنبه إن لم يرد بقراته وقد فاجأتها عند ذاك الشرائع

وقال الأعشى:

لكالثور والجنّيّ يضرب وجهه وما ذنبه إن عافت الماء مشربا

وما ذنبه إن عافت الماء باقر وما إن تعاف الماء إلّا لتضربا

قال: واللام في «لتضربا» للعاقبة كقوله «لدوا للموت»[١].

(قلت: وفي (الأساس): تزعم العرب أن الجن تمتطي الوحش وتجتنب الأرانب لمكان حيضها ولذلك يستدفعون العين بتعليق كعابها). وفي (مجالس

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨٢ ـ ٣٨٥.

ثعلب) لامرئ القيس:

يا هند لا تنكحي بـوهة عـليه عـقيقته أحسـبا

مــرسعة بـين أربـاقه به عسـم يـبتغي أرنـبا

ليجعل في ساقه كعبها حذار المـنية أن يـعطبا

قال ثعلب: البوهة طائر يشبه البومة، وعقيقته أي: شعره، والاحسب أي: إلى السواد، يبتغي أرنباً ليأخذ عظمها فيصيّره عليه من خشية الجنّ.

وقال الجوهري في «هذذ» تزعم النساء أنّه إذا شقّ عند البضاع شيئاً من ثوب صاحبه دام الود بينهما وإلّا تهاجرا[1].

قال: ومن مذاهب العرب تعليق الحلي والجلاجل على اللّديغ، يرون أنّه يفيق بذلك، ويقال: إنّه إنّما يعلّق عليه لأنّهم يرون أنّه إن نام يسري السمّ فيه فيهلك فشغلوه بالحلي والجلاجل وأصواتها عن النوم. وهذا قول النّضر بن شميل، وبعضهم يقول: إنّه إذا علّق عليه حلي الذهب برأ وإن علّق الرصاص أو حلي الرصاص مات، وقال النابغة:

فبتّ كأنّـي ساورتني ضـئيلة من الرقش في أنيابها السم ناقع

يسهّد من ليـل التـمام سـليمها لحلي النساء فـي يـديها قـعاقع

وقال بعض بني عذرة:

كأنــي سـليم نـاله كـلم حـيّة ترى حوله حلي النساء مرصّعا

وقال آخر:

وقد عُلِّلوا بالبطل في كلّ مـوضع وغُرّوا كما غَرَّ السـليم الجـلاجل

وقال جميل ـ وظرف في قوله ـ ولو قاله العباس بن الأحنف لكان ظريفاً:

إذا ما لديغ ابرأ الحلي داءه فحليك أمسى يا بثينة دائيا

---

(١) صحاح الجوهري ٢: ٥٧٣.

وقال عويمر النبهاني ـ وهو يؤكد قول النضر بن شميل:

فبت معنّىً بالهموم كأنني ... سليم نفى عنه الرقادَ الجلاجل

وقال آخر:

كأنّي سليم سهد الحلي عينه ... فراقب من ليل التمام الكواكبا

ويشبه مذهبهم في ضرب الثور، مذهبهم في العَرِّ يصيب الإبل فيكوى الصحيح ليبرأ السقيم، قال النابغة:

وكلفتني ذنب امرئٍ وتركته ... كذي العَرِّ يكوى غيره وهو راتع

وقال بعض الأعراب:

كمن يكوني الصحاح يروم برءاً ... به من كلّ جرباء الإهاب

وقال آخر:

فألزمتني ذنباً وغيري جرّه ... حنانيكِ لا تكوي الصحيح بأجربا

ومن تخيلات العرب ومذاهبهم أنّهم كانوا يفقأون عين الفحل من الإبل إذا بلغت ألفاً كأنّهم يدفعون عنها العين، قال الشاعر:

فقأنا عيوناً من فحول بهاذر ... وأنتم برعي البهم أولى وأجدر

وقال آخر:

وهبتها وكنت ذا امتنان ... تفقأ فيها أعين البعران

وقال آخر:

أعطيتها ألفاً ولم تبخل بها ... ففقأت عين فحيلها معتافا

وقد ظنّ قوم أنّ بيت الفرزدق وهو:

غلبتك بالمفقّئ والمعنى ... وبيت المختبي والخافقات

من هذا القبيل وليس الأمر على ذلك وانما أراد قوله لجرير:

ولست ولو فقّأت عينك واجداً ... أخاً كلقيط أو أباً مثل دارم

وأراد بـ«المعنى» قوله لجرير أيضاً:

وانّك إذ تسعى لتدرك دارماً لأنت المعنّى يا جرير المكلّف

وأراد بقوله «المختبي» قوله:

بيتٌ زرارةُ مختبٍ بفنائه ومجاشع وأبو الفوارس نهشل

وأراد بقوله «بيت الخافقات» قوله:

ومعصّب بالتاج يخفق فوقه خرق الملوك له خميس جحفل

فأمّا مذهبهم في البليّة ـ وهي ناقة تعقل عند القبر حتى تموت ـ فمذهب مشهور، و «البليّة» أنّهم إذا مات كريم منهم بلوا ناقته أو بعيره فعكسوا عنقها وأداروا رأسها إلى مؤخرها وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت، وربّما أحرقت بعد موتها، وربّما سلخت وملئ جلدها ثماماً. وكانوا يزعمون أنّ من مات ولم يُبْلَ عليه؛ حُشِرَ ماشياً، ومن كانت له بليّة حشر راكباً على بليته. قال جُرَيْبة بن الأشيم الفقعسي لابنه سعد:

يا سعد إمّا أهلكنّ فإنّني أُوصيك إنّ أخا الوَصاة الأقرب

لا أعرفنَّ أباك يحشر خلفكم تعباً يُجَرُّ على اليدين وينكب

واحمل أباك على بعير صالح وَتَقِ الخطيئة إنّه هو أصوب

ولعلّ لي ممّا جمعت مطية في الحشر أركبها إذا قيل اركبوا

وقال جُرَيبة أيضاً:

إذا مت فادفني بجدّاء ما بها سوى الأصرخين أو يفوّز راكب

فإن أنت لم تعقر عليّ مطيتي فلا قام في مال لك الدهر حالب

ولا تدفننّي في صوىً وادفِنني بديمومة تنزو عليها الجنادب

قال: وقد ذكرت في مجموعي المسمّى بـ«العبقري الحسان» أن الحسين بن محمد بن جعفر الخالع ذكر في كتابه «آراء العرب وأديانها» هذه الأبيات

واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية. وقلت: إنّه وهم في ذلك وإنّه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلّق، وإنّما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته إمّا لكيلا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة، أو كما كانوا يعقرون عند القبور. ومذهبهم في العقر على القبور كقول زياد الأعجم في المغيرة بن المهلب:

ان السماحة والمروة ضُمِّنا ... قبراً بمروَ على الطّريق الواضح

فإذا مررت بقبره فاعقر به ... كوم الهجان وكلّ طِرف سابح

وقال آخر:

نفرتْ قَلوصي عن حجارة حرة ... بنيت على طلق اليدين وَهوب

لا تنفري يا ناق منه فإنّه ... شرّيب خمر مِسْعَرٌ لحروب

لولا السِّفار وبُعدُ خَرقٍ مَهمهٍ ... لتركتها تحبو على العرقوب

ومذهبهم في العقر على القبور مشهور، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية[1].

قلت: وفي خبر، إنَّ أمير المؤمنين عليه السلام استشهد من بعض الصحابة قول النبي صلى الله عليه وآله فيه: «من كنت مولاه فهذا علي مولاه» فأنكر فقال له: ان كنت سمعت ولم تشهد لي فلا أماتك الله إلّا ميتة الجاهلية، فلمّا مات جاء قومه بالخيل والإبل فعقرتها على باب منزله.

والمراد به الأشعث بن قيس، وفي لطائف معارف الثعالبي هو أوّل من دفن في داره، فإنّه لمّا مات لم يقدر على إخراجه من كثرة الزحام وكان الرجل ينزل عن دابته فيعقرها والآخر يجيء براحلته فينحرها، فخاف الحسن بن

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٨٥ ـ ٣٨٩.

علي أن يعقر الناس على قبره فأمر بدفنه في داره[١].

قال: فإن ظنّ ظانٌّ أنَّ قوله «أو يفوّز راكب» فيه إيماء إلى ذلك، فليس الأمر كما ظنّه، ومعنى البيت أُدفنّي بفلاة جدّاء مقطوعة عن الإنس ليس بها إلّا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة[٢].

وأخطأ الخالع أيضاً في هذا الباب إيراده قول مالك بن الريب:

وعطِّل قلوصي في الركاب فإنّها ستبرِد أكباداً وتُبكي بواكيا

فظنه من هذا الباب، وإنما أراد الشاعر لا تركبوا راحلتي بعدي وعطّلوها بحيث لا يشاهدها أعاديَّ وأصادِقِي ذاهبة جائية تحت راكبها فيشمت العدوُّ ويُساء الصّديق.

وقد أخطأ في مواضع أُخر وأورد أشعاراً في غير موضعها وظنّها مناسبة ومنها أنّه ذكر مذهب العرب في الحلي ووضعه على اللّديغ، واستشهد عليه بقول الشاعر:

يلاقي من تذكّر آل ليلى كما يلقى السليم من العداد

فالعداد معاودة السمّ الملسوعَ في كلّ سنة في الوقت الذي لُدِغَ فيه، وليس هذا من باب الحلي بسبيل.

ومن ذلك إيراده قول الفرزدق «غلبتك بالمفقِّئ» في باب فقء عيون الفحول إذا بلغت الإبل ألفاً، وسنذكر كثيراً من المواضع التي وَهِمَ فيها.

وممّا ورد في البلية قول بعضهم:

أَبُنيَّ زوّدني إذا فارقتني في القبر راحلة برحل فاتر

للبعث أركبها إذا قيل اركبوا مستوسقين معاً لحشر الحاشر

---

(١) لطائف المعارف للثعالبي.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٨٩.

وقال عويم النبهاني:

أبُنيّ لا تنس البليّة إنّها لأبيك يوم نشوره مركوب

ومن تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال: كانت العرب إذا نفرت الناقة فسمّيت لها أمُّها سكنت من النّفار، قال الراجز:

أقول ـ والوجناء بي تقحم ـ ويلك! قل ما اسم أمّها يا علكم

«علكم» اسم عبده، وإنّما سأل عبده ترفّعاً أن يعرف اسم أمّها، لأنّ العبيد بالإبل أعرف وهم رُعاتها. وأنشد السّكّري:

فقلت له ما اسم امّها هات فادعها تجبك ويسكن روعها ونفارها[١]

قلت: وفي أساس الزمخشري يقولون: الناقة النادة تسكن إذا سميت أمُّها، وكذلك يسكن الجمل النادُّ إذا سمِّي أبوه[٢]. قلت: ولعلّ وجه سكونهما أنّهما عند سماع اسمهما يتوجه خيالهما إلى الأُم والأب فيسكنان عن النفور والند.

وممّا كانت العرب كالمجتمعة عليه (الهامة)، وذلك أنّهم كانوا يقولون ليس من ميت يموت ولا قتيل يقتل إلّا ويخرج من رأسه هامة، فإن كان قتل ولم يؤخذ بثاره نادت الهامة على قبره: «أُسقوني فإنّي صديّة»، وعن هذا قال النبي ﷺ «لا هامة»[٣].

وحكي أن أبا زيد قال «الهامّة» مشددة الميم إحدى هوام الأرض، وإنّها هي المنادية المذكورة. وقيل: إن أبا عبيد قال: ما أرى أبا زيد حفظ هذا.

وقد يسمّونها «الصدى» والجمع أصداء، قال: «وكيف حياة أصداء

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٨٩ ـ ٣٩١.

(٢) أساس البلاغة: ٣٥٦، مادة: (قَحَمَ).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٩١.

وهام»، وقال أبو دواد الأيادي:

سُلِّط الموت والمنون عليهم فلهم في صدى المقابر هـام

وقال بعضهم لابنه:

ولا تَزقُوَنْ لي هامةٌ فوق مَرقبٍ فــإن زُقــاء الهـام للـمرء عـائب

تنادي ألا اسقوني وكلّ صدىً به وتلك التي تـبيضّ مـنها الذوائب

يقول له لا تترك ثاري إن قُتلت فإنّك إن تركته صاحت هامتي: أُسقوني، فإنّ كلّ صدىً ـ وهو هاهنا العطش ـ بأبيك، وتلك التي تـبيض مـنها الذوائب لشدّتها، كما يقال: «أمر يشيب رأس الوليد»، ويحتمل أن يريد صعوبة الأمر عليه وهو مقبور إذا لم يثأر به، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابـنه، يعني أنّ ذلك عار عليك. وقال ذو الأصبع:

يـا عـمرو إلّا تـدع شـتمي ومـنقصتي

أضربك حيث تقول الهامة اسقوني[١]

قلت: وأنشد البيت عبد الملك بن مروان لعمرو بن سعيد لمّا قتله. قال: وقال آخر:

[فـيا ربّ ان أهـلك ولم تـرو هـامتي بليلى أمتْ لا قبرَ أعطشُ من قبري[٢]

ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذي نحن فيه وأن يكون ريُّ هامته الذي طلبه من ربه هو وصال ليلى في الدنيا، وهم يكنّون عمّا يشفيهم بأنّه يروي هامتهم. وقال معلّس الفقعسي:

وإنّ أخـاكـم قـد عـلمت مكـانه بسفح قُبا تسفِي عليه الأعاصر

له هـامةٌ تـدعو إذا اللـيل جـنّها بـني عـامر هـل للـهلاليّ ثـائر

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٥ ح ٣٩٢.

وقال توبة بن الحُمَيِّر:

ولو أنّ ليلى الأخيلية سلّمت ... عليّ ودوني جندل وصفائح
لسلّمت تسليم البشاشة أو زقا ... إليها صدىً من جانب القبر صائح

وقال قيس بن الملوح ـ وهو المجنون:

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا ... ومن دوننا رمسٌ من الأرض أنكب
لظلّ صدى رمسي وإن كنت رمّة ... لصوت صدى ليلى يهشّ ويطرب

وقال حُمَيد بن ثور:

ألا هل صدى أمّ الوليد مكلِّم ... صداي إذا ما كنت رمساً وأعظماً

وممّا أبطله الإسلام قول العرب بالصَّفَر، زعموا أن في البطن حيّة إذا جاع الإنسان عَضّت على شرسوفه وكبده، وقيل: هو الجوع بعينه، ليس أنّها تعضّ بعد حصول الجوع.

فأما لفظ الحديث «لا عدوى ولا هامة ولا صَفَر» فإنّ أبا عبيدة معمر بن المثنى قال: هو «صفر» الشهر الذي بعد المحرم. نهى ﷺ عن تأخيرهم المحرّم إلى صفر، يعني ما كانوا يفعلونه من النسيء، ولم يوافق أحد من العلماء أبا عبيدة على هذا التفسير. قال الشاعر:

لا يتأرّى لمّا في القدر يرقبه ... ولا يعض على شرسوفه الصفر

وقال بعض شعراء بني عبس يذكر قيس بن زهير لمّا هجر الناس وسكن الفيافي وأنس بالوحش، ثم رأى ليلة ناراً فعشا إليها فشمّ عندها قتار اللَّحم فنازعته شهوته فغلبها وقهرها ومال إلى شجرة سلم فلم يزل يكدمها ويأكل من خبطها إلى أن مات:

إنّ قيساً كان ميتته ... كرم والحيُّ منطلقُ
شام ناراً بالهوى فهوى ... وشجاع البطن يختفقُ

فـي دريسٍ ليس يسـتره رُبَّ حُــرٍّ ثــوبه خَــلَقُ

وقوله: «بالهوى» إسم موضع بعينه. وقال أبو النجم العجلي:

إنّك يا خير فتىً نستعدي على زمانٍ مَسَّـنا بِـجَهْدِ

عضّاً كعضّ صَفَرٍ بِكِبْدِ

وقال آخر:

أردُّ شُـجاع البـطن قـد تـعلمينه وأوثر غيري من عيالك بالطُّعم

ومن خرافات العرب أن الرجل منهم كان إذا أراد دخول قـرية فـخاف وباءها أو جِنّها، وقف على بابها قبل أن يدخلها فنهق نهيق الحمار، ثـم عـلّق عليه كعب أرنب، كأنّ ذلك عوذة له ورقية من الوباء والجن، ويسـمّون هـذا النهيق: التعشير قال شاعرهم:

ولا ينفع التّعشير إن حُـمَّ واقـع ولا زعزع يغني ولا كعب أرنب

وقال الهيثم بن عدي: خرج عروة بن الورد إلى خيبر في رفقة ليمتاروا، فلمّا قربوا منها عشّروا وعاف عروة أن يفعل فعلَهم وقال:

لعمري لئن عشَّرت من خـيفة الردى نــهاق حــميرٍ إنّــني لجـزوع

فــلا وَألَتْ تــلك النــفوس ولا أتـوا قــفولا إلى الأوطــان وهــي جـميع

وقــالوا ألّا انــهق لا تـضرُّك خـيبر وذلك مـــن فـــعل اليــهود وُلوع

أي: كذب. فيقال إن رفقته مرضوا ومات بعضـهم ونجا عروة من الموت والمرض. وقال آخر:

لا ينجينّك من حِمامٍ واقـع كعب تعلّقه ولا تعشير][1]

قلت: والأصل في وجه تسميتهم له بالتعشير ان الحمار يتابع في نهيقه بين عشر نهقات.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٢ ـ ٣٩٥.

[قال: ويشابه هذا أنّ الرجل منهم كان إذا ضلّ في فلاة قلب قميصه وصفّق بيديه كأنّه يومي بهما إلى إنسان فيهتدي. قال أعرابي:

قلت ثيابي والظنون تجول بي ... وترمي برحلي نحو كلّ سبيل

فلأياً بلأيٍ ما عرفت جَليّتي ... وأبصرت قصداً لم يصب بدليل

وقال أبو العملّس الطائي:

فلو أبصرتني بلوى بطان ... أُصفّق بالبنان على البنان

فأقلب تارةً خوفاً ردائي ... وأصرخُ تارة بأبي فلان

لقلت أبو العملّس قد دهاه ... من الجنّان خالعة العنان

والأصل في قلب الثياب التفأول بقلب الحال، وقد جاء في الشريعة الإسلامية نحو ذلك في الإستسقاء[1].

ومن مذاهب العرب أنّ الرجل منهم كان إذا سافر عمد إلى خيط فعقده في غصن شجرة أو في ساقها، فإذا عاد نظر إلى ذلك الخيط، فإن وجده بحاله علم أن زوجته لم تخنه، وإن لم يجده أو وجده محلولاً قال: خانتني، وذلك العقد يسمّى «الرتم». ويقال: بل كانوا يعقدون طرفاً من غصن الشجر بطرف غصن آخر. قال الراجز:

هل ينفعنك اليوم إن همت بهم ... كثرة ما توصي وتعقاد الرّتَم

وقال آخر:

خانته لمّا رأت شيباً بمفرقه ... وغرّه حلفها والعقد للرّتَم

وقال آخر:

لا تحسبنّ رتائماً عقّدتها ... تنبيك عنها باليقين الصادق

وقال آخر:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٩٥.

يـــعلِّل عــمرو بــالرَّتائم قــلبه　　　وفي الحي ظبي قد أُحِلّت محارمه
فما نفعت تلك الوصايا ولا جـنت　　　عـليه سـوى مـالا يـحبّ رتـائمه

وقال آخر:

مــاذا الذي تـنفعك الرَّتـائم　　　إذ أصبحت وعشقها مـلازم
وهـــي عــلى لذّاتـها تـداوم　　　يــزورها طَبُّ الفـؤاد عـارِم
بكلّ أدواء النساء عالِمُ

وقد كانوا يعقدون الرّتَم للحمّى ويرون أن من حلّها انتقلت الحمّى إليه، قال الشاعر:

حللت رتيمة فمكثت شهراً　　　أكابد كلّ مكروه الدواء][1]

قلت: وتأتي «الرتيمة» أيضاً لمّا يعقد في اليد للتذكرة كما قال ثعلب في مجالسه وأنشد:

إذا لم تكن حاجاتنا في نفوسنا　　　لإخواننا لم تغن عنّا الرتـائم[2]

وقال ابن السكّيت: إنّ العرب كانت تقول: إنّ المرأة المقلات ـ وهي التي لا يعيش لها ولد ـ إذا وطِئَتِ القتيل الشريف عاش ولدها، قال بشر بن أبي حازم:

فظل مـقاليت النسـاء تـطأنه　　　يقلن ألّا يُلقى على المرء مئزر

وقال أبو عبيدة: تتخطّاه المقلاة سبع مرات فذلك وطاها له.

وقال ابن الأعرابي: يمرّون به ويطأون حوله. وقيل إنّما كانوا يفعلون ذلك بالشريف يقتل غدراً أو قوداً، وقال الكيمت:

وتطيل المرزّءات المقاليـ　　　ـت إليه القعود بعد القيام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٣٩٦.
(٢) مجالس الثعلبي

وقال آخر:

تركنا الشعثمين برمل خبت … تـزورهما مـقاليت النسـاء

وقال آخر:

بنفسي الذي تمشي المقاليت حوله … يـطال له كشـحاً هـضيماً مـهشّماً

وقال آخر:

تباشرت المقاليت حين قالوا … ثوى عمرو بن مرّة بالحفير

ومن تخيّلات العرب وخرافاتها أن الغلام منهم كان إذا سقطت له سن أخذها بين السبابة والابهام واستقبل الشمس إذا طلعت وقذف بها وقال: يا شمس، أبدليني بسن أحسن منها وليجر في ظلمها «إياتك» أو «إياؤك»، وهما جميعاً شعاع الشمس، قال طَرَفة «سقته إياة الشمس»، وإلى هذا الخيال أشار شاعرهم بقوله:

شادن يجلو إذا ما ابتسمت … عن أقاحٍ كأقاح الرمـل غـرّْ

بدّلته الشـمس مـن مـنبته … برداً أبيض مصقول الأُثـر

وقال آخر:

وأشنب واضـح عـذب الثـنايا … كأنّ رضـابه صـافي المـدام

كسته الشمس لوناً من سناها … فـلاح كأنّـه بـرق الغـمام

وقال آخر:

بـذي أُشُـرٍ عـذب المـذاق تـفرّدت … به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

والناس اليوم في صبيانهم على هذا المذهب.

وكانت العرب تعتقد أن دم الرئيس يشفي من عضة الكلب الكَلِبِ، قال الشاعر:

بُناةُ مكـارمٍ وأُسـاة جُـرح … دماؤهم من الكَلَبِ الشـفاء

وقال ابن الزبير الأسدي:

من خير بـيت عـلمناه وأكـرمه كانت دماؤهـم تشفي من الكَلَبِ

وقال الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكَلَبِ

ومن تخيّلات العرب أنّهم كانوا إذا خافوا على الرجل الجنون وتعرُّض الأرواح الخبيثة له نجّسوه بتعليق الأقذار عليه كخرقة الحيض وعظام الموتى قالوا: وأنفع من ذلك أن تعلّق عليه طامث عظام موتى ثم لا يراها يـومه ذلك وأنشدوا للممزَّق العبديّ:

فلو أن عندي جارتين وراقياً وعلَّق انجاساً عـليَّ المـعلِّقُ

قالوا: والتنجيس يشفي إلّا من العشق، قال أعرابي:

يـقولون عــلِّق يــا لك الخـير رِمَّـة وهل ينفع التنجيس من كان عاشقا!

وقالت امرأة وقد نجّست ولدها فلم ينفعه ومات:

نجّسته لو ينفع التنجيس والموت لا تفوته النفوس

وكان أبو مهديّة يعلّق في عنقه العظام والصوف حذر الموت، وأنشدوا:

أتوني بأنجاس لهم ومـنجّس فـقلت لهـم مـا قـدّر الله كـائن

ومن مذاهبهم أنّ الرجل منهم كان إذا خَدِرت رجله ذكر مـن يـحبّ أو دعاه فيذهب خدرها، قال:

على أنّ رجلي لا يـزال امـذلالها مقيماً بها حتى أجيلك في فكري

وقال كثير:

إذا مذلت رجلي ذكرتكِ أشـتفي بدعواك مـن مـذلٍ بـها فـيهون

وقال جميل:

وأنتِ لعــيني قـرّة حـين نـلتقي وذكرك يشفيني إذا خَدِرَت رجلي

وقالت امرأة:

إذا خدرت رجلي دعوت ابن مصعب ... فإن قلت عبدالله أجلى فتورُها

وقال آخر:

صبٌّ محبٌّ إذا ما رجله خَدِرَتْ ... نادى كُبَيشَةَ حتى يذهب الخدر

وقال المؤمّل:

والله ما خدرت رجلي ولا عثرت ... إلّا ذكرتُكِ حتّى يذهب الخدر

وقال الوليد بن يزيد:

أثيبي هائماً كَلِفاً معنّىً ... إذا خدرت له رجل دعاك

ونظير هذا الوهم؛ أنّ الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال: أرى من أُحبّه فإن كان غائباً توقّع قدومه وإن كان بعيداً توقّع قربه، قال بشر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلّها ... فتاة بني عمرو بها العين تلمع

وقال آخر:

إذا اختلجت عيني تيقّنت أنّني ... أراكِ وإن كان المزار بعيدا

وقال آخر:

إذا اختلجت عيني أقول لعلّها ... لرؤيتها تهتاج عيني وتطرِفُ

وهذا الوهم باق في النّاس إلى اليوم.

ومن مذاهبهم؛ أنّ الرجل منهم كان إذا عشق ولم يسل، وأفرط عليه العشق؛ حمله رجل على ظهره كما يُحمَل الصبيُّ وقام آخر فأحمى حديدة أو ميلا وكوى به بين أَلْيَتَيْهِ فيذهب عشقه فيما يزعمون، قال أعرابي:

كويتم بين رانِفتيَّ جهلاً ... ونارُ القلب يُضرِمها الغرام

وقال آخر:

شكوت إلى رفيقيَّ اشتياقي ... فجاءاني وقد جمعا دواءَ

وجـاءا بـالطبيب ليكـوياني ولا أبغي ـ عدمتهما ـ اكتواءَ
ولو أتيا بسلمى حـين جـاءا لعاضاني من السَّقم الشفاءَ

واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير:

أغاضر لو شهدتِ غداة بِنتُم حنوّ العائدات على وسـادي
أويتِ لعـاشق لم تـرحـميه بـــواقــدة تـلذّع بـالزّناد

وهذا البيت ليس بصريح في هذا الباب، ويحتمل أن يكون مـراده فـيه المعنى المشهور المطروق بين الشـعراء مـن ذكـر حـرارة الوجـد ولذعـه وتشبيهه بالنار، إلّا أنّه قد روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذي ادّعاه، وهو: عن محمد ابن سليمان بن فليح عن جدّه قال: كنت عند عبدالله بن جعفر فدخل عليه كثير وعليه أثر علّة، فقال عبدالله: ما هذا بك؟ قال: هذا مـا فـعلت بـي أُمّ الحويرث، ثم كشف عن ثوبه وهو مكوي وأنشد:

عفا الله عن أُمّ الحـويرث ذنـبها على من تُعَنِّيني وتكمي دوائـيا
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقــلت لهـم أُمُّ الحـويرث دائـيا

قلت: والظاهر أنّه حرّف شـعره أيـضاً وإنّـه قـال: «كـويت لعـاشق لم ترحميه» بقوله «أويت لعاشق لم ترحميه».

قال: ومن أوهامهم وتخيلاتهم أنّهم كانوا يزعمون أنّ الرجل إذا أحبّ امرأة وأحبّته فشقّ برقعها وشقّت رداءه صلح حبهما ودام؛ فإن لم يفعلا ذلك فسد حبهما، قال سحيم عبد بني الحسحاس:

وكــم قــد شـققنا مـن رداء مـحبّر ومـن بـرقع عـن طـفلة غـير عـابس
إذا شــقّ بــرد شــق بــالبرد بـرقع دواليك حــتى كــلّنا غــير لابس
نروم بهذا الفـعل بـقياً عـلى الهـوى وألف الهوى يغري بهذي الوساوس

وقال آخر:

شـقـقت ردائـي يـوم بـرقة عـالج وأمكنتِني من شقّ برقعك السـحقا
فـمـا بـال هـذا الحب يـفسد بـيننا ويمحق حبل الوصل ما بيننا محقا

ومن مذاهبهم أنّهم كانوا يرون أنّ أكل لحوم السباع يزيد في الشجاعة والقوة، وهذا مذهب طبّي والأطبّاء يعتقدونه، قال بعضهم:

أبا المعارك لا تتعب بأكلك ما تـظن أنك تُـلفى مـنه كـرّارا
فلو أكلت سباع الأرض قاطبة ما كنت إلّا جبان القلب خـوارا

وقال بعض الأعراب ـ وأكل فؤاد الأسد ليكون شجاعاً فعدا عليه نـمر فجرحه:

أكلت من الليث الهصور فؤاده لأصبح أجرى منه قلباً وأقدما
فأدرك مـنّي ثأره بـابن أُخـته فيالك ثـاراً مـا أشـدّ وأعـظما

وقال آخر:

إذا لم يكن قلب الفـتى غـدوة الوغـى أصـــم فــقلب اللـيث ليس بـنافع
وما نفع قلب الليث في حومة الوغـى إذا كـان سـيف المـرء ليس بـقاطع

ومن مذاهبهم أن صـاحب الفـرس المـهقوع ـ والهـقعة دائـرة تكـون بالفرس وربما كانت على الكتف في الأكثر وهي مستقبحة عندهم ـ إذا ركبه فعرق تحته اغتلمت امرأته وطمحت إلى غيره، قال بعضـهم لصاحبه:

إذا عرق المـهقوع بالمرء أنعظت حـليلته وازداد حـرّاً عـجانها

فأجابه صاحبه:

وقد يركب المهقوع من ليس مثله وقد يركب المهقوع زوج حصان

ومن مذاهبهم أنّهم كانوا يوقدون النّار خلف المسافر الذي لا يـحبّون رجوعه ويقولون في دعائهم «أبـعده الله وأسـحقه وأوقـد نـاراً أثـره»، قـال بعضـهم:

صحوتَ وأوقدت للجهل ناراً ورد عليك الصّبا ما استعارا[1]

وفي لسان العرب قالت العقيلية: كان الرجل إذا خفنا شرّه فتحوّل عنّا أوقدنا خلفه ناراً. فقلت لها: ولِمَ ذلك؟ قالت: لتحوّل ضبعهم معهم، أي: شرّهم[2]، قال الشاعر:

وجمة أقوام حملت ولم أكن كموقد نار أثرهم للتندّم

وكانوا إذا خرجوا إلى الأسفار أوقدوا ناراً بينهم وبين المنزل الذي يريدونه ولم يوقدوها بينهم وبين المنزل الذي خرجوا منه تفاؤلاً بالرجوع إليه.

ومن مذاهبهم المشهورة تعليق كعب الأرنب، قال ابن الأعرابي: قلت لزيد ابن كثوة: أتقولون: إنّ من علّق عليه كعب أرنب لم تقربه جنّان الدار ولا عمّار الحي. قال: أي والله ولا شيطان الحماطة ولا جار العُشَيرة ولا غول القفر. «الحماطة» شجرة «والعُشَيرة» بالتصغيرة شجرة.

وقال امرؤ القيس:

أيا هند لا تنكحي بوهة عليه عقيقته أحسبا

مُرسّعةٌ بين أدباقهِ به عسم يبتغي أرنبا

ليجعل في رجله كعبها حذار المنيّة أن يعطبا

وقال أبو محلم: كانت العرب تعلّق على الصبي سنّ ثعلب وسنّ هرة خوفاً من الخطفة والنظرة، ويقولون: إن جنيّة أرادت صبيًّ قوم فلم تقدر عليه فلامها قومها من الجن في ذلك، فقالت تعتذر إليهم:

كان عليه نُفَرَةْ ثعالبٌ وهِرَرَةْ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٣٩٧ ـ ٤٠٣.

(٢) لسان العرب ١٥: ٣٦٣، مادة: (وَقَدَ).

والحيض حيضُ السَّمُرَه

والسَّمُرَةُ: شيء يسيل من السمر كدم الغزال، وكانت العرب إذا ولدت المرأة أخذوا من دم السمر ـ وهو صمغه الذي يسيل منه ـ ينقطونه بين عيني النفساء وخطوا على وجه الصبي خطاً، ويسمّى هذا الصمغ السائل من السمر «الدَّوْدَم» ويقال بالذال المعجمة أيضاً. وتسمى هذه الأشياء التي تعلّق على الصبي «النفرات».

قال عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي: إنّ بعض العرب قال لأبي: إذا ولد لك ولد فنفّر عنه. فقال له أبي: وما التنفير؟ قال: غرّب اسمه. فولد له ولد فسمّاه قنفذاً وكنّاه «أبا العدّاء». قال: وأنشد أبي:

كالخمر مزج دوائها منها بها تشفي الصداع وتبرئ المنجودا

يريد أنّ القنفذ من مراكب الجن فداوى ولده منهم بمراكبهم.

ومن مذاهبهم أنَّ الرجل منهم كان إذا ركب مفازة وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادٍ ذي شجر فأناخ راحلته في قرارته وعقلها وخطّ عليها خطّاً ثم قال: «أعوذ بصاحب هذا الوادي» وربما قال «بعظيم هذا الوادي»، وعن هذا قال سبحانه في القرآن: ﴿وإنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجنّ فزادوهم رهقا﴾[1].

واستعاذ رجل منهم ومعه ولد فأكله الأسد فقال:

قد استعذنا بعظيم الوادي من شرّ ما فيه من الأعادي

فلم يُجِرنا من هزبر عاد

وقال آخر:

أعوذ من شرّ البلاد البيد بسيّد معظّم مجيد

---

(١) الجن: ٦.

أصبح يلوي بلوى زرود ذي عـزّة وكـاهل شـديد

وقال آخر:

يا جنّ أجزاء اللوى مـن عـالج عاذ بكم ساري الظـلام الدالج

لا ترهقوه بغويّ هائج

وقال آخر:

قد بتُّ ضيفاً لعـظيم الوادي المانعي من سطوة الأعادي

راحلتي في جاره وزادي

وقال آخر:

هيا صاحب الشجراء هل أنت مانعي فـــإنّي ضـــيف نـــازل بـــفنائكا

وإنّك للــــجِنّان فـــي الأرض ســـيّد ومـثلك آوى فـي الظـلام الصـعالكا

ومن مذاهبهم أنّ المسافر إذا خرج من بلدة إلى أُخرى فلا ينبغي له أن يلتفت، فإنّه إذا التفت عاد، فلذلك لا يلتفت إلّا العاشق الذي يـريد العـود، قـال بعضهم:

دع التلفّت يا مسـعود وارم بـها وجه الهواجر تأمن رجعة البـلد

وقال آخر، أنشده الخالع:

عيل صبري بالثّعلبيّة لمّـا طال ليلي ومـلّني قـرنائي

كلّما سارت المطايا بنا ميـ ـلا تنفست والتفتُّ ورائـي

ذكرهما الخالع في الباب، وعندي أنّه لا دلالة فـيهما عـلى مـا أراد، لأن التلفّت في أشعارهم كثير، ومرادهم به الإبانة والإعراب عـن كـثرة الشـوق والتأسّف على المفارقة وكون الراحل عن المنزل حيث لم يمكنه المـقام فـيه بجثمانه يُتبعه بصره ويتزود من رؤيته، كقول الرضيّ رحمه الله:

ولقد مررت عـلى طـلولهم ورسـومهم ليد البلى نـهب

فوقفت حتى ضجّ من لغب ... نِضوِي ولجّ بعذلي الركب

وتلفّتت عيني فمذ خفيت ... عنّي الطلول تلفّت القلب

وليس يقصد بالتلفت هاهنا التفاؤل بالرجوع إليها، لأن رسومها قد صارت نهباً ليد البلى فأيّ فائدة في الرجوع إليها، وإنّما يريد ما قدّمنا ذكره من الحنين والتذكّر لمّا مضى من أيامه فيها، وكذلك قول الأول:

تلفَّتُّ نحو الحيّ حتى وجدتني ... وجعت من الإصغاء لِيتاً وأخدعا[1]

قلت: بل الظاهر أنّ إنشاد الخالع من ذاك الباب، بشهادة بيته الأول بعدم ميله إلى الرجوع وكون البيت الثاني بلفظ الالتفات لا التلفّت.

قال: وقال بعضهم في المذهب الأول:

تلفتُّ أرجو رجعة بعد نيّة ... فكان التفاتي زائداً في بلائيا

ءأرجو رجوعاً بعدما حال بيننا ... وبينكم حَزن الفلا والفيافيا

وقال آخر، وقد طلّق امرأته فتلفّتت إليه:

تلفَّتُّ ترجو رجعة بعد فرقة ... وهيهات ممّا ترتجي أُمُّ مازن

ألم تعلمي أنّي جموح عنانه ... إذا كان من أهواه غير ملاين

ومن مذاهبهم أنّه إذا بثرت شفة الصبي حمل منخلاً على رأسه ونادى بين بيوت الحيّ: «ألحلا ألحلا، ألطّعام الطّعام» فتلقي له النساء كسر الخبز وأقطاع التمر واللحم في المنخل ثم يُلقى ذلك للكلاب فتأكله فيبرأ من المرض، فإن أكل صبيٌّ من الصبيان من ذلك الذي ألقاه للكلاب تمرة أو لقمة أو لحمة بثرت شفته. وأُنشِدَ لامرأة:

ألّا حلا في شفة مشقوقه ... فقد قضى منخلنا حقوقه

ومن مذاهبهم أنّ الرجل منهم كان إذا طرفت عينه بثوب آخر مسح

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٠٣ ـ ٤٠٧.

الطارف عين المطروف سبع مرات، يقول في الأولى «باحدى جاءت من المدينة» وفي الثانية «باثنتين جاءتا من المدينة» وفي الثالثة «بثلاث جئن من المدينة» إلى أن يقول في السابعة «بسبع جئن من المدينة» فتبرأ عين المطروف، وفيهم من يقول «بإحدى من سبع جئن من المدينة» إلى أن يقول «بسبع من سبع».

ومن مذاهبهم أنّ المرأة منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور وحجلت على إحدى رجليها، ويكون ذلك ليلاً وتقول «يالكاح أبغي النكاح قبل الصباح» فيسهل أمرها وتتزوج عن قريب:

قال رجل لصديقه، وقد رأى أُمّه تفعل ذلك:

أمــا تـرى أُمّك تـبغي بـعلا ... قد نشرت من شعرها الأقلّا

ولم تـوفّ مـقلتيها كـحلا ... تـرفع رجـلاً وتـحطّ رجـلاً

هذا وقد شاب بـنوها أصـلا ... وأصبح الأصغر منهم كهلا

خذ القطيع[1] ثم سمْها الذلّا ... ضرباً به تترك هـذا الفـعلا

وقال آخر:

قد كحلت عيناً وأعفت عينا ... وحجلت ونشرت قُرَينا

تظنُّ زيناً ما تراه شينا

وقال آخر:

تَـصنّعي مـا شئت أن تصنّعي ... وكـحّلي عـينك أو لا فـدعي

ثم احجلي في البيت أو في المجمع ... مـالك فـي بـعل أرى مـن مـطمع

ومن مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبّوا أن لا يعود

(١) أي السيف .

كسروا شيئاً من الأواني وراءه، وهذا ممّا تعمله الناس اليوم أيضاً، قال بعضهم:

كسرنا القدر بعد أبي سواح فعاد وقدرنا ذهبت ضياعا

وقال آخر:

ولا نكسر الكيزان في أثر ضيفنا ولكنّنا نقفيه زاداً ليرجعا

وقال آخر:

أما والله إنّ بني نفيل لحلّالون بالشرف اليفاع
أُناس ليس تُكسَر خلف ضيف أوانيهم ولا شعب القصاع

ومن مذاهبهم قولهم: إنّ من ولد في القمراء تقلّصت غرلته فكان كالمختون، ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواصّ القمر، كما أنّ من خواصه إبلاء الكتان وإنتان اللحم.

وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام: إذا رأيت الغلام طويل الغرلة فأقرب به من السؤدد، وإذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختنه القمر فأبعد به.

وقال امرؤ القيس لقيصر وقد دخل معه الحمّام فرآه أغلف:

إنّي حلفت يميناً غير كاذبة لأنت أغلف إلّا ما جنى القمر

ومن مذاهبهم التشاؤم بالعُطاس، قال امرؤ القيس:

وقد اغتدى قبل العطاس بهيكلٍ شَديدٍ منيع الجنب فَعْمِ المنطَّقِ

وقال آخر:

وخرق إذا وجهت فيه لغزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطس

ومن مذاهبهم قولهم في الدّعاء عليه «لا عشت إلّا عيش القراد» يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة، ويزعمون أن القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً، ويقولون: إنّه يترك في طينة ويرمى بها الحائط

فيبقى سنة على بطنه وسنة على ظهره ولا يموت، قال بعضهم:

فلا عشت إلّا كعيش القُرا ... دِ عاماً ببطن وعاماً بظهر

ومن مذاهبهم: كانت النساء إذا غاب عنهن من يحببنه أخذن تراباً من موضع رجله، كانت العرب تزعم أن ذلك أسرع لرجوعه. وقالت امرأة من العرب واقتبضت من أثره:

يا ربِّ أنت جارُهُ في سفره ... وجار خُصييه وجارُ ذكره

وقالت امرأة:

أخذت تراباً من مواطئ رجله ... غداة غدا كيما يؤوب مسلما

ومن مذاهبهم انّهم كانوا يسمّون العشا في العين الهدبد، وأصل الهدبد اللبن الخاثر، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام فقطع منه قطعة ومن الكبد قطعة وقلاهما وقال عند كلّ لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبّابته:

فيا سناماً وكبد ... ألا اذهبا بالهُدَبِدْ

ليس شفاء الهُدَبِدْ ... إلّا السَّنام والكبد

فيذهب العشا بذلك.

ومن مذاهبهم اعتقادهم ان الوَرَل والقنفذ والأرنب والظبي واليربوع والنعام مراكب الجن يمتطونها، ولهم في ذلك أشعار مشهورة، ويزعمون أنّهم يرون الجن ويظاهرونهم ويخاطبونهم ويشاهدون الغول، وربما جامعوها وتزوّجوها.

وقالوا: إنّ عمرو بن يربوع تزوّج الغول وأولدها بنين ومكثت عنده دهراً فكانت تقول له: إذا لاح البرق من جهة بلادي -وهي جهة كذا- فاستره عنّي وإلّا تركت ولدك عليك وطرت إلى بلاد قومي. فكان عمرو بن يربوع كلّما برق البرق غطى وجهها بردائه فلا تبصره.

وإلى هذا المعنى أشار أبو العلاء المعري في قوله يذكر الابل وحنينها إلى البرق:

طربن لضوء البارق المتعالي ... ببغداد وهناً ما لهنّ ومالي

سمت نحوه الأبصار حتى كأنّها ... بناريه من هنّا وثمَّ صوالي

إذا طال عنها سرها لرؤسها ... تمدّ إليه في صدور عوالي

تمنّت قويقاً والصراة أمامها ... ترابٌ لها من أينق وجمالي

إذا لاح إيماضٌ سترتُ وجوهها ... كأنّي عمرو والمطيّ سعالي

وكم همّ نضوان يطير مع الصَّبا ... إلى الشام لولا حبسه بعقالي

قالوا: فغفل عمرو بن يربوع عنها ليلة وقد لمع البرق فلم يستر وجهها فطارت وقالت له وهي تطير:

أمسك بنيك عمرو إنّي آبقُ ... برق على أرض السّعالي آلقُ

ومنهم من يقول: ركبت بعيراً وطارت عليه ـ أي: أسرعت ـ فلم يدركها.

وعن هذا قال الشاعر:

رأى برقاً فأوضع فوق بكر ... فلا بك ما أسال ولا أغاما

قال: فبنو عمرو بن يربوع إلى اليوم يدعون بني السعلاة، ولذلك قال الشاعر يهجوهم:

يا قبّح الله بني السعلاة ... عمرو بن يربوع شرار النات

ليسوا بأبطال ولا أكيات

فأبدل السين تاءً وهي لغة قوم من العرب[1].

قلت: أي: الأصل في النات «الناس» وفي أكيات «أكياس».

ومن مذاهبهم في الغول قولهم: إنها إذا ضُربت ضربة واحدة بالسيف

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٠٧ ـ ٤١٢.

هلكت فإن ضُربت ثانية عاشت، وإلى هذا المعنى أشار الشاعر بقوله:

فقالت: ثَنِّ قلت لها رويداً مكانك، إنّني ثبت الجنان

وكانت العرب تسمي أصوات الجن «العزيف» وتقول: ان الرجل إذا قتل قنفذاً ووَرَلاً لم يأمن الجن على فحل إبله، وإذا أصاب إبله خطب أو بلاءٌ حمله على ذلك. ويزعمون أنّهم يسمعون الهاتف بذلك، ويقولون مثله في الجان من الحيّات وقتله عندهم عظيم.

ورأى رجل منهم جاناً في قعر بئر لا يستطيع الخروج منها، فنزل وأخرجه منها على خطر عظيم وغمض عينيه لئلّا يرى أين يدخل، كأنّه يريد بذلك التقرّب إلى الجن.

وقال الجاحظ: وكانوا يسمّون من يجاور منهم الناس (عامراً) والجمع عمار، فان تعرّض للصبيان فهو «روح»، فان خبث وتعرم فهو «شيطان»، فإن زاد على ذلك في القوة فهو «عفريت»، فإن طهر ولطف وصار خيراً كلّه فهو «ملك»، ويفاضلون بينهم.

ويعتقدون أن مع كلّ شاعر شيطاناً ويسمّونهم بأسماء مختلفة[1].

قلت: وفي (شعراء ابن قتيبة): راجز العجّاج على ناقة له كرماء وعليه ثياب حسان، وخرج أبو النجم العجلي على جمل مهنوء وعليه عباء، فأنشد العجّاج «قد جبر الدين الإلهُ فجبر» وأنشد أبو النجم «تذكر القلب وجهلا ما ذكر» حتى بلغ قوله:

إنّي وكلّ شاعر من البشر شيطانه أُنثى وشيطاني ذكر

فما رآني شاعر إلّا استتر فعل نجوم الليل عاين القمر

عيشي تميم واصغري فيمن صغر وباشري بالبذلّ واعطي من عشر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٢ ـ ٤١٣.

وأمّري الأُنثى عليك والذكر

فبينا هو ينشد إذ حمل جمله على ناقة العجّاج، فضحك الناس وانصرفوا يقولون: «شيطانه أُنثى وشيطاني ذكر» ـ والعجّاج من زيد مناة بن تميم.

[قال: قال الجاحظ: وفي النهار ساعات يرى فيها الصغير كبيراً ويوجد لأوساط الفيافي والرمال والحرار مثل الدوي وهو طبع ذلك الوقت، قال ذو الرمة:

إذا قال حادينا لترنيم بنأةٍ   صه لم يكن إلّا دويَّ المسامع

وقال الجاحظ ايضاً في الذين يذكرون عزيف الجن وتغوّل الغيلان: إنّ هذا الأمر وابتداء هذا الخيال أنّ القوم لمّا نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة ومن انفرد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ولاسيما مع قلّة الأشغال وفقد المذاكرين، والوحدة لاتقطع أيّامها إلّا بالتمنّي والأفكار، وذلك أحد أسباب الوسواس.

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبهم اعتقادهم في الديك والغراب والحمامة وساق حُرٍّ ـ وهو الهديل ـ والحيّة، فمنهم من يعتقد أن للجن بهذه الحيوانات تعلّقاً، ومنهم من يزعم أنّها نوع من الجن، ويعتقدون أنّ سهيلاً والزهرة والضبّ والذئب والضبع مسوخ. ومن أشعارهم في مراكب الجن قول بعضهم في قنفذ رآه ليلاً:

فما يُعجب الجِنّان منكَ ـ عدمتهم ـ   وفي الأسد أفراس لهم ونجائب

أيسرج يربوع ويلجم قنفذ   لقد أعوزتكم ما علمت النجائب

فإن كانت الجِنّان جُنّت فبالحرَى   ولا ذنب للأقوام والله غالب

ومن الشعر المنسوب إلى الجنّ:

وكل المطايا قد ركبنا فلم نجد ألذّ وأشهى من ركوب الأرانب

ومن عضرفوط عنّ لي فركبته أبادر سرباً من عطاء قوارب[١]

وقال أعرابيّ يكذّب بذلك:

أيستمع الأسرار راكب قنفذ لقد ضاع سرّ الله يا أمَّ معبد

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رؤية الجن وخطابهم وهتافهم ما رواه الجاحظ لسمير بن الحارث الضبي:

ونار قد حضأتُ بُعيد وهن بدار لا أريد بها مقاما

سوى تحليل راحلة وعين أكالئها مخافة أن تناما

أتوا ناري فقلت منون أنتم؟ فقالوا: الجن قلت: عِمُوا ظلاما

ويزعمون أنّ عمير بن ضبيعة رأى غلماناً ثلاثة يلعبون نهاراً فوثب غلام منهم فقام على عاتقي صاحبه ووثب الآخر فقام على عاتقي الأعلى منهما، فلمّا رآهم كذلك حمل عليهم فصدمهم فوقعوا على ظهورهم وهم يضحكون، فقال عمير بن ضبيعة: فما مررت يومئذ بشجرة إلّا وسمعت من تحتها ضحكاً، فلمّا رجع إلى منزله مرض أربعة أشهر[٢].

وحكى الأصمعي عن بعضهم أنّه خرج هو وصاحب له يسيران فإذا غلام على الطريق فقالا له: من أنت؟ قال: مسكين قد قطع بي. فقال أحدهما لصاحبه أردفه خلفك، فأردفه خلفه فالتفت الآخر إليه فرأى فمه يتأجّج ناراً، فشدّ عليه بالسيف فذهبت النار، فرجع عنه ثم التفت فرأى فمه يتأجج ناراً، فشدّ عليه فذهبت النار، ففعل ذلك مراراً، فقال ذلك الغلام: قاتلكما الله ما أجلدكما والله ما فعلتها بآدمي إلّا وانخلع فؤاده،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٢ ـ ٤١٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٤ ـ ٤١٥.

ثم غاب عنهما فلم يعلما خبره[١].

وقال أبو البلاد الطهوي ـ ويروى لتأبّط شرّاً:

لهان على جهينة ما ألاقي ... من الروعات يوم رحى بطان
لقيت الغول تسري في ظلام ... بسهب كالعباءة صحصحان
فقلت لها كلانا نِقض أرض ... أخو سفر فخلّي لي مكاني
فشدّت شدةً نحوي فأهوى ... لها كفي بمصقول يماني
فقالت زد فقلت رُوَيْدَ إنّي ... على أمثالها ثبت الجنان

والذين يروون هذا الشعر لتأبط شراً يروون أوّله:

ألّا من مبلغٌ فتيات جهم ... بما لاقيت عند رحى بطان
بأني قد لقيت الغول تلوي ... بمرتٍ كالصحيفة صحصحان
فصدّت فانتحيت لها بعضب ... حسام غير مؤتشب يماني
فقدّ سراتها والبرك منها ... فخرّت لليدين وللجِران
فقالت ثنّ قلت لها رويداً ... مكانك إنّني ثبت الجنان
ولم أنفك مضطجعاً لديها ... لأنظر مصبحاً ماذا دهاني
إذا عينان في رأس دقيق ... كرأس الهرّ مشقوق اللسان
وساقاً مخدج ولسان كلب ... وثوب من عباء أو شنان

وقال البهراني:

وتزوجت في الشبيبة غولاً ... بغزالٍ وصَدْقَتِي زِقُّ خمرِ

قال الجاحظ: أصدقها الخمر لطيب ريحها والغزال لأنّه من مراكب الجن.

وقال أبو عبيد بن أيوب العنبري أحد لصوص العرب:

---

(١) المصدر نفسه.

تقول وقد ألممت بالأمس لَمَّة ... مخضّبة الأطراف خرس الخلاخل
أهذا خدين الغول والذئب والذي ... يهيم بربّات الحجال الهراكل
رأت خَلَقَ الدَّرسين أسود شاحباً ... من القوم بسّاماً كريم الشمائل
تعوّد من آبائه فتكاتهم ... وإطعامهم في كلّ غبراء شامل
إذا صاد صيداً لفّه بضرامه ... وشيكاً ولم ينظر لغلي المراجل
فنهساً كنهس الصقر ثُمَّ مراسه ... بكفّيه رأس الشيحة المتمائل[1]

ومن هذه الأبيات:

إذا ما أراد الله ذلّ قبيلة ... رماها بتشتيت الهوى والتخاذل
وأول عجز القوم عمّا ينوبهم ... تقاعدهم عنه وطول التواكل
وأوّل خبث الماء خبث ترابه ... وأوّل لؤم القوم لؤم الحلائل

وهذا الشعر من جيّد شعر العرب، وإنّما كان غرضنا منه متعلقاً بأوله وذكرنا سائره لمّا فيه من الأدب. وقال عبيد بن أيوب:

وصار حليل الغول بعد غراره ... صفيّاً وربّته القفار البسابس

وقال أيضاً:

فلله درّ الغول أيُّ رفيقة ... لصاحب قفر في المهامه يذعر
أرنّت بلحنٍ بعد لحن وأوقدت ... حواليَّ نيراناً تلوح وتَزهر

وقال أيضاً:

وغولا قفرةٍ ذكر وأُنثى ... كأنّ عليهما قطع البجاد

وقال أيضاً:

فقد لاقت الغزلان منّي بليّة ... وقد لاقت الغيلان منّي الدواهيا

وقال البهراني في قتل الغول:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٥ ـ ٤١٦.

ضربت ضربة فصارت هباءً   في محاق القمراء آخر شهر

وقال أيضاً يزعم أنّه لمّا ثنّى عليها الضرب عاشت:

فثنّيت والمقدار يحرس أهله   فليت يميني يوم ذلك شلّت[1]

وقال تأبط شرّاً يصف الغول ويذكر أنّه راودها عن نفسها فامتنعت عليه فقتلها:

فأصبحت والغول لي جارة   فيا جارةً أنت ما أغولا

وطالبتها بُضعها فالتوت   فكان من الرأي أن تُقتلا

فجلّلتها مرهفاً صارماً   أبان المرافق والمفصلا

فطار بقحف ابنة الجن ذو   شقاشق قد أخلق المحملا

فمن يك يسأل عن جارتي   فإنّ لها باللّوى منزلا

غطاءةُ أرضٍ لها حلّتا   ن من ورق الطلح لم تُغزلا

وكنت إذا ما هممتُ اهتبلتُ   وأحرى إذا قلت أن أفعلا

ومن أعاجيبهم أنّهم كانوا إذا طالت علّة واحد منهم وظنّوا أنّ به مسّاً من الجن لأنّه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً؛ عملوا جمالاً من طين وجعلوا عليها جوالقَ وملأوها حنطة وشعيراً وتمراً وجعلوا تلك الجمال في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس وباتوا ليلتهم تلك، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال من الطين فإن رأوا أنّها بحالها قالوا: لم تقبل الدّية فزادوا فيها، وإن رأوها قد تساقطت وتبدّد ما عليها من الميرة قالوا: قد قبلت الدية، واستدلّوا على شفاء المريض وفرحوا وضربوا بالدفّ، قال بعضهم:

قالوا وقد طال عنائي والسقم   إحمل إلى الجنّ جمالات وضم

فقد فعلت والسقام لم يرم   فبالّذي يملك بُرئي أعتصم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٦ ـ ٤١٧.

وقال آخر:

فياليت أن الجن جازوا حمالتي ... وزحزح عنّي ما عناني من السقم
ويا ليتهم قالوا انطِقا كلَّ ما حوت ... يمينك في حرب عماس وفي سلم
أعلل قلبي بالذي يزعمونه ... فياليتني عوفيت في ذلك الزعم[1]

وقال آخر:

أرى أنّ جِنّان النويرة أصبحوا ... وهم بين غضبان عليّ وآسف
حملتُ ولم أَقبل إليهم حمالة ... تسكّن عن قلب من السقم تالِفِ
ولو أنصفوا لم يطلبوا غير حقّهم ... ومن لِيَ من أمثالهم بالتناصف
تغطَّوا بثوب الأرض عنّي ولو بدوا ... لأصبحت منهم آمناً غير خائف

وكانوا إذا غم عليهم أمر الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاءوا إلى بئر عادية أو حفر قديم ونادوا فيه «يا فلان» أو «يا أبا فلان» ثلاث مرات، ويزعمون أنّه ان كان ميتاً لم يسمعوا صوتاً وإن كان حيّاً سمعوا صوتاً ربّما توهّموه وهماً أو سمعوه من الصدى فبنوا عليه عقيدتهم، قال بعضهم:

دعوت أبا المغوار في الحفر دعوة ... فما آض صوتي بالذي كنت داعيا
أظن أبا المغوار في قعر مظلم ... تجر عليه الذاريات السوافيا

وقال آخر:

وكم ناديته والليل ساج ... بعادي البئار فما أجابا

وقال آخر:

غاب فلم أرجُ له إيابا ... والحفر لا يَرجع لي جوابا
وما قرأت مذ نأى كتابا ... حتى متى أستنشد الرّكابا
عنه وكلٌّ يمنع الخطابا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٧ ـ ٤١٨.

وقال آخر:

ألم تـعلمي أنّـي دعـوت مـجاشعاً   من الحفر والظلماءُ بـادٍ كسورها
فـــجاوبني حـتّى ظـننت بأنّــه   سيطلع من جوفاء صعب خُدورها
فـقد سكـنت نـفسي وأيـقنت أنّـه   سيقدم والدنـيا عـجاب أمـورها[1]

وقال آخر:

دعوناه من عاديّة نضب ماؤها   وهدّم جاليها اختلاف عـصور
فـرد جـوابـاً مـا شككت بأنّـه   قـريباً إليـنا بـالاياب يـصير

أقوى في البيت الثاني وسكن «نَضَبَ» ضرورة، كما قال «لو عُصْرَ منه البان والمسك انعصر».

ومن أعاجيبهم أنّهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساء فبلن بين الصفين يرون أن ذلك يطفئ نار الحرب ويقودهم إلى السلم، قال بعضهم:

لقـونا بأبـوال النسـاء جـهالة   ونحن نلاقيهم ببيض قـواضب

وقال آخر:

بالت نساء بني خراشة خـيفة   مـنّا وأدبـرت الرجـال شـلالا

وقال آخر:

بالت نساؤهم والبيض قد أخذت   منهم مآخذ يستشفى بـها الكَلِبُ

وهذان البيتان يمكن أن يراد بهما أن النساء بلن خـيفة وذعـراً لا عـلى المعنى الذي نحن في ذكره.

وقال آخر:

هـيهات ردُّ الخـيل بـالأبوال   إذا غدت في صور السـعالي

وقال آخر:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤١٩ ـ ٤٢٠.

جعلوا السيوف المشرفية منهم بـول النسـاء وقـلّ ذاك غـناءا

فأمّا ذكرهم عزيف الجن في المفاوز والسباسب فكثير، كقول بعضهم:

وخـرق تـحدث غـيطانه حديث العذارى بأسرارهـا

وقال آخر:

وَدوِّيَّـةٍ سَـبسَبٍ سَـمْلَقٍ من البيد تعزف جِنّانُها[١]

وقال الأعشى:

وبهماء تعزف جنّانها مناهلها آجنات سـدم

وقال:

وبلدة مثل ظهر الترس موحشة للجنّ باللّيل في حـافاتها زجـل

وقال آخر:

ببيداء في أرجائها الجنُّ تعزف[٢]

وقال الشرقي بـن القـطامي: كـان رجـل مـن كـلب يـقال له عـبيد بـن الحمارس شجاعاً وكان نازلاً بالسماوة أيام الربيع، فلمّا حسر الربـيع وقـل ماؤه وأقلعت انواؤه تحمّل إلى وادي تُبل فرأى روضة وغديراً فقال: روضة وغدير وخطب يسير وأنا لمّا حويت مجير، فنزل هـناك وله امـرأتـان اسـم إحداهما الرَّباب والأُخرى خولة، فقالت له خولة:

أرى بـلدة قـفراً قـليلاً أنـيسها وإنّا لنخشى إن دجا الليل أهلها

وقالت له الرباب:

أرتك برأيي فاستمع عنك قولها ولا تأمنن جنّ العزيف وجهلها

فقال مجيباً لهما:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٠ ـ ٤٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢١.

ألستُ كمياً في الحروب مجرّباً شجاعاً إذا شبت له الحزب محربا
سريعاً إلى الهيجا إذا حمس الوغا فأقسم لا أعدو الغدير منكبا

ثم صعد إلى جبل تُبل فرأى شيهمة ـ وهي الأُنثى من القنافذ ـ فرماها فأقعصها ومعها ولدها فارتبطه، فلمّا كان الليل هتف به هاتف من الجن:

يابن الحُمارس قد أسأت جوارنا وركبت صاحبنا بأمر مفظع
وعقرت لقحته وقدت فصيلها قوداً عنيفاً في المنيف الأرفع
ونزلت مرعى شائناً وظلمتنا والظلم فاعله وخيم المرتع
فلنطرقنك بالذي أوليتنا شر يجيئك ماله من مدفع

فأجابه ابن الحُمارس:

يا مدّعي ظلمي ولست بظالم إسمعْ أُريك مقالتي وتسمَّع
إن كنتُمْ جِنّاً ظلمتم قُنفذاً عقرت فشرُّ عقيرة في مصرع
لا تطمعوا فيما لديَّ فمالكم فيما حويت وحزته من مطمع

فأجابه الجنّي:

يا ضارب اللقحة بالعضب الأفل قد جاءك الموت ووافاك الأُجل
وساقك الحين إلى جن تُبَل فاليوم أقويت وأعيتك الحيل

فأجابه ابن الحُمارس:

يا صاحب اللّقحة هل أنت بَجَل مستمع مني فقد قلت الخطل
وكثرة المنطق في الحرب فشل هيجت قمقاماً من القوم بطل
ليث ليوث وإذا همَّ فعل لا يرهب الجنّ ولا الانس أجل

من كان بالعقوة من جن تُبل

فسمعها شيخ من الجن فقال: لا والله لا نرى قتل إنسان مثل هذا ثابت القلب ماضي العزيمة. ثم قام وأنشد:

يا ابن الحمارس قد نزلت بلادنا فأصبت منها مشرباً ومناما
فبدأتنا ظلماً بعقر لقوحنا وأسأت لمّا أن نطقت كلاما
فاعمد لأمر الرشد واجتنب الرّدى إنّا نرى لك حرمة وذماما
واغرم لصاحبنا لقوحاً متبعاً فلقد أصبت بما فعلت أثاما

فأجابه ابن الحمارس:

الله يعلم حيث يرفع عرشه أنّي لأكره أن أُصيب أثاما
أمّا ادُّعاؤك ما ادَّعيت فإنّني جئت البلاد ولا أُريد مقاما
فأسمت فيها مالنا ونزلتها لأُريح فيها ظهرنا أيّاما
فليغد صاحبكم علينا نعطه ما قد سألت ولا نراه غراما

ثم غرم للجن لقوحاً متبعاً للقنفذ وولدها.

وهذه الحكاية وإن كانت كذباً إلّا أنّها تتضمّن أدباً وهي من طرائف أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وإمتاعها، ويقال: إن الشرقي كان يضع أشعاراً وينحلها غيره[1].

فأما مذهب العرب في أنّ لكلّ شاعر شيطاناً يلقي إليه الشعر فمشهور والشعراء كافة عليه، قال بعضهم:

إنّي وإن كنت صغير السنّ وكان في العين نبوٌّ عنّي
فإنّ شيطاني أمير الجنّ يذهب بي في الشعر كلّ فن

وقال حسان بن ثابت:

إذا ما ترعرع فينا الغلام فما أن يقال له من هوه
إذا لم يسد قبل شدّ الإزار فذلك فينا الذي لا هوه
ولي صاحب من بني الشيصبان فطوراً أقول وطوراً هوه

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢١ ـ ٤٢٤.

وكانوا يزعمون أنّ اسم شيطان الأعشى مسحل واسم شيطان المخبل عمرو قال الأعشى:

دعوت خليلي مسحلا ودعوا له جهنّام جدعاً للهجين المذمم

وقال آخر:

لقد كان جنّيُّ الفرزدق قدوة وما كان فينا مثل فحل المخبّل

ولا في القوافي مثل عمرو وشيخه ولا بعد عمرو شاعر مثل مسحل[1]

قلت: ومرَّ قول أبي النجم:

إنّي وكلّ شاعر من البشر شيطانه أُنثى وشيطاني ذكر

قلت: وقالوا أنشد الفرزدق الصدر من أبيات لجرير فينشد الفرزدق العجز لها، فتعجب المنشد فقال له الفرزدق: أو ما علمت أن شيطاننا واحد.

قال: وأنشد الخالع فيما نحن فيه لبعض الرجاز:

ان الشياطين أتوني أربعه في غلس الليل وفيهم زوبعه

وهو لا يدل على ما نحن فيه فلا وجه لإدخاله في هذا الموضع.

ومن مذاهبهم أنّهم كانوا إذا قتلوا الثعبان خافوا من الجن أن يأخذوا بثأره فيأخذون روثه ويفتونها على رأسها ويقولون «روثة راث ثائرك»، قال بعضهم:

طرحنا عليه الروث والزجر صادق فراث علينا ثأرُه والطوائلُ

وقد يُذرّ على الحيّة المقتولة يسير رماد ويقال لها: «قتلك العين فلا ثأر لك»، وفي أمثالهم لمن ذهب دمه هدراً «هو قتيل العين» قال الشاعر:

ولا أكن كقتيل العين وسطكم ولا ذبيحة تشريق وتنحار

فأما مذهبهم في الخرزات والأحجار والرُّقى والعزائم فمشهور، فمنها

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٤.

«السُّلوانة» ويقال: «السَّلوة»، وهي خرزة يسقى العاشق منها فيسلو في زعمهم وهي بيضاء شفّافة، قال:

لو أشرب السلوان ما سليت ما بي غنىً عنكم وإن غنيت[١]

وقال اللِّحياني: السلوانة تراب من قبر يسقى منه العاشق فيسلو، وقال عروة ابن حزام:

جعلت لعرّاف اليمامة حكمه وعرّاف نجد إن هُما شَفيَاني

فقالا نعم نشفي من الداء كلّه وقاما مع العُوّاد يبتدران

فما تركا من رُقيةٍ يعرفانها ولا سَلوة إلّا وقد سقياني

وقال آخر:

سقوني سلوةً فسلوت عنها سقى الله المنيّة من سقاني

قال: أي سلوت عن السلوة واشتد بي العشق ودام[٢]

قلت: ما فسره خلاف الظاهر، والظاهر ان المراد سلوت عن المحبوبة، وإنّما دعا عليها لأن عنده في العشق لذة أزالها الراقي. فقالوا: عشق رجل جارية مملوكة، فقالوا اشترها، قال: إذن يذهب عشقي وفي العشق لذة. وقال الشمردل:

ولقد سقيت بسلوة فكأنّما قال المداوي للخيال بها ازدد[٣]

ومن خرزاتهم «الهنمة» تجلب بها الرجال ويعطف بها قلوبهم، ورقيتها: أخذته بالهِنْمَه؛ بالليل زوج وبالنهار أَمَةْ.

ومنها «الفطسة» و «القبلة» و «الدردبيس» كلّها لاجتلاب قلوب الرجال،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٢٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٢٦.

قال الشاعر:

جـمّعن من قبل لهنّ فطسة والدردبيس تمائماً في منظم

فانقاد كلّ مشذّب مَرِسِ القوى لحبالهن وكلّ جلد شيظم

وقيل: الدردبيس خرزة سوداء تتحبّب بها النساء إلى بعولتهن، توجد في القبور العادية، ورقيتها:

أخذته بالدردبيس، تدر العرق اليبيس، وتذر الجديد كالدريس.

وأنشد:

قطعت القيد والخرزات عنّي فمن لي من علاج الدردبيس

وأصل الدردبيس الداهية، ونقل إلى هذه لقوة تأثيرها.

ومن خرزاتهم «القرزحلة»، أنشد ابن الأعرابي:

لا تنفع القرزحلة العجائزا إذا قطعنا دونها المفاوزا

وهي من خرز الضرائر إذا لبستها المرأة مال إليها بعلها دون ضرّتها.

ومنها خرزة «العُقرة» تشدها المرأة على حقويها فتمنع الحبل، ذكر ذلك ابن السّكّيت في إصلاح المنطق.

ومنها «الينجَلِب»، ورقيتها:

أخذته بالينجلب فلا يرم ولا يغب

ولا يزل عند الطُّنُب

ومنها: «كَرَار»، ورقيتها:

يا كَرارُ كُرِّيه إن أقبلَ فسُرِّيه

وإن أدبر فضُرّيه من فرجه إلى فيه

ومنها «الهمرة»، ورقيتها:

يا همرة اهمريه من أُسته إلى فيه

وماله وبنيه

ومنها: «الخصمة» خرزة الدخول على السلطان والخصومة تجعل تحت فص الخاتم أو في زر القميص أو في حمائل السيف، قال بعضهم:

يعلق غيري خصمة في لقائهم ... ومالي عليكم خصمة غير منطقي

ومنها: «الوجيهة» وهي كالخصمة حمراء كالعقيق.

ومنها: «العطفة» خرزة العطف، و «الكحلة» خرزة سوداء تجعل على الصبيان لدفع العين عنهم، و «القبلة» خرزة بيضاء تجعل في عنق الفرس من العين، و «الفطسة» خرزة يمرض بها العدو ويقتل ورقيتها:

أخذته بالفطسه ... بالثوباء والعطسه

فلا يزال في تعسه ... من أمره ونكسه

حتى يزور رمسه

ومن رقاهم للحب:

هَوابَه هَوابَه ... ألبرق والسحابه

أخذته بمركن ... فحبه تمكن

أخذته بابره ... فلا يزل في عبره

جلبته بإشفى ... فقلبه لا يهدا

جلبته بمبرد ... فقلبه لا يبرد

وترقى الفارك زوجها إذا سافر عنها فتقول: «بأفول القمر، وظلّ الشجر، شمال تشمله، ودبور تدبره، ونكباء تنكبه، شيك فلا انتعش». ثم ترمي في أثره بحصاة ونواة وروثة وبعرة وتقول:

حصاة حصت أثره ... نواة أنأت داره

روثة راث خبره ... لقعته ببعره

وقالت فارك في زوجها:

أتبعته إذ رحل العيس ضحى بعد النواة روثة حيث انتوى
الروث للريث وللنأي النوى

وقال شاعر:

رمت خلفه لمّا رأت وشك بينه نواة تلتها روثة وحصاةُ
وقالت نأت منك الديار فلا دنت وراثت بك الأخبار والرَّجعاتُ
وحصّت لك الاثار بعد ظهورها ولا فارق الترحال منك شتاتُ

وقال رجل يخاطب امرأته:

لا تقذفي خلفي إذا الركب اغتدى روثة عير وحصاة ونوى
لن يدفع المقدار أسباب الرُّقى ولا التهاويل على جن الفلا

وهذا الرجز أورده الخالع في هذا المعرض، وهو بأن يدل على عكس هذا المعنى أولى، لأن قوله «لن يدفع المقدار بالرقي ولا بالتهاويل على الجن» كلام يشعر بأن قذف الحصاة والنواة خلفه كالعوذة له لا كما تفعله الفارك التي تتمنى الفراق[1].

قلت: بل دلالته على عين المعنى في غاية الوضوح، فإن قذف الروثة والحصاة والنواة ليس إلّا لعدم الرجوع، ولم يقل أحد إنّها تكون للعوذة له من البلاء، وأما قوله «لن يدفع المقدار الرقى» فمعناه أنّه لو كان رجوعي مقدراً لا تأثير لرقاك كما لا تأثير للرقى في التهاويل على الجن.

قال: فأمّا مذهبهم في القيافة والزجر والكهانة واختلافهم في السانح والبارح وتشّامهم باللفظة والكلمة وتأويلهم لها وتيمّنهم بكلمة أُخرى وما كانوا يفعلونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام، فكلّه معروف لا حاجة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٤٢٦ ـ ٤٢٨.

لنا إلى ذكره هاهنا...[١].

قلت: قال أبو عبيدة: سأل يونس رؤبة ـ وأنا شاهد ـ عن السانح والبارح، فقال: السانح ما ولّاك ميامنه والبارح ما ولّاك مياسره، والعرب تتيمّن بالسانح وتتشأم بالبارح، وفي المثل «من لي بالسانح بعد البارح»، وقال الأعشى «جرت لهما طير السناح بأشأم»، وفي المثل: «إنّما هو كبارح الأُرْوِيِّ». قال (الجوهري): الأرْوِيّ مساكنها في قنان الجبال لا يكاد الناس يرونها سانحة ولا بارحة إلّا في الدهور مرة[٢].

وفي (المروج): حدّث المنقري عن العتبي: وقف عبيد الراعي ذات يوم مع ركب من ثقيف على نفر وكانوا يريدون استقصاد رجل من تميم إذ سنحت ظباء سود منكرة، ثم اعترضت الركب مقصرة في حضرها واقفة على شأنها، فأنكر ذلك عبيد الراعي ولم ينتبه له أصحابه، فقال عبيد:

ألم تدر ما قال الظباء السوانح أطفن أمام الركب والركب رائح

فكرّ الّذي لم يعرف الزجر منهم وأيقن قلبي أنّهن نوائح

ثم شارفوا مقصدهم فألفوا الرئيس قد نهشته أفعى فأتت عليه.

قال أبو عبيدة: وهذا من غريب الزجر، وذلك أنّ السانح مرجو عند العرب والبارح هو المخوف، وأظن عبيداً إنّما زجر الظباء في حال رجوعها ووصف الحال الأول في شعره، كما أنّ من شرط الواصف أن يبدأ بهوادي الأسباب فيوضّح عنها، فهذا وجه زجر عبيد في شعره[٣].

وفي (المروج) (ذكر ما ذهب إليه العرب في النفوس والهام والصفر

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٩ : ٤٢٩.

(٢) الصحاح للجوهري ١: ٢٣٧٦ ـ ٢٣٧٧.

(٣) مروج الذهب ٢: ١٤٨.

وغيرها) منهم من زعم ان النفوس في الدم لا غير، وان الروح الهواء الذي في باطن جسم المرئي منه نفسه، ولذلك سمّوا المرأة نفساء لمّا يخرج منها من الدم، ولذلك تنازع الفقهاء فيما له نفس سائلة إذا سقط في الماء هل ينجسه أم لا، وقال تأبّط شرّاً لخاله الشنفرى «ألجمته عضباً فسالت نفسه سكباً».

وقالوا: إنّ الميّت لا ينبعث منه الدم ولا يوجد فيه، والنماء مع الحرارة والرطوبة، لأن كلّ حي فيه حرارة ورطوبة فإذا مات بقي اليبس والبرودة، قال ابن براق:

وكم لاقيت ذا نجب شديد   تسيل به النفوس على الصدور
إذا الحرب العوان به استهامت   وحال فذاك يوم قمطرير

وطائفة منهم تزعم أنّ النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قتل لم يزل مطيفاً به متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً، وفي ذلك يقول بعضهم:

سلط الطير والمنون عليهم   فلهم في صدى المقابر هام

وهذا الطائر يسمّونه «الهام» والواحدة هامة، وجاء الإسلام وهم على ذلك حتى قال النبي صلى الله عليه وآله «لا هام ولا صَفَرَ».

ويزعمون أنّ هذا الطائر يكون صغيراً ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم وهي أبداً تتوحش في الديار المعطلة والنواويس وحيث مصارع الموتى.

ويزعمون أنّ الهامة لا تزال عند ولد الميت في محلته بفنائهم لتعلم ما يكون بعده فتخبره به حتى قال الصلت بن أُمية لبنيه:

هامتي تخبّرني بما تستشعروا   فتجنبوا الشنعاء والمكروها

وعن حاتم طي وسنورد خبره:

أتيت لصحبك تبغي القرى ... لدى حفر صدحت هامها[1]

وللعرب في الغيلان أخبار ظريفة، يزعمون ان الغول يتغول لهم في الخلوات ويظهر لخواصهم في أنواع من الصور فيخاطبونها وربّما ضيّفوها، وقد أكثروا من ذلك في أشعارهم، منها قول تأبط شرّاً:

وأدهم قد جبت جلبابه ... كما اجتابت الكاعب الخيعلا

فأصبحت والغول لي جارة ... فيا جارتي أنت ما أهولا

ويزعمون أن رجليها رجلا عنز.

وكانوا إذا اعترضتهم الغول في الفيافي يرتجزون ويقولون:

يا رجل عنز إنهقي نهيقا ... لن نترك السبسب والطريقا

وذلك انها كانت تتراءى لهم في الليالي وأوقات النهار فيتوهمّون أنّها إنسان فيتبعونها فتزيلهم عن الطريق التي هم عليها وتتيههم، وكان ذلك قد اشتهر عندهم وعرفوه فلم يكونوا يزولون عمّا كانوا عليه من القصد، فإذا صيح بها على ما وصفنا شردت عنهم في بطون الأودية ورؤوس الجبال.

قال: وقد ذكر جماعة من الصحابة منهم عمر بن الخطاب أنّه شاهد ذلك في بعض أسفاره إلى الشام قبل الإسلام، وهذا مشهور عندهم في أخبارهم.

وحكي عن بعض المتفلسفين أنّ الغول حيوان شاذٌّ من جنس الحيوان لم تحكمه الطبيعة وأنه لمّا خرج منفرداً في نفسه وهيئته توحّش من مسكنه فطلب القفار وهو يناسب الإنسان والحيوان البهيمي في الشكل.

وذهبت طوائف من الهند إلى أنّ ذلك إنّما يظهر من فعل ما كان غائباً من الكواكب عند طلوعها مثل طلوع الكوكب المعروف بكلب الجبار، وهي الشعرى العبور، وأنّ ذلك داء يحدث في الكلاب، وسهيل في الحمل والذئب في

---

(١) مروج الذهب ٢: ١٣٢ ـ ١٣٤ بتصرف.

الدب، وحامل رأس الغول يحدث عند طلوعه تماثيل وأشخاص تظهر في الصحاري وغيرها من العالم فتسمّيه عوام الناس غولاً وهي ثمانية وأربعون كوكباً وقد ذكرها بطليموس.

وزعمت طائفة: أن الغول اسمٌ لكل شيء يعرض للسُّفّار ويتمثّل في ضروب من الصور ذكراً كان أو أُنثى إلاّ أنّ أكثر كلامهم على أنّه أُنثى. وقد قال أبو المطراب:

وحالفني الوحوش على الوفاء ... وتحت عهودهن وبا البعاد

وغولاً قفرة ذكراً وأنثى ... كأن عليهما قطع النجاد

وقال كعب بن زهير الصحابي:

فما تدوم على حال تكون بها ... كما تَلَوَّنُ في أثوابها الغول

وكانت العرب قبل الإسلام تزعم أنّ الغيلان توقد بالليل النيران للعبث والتحيل واختلال السابلة، قال أبو المطراب:

فلله در الغول أي رفيقة ... لصاحب قفر حالف وهو معبر

أرنَّت بلحن بعد لحن وأوقدت ... حواليَّ نيراناً تلوح وتزهر

وقد فرّقوا بين السعلاة والغول، قال عبيد بن أيّوب:

وساخرة منّي ولو أنَّ عينها ... رأت ما رأت عيني من الهول جُنّت

أبيت بسعلاة وغول بقفرة ... إذا الليل وارى اللحن فيه أرنّت

ووصفها بعضهم فقال:

وحافر العنز في ساق مدملجة ... وجفن عين خلاف الإنس بالطول

وللناس كلام كثير في الغيلان والشياطين والمردة والجن والقطرب والقدار ـ وهو نوع من أنواع المتشيطنة ـ يعرف بهذا الإسم يظهر في أكناف اليمن والتهائم وأعالي صعيد مصر، وانّه ربما يلحق الإنسان فينكحه فيتدوَّد

دبره فيموت وربما يتوارى للانسان فيذعره، فإذا أصاب الإنسان ذلك منه يقول له أهل تلك النواحي: «أمنكوح أم مذعور؟» فإن قال: منكوح يئس منه وان كان مذعوراً اسكن روعه، وذلك أنّ الإنسان إذا عاين ذلك سقط مغشياً عليه، ومنهم من لا يكترث به لشهامة قلبه وشجاعة نفسه.

(وفيه): وذكر عن علقمة بن صفوان بن أُمية الكناني جد مروان بن الحكم لأُمّه أنّه خرج في بعض الليالي يريد مالاً له بمكة، فانتهى الى الموضع المعروف بـ«حائط حرمان» فإذا هو بشق قد ظهر له وقال:

علقم إنّي مقتول وإنّ لحمي مأكول

أضربهم بالمسلول ضرب غلام مشمول

رحب الذراع بهلول

فقال علقمة:

شقّ مالي ولك إغمد عني مُنصُلَكْ

تقتل من لا يقتلك؟

فقال شق:

علقم، غنيت لك كيما أُبيح معقلك

فاصبر لمّا قد حُمَّ لك

فضرب كلّ منهما صاحبه فخرا ميتين، وهذا مشهور عندهم وأن علقمة قتلته الجن. وذكر عن الجن بيتين من الشعر قالتهما في حرب بن أُمية حين قتلته وهما:

وقبر حرب بمكان قفر وليس قرب قبر حرب قبر

واستدلّوا على أنّ هذا من قول الجنّ أنّ أحداً من الناس لم يتأتّ له أن ينشد هذين البيتين ثلاث مرات متواليات لا يتتعتع في إنشادها، لأن الإنسان

قد ينشدو العشرين بيتاً والأقل والأكثر أشد من هذا الشعر وأثقل ولا يتتعتع فيه[١].

وممّن قتلته الجن: مرداس السلمي، وهو أبو (عباس بن مرداس السلمي).

ومنهم: الغريض المغنّي بعد أن ظهر غناؤه، وقد كانت الجن نهته أن يغنّي بأبيات من الشعر فغناها فقتلته.

وعن منصور بن يزيد الطائي قال: رأيت قبر حاتم طيء ببيعة ـ وهو أعلى جبل له واد يقال له الحامل ـ وإذا قدر عظيمة من بقايا قدور حجرٍ مكفأة في ناحية من القبر من القدور التي كان يطعم فيها الناس، وعن يمين قبره أربع جوار من حجارة وعلى يساره أربع جوار من حجارة كلّهن صاحبة شعر منشور متحجّرات على قبره كالنائحات عليه لم ير مثل بياض أجسامهن وجمال وجوههن، مثّلهن الجن على قبره ولم يكن قبل ذلك، والجواري بالنهار كما وصفنا فإذا هدأت العيون ارتفعت أصوات الجن بالنياحة عليه ونحن في منازلنا نسمع ذلك إلى أن يطلع الفجر، فإذا طلع سكتن وهدأن، وربما مرّ المارّ فيراهن فيفتتن بهن فيميل إليهن عجباً بهن، فإذا دنا وجدهن حجارة[٢].

وحدث ابن دريد عن أبي حاتم السجستاني عن أبي عبيدة معمر بن المثنى قال: سمعت شيخاً من العرب قد أناف على المائة يقول: إنّه خرج وافداً على بعض ملوك بني أُمية، قال: فسرت في ليلة صهاكية حالكة كأن السماء قد برقعت نجومها بطرائق السحاب وضلَلْتُ الطريق، فتولّجت وادياً لا أعرفه فأهمتني نفسي بطرحها حتى الصباح، فلم آمن عزيف الجن فقلت: «أعوذ بربّ

---

(١) مروج الذهب ٢: ١٣٤ ـ ١٤١.

(٢) مروج الذهب ٢: ١٤١ ـ ١٤٢.

هذا الوادي من شرّه وأستجيره في طريقي هذا وأسترشده»، فسمعت قائلاً يقول من بطن الوادي:

تيامن تجاهك تلق الكلا تسير وتأمن في المسلك

فتوجهت حيث أشار إليّ وقد أمنت بعض الأمن، فإذا أنا بأقباس نار تلمع أمامي في خللها كالوجوه على قامات كالنخيل السحيقة، فسرت وأصبحت بأوشال ـ وهو ماء لكلب يقارب برية دمشق ـ وقد ذكر الله تعالى ذلك من فعلهم فقال ﴿وأنّه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقاً﴾[١].

قلت: وقال ابن قتيبة تقول العرب: ان الهدهد أُمّه ماتت فدفنها في رأسه فلذلك أنتنت ريحه، وقد ذكر هذا أُمية بن أبي الصلت فقال:

غيم وظلماء وفضل سحابة أيام كفن واستراد الهدهد
يبغي القرار لأُمه ليجنها فبنى عليها في قفاه يمهد
فيزال يدلج ما مشى بجنازة منها وما اختلف الحديد المسند[٢]

وقال: وتقول العرب في الديك والغراب: إنهما كانا متنادمين، فلمّا نفد شرابهما رهن الغراب الديك عند الخمّار ومضى فلم يرجع إليه وبقي الديك عنده حارساً، قال أُمية أيضاً:

بآية قام ينطق كلّ شيء وخان أمانة الديك الغراب

وفي (الصحاح): والهديل فرخ كان على عهد نوح عليه السلام فصاده جارح من جوارح الطير قالوا: فليس من حمامة إلّا وتبكي عليه، قال:

---

(١) مروج ٢: ١٤٣ ـ ١٤٤، والآية من سورة الجنّ: ٦.

(٢) ابن قتيبة

وما من تهتفين به لنصر بأسرع جابة لك من هديل[١]

(وفي حيوان الجاحظ): من خرافات العرب ما ذكروا أن جرهماً كان من نتاج ما بين الملائكة وبنات آدم، وكان الملك من الملائكة إذا عصى ربّه في السماء أهبطه إلى الأرض في صورة البشر وفي طبيعته كما صنع بهاروت وماروت حين كان من شأنهما وشأن الزهرة ـ وهي أناهيد ـ ما كان فلمّا عصى الله تعالى ملك وأهبطه إلى الأرض في صورة رجل تزوج أُم جرهم فولدت جرهماً، ولذلك قال شاعرهم:

لاهمّ إنّ جرهماً عبادكا النّاس طارف وهم تلادكا

ومن هذا النسل ومن هذا التركيب كانت بلقيس ملكة سبأ، وكذلك كان ذو القرنين أُمه «فيرى» كانت آدمية وأبوه «عبرى» من الملائكة، ولذلك لمّا سمع عمر بن الخطاب رجلاً ينادي يا ذا القرنين قال: أفرغتم من أسماء الأنبياء فارتفعتم إلى أسماء الملائكة[٢].

قلت: ومن خرافاتهم أنّهم كانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دعي عليه فاضطجع لجنبه لم يصبه الدعاء، كأنّهم يزعمون أنّه مثل ما لو كان الإنسان في مكان يرمى فيه بالسهام فاضطجع لم يصبه سهم.

فلمّا أسر الكفار خبيب بن عدي الأوسي أحد العشرة الذين بعثهم النبي ﷺ عيناً وباعوه بمكة بعد بدر من قريش فأخرجوه من الحرم وصلبوه، قال ابن هشام في سيرته، فلمّا أوثقوه للقتل قال: «اللّهم إنّا قد بلّغنا رسالة رسولك فبلغه الغداة ما يصنع بنا» ثم قال: «اللّهم أحصهم عدداً واقتلهم بدداً ولا تغادر منهم أحداً». قال معاوية: كنت حضرته مع أبي يومئذ فيمن

---

(١) صحاح للجوهري ٥ : ١٨٤٨ .

(٢) حيوان الجاحظ ٦ : ١٩٨ .

حضره فلقد رأيتني يلقيني أبي إلى الأرض فرقاً من دعوة خبيب، وكانوا يقولون: إنّ الرجل إذا دُعي عليه فاضطجع لجنبه زالت عنه.

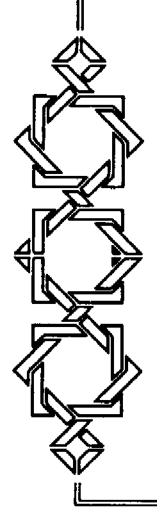
قلت: وفي حياة الحيوان للدميري: إنّ الصيّاد إذا أراد أن يصيد الضبع رمى في جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد، ويقال لها وهي في جحرها «أطرقي أم طريق، خامري أم عامر أبشري بجراد عطلى وشاة هزلى» فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها ورجليها ثم يجرّها.

والجاحظ يرى هذا من خرافات العرب[1].

(١) حياة الحيوان للدميري ١: ٥٢٠.

الفصل التاسع والعشرون

في ما يتعلق بعثمان وعمر





١
الخطبة (٧٥)

ومن كلام له عليه السلام لما بلغه اتهام بني أمية له بالمشاركة في دم عثمان:

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي! أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهَمَتِي! وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللّهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي.

أَنَا حَجِيجُ المَارِقِينَ، وَخَصِيمُ المُرتَابِينَ، وَعَلَى كِتَابِ اللّهِ تُعْرَضُ الأَمْثَالُ.

قول المصنف: «لمّا بلغه اتّهام بني أُميّة له بالمشاركة له في دم عثمان».

روى الطبريّ: أنّ عثمان صعد يوم الجمعة المنبر، فحمد الله وأثنى عليه، فقام رجل، فقال له: أقم كتاب الله. فقال عثمان: اجلس. فجلس حتّى قام ثلاثاً، فأمر به عثمان فأجلس [فجلس]، فتحاثوا بالحصباء حتى ما تُرى السماء؛ وسقط عثمان عن المنبر، وحُمل فأُدخل داره مغشيّاً عليه، ودخل عليّ عليه السلام

عليه وهو مغشيّ عليه، وبنو أُميّة حوله، فأقبلت بنو أُميّة بمنطق واحد، فقالوا: يا عليّ! أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع به! أما والله لئن بلغت الذي تريد لتُمرّنّ عليك الدّنيا. فقام عليّ عليه السلام مغضباً[1].

قوله عليه السلام: «أولم ينه أُميّة علمها بي عن قرفي» أي: عن رميي واتّهامي؛ قال الشاعر:

فكم يبقى على القَرَف الإخاءُ[2]

في (نقض الإسكافيّ): قال عليّ بن الحسين عليه السلام: قال لي مروان: ما كان في القوم أدفع عن صاحبنا من صاحبكم. قلت: فما بالكم تسبّونه على المنابر؟ قال: إنّه لا يستقيم لنا الأمر إلّا بذلك[3].

«أوَ ما وزع» أي: أوَ ما كفّ؛ ويقال للكلب: «وازع» لأنّه يكفّ الذئب عن الغنم.

«الجهّال سابقتي» في الإسلام.

«عن تهمتي» في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ رجلاً من همدان يُقال له برد قدم على معاوية، فسمع عمراً يقع في عليّ عليه السلام، فقال له: يا عمرو، إنّ أشياخنا سمعوا النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه» فحقّ ذلك أم باطل؟ فقال عمرو: حقّ، وأنا أزيدك أنّه ليس أحد من صحابة النّبيّ صلى الله عليه وآله له مناقب مثل مناقب عليّ. ففزع الفتى، فقال عمرو: إنّه أفسدها بأمره في عثمان. فقال برد: هل أمر أو قتل؟ قال: لا، ولكنّه آوى ومنع. قال: فهل بايعه النّاس عليها؟ قال: نعم. قال: فما أخرجك من بيتعه؟ قال: اتّهامي إيّاه في عثمان. قال له: وأنت

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٤ ـ ٣٦٥، سنة ٣٥، والنقل بتلخيص.

(٢) أساس البلاغة: ٣٦٣، مادة (قرف)، والبيت هكذا:

إذا ما الحاسدون سعوا فشنّوا ... فكم يبقى على القَرَف الإخاءُ

(٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٣: ٢٢٠.

أيضاً قد اتّهمت. قال: صدقت، وفيها خرجت إلى فلسطين. فرجع الفتى إلى قومه فقال: إنّا أتينا قوماً أخذنا الحجّة عليهم من أفواههم؛ عليّ على الحقّ فاتّبعوه[١].

وقال ابن أبي الحديد في شرح قوله عليه السلام: «أولم ينه أُميّة علمها بي...»: علمهم بمنزلته في الدين التي لا منزلة أعلى منها، وما نطق به الكتاب الصادق من طهارته وطهارة بنيه وزوجته؛ في قوله تعالى: ﴿إنّما يُريد الله ليُذهبَ عَنْكم الرّجسَ أهلَ البيتِ ويُطَهِّرَكم تطهيراً﴾[٢].

وقول النبيّ صلى الله عليه وآله له: «أنت منّي بمنزلة هارون من موسى» وترادف الأقوال والأفعال من النّبي صلى الله عليه وآله في أمره التي يضطرّ معها الحاضرون لها والشاهدون إيّاها إلى أنّ مثله عليه السلام لا يجوز أن يسعى في إراقة دم أمير مسلم لم يُحْدِث حدثاً يستوجب به إحلال دمه[٣].

قلت: غاية ما يستفاد من كلامه عليه السلام أنّه لم يشارك في دم عثمان دون ما ذكره من عدم إحلال دمه. وعدم مشاركته عليه السلام أعمّ من عدم إحلال دمه. ولو لم يكن حلال الدم كيف آوى قتلته كما مرّ من كلام عمرو[٤]؟

وكيف لم يعلمه عليه السلام حلال الدم وقد روى نصر بن مزاحم في (صفّين): أنّ معاوية بعث إلى حبيب بن مسلمة الفهريّ، وشرحبيل بن السمط، ومعن بن يزيد السلمي، فدخلوا على عليّ عليه السلام ـ إلى أن قال ـ: فقال شرحبيل ومعن لعليّ عليه السلام: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ فقال لهما: إنّي لا أقول ذلك. قالا: فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن برآء منه. ثمّ قاما فانصرفا. فقال

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٠٩.

(٢) الأحزاب: ٣٣.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٦٩ ـ ١٧٠. والنقل بتصرّف.

(٤) مرّ آنفاً.

عليّ عليه السلام: ﴿وَلا تُسْمِعُ الصّمَّ الدُّعاء إذا وَلَّوا مدبرين﴾[1].

وروى (صفّين نصر) أيضاً: أنّ عمرو بن العاص قال لعمّار: ما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله وعليّ معه. قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: كنت فيمن [مع من] قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار: وقد قالها قبلك فرعون إذ قال لقومه: ﴿...ألا تستمعون﴾... الخبر[2].

وروى (صفّين نصر) أيضاً: أنّ عمّاراً قام بصفّين فقال: عباد الله، امضوا إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعُدْوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمتْ لهم دنياهم [و] لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعَوْنها ولا يبالون لو انهدّتْ عليهم الجبال. والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنّه لظالم، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمروها، وعلموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً. ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً...[3].

وفي (الطبريّ): قال الزهريّ: خرج في سنة (٣١) محمّد بن أبي بكر،

---

(١) وقعة صفّين: ٢٠٠ ـ ٢٠٢، والنقل بتلخيص وتقطيع، والآية ٨٠ من سورة النمل.

(٢) وقعة صفّين: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، والآية ٢٥ من سورة الشعراء.

(٣) المصدر نفسه: ٣١٩.

ومحمّد بن أبي حُذيفة ـ وأبوه خال معاوية ـ إلى الجهاد مع عبد الله بن سعد، فأظهرا عيب عثمان، وأنّ دم عثمان حلال، وقالا: استعمل[١] عبد الله بن سعد وهو رجل كان النبيّ صلى الله عليه وآله أباح دمه ونزل القرآن بكفره[٢].

وكان محمّد بن أبي حُذيفة يقول: لقد تركنا خلفنا الجهاد حقّاً فيقال له: وأيّ جهاد؟ فيقول: جهاد عثمان، فعل كذا وكذا[٣].

وروى الطبريّ: أنّ من كان بالمدينة من الصحابة كتبوا إلى من بالثغور: أنّ دين محمّد صلى الله عليه وآله قد أُفسد من خلفكم وتُرك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد صلى الله عليه وآله. فأقبلوا من كلّ أُفق حتّى قتلوه[٤].

وروى الطبريّ أيضاً عن أبي كرب عامل عثمان على بيت ماله: أنّه دفن بين المغرب والعتمة؛ وأنّه لم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه وابنته، فرفعت صوتها تندبه، فأخذ النّاس الحجارة وقالوا: نعثل نعثل! وكادت ترجم[٥].

وروى الطبريّ أيضاً: أنّه نبذ ثلاثة أيّام لا يدفن؛ وأنّهم لم يغسّلوه ودفنوه في حَشّ كوكب[٦] مقبرة اليهود، وأنّ معاوية أمر النّاس في سلطنته بدفن موتاهم حوله حتّى اتصل بمقابر المسلمين[٧].

---

(١) يعني عثمان.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٧، سنة ٣٥.

(٥) المصدر نفسه ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

(٦) قال الحموي في معجم البلدان ٢: ٢٦٢: الحشّ في اللغة: البستان، وبه سمّي المخرج حشّا لأنّهم كانوا إذا أرادوا الحاجة خرجوا إلى البساتين؛ وكوكب الذي أُضيف إليه: اسم رجل من الأنصار، وهو عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفّان وزاده في البقيع، ولمّا قتل أُلقي فيه ثمّ دُفن في جنبه.

(٧) تاريخ الطبري ٤: ٤١٢، سنة ٣٥، والنقل بتصرّف.

وبالجملة، المعلوم عدم تصدّيه عليه السلام لقتله، ولا أمره به. وأمّا رضاه به فأمر واضح، ولذا لم ينه عنه؛ وقد أقرّ بذلك عبيد الله بن عمر مع أنّه أراد القصاص منه بهُرمُز ان ففرّ منه إلى معاوية؛ فروى نصر بن مزاحم: أنّ عبيد الله بن عمر لمّا قدم الشام أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص: أنّ الله قد أحيا لك عمر بالشام بقدوم عبيد الله، وقد رأيت أن أُقيمه خطيباً فيشهدَ على عليّ بقتل عثمان.

فقال: الرأي ما رأيت. فبعث إليه فأتى، فقال له معاوية: يا بن أخ، إنّ لك اسم أبيك، فانظر بملء عينيك، وتكلّمْ بكلّ فيك، فأنت المأمون المصدّق! فاشتم عليّاً، واشهد عليه أنّه قتل عثمان. فقال: أمّا شتمه فإنّه عليّ بن أبي طالب، وأُمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، وأمّا بأسه فهو الشجاع المطرق. وأمّا أيّامه فما قد عرفت. ولكنّي ملزمه دم عثمان. فقال عمرو: إذن والله قد نكأت القَرْحة. فلمّا خرج عبيد الله قال معاوية: أما والله لولا قتلُه الهرمزان، ومخافة عليّ على نفسه ما أتانا أبداً؛ ألم تر إلى تقريظه عليّاً؟! فقال عمرو: يا معاوية، إن لم تغلب فاخلب[١]. فخرج حديثه إلى عبيد الله، فلمّا قام خطيباً تكلّم بحاجته، حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السلام أمسك، فقال له معاوية: يابن أخ، إنّك بين عيّ وخيانة! فقال: كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وعرفت أنّ الناس محتملوها عنّي. فهجره معاوية واستخفّ بحقّه. فقال عبيد الله:

معاوية لم أخرصْ بخطبة خاطبٍ ... ولم أك عيّاً في لؤيّ بن غالب[٢]

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ١: ١٢٢: الخِلابة: الخديعة باللسان. وفي المثل: إذا لم تغلب فاخلب. أي: فاخدع.

وقال الميداني في مجمع الأمثال ١: ٣٤: يراد به الخدعة في الحرب. كما قيل: نفاذ الرأي في الحرب، أنفذ من الطعن والضرب.

(٢) خَرِصَ يَخْرُص خَرْصاً، وتخرص، أي: كذب. الصحاح ٣: ١٠٣٥، مادة (خرص).

ولكـــنّني زاولت نـــفساً أبــيّة | على قَذْف شيخٍ بـالعراقـين غـائبِ
وقــذفي عـليّاً بـابن عـفّان جـهرةً | أجدع بالشحناء أُنـوف الأقـاربِ[١]
فأمّـا انـتقافي أشـهد اليـوم وثـبةً | فلستُ لكم فيها ابنَ حربٍ بصاحبِ
ولكـنّه قـد قـرّب القـوم جـهدَه | ودبُّـوا حـواليـه دبـيبَ العـقارب
فـما قـال أحسـنتم ولا قـد أسأتـم | وأطرق إطراق الشجاع المـواثبِ[٢]

ولو لم يكن مباح الدم عنده عليه السلام كيف طلب بدم الهُرمُزان ـ وهـرمزان رجل عجميّ من عرض المسلمين ـ من عبيد الله بن عمر في زمان عثمان مع أمان السلطان له؛ فخاف منه عبيد الله ففرّ من المدينة إلى كوفان[٣]، ولمّا بايعه الناس فرّ إلى الشام عند معاوية. فكيف لم يطلب بدم عثمان في زمان سلطنته وهو عندهم أحد الخلفاء الراشدين؟!

وفي (صفّين نصر): ومكث عليّ عليه السلام ـ يعني في أوّل الأمر ـ لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه من قِبل معاوية أحد. وجاء عبيد الله بـن عـمر فـدخل عـلى عليّ عليه السلام في عسكره فقال له عليّ عليه السلام: أنت قاتل الهُرمُزان، وقد كـان أبـوك فرض له في الديوان، وأدخله في الإسلام؟ فقال له ابن عـمر: الحـمد لله الذي جعلك تطلبني بدم الهرمزان وأطلبك بدم عثمان بن عفّان. فقال له عليّ عليه السلام: لا عليك، سيجمعني وإيّاك الحرب غداً[٤].

وممّا يحسم مادّة الشغب أنّه عليه السلام آوى قاتليه، وكانوا مـن خـواصّـه. فقال نصر بن مزاحم: خرج قُرّاء أهل العراق وقُـرّاء أهـل الشـام، فـعسكروا

---

(١) الشحناء: الحقد والعداوة، وكذلك الشحنة. لسان العرب ٧: ٤٨، مادة (شحن).

(٢) وقعة صفّين: ٨٢ ـ ٨٤. شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠ ـ ١٠٢، ونقله الشارح بتصرّف.

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٤: ٤٩٠: قالوا: وكوفان اسم أرض وبها سمّيت الكوفة. قلتُ: كوفان والكوفة واحد.

(٤) وقعة صفّين: ١٨٦.

ناحية صفّين في ثلاثين ألفاً، وعسكر عليّ عليه السلام على الماء، وعسكر معاوية فوق ذلك، ومشت القُرّاء في ما بين معاوية وعليّ عليه السلام، وفيهم عبيدة السلمانيّ، وعلقمة بن قيس النّخعي، وعبد الله بن عتبة، وعامر بن عبد القيس -وكان في بعض تلك السواحل فانصرف إلى عسكر عليّ عليه السلام - فدخلوا على معاوية فقالوا: ما الذي تطلب؟ قال: أطلب بدم عثمان. قالوا: ممّن تطلب؟ قال من عليّ. قالوا: وعليّ قتله؟ قال: نعم، هو قتله وآوى قاتليه. فانصرفوا من عنده إلى عليّ عليه السلام فقالوا: إنّ معاوية يزعم أنّك قتلت عثمان. قال: اللّهمّ كذب في ما قال، لم أقتله. فرجعوا إلى معاوية فأخبروه، فقال لهم: إن لم يكن قتله بيده فقد أمر ومالأ. فرجعوا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: إنّ معاوية يزعم أنّك إن لم تكن قتلته بيدك فقد أمرت ومالأت على قتله. فقال: اللّهمّ كذب في ما قال. فرجعوا إلى معاوية فقالوا له: إنّ علياً يزعم أنّه لم يفعل. فقال: إن كان صادقاً فليمكنّا من قتلته، فإنّهم في عسكره وجنده وأصحابه وعضده. فرجعوا إلى عليّ عليه السلام فقالوا: إنّ معاوية يقول: إن كنت صادقاً فادفع إلينا قتلته أو أمكنّا منهم. قال لهم عليّ عليه السلام: تأوّل القوم عليه القرآنَ ووقعت الفرقة، وقتلوه في سلطانه وليس على ضربهم قَوَد...[1].

وإنّما جعل معاوية وباقي بني أُميّة نسبة قتل عثمان إليه سبباً لإمامتهم عند أهل الشام الذين قيل في وصفهم: «جُفاة طغام عبيد أقزام»[2] ولم يكونوا في الحقيقة من فرق الإسلام كالخوارج لبغضهم أهل بيت نبيّهم صلى الله عليه وآله، وبغضهم بغضه؛ ولتركهم مودّة قرباه: ﴿...قل لا أسألكم عليه

(١) وقعة صفين: ١٨٨ ـ ١٨٩، شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٥ ـ ١٦.

(٢) من الخطبة ٢٣٨، قال الشيخ محمّد عبده في شرح النهج ٢: ٢٥٨: الجفاة ـ بضم الجيم ـ جمع جاف، أي: غليظ فظّ، والطغام ـ كسحاب ـ: أوغاد الناس، والعبيد: كناية عن رديئي الأخلاق، والأقزام: جمع قزم ـ بالتحريك ـ، وهم أرذال الناس.

أجراً إلّا المودّة في القُربى﴾[١].

وأمّا أهل الحجاز وأهل العراق ـ وفيهم كان المهاجرون والأنصار ـ فكانوا يعلمون أنّه لم يكن قاتله؛ وأنّه لو كان قاتله لم يكن ذلك طعناً فيه، لأنّ عثمان كان يستحقّ القتل.

فقال الفضل بن عبّاس في أبياته التي يردّ فيها على الوليد بن عُقبة في قوله:

ألا إنّ خير الناس بعد ثلاثةٍ قتيلُ التُجيبيّ الذي جاء من مصرِ

إلى آخر أبياته كما في (الطبريّ):

ألا إنّ خير الناس بعد محمّدٍ
وصيّ النبيّ المصطفى عندَ ذي الذكر

وأوّل من صلّى وصِنو نبيّه
وأوّل من أردى الغُواة لدى بَدر

فلو رأت الأنصارُ ظلمَ ابن عمّكم
لكانوا له من ظلمه حاضري النّصر

كفى ذاك عيباً أن يشيروا بقتله
وأن يُسلِموه للأحابيش من مصر[٢].

وفي قوله عليه السلام: «تأوّل القوم عليه القرآن» أي: أنّهم رأوا أنّ حكم القرآن قتل مثله، ولم يقل: إنّهم أخطأوا، إشارة إلى صحّة عقيدتهم في إباحة قتله.

وفي كتاب نافع إلى ابن الزبير ـ كما في (كامل المبرّد) ـ لئن كان عثمان قُتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين ـ وإنّهم

---

(١) الشورى: ٢٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٦، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١١٥ ـ ١١٦.

لمهتدون ـ لقد كفر من يتولّاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أنّ أباك وطلحة وعليّاً كانوا أشدّ الناس عليه في أمره من بين قاتلٍ وخاذلٍ، وأنت تتولّى أباك وطلحة وعثمان[١].

وقال الإسكافيّ في نقضه على الجاحظ: إنّ الوليد بن عُقبة[٢] قال لعليّ عليه السلام بعد بيعة الناس له: نبايعك على أن تقتل قتلة عثمان. فقال عليّ عليه السلام: لو لزمني قتلهم اليوم قتلتهم [لقتلتهم] أمس[٣].

وفي (صفّين نصر): خرج أبو أمامة الباهليّ وأبو الدرداء، فدخلا على معاوية، فقالا له: علام تقاتل هذا الرجل؟ فوالله هو أقدم منك سَلْماً، وأحقّ بهذا الأمر، وأقرب من النبيّ؟ فقال: أُقاتله على دم عثمان، وأنّه آوى قتلته. فقولا له: فليُقِدْنا من قتلته، فأنا أوّل من يبايعه [بايعه] من أهل الشام. فانطلقا إلى عليّ عليه السلام، فأخبراه بقول معاوية، فقال: هم الذين ترون. فخرج عشرون ألفاً وأكثرهم مسربلون في الحديد، لا يرى منهم إلّا الحَدق، فقالوا: كلّنا قتله، فإن شاؤوا فليروموا ذلك منّا[٤].

وفي (صفّين نصر) أيضاً بعد ذكر خروج أمير المؤمنين عليه السلام إلى النخيلة ليخرج إلى الشام: ألبس معاوية منبر دمشق قميص عثمان وهو مخضّب بالدم، وحول المنبر سبعون ألف شيخ يبكون، لا تجفّ دموعهم على

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) هو الوليد بن عُقبة بن أبي مُعيط أخو عثمان لأُمّه. وأُمّهما أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس، أسلم يوم الفتح. ويقال: إنّه نزل فيه: ﴿يا أيّها الذين آمنوا إن جاءكم فاسقٌ بنباءٍ فَتبيَّنُوا﴾ (سورة الحجرات: ٦). ولّاه عثمان الكوفة بعد عزل سعد بن أبي وقّاص. وقصّة صلاته بالناس الصبح أربعاً وهو سكران مشهورة. الإصابة ٣: ٦٣٧ ـ ٦٣٨.

(٣) نقله عن الإسكافيّ ابنُ أبي الحديد في شرحه ٧: ٣٨ ـ ٣٩.

(٤) وقعة صفّين لابن مزاحم: ١٩٠.

عثمان، فخطبهنم معاوية وقال: يا أهل الشام، قد كنتم تكذّبوني في عليّ، وقد استبان لكم أمره، والله ما قتل خليفتكم غيره، وهو أمر بقتله وألّب الناس عليه، وآوى قتلته، وهم جنده وأنصاره وأعوانه، وقد خرج بهم قاصداً بلادكم لإبادتكم.

يا أهل الشام، اللهَ اللهَ في عثمان! فأنا وليّ عثمان وأحقّ الناس بطلب دمه، وقد جعل الله لوليّ المظلوم سلطاناً. فانصروا خليفتكم، فقد صنع به القوم ما تعلمون؛ قتلوه ظلماً وبغياً، وقد أمر الله بقتال الفئة الباغية حتّى تفيء. فأعطوه الطاعة وانقادوا له[1].

وفي (صفّين نصر) أيضاً بعد ذكر مشورة معاوية مع عمرو بن العاص في أمر جرير البجليّ الذي بعثه أمير المؤمنين عليه السلام لأخذ البيعة من معاوية: قال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ رأس أهل الشام شُرحبيل بن السمط الكنديّ، وهو عدوّ لجرير الذي أُرسل إليك، فأرسل إليه، ووطّن له ثقاتك فليفشوا في الناس أنّ عليّاً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل؛ فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحبّ، وإن تعلّق بقلب شرحبيل شيء لم يخرجه شيء أبداً [وإن تعلقت بقلب شرحبيل لم تخرج منه بشيء أبداً].

فكتب معاوية إلى شرحبيل: «أنّ جريراً قدم علينا من عند عليّ بأمر فظيع، فأقدم». ودعا معاوية يزيد بن أسيد [أسد] وبسر بن أرطاة، وعمرو بن سفيان، ومخارق بن الحارث، وحمرة بن مالك، وحابس بن سعد الطائي ـ وهؤلاء رؤساء [رؤوس] قحطان واليمن، وكانوا ثقات معاوية وخاصّته ـ وبني عمّ شرحبيل، فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أنّ عليّاً قتل عثمان ـ إلى أن قال ـ: فلمّا قدم شرحبيل قال له معاوية: إنّ جريراً يدعونا إلى بيعة عليّ، وعليّ

---

(١) وقعة صفين لابن مزاحم: ١٢٧ ـ ١٢٨، ونقله الشارح بتصرّف.

خير الناس لولا أنّه قتل عثمان، وقد حبست نفسي عليك، وإنّما أنا رجل من أهل الشام أرضى ما رضُوا، وأكره ما كرهوا. فقال له شرحبيل: اخرج فانظر. فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطّئون له، فكلّهم أخبره أن [يخبره بأنّ] عليّاً قتل عثمان. فخرج مغضباً إلى معاوية وقال له: أبى الناس إلّا أنّ عليّاً قتل عثمان، فوالله لئن بايعتَ له لنخرجنّك من الشام أو لنقتلنّك.

قال معاوية: ما كنت لأُخالف عليكم، ما أنا إلّا رجل من أهل الشام. قال: فردّ هذا الرجل إلى صاحبه إذن. فعرف معاوية أنّ شرحبيل [قد] نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأنّ الشام كلّها مع شرحبيل[١].

«ولما وعظهم الله به» في عقوبة التهمة.

«أبلغ من لساني» في بيان شناعتها؛ قال تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثماً ثمّ يَرمِ به بريئاً فقد احتملَ بُهتاناً وإثماً مُبيناً﴾[٢].

«أنا حجيج المارقين» في بيان خطأهم وبطلان أُمورهم؛ قال ابن أبي الحديد: كان علي عليه السلام يكثر من قوله: أنا حجيج المارقين[٣].

وروي عنه عليه السلام أيضاً: أنّه يقول: أنا أوّل من يجثو بين يدي الله تعالى[٤].

وروي عن النّبيّ صلى الله عليه وآله مثل ذلك مرفوعاً[٥].

«وخصيم المرتابين» في إمامتي؛ روى أبو نعيم في (حليته): أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال له: يا عليّ، أخصمك بالنبوّة، ولا نبيّ بعدي، وتخصم الناس

---

(١) وقعة صفين: ٤٤ ـ ٤٧، ونقله الشارح بتقطيع.

(٢) النّساء: ١١٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧١.

(٤) المصدر نفسه ٦: ١٧٠، قال الطريحي في مجمع البحرين ١: ٨١: في حديث علي عليه السلام: «أنا أوّل مَن يَجثُو للخصومة» أي: يجلس على الركب وأطراف الأصابع عند الحساب.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٠.

بسبع لا يحاجّك فيهنّ أحد من قريش؛ أنت أوّلهم إيماناً، وأوفاهم بعهد الله، وأقومهم بأمر الله، وأقسمهم بالسويّة، وأعدلهم في الرعيّة، وأبصرهم بالقضية، وأعظمهم عند الله مزيّة[١].

«وعلى» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب «على» بدون الواو، كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّيّة)[٣].

«كتاب الله تعرض الأمثال» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: خطب النّبيّ صلى الله عليه وآله بمنى فقال: أيّها الناس ما جاءكم عنّي يوافق كتاب الله فأنا قلته، وما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله[٤].

وعنه عليه السلام: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ على كلّ حقّ حقيقة، وعلى كلّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، وما خالف كتاب الله فدعوه[٥].

وعنه عليه السلام: إنّ الله تعالى أنزل في القرآن تبيان كلّ شيء حتّى ـ والله ـ ما ترك اللّه شيئاً يحتاج إليه العباد، حتّى لا يستطيع عبد يقول: لو كان هذا أُنزل في القرآن[٦].

«وبما في الصدور تجزى العباد» في (الطبريّ) قال عمّار لعبيد الله بن عمر: بعت دينك من عدوّ الإسلام وابن عدوّه؟! قال: لا، ولكن أطلب بدم عثمان. فقال له عمّار: أشهد على علمي فيك أنّك لا تطلب بشيء من فعلك وجه الله، وأنّك إن

---

(١) حلية الأولياء ١: ٦٥ ـ ٦٦، الخصال ٢: ٣٦٣ ح ٥٤.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٢٢.

(٣) في شرح ابن ميثم ٢: ٢٠٦ مع الواو أيضاً، وأمّا ابن أبي الحديد فذكر في متن الخطبة في ٦: ١٦٩ الواو، وعند شرح الفقرة في: ١٧١ أسقط الواو.

(٤) الكافي للكليني ١: ٦٩ ح ٥.

(٥) الكافي ١: ٦٩ ح ١.

(٦) الكافي ١: ٥٩ ح ١.

لم تقتل اليوم تمت غداً، فانظر إذا أُعطي الناس على قدر نيّاتهم ما نيّتك[١].

٢
الخطبة (٧٧)

ومن كلام له عليه السلام:

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰه عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقاً، لأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ ٱللحّامِ ٱلْوِذَامَ ٱلتَّرِبَةَ.

ويروى: «التراب الوذمة» وهو على القلب[٢].

«قال الشريف وقوله: (ليفوّقونني) أي: يعطونني من المال قليلاً كفواق الناقة، وهو الحلبة الواحدة من لبنها، والوذام: جمع وذمة وهي: الحزّة من الكَرِش أو الكبد، تقع في التراب فتنفض».

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى أبو الفرج في (أغانيه) بإسناد رفعه إلى الحارث بن حبيش قال: بعثني سعيد بن العاص ـ وهو يومئذ أمير الكوفة من قِبل عثمان ـ بهدايا إلى المدينة، وبعث معي هديّة إلى عليّ عليه السلام وكتب إليه: إنّي لم أبعث إلى أحد أكثر ممّا بعثت به إليك إلّا إلى الخليفة. فلما أتيت علياً عليه السلام وقرأ كتابه، قال: «لشدّ ما تحظر عليّ بنو أُميّة تراثَ محمّد صلى الله عليه وآله! أما والله لئن وليتُها لأنفضنّها نَفْضَ القصّاب التراب الوذِمة». قال أبو الفرج: وهذا خطأ؛ إنّما هو «الوذام التَّرِبة».

وقد حدّثني بذلك أحمد بن عبد العزيز الجوهري[٣] عن أبي زيد عمر بن شبّة، بإسناد ذكره في الكتاب: أنّ سعيد بن العاص حيث كان أمير الكوفة بعث

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٣٩ ـ ٤٠، سنة ٣٧.

(٢) قال الشيخ محمد عبده في شرحه على النهج ١: ١٢٣: على القلب، أي: أنّ الحقيقة «الوذام التربة» كما في الرواية الأُولى، لا «التراب الوذمة» إذ لا معنى له. فهذه الرواية يراد منها مقلوبها. هذا وسيأتي من الشارح بيان له.

(٣) السقيفة وفدك: ٧٥.

مع ابن أبي عائشة مولاه إلى عليّ عليه السلام بصلة، فقال عليّ: «والله لا يزال غلام من غلمان بني أُميّة يبعث إلينا ممّا أفاء الله على رسوله صلى الله عليه وآله بمثل قوت الأرملة؛ والله لئن بقيت لأنفضنّها نَفْضَ القصّاب الوَذام التّربة»[١].

قلت: الذي وجدت في (الأغاني): «قال أبو جعفر: هذا غلط إنّما هو الوذام التربة»[٢]. والمراد به (الطبريّ) لوقوعه في طريقه الأوّل لا أبو الفرج كما نقل.

ثمّ الأصل في إنكار رواية «التراب الوذمة» شعبة؛ ففي (نهاية ابن الأثير) - بعد ذكر أنّ في حديث عليّ عليه السلام: «لئن وليت بني أُميّة لأنفضنّهم نَفْضَ القصّاب التراب الوَذِمَة» - قال الأصمعيّ: سألت شعبة عن هذا الحرف، فقال: ليس هو هكذا، إنّما هو «نفض الوذام التربة»[٣].

و(الصحاح) عكس[٤] نقل الأصمعي عن شعبة، فقال: قال الأصمعي: سألني شعبة عن هذا الحرف، فقلت[٥]: ليس هو هكذا، إنّما هو «نفض القصّاب الوذام التربة»[٦].

والصواب ما في (النهاية)، لنقله ذلك عن كتب غريب الحديث، ولأنّ في (طبقات السيوطي): روى الأصمعي عن شعبة[٧].

«إنّ بني أُميّة ليفوقونني» قد عرفت من المصنّف معناه.

وفي (الطبريّ): جلس المهديّ للمظالم، فتقدّم إليه رجل من آل الزبير،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ - ١٧٥.

(٢) الأغاني ١٢: ١٤٤.

(٣) النهاية ١: ١٨٥، مادة (ترب). ولكن فيها: نقل الأصمعي عن شعبة: إنّما هو نفض القصاب الوذام التربة.

(٤) لم يعكس الصحاح نقل الأصمعي كما عرفت.

(٥) في المصدر: سألت شعبة عن هذا الحرف فقال.

(٦) الصحاح ٥: ٢٠٥٠، مادة (وذم).

(٧) النهاية لابن الأثير ٣: ٤٨٠ [فوق] ومنه حديث علي: «إنّ بني أُميّة ليفوقونني تراث محمدٍ تفويقاً» ولا وجود له في طبقات المفسرين ولا طبقات الحفّاظ للسيوطي.

فذكر ضيعة اصطفاها عن أبيه بعض ملوك بني أُميّة، الوليد أم سليمان، فأمر أبا عبيد الله أن يُخرِج ذكرها من الديوان العتيق. ففعل، فقرأ ذكرها على المهديّ. فقال المهديّ: يا زبيريّ، هذا عمر بن عبد العزيز؛ وهو منكم معشر قريش لم ير ردّها. قال: وكلّ أفعال عمر ترضى؟ قال: وأيّ أفعاله لا ترضى؟ قال: منها أنّه كان يفرِض للسقط[1] من بني أُميّة في خرقة في الشرف من العطاء، ويفرض للشيخ من بني هاشم في ستّين. قال يا معاوية، أكذلك كان يفعل عمر؟ قال: نعم؛ قال: اردُدْ على الزبيريّ ضيعته[2].

«تراث محمّد صلى الله عليه وآله تفويقاً» تفويقاً مفعول مطلق لقوله: «ليفوّقونني».

روى ياقوت الحَموي في (أُدبائه) في ترجمة الشافعيّ عن جبير بن مَطْعم قال: لمّا قسّم النّبيّ صلى الله عليه وآله سهم ذوي القربى من خيبر على بني هاشم وبني المطّلب، مشيت أنا وعثمان إلى النّبيّ صلى الله عليه وآله، فقلنا: هؤلاء إخوتك بنو هاشم لا ينكر فضلهم لمكانك الذي جعلك الله به منهم، أرأيت إخواننا [إخوتنا] من بني المطّلب أعطيتهم وتركتنا؟ وإنّما نحن وهم منك بمنزلة واحدة. فقال: إنّهم لم يفارقونا في جاهليّة ولا إسلام، إنّما بنو هاشم وبنو المطّلب شيء واحد. ثمّ شبّك النّبيّ صلى الله عليه وآله يديه إحداهما بالأُخرى[3].

قال الحموي: كان لعبد مناف أربعة بنين: هاشم، والمطّلب، وعبد شمس أبو أُميّة، ونَوْفل. وكان جُبير من نوفل، وعثمان من عبد شمس[4].

قلت: وكما أنّ بني هاشم وبني عبد المطّلب لم يفارقا في جاهليّة ولا إسلام، كما قال النّبيّ صلى الله عليه وآله، كذلك بنو عبد شمس وبنو نوفل لم يفارقا

---

(١) السّقط ـ مثلّثة ـ الولد لغير تمام. (القاموس المحيط ٢: ٣٦٥، مادة: سقط).

(٢) تاريخ الطبري ٨: ١٧٧ ـ ١٧٨، سنة ١٦٩.

(٣) معجم الادباء ١٧: ٣١٢، صحيح البخاري ٣: ١١٤٣.

(٤) معجم الادباء ١٧: ٣١٢.

فيها كما هو مرمى كلامه.

هذا، وفي (العيون) عن ثمامة قال: عرض المأمون يوماً للرضا عليه السلام بالامتنان عليه بأن ولّاه العهد، فقال عليه السلام له: إنّ مَنْ أخذ بالنبيّ صلى الله عليه وآله لحقيق أن يعطى به[1].

وفي (الطبري) في وصية المأمون للمعتصم: وصلات بني عمّك من ولد أمير المؤمنين عليّ عليه السلام فلا تغفلها في كلّ سنة عند محلّها؛ فإنّ حقوقهم تجب من وجوه شتى[2].

«لأنفضنّهم» هكذا في (المصرية)[3]، وفيه سقط والأصل: «والله لئن بقيت لهم لأنفضنّهم» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4]، وكما في مستنده من (الأغاني)[5] وغيره ممّا مرّ ويأتي.

ولأنفضنّهم من «نفض الثياب» حرّكها ليسقط ما عليها من الغبار. ويأتي مشدّدة للتكثير. قال أبو ذؤيب:

تنفِّض مهده وتذود عنه ... وما تُغني التّمائم والعُكوف[6]

«نفض» أي: تحريك.

«اللحّام» وهو: من يبيع اللحم.

«الوذام» أي: البطن والأمعاء.

---

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٣ ح١٢.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٦٥٠، سنة ٢١٨.

(٣) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤، ولكن ابن ميثم لم يذكر هذه الفقرة في متن الخطبة، وذكرها عند شرح الخطبة في ٢: ٢١٢.

(٥) الأغاني ١٢: ١٤٤.

(٦) أساس البلاغة: ٤٦٧، مادة (نفض).

«التربة» بكسر الراء، أي: التي سقطت في التراب فتترّبت.

ومراده عليه السلام من قوله: «لأنفضنّهم نفض اللحّام الوذام التربة» أخذه عليه السلام من بني أُميّة بعد عثمان ما أنهبهم من مال الله تعالى كما يأتي في الآتي.

قول المصنّف: «ويروي: التراب الوذمة. وهو على القلب» في (جمهرة ابن دُريد): وفي حديث عليّ عليه السلام: «لأُنفضنكم نفض الجزّار الوذام التربة»، فقلبه قوم فقالوا: «نفض الجزّار التراب الوذمة»[١].

ثمّ المراد من قوله: «وهو على القلب» إمّا كونه غلطاً كما قاله شعبة والطبري[٢]، وإمّا أنّه من تقديم المفعول الثاني على الأوّل وهو في ما لا التباس كما في «أعطيت درهماً زيداً» وفي «كسوت جبّة زيداً»، لكن ذلك لو جعلناهما مفعولين، وأمّا لو جعلناها صفة وموصوفاً فلا.

ثمّ إنّ (النهاية) زاد بعد ما مرّ: «وقيل: أراد بالقصّاب السبع، والتراب أصل ذراع الشاة، والسبع إذا أخذ الشاة قبض على ذلك المكان فنفضها»[٣].

قلت: يرد عليه أنّ الوذمة تكون حينئذ زائدة وبلا معنى.

«قال الشريف» هكذا في (المصرية)[٤]، وليس في (ابن ميثم)[٥]، مع أنّه لا مناسبة له هنا بل قبل قوله: «ويروى» كما فعله ابن أبي الحديد[٦]، مع أنّه ليس كلام المصنف بل كلام ابن أبي الحديد.

(١) جمهرة اللغة ٢: ٧٠٣، مادة (وذم).

(٢) مرّ تخريجه آنفاً.

(٣) النهاية ١: ١٨٥، مادة (ترب).

(٤) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

(٥) في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢ أيضاً: قال الشريف.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤.

«وقوله عليه السلام» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: «قوله عليه السلام»[2] كما في (ابن ميثم والخطّيّة)[3]، وليس في (ابن أبي الحديد)[4] رأساً.

«ليفوّقونني أي: يعطونني من المال قليلاً» هكذا في (المصرية)[5]، والصواب: «قليلاً قليلاً» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[6] والخطّية).

«كفواق الناقة وهو الحلبة الواحدة من لبنها». في (أساس الزمخشري): «ما أقام عنده إلاّ فُواق ناقة وفِيقَةَ ناقة» أي: قليلاً وذلك أنّ الناقة تحلب في اليوم خمس مرّات أو ستّ مرّات، فما اجتمع من الحلبتين فهو فيقة[7].

«والوذام: جمع وذمة وهي الحزّة» ـ بالفتح ـ القطعة. وفي (الصحاح): الحُزّة، أي: بالضمّ، قطعة من اللحم قُطِعت طولاً. قال أعشى باهلة:

تكفيه حُزَّة فِلذٍ إن ألمَّ بها ... من الشِواء ويُروي شُربه الغُمرُ[8]

«من الكَرِش» في (الصحاح): الكرش ـ مثل كَبِد وكِبْد ـ بمنزلة المعدة للإنسان لكلّ مجترّ، والعرب تؤنّثها[9].

«أو الكبد تقع في التراب فتنفض» الوقوع في التراب ثمّ النفض ليس تفسيراً للوذام من حيث هي، بل بيان للمراد من نفض الوذام التربة، وفي العبارة تسامح.

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

(٢) أي بدون الواو.

(٣) في شرح ابن ميثم ٢: ٢١٢ أيضاً مع الواو.

(٤) في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ أيضاً مع الواو.

(٥) نهج البلاغة ١: ١٢٣.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ٦: ١٧٤ وشرح ابن ميثم ٢: ٢١٢: «قليلاً» أيضاً.

(٧) أساس البلاغة: ٣٥٠، مادة (فوق).

(٨) الصحاح ٣: ٨٧٣، مادة (حزز).

(٩) المصدر نفسه ٣: ١٠١٧، مادة (كرش).

٣
الخطبة (١٥)

ومن كلام له عليه السلام فيما رده على المسلمين من قطائع عثمان رضي الله عنه:

وَٱللّٰهِ لَوْ وَجَدْتُه قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ النساء، وَمُلِكَ بِهِ الْإمَاءُ؛ لَرَدَدْتُه؛ فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً. وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ، فَالْجَوْرُ عليهِ أَضْيَقُ.

قول المصنّف: «في ما ردّه على المسلمين» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[١]، ولكن ليس في (ابن ميثم والخطية)[٢] كلمة «على المسلمين» ولا وجه لها؛ لأنّ بني أُميّة الذين أقطعهم عثمان كانوا بحسب الظاهر من المسلمين فلا مناسبة للكلمة، ولو كان «على الناس» كان له وجه.

«من قطائع» جمع: قطيعة قطعة من أرض الخراج.

«عثمان رضي الله عنه» هكذا في (المصرية)[٣]. وجملة «رضي الله عنه» من زياداتها، فليست في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٤] والخطّيّة)، ولأنّ الرضيّ الإماميّ لا يقولها.

كان عثمان ـ غير إنهابه بيت المال بني أبيه ـ أقطعهم قطعات أراضي بغير حقّ.

قوله عليه السلام: **«والله لو وجدته قد تزوّج به النساء، وملك به الإماء لرددته».**

قال ابن أبي الحديد: هذه الخطبة ذكرها الكلبيّ مرويّة مرفوعة إلى أبي صالح، عن ابن عبّاس: أنّ علياً عليه السلام خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة،

---

(١) نهج البلاغة ١: ٤٢، شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩.

(٢) في شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥ «على المسلمين» أيضاً.

(٣) نهج البلاغة ١: ٤٢.

(٤) هذه الجملة في شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩ أيضاً، وليست في شرح ابن ميثم ١: ٢٩٥.

فقال: «ألا إنّ كلّ قطيعة أقطعها عثمان، وكلّ مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإنّ الحقّ القديم لا يبطله شيء. ولو وجدته قد تُزوّج به النساء، وفُرّق في البلدان أرددته إلى حاله؛ ومن ضاق عنه العدل [الحقّ] فالجور عليه أضيق».

قال الكلبيّ: ثمّ أمر عليه السلام بكلّ سلاح وُجِد لعثمان في داره ممّا تقوّى به على المسلمين فقبض، وأمر بقبض نجائب كانت في داره من أهل الصدقة، فقبضت، وأمر بقبض سيفه ودرعه، وأمر أن لا يعرض لسلاح وُجد له لم يقاتل به المسلمون، وبالكفّ عن جميع أمواله التي وجدت في داره وغير داره، وأمر أن ترتجع الأموال التي أجاز بها عثمان حيث أُصيبت أو أُصيب أصحابها.

فبلغ ذلك عمرو بن العاص، وكان بأيلة من أرض الشام، وكان أتاها حيث وثب الناس على عثمان، فنزلها فكتب إلى معاوية: ما كنت صانعاً فاصنع، إذ قَشَرك ابن أبي طالب من كلّ ما تملكه كما تُقْشَر عن العصا لحاها.

وقال الوليد بن عقبة ـ وهو أخو عثمان من أُمّه ـ يذكر قبض عليّ عليه السلام نجائب عثمان وسيفه وسلاحه:

بني هاشمٍ رُدّوا سلاح ابن أُختِكمْ
ولا تُنْهِبُوه لا تَحِلُّ مَناهِبُهْ

بني هاشم كيف الهوادةُ بيننا
وعند عليّ دِرْعُهُ ونجائِبُهْ

بني هاشم كيف التودّد بيننا [منكم]
وبزُّ ابن أروى فيكم وحرائبُهْ[1]

---

(١) البَزّ: الثياب أو متاع البيت من الثياب ونحوها. (القاموس المحيط ٢: ١٦٦، مادة: بزز)، والحرائب: جمع حريبة: وهو مال الرجل الذي يقوم به أمره. (النهاية ١: ٣٥٩، مادة: حرب).

بــــني هـــاشم إلّا تـــردّوا فـإنّنا
سواء عـلينا قـاتلوه[قـاتلاه] وسـالبُهْ
بــني هـاشم إنّـا ومـا كـان مـنكم
كصَدْعِ الصّفا لا يشعَب الصدْعَ شاعِبُهْ
قَـتلْتم أخـي كـيما تَكُـونوا مكـانَه
كـما غَـدرتْ يـوماً بِكِسـرى مـرازِبُـه

فأجابه عبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطّلب بأبيات طويلة من جملتها:

فلا تسألونـا سـيفكم إنّ سـيفكم أُضيع وألقاهُ لدى الرَّوعِ صـاحِبُهْ
وشبَّهْتهُ كِسرى وقـد كـان مـثله شبيهاً بكسرى هَدْيُهُ وضـرائِـبُهْ

أي: كان كافراً كما كان كسرى كافراً[1].

قلت: وفي (تاريخ اليعقوبي): بايع الناس بعد عثمان علياً عليه السلام إلّا ثلاثة من قريش: مروان بن الحكم، وسعيد بن العاص، والوليد بن عقبة، وكان لسان القوم، فقال له عليه السلام: يا هذا، إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً. وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر، وكان أبوه نور قريش. وأمّا مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه -إلى أن قال-: وتبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب عليّ عليه السلام وقال: أمّا ذكرت من وتري إيّاكم، فالحقّ وتركم. وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حقّ الله. وأمّا إعفائي عمّا في أيديكم، فما كان لله والمسلمين فالعدل يسعكم. وأمّا قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني قتلهم اليوم

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩ ـ ٢٧١. وتجد الأبيات في مروج الذهب ٢: ٣٥٦ ـ ٣٥٧، والأغاني ٥: ١٢٠ ـ ١٢١، والكامل في اللغة والأدب ٢: ٤٤ مع الاختلاف.

لزمني قتالهم غداً. ولكم أن أحملكم على كتاب الله وسنّة رسوله، فمن ضاق عليه الحقّ، فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم[١].

هذا، وقد أمر عمر بن عبد العزيز أيضاً بردّ مظالم بني أُميّة؛ فعن (بيان الجاحظ): أنّ عمر بن عبد العزيز لمّا ولي، جعل لا يدع شيئاً ممّا كان في يده ويد أهل بيته من المظالم، إلّا ردّها مظلمة مظلمة، فبلغ ذلك عمر بن الوليد بن عبد الملك، فكتب إليه: إنّك أزريت على من كان قبلك من الخلفاء، وعبت عليهم، وسرت بغير سيرتهم بغضاً لهم وشنآناً لمن بعدهم من أولادهم، وقطعت ما أمر الله به أن يوصل إذ عمدت إلى أموال قريش ومواريثهم، فأدخلتها بيت المال جوراً وعدواناً.

يابن عبد العزيز! اتّق الله، وراقبه إن شططت، ولم تطمئنّ على منبرك حتّى خصصت أوّل قرابتك بالظلم والجور[٢].

فأجابه عمر بن عبد العزيز: أمّا أوّل شأنك يابن الوليد؛ فإنّ أُمّك نباتة[٣] أمة السكون، كانت تطوف في أسواق حمص، وتدخل حوانيتها؛ ثمّ الله أعلم بها، اشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين، فأهداها إلى أبيك، فحملت بك، وبئس الحامل وبئس المحمول! ثمّ نشأتَ فكنت جبّاراً عنيداً، تزعم أنّي من الظالمين! لأنّي حرمتك وأهل بيتك فيء الله الذي هو حقّ القرابة والمساكين والأرامل ـ إلى أن قال ـ: وأظلمُ منّي وأتركُ لعهد الله مَن جعل لعالية البربريّة سهماً في الخمس! فرويداً يابن نباتة، فلو التفتْ حلقتا البِطان، وردّ الفيء إلى أهله لتفرّغت لك ولأهل بيتك، فوضعتكم على المحجّة البيضاء، فطالما تركتم

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩، ونقله الشارح بتصرّف.

(٢) لم أجد كتاب عمر بن الوليد بن عبد الملك في البيان والتبيين.

(٣) في البيان والتبيين ٣: ٤٠٣ صنّاجة، بدل: نباتة. والصنّاجة: الضاربة بالصنج وهو الدف.

الحقّ، وأخذتم في غير بيّنات الطريق. ومن وراء هذا من الفضل ما أرجو أن أكون رأيته بيع رقبتك، وقسم ثمنك بين اليتامى والمساكين والأرامل؛ فإنّ لكلٍّ فيك حقّاً[١].

وعكسه يزيد بن عبد الملك الذي ولي بعده؛ ففي (العقد الفريد): كتب يزيد بن عبد الملك إلى عمّال عمر بن عبد العزيز: رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة، فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأُولى، أخصبوا أم أجدبوا، حيّوا أم ماتوا[٢].

ومن الغريب أنّ ابن أبي الحديد قال: «قد كان عثمان أقطع كثيراً من بني أُميّة وغيرهم من أوليائه وأصحابه قطائع من أرض بيت المال صلةً لرحمه»[٣].

قلت: كيف يجوز صلة الرحم بمال المسلمين؟ فهل تجوز صلة الرحم بالسرقة من الناس؟!

والأصل في اعتذاره قول إمامه عثمان نفسه لمّا طعنوا عليه، فقال: إنّي أصل رحمي بما أهب[٤]!

وأنهب من بيت المال، وتبعه في ذلك عمر بن الوليد في إنكاره على عمر بن عبد العزيز وقد كان جواب ابن عبد العزيز لابن الوليد جواب ابن أبي الحديد عن عثمان.

هذا، وفي (الطبريّ): جلس المنصور ببغداد للمدنيين مجلساً عامّاً، فدخل عليه شابٌ من ولد عمرو بن حزم، فانتسب ثمّ قال للمنصور: قال

---

(١) كتاب عمر بن عبد العزيز إلى عمر بن الوليد في البيان والتبيين ٣: ٤٠٣ مع اختلاف في الألفاظ.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٨٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩، ونقله الشارح بتصرّف يسير.

(٤) انظر الشافي في الإمامة ٤: ٢٧٢.

الأحوص فينا شعراً منعنا أموالنا من أجله منذ ستّين سنة، مدح الوليد بن عبد الملك بقصيدة قال فيها:

لا تأويـــــنَّ لحـــزميٍّ رأيت بـــه
فــقراً وإن أُلقـي الحـزميُّ فــي النـار
النّــاخسين بـمروانٍ بــذي خُشُبٍ
والداخلين على عثمان يوم [في] الدار[١]

فقال له الوليد: أذكرتني ذنب آل حزم، فأمر باستصفاء أموالهم. فقال المنصور للرجل: أعِد عليّ الشعر. فأعاده ثلاثاً. فقال له: لا جرم، تحتظي بهذا الشعر كما حرمت به. وأمر له بعشرة آلاف درهم، وكتب إلى عمّاله أن يردّوا ضياع آل حزم عليهم، ويعطوا غلاتها في كلّ سنة من ضياع بني أُمية، وتقسّم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، ومن مات منهم وُفِّر على ورثته[٢].

«فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق» قد عرفت أنّ (ابن أبي الحديد) نقل بدله عن الكلبيّ: «ومن ضاق عنه العدل [الحقّ]، فالجور عنه أضيق»[٣]. وأنّ اليعقوبي نقل بدله: «فمن ضاق عليه الحقّ، فالباطل عليه أضيق»[٤].

٤
الخطبة (٤٣)

ومن كلامٍ له عليه السلام وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب بعد إرساله جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية:

---

(١) تجد البيتين في الأغاني ١: ٢٦ مع اختلاف يسير في الألفاظ.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٨٥، سنة ١٥٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٩.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٩.

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ، وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ، وَلَكِنْ قَدْوَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتاً لاَيُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعاً أَوْ عَاصِياً، وَٱلرَّأْيُ عندي مَعَ ٱلْأَنَاةِ فَأَرْوِدُوا، وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ ٱلْإِعْدَادَ.

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هَذَا ٱلْأَمْرِ وَعَيْنَهُ، وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ، فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا ٱلْقِتَالَ أَوِ ٱلْكُفْرَ.

إِنَّهُ قَدْكَانَ عَلَى النّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً، وَأَوْجَدَ للنَّاس مَقَالاً فَقَالُوا، ثمّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا.

قول المصنّف: «وقد أشار عليه أصحابه بالاستعداد للحرب» إنّما أشار عليه بذلك منهم الأشتر، وعديّ بن حاتم، وشُريح بن هانئ، وأمّا باقيهم فأشاروا عليه بترك الاستعداد.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ علياً عليه السلام استشار الناس، فأشاروا عليه بالمقام بالكوفة عامه ذلك، غير الأشتر النخعي، وعديّ بن حاتم، وشريح بن هانئ، فإنّهم قاموا، فتكلّموا بلسان واحد، فقالوا: إنّ الذين أشاروا عليك بالمقام إنّما خوّفوك بحرب الشام، وليس في حرب الشام شيء أخوف من الموت، ونحن نريده. فقال عليه السلام لهم: «إنّ استعدادي لحرب الشام وجرير عندهم، صارف لهم عن خير إن أرادوه، ولكنّي قد وقّتّ لهم وقتاً لا يقيم بعده إلّا أن يكون مخدوعاً أو عاصياً، ولا أكره لكم الإعداد»[١].

«بعد إرساله جرير بن عبد الله البجليّ[٢] إلى معاوية» هكذا في

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٤، ونقله الشارح بتصرف يسير.

(٢) هو جرير بن عبد الله بن جابر البجليّ. توجد ترجمته في أُسد الغابة ١: ٢٧٩ ـ ٢٨٠، والإصابة ١: ٢٣٢، وسفينة البحار ١: ١٥٢.

(المصرية)[1] والصواب: «بعد إرساله إلى معاوية جرير بن عبد الله البـجلي» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2].

قوله عليه السلام: «إنّ استعدادي لحرب أهل الشام وجرير عـندهم إغـلاق للشـام، وصرف لأهله عن خير إن أرادوه».

قال ابن أبي الحديد: كره عليه السلام منهم إظهار الاستعداد، الجـهر بـه، ولم يكره الإعداد في السرّ، وعلى وجه الخفاء. وقـال الراونـديّ: «كـره اسـتعداد نفسه، ولم يكره إعداد أصحابه».

ولقائل أن يقول: التعليل الذي علّل عليه السلام به كراهـيّة الأمـرين مـعاً، بـل ينبغي أن تكون كراهته لإعداد جيشه أولى؛ لأنّ شياع ذلك أعظم مـن شـياع استعداده وحده، لأنّه وحـده يـمكن أن يكـتم اسـتعداده، بـخلاف اسـتعداد العساكر العظيمة، فيكون إغلاق الشام عن باب خير إن أرادوه أقرب[3].

قلت: إنّ ابن أبي الحديد لم يفهم معنى استعداده عليه السلام، ولم يـفرّق بـين الاستعداد والإعداد؛ فاستعداده عليه السلام إنّما كان بشـخوصه مـع أصـحابه إلى الشام للحرب، كما عرفت من موجب قوله عليه السلام ذاك الكلام وهو قول الأشتر، وعديّ، وشريح له عليه السلام: «ليس في حرب الشام شيء أخوف من الموت ونحن نريده»[4].

ومعلوم أنّ ذلك كان صرفاً لأهلها عن خير إن أرادوه.

وأمّا إعـداد أصـحابه فـإنّما هـو بـتهيئة أسـباب الحـرب مـن الخـيل والأسلحة، ولم يعلم من التهيئة لذلك أنّه عليه السلام أراد حربهم لكونه أعمّ.

---

(١) نهج البلاغة ١: ٨٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢ وفيه: بجرير. ولفظ شرح ابن ميثم ٢: ١٠٩ مطابق للطبعة المصرية أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢ ـ ٣٢٣، ونقله الشارح بتلخيص.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٩٤.

«ولكن قد وقّتّ لجرير وقتاً لا يقيم بعده إلّا مخدوعاً» في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ معاوية قال لجرير: إنّي قد رأيت رأياً. قال جرير: هات. قال: اكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام ومصر [جباية]، فإن حضرته الوفاة لم يجعل لأحد بعده في عنقه بيعة، وأُسلم إليه الأمر، وأكتب إليه بالخلافة. قال جرير: اكتب ما شئت. وإنّما أراد معاوية في طلبه الشام ومصر ألّا يكون لعليّ في عنقه بيعة، وأن يخرج نفسه ممّا دخل فيه الناس، فكتب إلى عليّ عليه السلام يسأله ذلك؛ فلمّا أتى عليّاً عليه السلام كتاب معاوية عرف أنّها خدعة منه. فكتب إلى جرير: أمّا بعد؛ فإنّ معاوية إنّما أراد بما طلب ألّا يكون لي في عنقه بيعة، وأن يختار من أمره ما أحبّ، وقد كان المغيرة بن شعبة أشار عليّ وأنا بالمدينة أن أستعمله على الشام، فأبيت ذلك عليه، ولم يكن الله ليراني أن أتّخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، وإلّا فأقبل[1].

«أو عاصياً» في (الطبريّ): قال عوانة: لمّا قدم جرير على عليّ عليه السلام وأخبره خبر معاوية واجتماع أهل الشام معه على قتاله، وأنّهم يبكون على عثمان، ويقولون: إنّ عليّاً قتله، وآوى قتلته، وإنّهم لا ينتهون عنه حتّى يقتلهم أو يقتلوه. فقال الأشتر لعليّ عليه السلام: قد كنتُ نهيتك أن تبعث جريراً، وأخبرتك بعداوته وغشّه، ولو كنت بعثتني كان خيراً من هذا الذي أقام عنده حتّى لم يَدَع باباً يرجو فتحه إلّا فتحه، ولا باباً يخاف منه إلّا أغلقه.

فقال له جرير: لو كنت ثَمَّ لقتلوك؛ لقد ذكروا أنّك من قتلة عثمان، فقال الأشتر: والله يا جرير، لو أتيتهم لم يُعْيِني جوابُهم، ولحملتُ معاوية على خُطّة أعجله فيها عن الفكر، ولو أطاعني فيك أمير المؤمنين لحبسك وأشباهك في محبس لا تخرجون منه حتّى تستقيم هذه الأُمور.

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٥ ـ ٩٦.

فخرج جرير إلى قرقيسيا[١]، وكتب إلى معاوية، فكتب إليه معاوية يأمره بالقدوم عليه[٢].

ورواه نصر بن مزاحم في (صفّينه) وزاد: أنّ الأشتر قال لجرير: إنّ عثمان اشترى منك دينك بهمدان، والله ما أنت بأهل أن تترك تمشي فوق الأرض. إنّما أتيتهم لتتّخذ عندهم يداً بمسيرك إليهم، ثمّ رجعت إلينا من عندهم تهدّدنا بهم. أنت والله منهم، ولا أرى سعيك إلّا لهم[٣].

وقال الإسكافيّ في (نقض عثمانيّته): روى الحارث بن حصين أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله دفع إلى جرير نعلين من نعاله، وقال له: احتفظ بهما، فإنّ ذهابهما ذهاب دينك. فلمّا كان يوم الجمل ذهبت إحداهما، فلمّا أرسله عليّ عليه السلام إلى معاوية ذهبت الأُخرى، ثمّ فارق عليّاً عليه السلام واعتزل الحرب.

وقال: قال اسماعيل بن جرير: هدم عليّ دارنا مرّتين[٤].

«والرأي عندي مع الأناة» الانتظار.

«فأرودوا» من: أرود في السير، أي: رفق. وفي المثل: الدهر أرودُ ذو غِيَرٍ. أي: يعمل عمله في سكون ولا يشعر به[٥].

«ولا أكره لكم الإعداد» قال تعالى: ﴿وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوّةٍ ومن رباط الخيل...﴾[٦].

---

(١) في معجم البلدان ٤: ٣٢٨: قال حمزة الاصبهاني: قرقيسيا معرب كركيسيا وهو مأخوذ من كركيس وهو اسم لإرسال الخيل المسمّى بالعربية الحلْبة. وقال ياقوت: بلد على نهر الخابور قرب الفرات، قيل: سمّيت بقرقيسيا بن طهمورث الملك.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٦٢، سنة ٣٦.

(٣) وقعة صفّين: ٥٩ ـ ٦٠ وشرح ابن أبي الحديد ٣: ١١٦.

(٤) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٤: ٧٤ ـ ٧٥.

(٥) الصحاح ٢: ٤٧٩، مادة (رود).

(٦) الأنفال: ٦٠.

«ولقد ضربت أنف هذا الأمر وعينه»[1] الأنف قد يجيء في قبال العين ـ كما هنا ـ وقد يجيء في مقابل الذنب، كقول الشاعر:

قومٌ هُمُ الأنفُ، والأذنابُ غيرهم[2]

وقال عليه السلام نظير هذا الكلام لأبي مسلم الخولاني لمّا جاء بكتاب معاوية إليه؛ ففي (أخبار الطوال) قال أبو مسلم له عليه السلام: ادفع إلينا قتلة عثمان، وأنت أميرنا، فإن خالفنا [خالفك] أحد من الناس كانت أيدينا لك ناصرة.

فقال عليه السلام له: «إنّي ضربت أنف هذا الأمر وعينه، فلم يستقم دفعهم إليك ولا إلى غيرك»[3].

«وقلّبت ظهره وبطنه» كناية ـ كسابقه ـ عن ملاحظة الأمر بجملته.

«فلم أر لي» هكذا في (المصرية)[4]، والصواب: «فلم أر فيه» كما في (ابن أبي الحديد)[5].

«إلّا القتال أو الكفر» هكذا في (المصرية) ومثله في (ابن ميثم)[6]؛ وزاد في (ابن أبي الحديد): «بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله»[7]، وفي الخطّيّة: «بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله». ولعلّ الزيادة حاشية خلطت بالمتن، لكون نسخة شرح ابن ميثم بخطّ مصنّفه، ولأنّه قال: ومراده بالكفر الكفر الحقيقيّ، فإنّه صرّح بمثله فيما

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢ الباب ٤٣.

(٢) القائل الحطيئة، والشطر الثاني من البيت:

ومنْ يُسوّي بأنف الناقة الذّنبا

أورده ابن منظور في لسان العرب ١: ٢٣٩، مادة (أنف).

(٣) الأخبار الطوال: ١٦٢ ـ ١٦٣، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٤) نهج البلاغة ١: ٩٠.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢.

(٦) نهج البلاغة ١: ٩٠، وشرح ابن ميثم ٢: ١١٠.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢.

قبل حيث يقول: «وقد قلّبت هذا الأمر ظهره وبطنه حتّى منعني القوم، فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاء به محمّد صلى الله عليه وآله»[١].

وكيف كان، كان عليه السلام يكرّر ذلك جواباً لمن يشير عليه بترك قتالهم. ففي (صفّين نصر بن مزاحم): خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفّين: يا أبا الحسن يا عليّ ابرز إليّ. فخرج إليه عليّ عليه السلام حتّى إذا اختلفت أعناق دابّتيهما بين الصفّين، فقال: يا عليّ، إنّ لك قَدَماً في الإسلام وهجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء، وتأخير هذه الحروب حتّى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السلام: وما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلّي بينك وبين العراق، ونرجع إلى شامنا فتخلّي بيننا وبين شامنا.

فقال له عليّ عليه السلام: لقد عرفت أنّك إنّما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه، فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله. إنّ الله تبارك وتعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون؛ لا يأمرون بالمعروف، ولا ينهون عن المنكر؛ فوجدت القتال أهون عليَّ من معالجة الأغلال في جهنّم[٢].

وكيف يترك عليه السلام قتالهم وكان الله تعالى عيّنه على لسان نبيّه صلى الله عليه وآله لقتال الناكثين والقاسطين والمارقين[٣]. والقاسطون: معاوية وأهل الشام.

وأمره الله تعالى بجهاد المنافقين عوضاً عن نبيّه صلى الله عليه وآله حيث كان نفس

---

(١) شرح ابن ميثم ٢: ١١٣.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٤، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٢٠٧.

نبيّه صلى الله عليه وآله[١] بقوله تعالى: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[٢]، وقد قال جلّ وعلا لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿يا أيُّها النّبيّ جاهِد الكفّار والمنافقين...﴾[٣] ولم يجاهد النبيّ صلى الله عليه وآله غير الكفّار؛ فلابدّ أنّه صلى الله عليه وآله فوّض إليه جهاد المنافقين. ومعاوية وأصحابه كانوا رؤوس المنافقين.

«إنّه قد كان على الناس» هكذا في (المصريّة)[٤]، والصواب: «على الأُمّة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطيّة)[٥].

«والٍ أحدث أحداثاً، وأوجد للناس مقالاً، فقالوا ثمّ نقموا فغيّروا» في (الطبريّ): كتب عليّ عليه السلام إلى أهل مصر لمّا ولّى قيس بن سعد بن عبادة عليهم كتاباً ـ إلى أن قال فيه بعد ذكر أبي بكر وعمر ـ ثمّ ولي بعدهما والٍ فأحدث أحداثاً، فوجدت الأُمّة عليه مقالاً فقالوا، ثمّ نقموا عليه فغيّروا، ثمّ جاؤوني فبايعوني[٦].

أمّا أحداثه ففي (تقريب الحلبيّ): فمن أحداث عثمان تقليد ابن عامر على البصرة للخؤولة التي بينهما، وابن أبي سرح على مصر للرضاعة التي بينهما،

---

(١) أجمعت الخاصّة والعامّة على أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نفس النّبي صلى الله عليه وآله، وتواترت بذلك أحاديثهم بألفاظ مختلفة، وأسانيد شتّى يضيق المجال لذكرها، وهنا نذكر أهمّ المصادر التي نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخي: التفسير المنسوب الى الامام العسكري عليه السلام: ٦٥٨ ـ ٦٥٩، تفسير فرات الكوفي:٨٦، الكافي ٨: ٣١٩، أمالي الصدوق: ٤٢٣، حقائق التأويل في متشابه التنزيل: ٢٢٩ ـ ٢٣٠، أمالي الطوسي ١: ٢٧٨، أسباب النزول للواحدي: ٦٨، شواهد التنزيل للحسكاني ١: ١٥٨ ـ ١٦٠، المناقب لابن المغازلي: ٢٦٣، معالم التنزيل للعلّامة البغويّ، المناقب للخوارزميّ: ٩٠، المناقب لابن شهر آشوب ٢: ٢١٦ ـ ٢١٨، العمدة لابن البطريق: ١٩١ ـ ١٩٢، التفسير الكبير للرازي ٨: ٨١، كفاية الطالب: ٢٨٨، تفسير ابن كثير، الدرّ المنثور ٢: ٣٨ ـ ٣٩، الصواعق المحرقة: ١٥٦.

(٢) آل عمران: ٦١.

(٣) التوبة: ٧٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ٩٠.

(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢: ٣٢٢، ولكن في شرح ابن ميثم ٢: ١١٠ «على الناس» أيضاً.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٨ ـ ٥٤٩، سنة ٣٦.

ويعلى بن أُميّة على اليمن، وأسيد بن الأُخنس على البحرين لكونه ابن عمّته، وعزل المأمونين من الصحابة على الدين، المختارين للولاية، المرضيين السيرة.

ومن أحداثه استخفافه بعليّ عليه السلام حين أنكر عليه تكذيب أبي ذرّ.

ومنها عزل عبد الله بن الأرقم عن بيت المال لمّا أنكر عليه إطلاق الأموال لبني أُميّة بغير حقّ.

ومنها قوله لعبد الرحمن بن عوف: يا منافق! وهو الذي اختاره وعقد له الأمر.

ومنها منعه عائشة وحفصة ما كان أبو بكر وعمر يعطيانهما، وسبّه لعائشة، وقوله لها ـ وقد أنكرت عليه الأفاعيل القبيحة ـ: لئن لم تنتهي، لأُدخلنّ عليك الحجرة سودان الرجال وبيضانها.

ومنها أكله الصيد وهو محرم مستحلّاً، وصلاته بمنى أربعاً، وإنكاره متعة الحجّ.

ومنها ضرب عبد الله بن حنبل ـ وكان بدريّاً ـ مائة سوط، وحمله على جمل يطاف به في المدينة، لإنكاره عليه الأحداث، وإظهاره عيوبه في الشعر، وحبسه بعد ذلك موثقاً بالحديد، فلم يزل عليّ عليه السلام بعثمان يكلّمه حتّى خلّى سبيله على أن لا يساكنه بالمدينة، فسيّره إلى قلعة قموص من خيبر، فلم يزل بها حتّى ناهض المسلمون عثمان من كلّ بلد، فقال:

لولا عليّ فإنّ الله أنقذني ... على يديه من الأغلال والصفد
نفسي فداء عليّ إذ يخلّصني ... من كافر بعدما أغضى على الصمد

ومنها تسيير حذيفة إلى المدائن حين أظهر ما سمعه من النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه وأنكر أفعاله، فلم يزل يحرّض على عثمان [يعرض بعثمان] حتّى قتل.

ومنها نفي الأشتر، ووجوه أهل الكوفة عنها إلى الشام حين أنكروا على سعيد بن العاص ـ عامله ـ أفعاله، ونفيهم من دمشق إلى حمص.

ومنها معاهدته لعليّ عليه السلام ووجوه الصحابة على الندم على ما فرّط فيه [منه]، والعزم على ترك معاودته، ونقض ذلك، والرجوع عنه مرّة بعد مرّة، وإصراره على ما ندم منه، وعاهد الله تعالى وأشهد القوم على تركه من الاستيثار بالفيء، وبطانة السوء، وتقليد الفسقة أُمور المسلمين.

ومنها كتابه إلى ابن أبي سرح بقتل رؤساء المصريّين، والتنكيل بالأتباع، وتخليدهم الحبس لإنكارهم ما يأتيه ابن أبي سرح إليهم من الجور الذي اعترف به، وعاهد على تغييره.

ومنها تعريضه نفسه، ومن معه من الأهل والأتباع للقتل، ولم يعزل ولاة السوء.

ومنها استمراره على الولاية مع إقامته على المنكرات الموجبة للفسخ، وتحريم التصرف في أمر الأمّة. وذلك تصرّف قبيح لكونه غير مستحقّ عندهم مع ثبوت الفسق ...[1].

وفي (أخبار طوال الدينوريّ): كان الأشعث بن قيس والياً على أذربيجان طول ولاية عثمان، وكانت ولايته ممّا عتب الناس فيه على عثمان، لأنّه ولّاه عند مصاهرته إيّاه، وتزويج ابنة الأشعث من ابنه[2].

وفي (الطبري): أنّ أوّل من زاد النداء الثالث يوم الجمعة على الزوراء عثمان[3].

---

(١) نقله عن تقريب المعارف، العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٣٥ ط الكمباني.

(٢) أخبار الطوال: ١٥٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٠١، سنة ٣٥.

وفي (الطبري) أيضاً ـ بعد ذكر كتاب عثمان إلى أهل مكّة مع ابن عبّاس لمّا ولّاه الموسم بعد حصره، وعدّه في كتابه ما طعنوا عليه وما أجابهم، إلى أن ذكر ـ قالوا: كتاب الله يُتْلى. فقلت: فليتلُه مَن تلاه غير غال فيه بغير ما أنزل الله في الكتاب(١).

وهو دالّ على أنّه منع من تلاوة مقدار من كتاب الله بشبهة كونه من غير القرآن.

وفي (أنساب البلاذريّ) عن الزهريّ: أنّ عثمان كان يأخذ من الخيل الزكاة، فأُنكر ذلك من فعله، وقالوا: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: عفوت لكم عن صدقة الخيل والرقيق.

وفيه أيضاً كان عبد الله بن سعد بن أبي سرح أخا عثمان من الرضاعة وعامله على المغرب، فغزا إفريقيّة سنة سبع وعشرين فافتتحها، وكان معه مروان فابتاع خمس الغنيمة بمائة ألف دينار، فكلّم عثمان فوهبها له، فأنكر الناس ذلك على عثمان.

وفيه أيضاً: كان مما أُنكر على عثمان أنّه ولّى الحكم بن أبي العاص صدقات قضاعة، فبلغت ثلاثمائة ألف درهم، فوهبها له حين أتاه بها.

وقال الواقدي وأبو مخنف في روايتهما: أنكر الناس على عثمان اعطاءَه سعيد بن العاص مائة ألف درهم.

وفيه: قال أبو مخنف في أسناده: أنكر الناس على عثمان ـ مع ما أُنكر ـ ان حمى الحمى، وأن أعطى زيد بن ثابت مائة ألف درهم، من ألف ألف درهم حملها أبو موسى الأشعري، وقال له: هذا حقّك.

فقال أسلم بن أوس الساعدي وهو الذي منع من دفن عثمان في البقيع:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٠٩، سنة ٣٥.

دعـــوت اللـــعين فأدنـــيته خـلافاً لسـنّة مـن قـد مـضى
وأعطيت مروان خمس العباد ظـلماً لهـم وحـميت الحـمى
ومـــال أتـــاك بـــه الأشـعري مـن الفـيء أنـهبته مـن تـرى

وفيه: قال سعيد بن المسيب: أمر عثمان بذبح الحمام، وقال: إنّ الحمام قد كثر في بيوتكم حتى كثر الرمي ونالنا بعضه. فقال الناس: يأمـرنا بـذبح الحمام وقد آوى طرداء رسول الله صلى الله عليه وآله.

وفيه: قال ابن عمر: صلّيت بمنى مع النّبيّ صلى الله عليه وآله ركعتين، ومع أبي بكر وعمر ومع عثمان صدراً من خلافته، ثم أتمّها أربعاً، فـتكلّم النـاس فـي ذلك فأكثروا، وسئل أن يرجع عن ذلك، فلم يرجع.

وفيه: ان النّبيّ صلى الله عليه وآله إذا خرج للصلاة أذن المؤذن ثم يقيم، وكذلك كان الأمر على عهد أبي بكر وعمر وفي صدر من أيام عثمان، ثم إنّ عثمان نادى النداء الثالث في السنة السابعة، فعاب الناس ذلك وقالوا: بدعة.

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بـعد ذكـر خـطبة لأمـير المـؤمنين عليه السلام فـي التحريض على جهاد معاوية ـ: ثمّ قام أبو أيّوب الأنـصاري فـقال: إنّ أمـير المؤمنين ـ أكرمه الله ـ قد أسمع من كانت له أُذن واعية، وقلب حفيظ. إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها حقّ قبولها، حيث نزل بـين أظـهركم ابـن عـمّ الرسول، وخير المسـلمين وأفـضلهم وسـيّدهم بـعده، يـفقهكم فـي الديـن، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله لكأنّكم صمّ لا تسـمعون ـ إلى أن قـال ـ: أليس إنّـما عـهدكم بـالجور والعـدوان أمس، وقـد شـمل العـباد، وشـاع فـي الإسـلام، فـذو حـقّ مـحروم، ومشـتوم عـرضه، ومـضروب ظـهره، ومـلطوم وجـهه، ومـوطوء بـطنه، ومـلقى بـالعراء، فـلمّا جـاءكم أمـير المؤمنين عليه السلام صدع بالحقّ، ونشر العدل، وعمل بالكتاب؟ فاشكروا نعمة الله

عليكم، ولا تتولّوا مجرمين(١).

وفيه: ذكروا أنّه اجتمع ناس من أصحاب النّبيّ ﷺ، وكتبوا كتاباً ذكروا فيه ما خالف عثمان من سنّة النبيّ ﷺ وسنّة صاحبيه، وما كان من هبته خمس إفريقيّة لمروان وفيه حقّ الله ورسوله، ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين، وما كان من تطاوله في البنيان حتّى عدّوا سبع دور بناها بالمدينة: داراً لنائلة، وداراً لعائشة ابنته، وغيرهما من أهله وبناته، وبناء [بنيان] مروان القصور بذي خشب، وعمارة الأموال بها من الخمس الواجب لله ولرسوله، وما كان من إفشائه العمل والولايات في أهله وبني عمّه من بني أُميّة، أحداث وغلمة لا صحبة لهم من الرسول، ولا تجربة لهم بالأُمور، وما كان من الوليد بن عقبة بالكوفة إذ صلّى بهم الصبح ـ وهو أمير عليها ـ سكران أربع ركعات، ثمّ قال لهم: إن شئتم أن أزيدكم ركعة [صلاة] زدتكم، وتعطيله إقامة الحدّ عليه، وتأخيره ذلك عنه، وتركه المهاجرين والأنصار لا يستعملهم على شيء ولا يستشيرهم، واستغنى برأيه عن رأيهم، وما كان من الحمى الذي حمى حول المدينة، وما كان من إدراره القطائع والأرزاق والأعطيات على أقوام بالمدينة ليست لهم صحبة من النّبي ﷺ، ثمّ لا يغزون ولا يذبّون، وما كان من مجاوزته الخيزران إلى السوط، وإنّه أوّل من ضرب بالسياط ظهور الناس، وإنّما كان ضرب الخليفتين قبله بالدرّة والخيزران.

ثمّ تعاهد القوم ليدفعنّ الكتاب في يد عثمان، وكان ممّن حضر الكتاب عمّار والمقداد، وكانوا عشرة، فلمّا خرجوا بالكتاب ليدفعوه إلى عثمان والكتاب في يد عمّار جعلوا يتسلّلون عن عمّار، حتّى بقي وحده، فمضى حتّى جاء دار عثمان، فاستأذن عليه، فأذن له، فدخل عليه وعنده مروان وأهله من

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢ ـ ١٥٣.

بني أُميّة، فدفع إليه الكتاب فقرأه، فقال: أنت كتبت هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: ومن كان معك؟ قال: معي نفر تفرّقوا فرقاً منك. قال: ومن هم؟ قال: لا أخبرك بهم. قال: فلِمَ اجترأت عليّ من بينهم؟ فقال مروان: إنّ هذا العبد الأسود ـ يعني عمّاراً ـ قد جرّأ عليك الناس، وإنّك إن قتلته نكلت به من وراءه. قال عثمان: اضربوه، فضربوه وضربه عثمان معهم حتّى فتقوا بطنه، فغشي عليه، فجرّوه حتّى طرحوه على باب الدار، فأمرت به أُمّ سلمة زوج النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأُدخل منزلها، ثمّ خرج عثمان إلى المسجد، فإذا هو بعليّ عليه السلام وهو شاك معصوب الرأس، فقال عثمان: والله يا أبا الحسن، ما أدري أشتهي موتك أم حياتك؟ فوالله لئن متّ ما أحبّ أن أبقى بعدك، لأنّي لا أجد منك خلفاً، ولئن بقيت لا أعدم طاغياً يتّخذك سلماً وعضداً، ويعدّك كهفاً وملجأً، لا يمنعني منه إلّا مكانه منك، ومكانك منه ـ إلى أن قال ـ: فقال عليّ عليه السلام: إنّ في ما تكلّمت به جواباً، ولكنّي عن جوابك مشغول بوجعي، وأنا أقول كما قال العبد الصالح: ﴿...فصبرٌ جميل والله المستعان على ما تصفون﴾[١].

وفي (حلية أبي نعيم): في حذيفة؛ قال النزال بن سبرة: كنّا مع حذيفة في البيت فقال له عثمان: يا أبا عبد الله، ما هذا الذي يبلغني عنك؟ قال: ما قلته. فقال له عثمان: أنت أصدقهم وأبرّهم. فلمّا خرج قلت لحذيفة: ألم تقل ما قلت؟ قال: بلى، ولكن أشتري ديني بعضه ببعض مخافة أن يذهب كلّه[٢].

وفي (تاريخ اليعقوبيّ): نقم الناس على عثمان بعد ولايته بستّ سنين، وتكلّم فيه من تكلّم، وقالوا: آثر القرباء، وحمى الحمى، وبنى الدار، واتّخذ

---

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٢ ـ ٣٣، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص، والآية ١٨ من سورة يوسف.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم ١: ٢٧٩، العقد الفريد لابن عبد ربه ٧: ٢٩٦، وقال ابن عبد ربّه في العقد بعد ذكره: أخذه الشاعر فقال:

نرقّعُ دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقّعُ

الضياع والأموال بمال الله والمسلمين، ونفى أبا ذرّ صاحب الرسول، وعبد الرحمن بن حنبل، وآوى الحكم بن أبي العاص، وولّى الوليد بن عقبة الكوفة، فأحدث في الصلاة ما أحدث، فلم يمنعه ذلك من إعادته إيّاه، وأجاز الرجم، وذلك أنّه كان رجم امرأة من جهينة دخلت على زوجها، فولدت لستّة أشهر، فأمر عثمان برجمها، فلمّا أُخرجت دخل عليه عليّ بن أبي طالب عليه السلام فقال: إنّ الله تعالى يقول: ﴿...وحملُه وفِصاله ثلاثونَ شهراً...﴾[١]. وقال في رضاعه: ﴿...حولين كاملين...﴾[٢]. فأرسل عثمان في أثر المرأة، فوجدت قد رجمت فماتت، فاعترف الرجل بالولد[٣].

وكتب في جمع المصاحف من الآفاق حتّى جمعها، ثمّ سلقها بالماء الحارّ والخلّ. وقيل: أحرقها، فلم يبق مصحف إلّا فعل به ذلك خلا مصحف ابن مسعود. وكان ابن مسعود بالكوفة، فامتنع أن يدفع مصحفه إلى عبد الله بن عامر، فكتب إليه عثمان: أن أشخصه. فدخل المسجد وعثمان يخطب، فقال عثمان: إنّه قد قدمت عليكم دابّة سوء. فتكلّم ابن مسعود بكلام غليظ فأمر به عثمان، فجرّ برجله حتّى كُسر له ضلعان، فتكلّمت عائشة، وقالت قولاً كثيراً.

فأقام ابن مسعود مغاضباً لعثمان حتّى توفي، وصلّى عليه عمّار، وكان عثمان غائباً فستر أمره. فلمّا انصرف رأى القبر، فقال: قبر مَنْ هذا؟ قيل: قبر عبد الله بن مسعود. قال: فكيف دفن قبل أن أعلم؟ فقالوا: ولي أمرهُ عمّار، وذكر أنّه أوصى ألّا يخبر به، ولم يلبث إلّا يسيراً حتّى مات المقداد، فصلّى عليه عمّار، وكان أوصى إليه، ولم يؤذن به عثمان، فاشتدّ غضب عثمان على

---

(١) الأحقاف: ١٥.

(٢) البقرة: ٢٣٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٣ ـ ١٧٤، ونقله الشارح بتصرّف.

عمّار، وقال: ويلي على ابن السوداء! أما لقد كنت به عليماً[١].

وفي ابن أبي الحديد في موضع آخر: قرئَ كتاب (الاستيعاب) على شيخنا عبد الوهّاب بن سكينة المحدّث وأنا حاضر، فلمّا انتهى القارئ إلى خبر حضور حُجْر والأشتر في تجهيز أبي ذرّ، قال أُستاذي عمر بن عبد الله الدبّاس: لتقل الشيعة بعد هذا ما شاءت، فما قال المرتضى والمفيد إلّا بعض ما كان حجر والأشتر يعتقدانه في عثمان ومن تقدّمه، فأشار الشيخ إليه بالسكوت[٢].

وفي (الأغاني) في أبي ذؤيب وخروجه في غزوة إفريقية: وكان مروان قد صفق[٣] على الخمس بخمسمائة ألف، فوضعها عنه عثمان، فكان ذلك ممّا تكلّم فيه بسببه. فقال عبد الرحمن بن حنبل بن مُليل ـ وهو أخو صفوان بن أُميّة ـ لعثمان:

دعوت الطريد[٤] فأدنيته ... خلافاً لسنّة من قد مضى

وأعطيت مروان خُمس العبا ... د ظلماً لهم وحميْت الحمى

ومالاً أتاك به الأشعري ... من الفيء أعطيته من دنا

قال: المراد بالمال الذي أتى به الأشعري، المال الذي قدم به أبو موسى الأشعري من العراق على عثمان، فأعطى عبد الله بن أسيد بن أبي العاص [العيص] منه مائة ألف درهم، وقيل: ثلثمائة ألف درهم؛ فأنكر الناس ذلك[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٠ ـ ١٧١، ونقله الشارح بتصرّف.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠١ ـ ١٠٥.

(٣) يقال: صَفَقْتُ له بالبيع والبيعة صفقاً، أي: ضربت يدي على يده. (الصحاح ٤: ١٥٠٧، مادة: صفق).

(٤) هو الحكم بن أبي العاص بن أُميّة أبو مروان بن الحكم وعمّ عثمان بن عفّان. وهو طريد رسول الله ﷺ نفاه من المدينة إلى الطائف، ولم يزل بها إلى أن ولي عثمان فردّه إلى المدينة وأعطاه مائة ألف درهم. انظر الطبقات الكبرى ٥: ٤٤٧، الاستيعاب ١: ٣١٧ ـ ٣١٩، أُسد الغابة ٢: ٣٣ ـ ٣٥، الإصابة ١: ٣٤٥ ـ ٣٤٦.

(٥) الأغاني ٦: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

وأما ايجاد عثمان للناس مقالاً، وقولهم فيه، ونقمهم عليه، وتغييرهم أمره؛ ففي (الطبري) في جهاد هاشم المرقال يوم صفّين مع جمع من القرّاء: فإنّهم لكذلك إذ خرج عليهم فتى شابّ وهو يقول:

أنا ابنُ أرباب الملوك غسّان والدائنُ اليوم بدين عثمان

إنّي أتاني خبر فأشجان أنّ علياً قَتل ابن عفّان

ثم يشدّ فلا ينثني حتى يضرب بسيفه، ثمّ يشتم ويلعن ويُكثر الكلام، فقال له هاشم: يا عبد الله، إنّ هذا الكلام بعده الخصام، وإنّ هذا القتال بعده الحساب، فاتّق الله فإنّك راجع إلى الله فسائلك عن هذا الموقف وما أردتَ به.

قال: فإنّي أُقاتلكم لأنّ صاحبكم لا يصلّي كما ذُكر لي، وأنتم لا تصلّون أيضاً، وأُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم أردتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفّان! إنّما قتله أصحاب محمّد ﷺ وأبناء أصحابه وقرّاء الناس، حين أحدث الأحداث، وخالف حكم الكتاب، وهم أهل الدين، وأولى بالنظر في أُمور الناس منك ومن أصحابك ـ إلى أن قال ـ: وأمّا قولك: إنّ صاحبنا لا يصلّي، فهو أوّل من صلّى، وأفقه خلق الله في دين الله، وأولى بالرسول. وأمّا كلّ من ترى معي فكلّهم قارئ لكتاب الله لا ينام الليل تهجّداً...[1].

وفي (الطبري) أيضاً: كان ابتداء الجرأة على عثمان أنّ إبلاً من إبل الصدقة قدمت على عثمان، فوهبها لبعض ولد الحكم بن أبي العاص، فبلغ ذلك عبد الرحمن بن عوف، فأخذها [فأخذاها] وقسمها بين الناس وعثمان في داره، فكان ذلك أوّل وهن دخل عليه.

وقيل: بل كان أوّل وهن دخل عليه أنّ عثمان مرّ بجبلة بن عمرو

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٣ ـ ٤٤، سنة ٣٧، ونقله الشارح بتصرّف.

الساعدي، وهو في نادي قومه وفي يده جامعة[١]، فسلّم عثمان، فردّ القوم عليه، فقال لهم جبلة: لِمَ تردّون على رجل فعل كذا وفعل كذا! ثمّ قال لعثمان: والله لأطرحنّ هذه الجامعة في عنقك أو لتتركنّ بطانتك هذه الخبيثة؛ مروان، وابن عامر، وابن أبي سرح؛ منهم مَن نزل القرآن بذمّه، ومنهم من أباح النّبيّ ﷺ دمه.

وقيل: إنّه خطب يوماً، وبيده عصا كان النبيّ ﷺ وأبو بكر وعمر يخطبون عليها، فأخذها جَهْجاه الغفاري من يده، وكسرها على ركبته، فلمّا تكاثرت أحداثه كتب جمع من أهل المدينة من الصحابة وغيرهم إلى مَن بالآفاق: إنّكم إن كنتم تريدون الجهاد فهلمّوا إلينا؛ فإنّ دين محمّد ﷺ قد أفسده خليفتكم[٢].

وفي (العقد): قال ابن دأب: لمّا أنكر الناس على عثمان ما أنكروا، من تأمير الأحداث من أهل بيته بني أُميّة على الجلّة الأكابر من أصحاب محمّد ﷺ، قالوا لعبد الرحمن بن عوف: هذا عملك واختيارك لأُمّة محمّد ﷺ؟ قال: لم أظنّ هذا به![٣].

وفيه: قال أبو سعيد الخُدري: إنّ ناساً كانوا عند فسطاط عائشة وأنا معهم بمكّة، فمرّ بنا عثمان، فما بقي أحد من القوم إلّا لعنه غيري، وكان فيهم رجل من أهل الكوفة، كان عثمان أجرأ عليه منه على غيره، فقال له: يا كوفيّ، أتشتمني؟ فلمّا قدم المدينة كان يتهدّده، فقيل له: عليك بطلحة. فانطلق معه حتّى دخل على عثمان، فقال عثمان: والله لأجلدنّه مائة سوط. قال طلحة: والله

---

(١) الجامعة: الغلّ، لأنّها تجمع اليدين إلى العنق. (الصحاح ٣: ١١٩٩، مادة: جمع).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٥ ـ ٣٦٧، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) العقد الفريد ٥: ٥٥.

لا تجلدنّه مائة سوط إلّا أن يكون زانياً. قال: والله لأحرمنّه عطاءه. قال: الله يرزقه[١].

وفي (العقد): نظر ثابت بن عبد الله بن الزبير إلى أهل الشام فقال: إنّي لأبغض هذه الوجوه. فقال له سعيد بن عمرو بن عثمان: تبغضهم لأنّهم قتلوا أباك! قال: صدقت، ولكنّ المهاجرين والأنصار قتلوا أباك[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) في حصار عثمان: فقام الأشتر وقال لطلحة: تبعثون إلينا وجاءنا رسولكم بكتابكم، وها هو ذا، وأخرج كتاباً فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من المهاجرين الأوّلين وبقيّة الشورى، إلى من بمصر من الصحابة والتابعين، أمّا بعد: أن تعالوا إلينا، وتداركوا خلافة رسول الله قبل أن يسلبها أهلها؛ فإنّ كتاب الله قد بدّل، وسنّة رسوله قد غيّرت، وأحكام الخليفتين قد بدّلت، فننشد الله من قرأ كتابنا من بقيّة أصحاب الرسول والتابعين بإحسان، إلّا أقبل إلينا، وأخذ الحقّ لنا، وأعطاناه، فأقبلوا إلينا إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر، وأقيموا الحقّ على المنهاج الواضح، الذي فارقتم عليه نبيّكم ﷺ، وفارقكم عليه الخلفاء. غلبنا على حقّنا، واستولي على فيئنا، وحيل بيننا وبين أمرنا، وكانت الخلافة بعد نبيّنا خلافة نبوّة ورحمة، وهي اليوم ملكاً عضوضاً، من غلب على شيء أكله. فبكى طلحة، فقال الأشتر: لمّا حضرنا أقبلتم تعصرون أعينكم، والله لا نفارقه حتّى نقتله ـ إلى أن قال ـ: وذكروا أنّ أهل مصر جاؤوا يشكون عاملهم ابن أبي سرح، فكتب إليه عثمان يتهدّده، فأبى ابن أبي سرح أن يقبل ما نهاه عنه عثمان، وضرب بعض من أتاه به من قبل عثمان من أهل مصر حتّى قتله، فخرج من أهل مصر سبعمائة رجل،

---

(١) العقد الفريد ٥: ٥٦.

(٢) العقد الفريد ٤: ١١٠.

فنزلوا في المسجد، وشكوا إلى أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله في مواقيت الصلاة ما صنع بهم ابن أبي سرح، فقام طلحة وتكلّم بكلام شديد، وأرسلت عائشة إلى عثمان فقالت له: قد تقدّم إليك أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله، وسألوك عزل هذا الرجل، فأبيت إلّا واحدة، فهذا قد قتل منهم رجلاً، فأنصفهم من عاملك. ودخل عليه عليّ عليه السلام، وكان متكلّم القوم، فقال له: إنّما يسألونك رجلاً مكان رجل، وقد ادّعوا قبله دماً، فاعزله عنهم واقض بينهم، فإن وجب لهم عليه حقّ، فأنصفهم منه. فقال: اختاروا رجلاً أولّيه عليهم. فقالوا: استعمل محمّد بن أبي بكر. فكتب عهده، وولّاه، فخرج وخرج معه عدد من المهاجرين والأنصار، ينظرون في ما بين أهل مصر وابن أبي سرح، حتّى إذا كانوا على مسيرة ثلاث ليال من المدينة، فإذا هم بغلام أسود على بعير يخبط البعير، كأنّه رجل يَطلب أو يُطلب، فقال له أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله: ما قصّتك وما شأنك؟ كأنّك طالب أو هارب، فقال: إنّي غلام عثمان وجّهني إلى عامل مصر. فقال له رجل: هذا عامل مصر معنا، قال: ليس هذا أُريد. فأُخبر محمّد بن أبي بكر بأمره، فبعث في طلبه، فجيء به إليه، فقال له: غلام من أنت؟ فأقبل مرّة يقول: غلام مروان، ومرّة يقول: غلام عثمان، حتّى عرفه رجل أنّه لعثمان، فقال له محمّد: إلى من أرسلك؟ قال: إلى عامل مصر. قال: بماذا؟ أما معك كتاب؟ قال: لا. ففتّشوه، فلم يجدوا معه كتاباً، وكانت معه إداوة قد يبست، فيها شيء يتقلقل، فحرّكوه ليخرج فلم يخرج، فشقّوا إداوته، فإذا فيها كتاب من عثمان إلى ابن أبي سرح، فجمع محمّد بن أبي بكر من كان معه من المهاجرين والأنصار، وفكّ الكتاب بمحضر منهم، فقرأه، فإذا فيه: إذا أتاك محمّد بن أبي بكر وفلان وفلان فاقتلهم، وأبطل كتابهم، وقرّ على عملك حتّى يأتيك رأيي.

فلمّا رأوا الكتاب فزعوا منه، ورجعوا إلى المدينة، وختم محمّد بن أبي

بكر الكتاب بخواتم النفر الذين كانوا معه، ودفعه إلى رجل منهم، ثمّ قدموا المدينة، فجمعوا طلحة والزبير وعليّاً وسعداً، ومن كان من أصحاب النّبيّ ﷺ، ثمّ فكّوا الكتاب بمحضر منهم، وأخبرهم بقصّة الغلام، وأقرأهم الكتاب، فلم يبق أحد من المدينة إلّا حنق[١] على عثمان. وقام أصحاب النّبيّ ﷺ فلحقوا بمنازلهم، وحصر الناس عثمان وأحاطوا به[٢].

ثم من المضحك أنّ ابن أبي الحديد نقل كلام المرتضى في ردّ قاضي القضاة في دفاعه عن مطاعن عثمان، وقال ابن أبي الحديد نفسه: الجواب عن هذه المطاعن على وجهين: إجمالاً وتفصيلاً: أمّا الإجماليّ، فإنّا لا ننكر أنّ عثمان أحدث أحداثاً أنكرها كثير من المسلمين، ولكنّا ندّعي مع ذلك أنّها لم تبلغ درجة الفسق، ولا أحبطت ثوابه، وأنّها من الصغائر التي وقعت مكفّرة؛ وذلك لأنّا قد علمنا أنّه مغفور له، وأنّه من أهل الجنّة لثلاثة أوجه:

أحدها: أنّه من أهل بدر، وقد قال النبيّ ﷺ: إنّ الله اطّلع على أهل بدر، فقال: اعملوا ماشئتم، فقد غفرت لكم! لا يقال: عثمان لم يشهد بدراً؛ لأنّا نقول: صدقتم، لكنّه تخلّف على رقيّة ابنة النّبيّ لمرضها، وضرب له النّبيّ بسهمه وأجره باتّفاق سائر الناس.

وثانيها: أنّه من أهل بيعة الرضوان الذين قال تعالى فيهم: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة...﴾[٣]. لا يقال: إنّه لم يشهد بيعة الشجرة لأنّا نقول: صدقتم، لكنّ النّبيّ كان أرسله إلى أهل مكّة، ولأجله كانت بيعة الرضوان، حيث أُرجف[٤] بأنّ قريشاً قتلت عثمان، فقال النّبيّ ﷺ: «إن

---

(١) حَنِقَ عليه: اغتاظ. والحَنَق: الغيظ. (الصحاح ٤: ١٤٦٥، مادة: حنق).

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٣٥ ـ ٣٧، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) الفتح: ١٨.

(٤) أرجف القوم إذا خاضوا في الأخبار السيئة وذكر الفتن؛ قال الله تعالى: ﴿والمرجفون في المدينة﴾ (الأحزاب: ٦٠).

كانوا قتلوه، لأضرمنّها عليهم ناراً»، ثمّ جلس تحت الشجرة، وبايع الناس على الموت، ثمّ قال: «إن كان عثمان حيّاً فأنا أُبايع عنه»، فصفح بشماله على يمينه، وقال: «شمالي خير من يمين عثمان». روى ذلك جميع أرباب السيرة متّفقاً عليه.

وثالثها: أنّه من جملة العشرة الذين تظاهرت الأخبار بأنّهم من أهل الجنّة.

وإذا كانت هذه الوجوه الثلاثة دالّة على أنّه مغفور له، وأنّ الله قد رضي عنه؛ وهو من أهل الجنّة، بطل أن يكون فاسقاً، فاقتضت بأن يُحكم أنّ كلّ ما وقع منه فهو من باب الصغائر المكفّرة[1].

قلت: بقاء عدالة عثمان مع تلك الأعمال كبقاء طهارة مرأة قد كانت تأتيها الرجال، فكانت إذا قامت من تحت رجل بالدلال، وثبت إلى الصلاة بلا إمهال، فقال لها رجل: إنّي أتعجّب من استحكام وضوئك، أيّ وضوء هو! لا تستطيع تلك الجنابات المتواترة أن تؤثّر فيه؟!

وليت ابن أبي الحديد كان حاضراً يوم الشورى حتّى يجيب المقداد عن طعنه في عثمان؛ فقال المقداد ذلك اليوم من وراء الباب لمّا لم يدخلوه: يا معشر المسلمين، إن ولّيتموها أحداً، فلا تولّوها من لم يحضر بدراً، وانهزم يوم أُحد، ولم يحضر بيعة الرضوان، وولّى الدبر يوم التقى الجمعان[2].

وعثمان نفسه لم يدر أن يجيب المقداد بجواب ابن أبي الحديد المنطقيّ ذاك الذي بالشكل الأوّل الذي بديهيّ الإنتاج، بل أجابه بالتهديد، فقال: «أما والله

وهم الذين يولّدون الأخبار الكاذبة التي يكون معها اضطراب في الناس. (لسان العرب ٥: ١٥٣، مادة: رجف).

(١) شرح ابن أبي الحديد ٣: ٦٨ ـ ٦٩.

(٢) إشارة إلى الآية ١٥٥ من سورة آل عمران.

لئن ولّيتها لأردّنّك إلى ربّك الأوّل»[١].

والأصل في ترتيب وجوهه معاوية بن أبي سفيان، فإذا كان معاوية هو الحاكم يوم الجزاء يثني على ابن أبي الحديد أحسن الثناء!

٥
الخطبة (٣٠)

ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان:

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً، أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِرًا، غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: خَذَلَه مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ، وَمَنْ خَذَلَهُ لَايَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ: نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي. وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَه؛ اسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ ٱلْأَثَرَة، وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ ٱلجَزَع، وَلِلّهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي ٱلْمُسْتَأْثِرِ وَٱلْجَازِعِ.

أقول: رواه (رسائل الكليني) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليقرأ على الناس لمّا سألوه عن أبي بكر، وعمر، وعثمان بعد فتح معاوية لمصر، وقتل محمّد بن أبي بكر، رواه مع زيادات، وهذا نصّه: وأمّا أمر عثمان، فكأنّه علم من القرون الأولى ﴿علمها عند ربّي في كتاب لا يضلّ ربّي ولا ينسى﴾[٢]. خذله أهل بدر، وقتله أهل مصر. والله ما أمرت ولا نهيت ولو أنّني أمرت كنت قاتلاً، ولو أنّي نهيت كنت ناصراً، وكان الأمر لا ينفع فيه العيان ولا يشفى منه الخبر، غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله من أنا خير منه، ولا يستطيع من خذله أن يقول: نصره من هو خير منّي، وأنا جامع أمره: استأثر فأساء الأثرة، وجزعتم

---

(١) أمالي المفيد: ١١٤ ـ ١١٥، الجمل: ١٢٢.

(٢) طه: ٥٢.

فأسأتم الجزع، والله يحكم بينكم وبينه، والله ما يلزمني في دم عثمان تهمة[١].

ورواه (مسترشد ابن رستم الطبريّ) أخصر منه[٢].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في معنى قتل عثمان».

أقول: وله عليه السلام كلام آخر في معنى قتله؛ رواه ابن قتيبة في (عيونه) عن القاسم بن الحسن، عن خالد بن خداش، عن حمّاد، عن مجالد، عن عمير بن روذي قال: خطبنا عليّ عليه السلام فقال: «لئن لم يدخل الجنّة إلّا من قتل عثمان لا أخلها، ولئن لم يدخل النار إلّا من قتل عثمان لا أدخلها»، فقيل له: ما صنعت فرّقت الناس! فخطبهم فقال: إنكم أكثرتم في قتل عثمان، ألا وإنّ الله قتله وأنا معه[٣].

وقال ابن قتيبة: حدّثنا خالد، عن حمّاد، عن حبيب بن الشهيد عن محمّد بن سيرين قال: كلمة عربيّة، ولها وجهان، أي: وسيقتلني معه[٤].

ورواه ابن عبد البر في (استيعابه) إلى «ولئن لم يدخل النار إلّا من قتل عثمان لا أدخلها»[٥].

وروى كاتب الواقدي كما في (الشافي) عن عبيدة السلماني، قال: سمعت علياً عليه السلام يقول: من كان سائلي عن دم عثمان، فإنّ الله قتله وأنا معه[٦].

وأمّا ما نقله ابن قتيبة[٧] عن ابن سيرين أنّه قال: معناه «وسيقتلني

---

(١) لا وجود لرسائل الائمة للكليني ، وانما نقله رحمه الله من مصادر أُخرى.

(٢) مسترشد ابن رستم الطبري: ١٠٠، المطبعة الحيدرية، النجف.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٢٠٦ ـ ٢٠٧، العقد الفريد ٥: ٥٢.

(٤) عيون الأخبار ٢: ٢٠٧.

(٥) لم أجده في الاستيعاب.

(٦) الشافي في الإمامة ٤: ٣٠٨.

(٧) عيون الأخبار ٢: ٢٠٧.

معه»؛ إن أراد بقوله: معناه هذا، أنّه تعالى يتوفّاه لقوله تعالى: ﴿الله يتوفّى الأنفس حين موتها...﴾[١] فلا اختصاص به عليه السلام، ولم يَصر جواباً، ولم ينطبق عليه العربيّة، وإن أراد غيره فَلْيُبيّنه.

وممّا يوضّح أنّه عليه السلام أراد ظاهره ما قاله كاتب الواقدي كما في (الشافي): روى شعبة عن أبي حمزة الضبعي قلت لابن عبّاس: إنّ أبي أخبرني أنّه سمع عليّاً عليه السلام يقول: «ألا من كان سائلي عن دم عثمان، فإنّ الله قتله وأنا معه». قال: صدق أبوك. هل تدري ما يعني بقوله؟ إنّما عنى أنّ الله قتله، وأنا مع الله[٢].

وما رواه نصر بن مزاحم في (صفّينه): أنّ عمرو بن العاص قال لعمّار: ما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله وعليّ معه. قال عمرو: أكنت فيمن قتله؟ قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم. قال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو: ألا تسمعون؟ قد اعترف بقتل عثمان. قال عمّار: وقد قال فرعون قبلك لقومه: ﴿...ألا تستمعون﴾[٣].

قوله عليه السلام: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً» في (صفّين نصر): خرج جرير البجليّ ـ أيّام كونه بالشام لمّا بعثه عليّ عليه السلام إلى معاوية لأخذ البيعة ـ يتجسّس الأخبار، فإذا هو بغلام [يتغنّى] على قعود له، وهو يقول:

حُكَيم وعمّار الشجا ومحمّدٌ   وأشتر والمكشوح جرّوا الدواهِيا[٤]

---

(١) الزمر: ٤٢.

(٢) الشافي في الإمامة ٤: ٣٠٨.

(٣) وقعة صفّين: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٢، والآية ٢٥ من سورة الشعراء.

(٤) حُكيم بن جبلة بن حصن العبدي كان من عمّال عثمان على السند ثمّ البصرة، وقتل بها يوم الجمل. اسد الغابة ٢:

وقد كان فيها للزبير عَجاجَةٌ وصاحبُه الأدنى أشاب النواصيا
فأمّا عليّ فاستغاث ببيته فلا آمِرٌ فيها ولم يكُ ناهيا

فقال له جرير: يابن أخي، من أنت؟ قال: أنا غلام من قريش، وأصلي من ثقيف، أنا ابن المغيرة بن الأخنس، قتل أبي مع عثمان يوم الدار. فعجب جرير من قوله، وكتب بشعره إلى عليّ عليه‌السلام، فقال عليّ عليه‌السلام: والله ما أخطأ الغلام شيئاً[1].

وفي (العقد الفريد): قال حسّان بن ثابت لعليّ: إنّك تقول: ما قتلت عثمان ولكن خذلته، ولم آمر به ولكن لم أنه عنه. فالخاذل شريك القاتل، والساكت شريك القاتل.

وأخذ معنى كلام حسّان، كعب بن جُعيل التغلبي -وكان مع معاوية في صفّين- فقال:

وما في عليّ لِمستحدثٍ مقام سوى عصمةِ المحدِثينا
وإيثاره لأهالي الذنوب ورفع القصاص عن القاتلينا
إذا سيل عنه زَوَى وجهه وعَمّى الجوابَ على السائلينا[2]
فليس براضٍ ولا ساخطٍ ولا في النهاةِ ولا الآمرينا
ولا هو ساءٍ ولا سرّه ولابدّ من بعض ذا أن يكونا[3].

---

٣٩ ـ ٤٠. وعمّار هو عمّار بن ياسر الصحابي، ومحمّد هو ابن أبي بكر، والأشتر لقب مالك بن الحارث، والمكشوح هو المراديّ. قال الزبيدي في تاج العروس ٧: ٧٦: سُمّي المكشوح المراديّ حلْفاً، ونسبه في بجيلة ثمّ في بني أحْمَس، واسمه هُبيرة بن هلال، ويقال: عبد يغوث بن هُبيرة بن الحارث. وفي الروض الأنف: وإنّما سمّي مكشوحاً لأنّه ضُرب بسيف على كشحه.

(١) وقعة صفين: ٥٤ ـ ٥٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٦ ـ ٨٧.

(٢) روى وجهه: صَرَفه ونحّاه. (لسان العرب ٦: ١١٩، مادة: زوى).

(٣) العقد الفريد ٥: ٤٧ والبيت الآخر فيه هكذا:

ولا هو ساه ولا سرُّه ولا آمن بعض ذا أن يكونا

وفي (خلفاء ابن قتيبة) لمّا أُخبر عمرو بن العاص وهو بفلسطين، أنّ عثمان قد قتل، وأنّ الناس بايعوا علياً عليه السلام قال: فما فعل عليّ في قتلة عثمان؟ قيل له: دخل عليه الوليد بن عُقبة، فسأله عن قتله، فقال: ما أمرت ولا نهيت، ولا سرّني ولا ساءني.

قال: فما فعل بقتلته؟ فقيل له: آواهم. فقال عمرو: خلط والله أبو الحسن. ثمّ كتب عمرو إلى سعد بن أبي وقّاص يسأله عن قتل عثمان، ومن قتله؟ فكتب إليه سعد: انّك سألتني عن قتل عثمان، وإنّي أُخبرك أنّه قتل بسيف سلّته عائشة، وصقله طلحة، وسمّه ابن أبي طالب! وسكت الزبير بلسانه وأشار بيده، وأمسكنا نحن، ولو شئنا دفعنا عنه[١].

وفي (العقد): قال العتبي: قال رجل من بني ليث: لقيت سعداً، فقلت له: من قتل عثمان؟ قال: سيف سلّته عائشة، وشحذه طلحة، وسمّه عليّ![٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي وأضعه، وعليّ عليه السلام ينظر إليّ لا يأمرني ولا ينهاني، فلمّا كانت البيعة له، خرجت في أثره[٣].

وفي (صفّين نصر): طلب معاوية من عبيد الله بن عمر أن يشهد على عليّ عليه السلام بقتل عثمان، فقام وقال:

ولكنّه قد قرّب القوم جَهْدَهُ ودبّوا حواليه دبيب العقارب
فما قال أحسنتم ولا قد أسأتُمُ وأطرق إطراقَ الشجاع المواثبِ[٤]

وفي (العقد) عن قيس بن رافع قال: قال زيد بن ثابت: رأيت علياً

(١) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٤٧ ـ ٤٨، والنقل بتصرف يسير.

(٢) العقد الفريد ٥: ٤٦.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٤٦ ـ ٤٧.

(٤) وقعة صفين: ٨٢ ـ ٨٤، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٠٠ ـ ١٠١، ونقله الشارح بتلخيص.

مضطجعاً في المسجد، فقلت له: إنّ الناس يرون أنّك لو شئت رددت الناس عن عثمان. فجلس ثمّ قال: والله ما أمرتهم بشيء ولا دخلت في شيء من شأنهم. فأتيت عثمان فأخبرته، فقال:

وحـــــرّق قـــيسٌ عــليّ البِــــلا
د حتّى إذا اضطرمت أحجما[أجذما][١]

وروى (الشافي) عن الواقدي، عن الحكم بن الصلت، عن عمّار، عن أبيه، قال: رأيت عليّاً عليه السلام على منبر النّبيّ صلى الله عليه وآله حين قتل عثمان، وهو يقول: ما أحببت قتله ولا كرهته، ولا أمرت به ولا نهيت عنه[٢].

وعن (كاتب الواقدي) مسنداً عن أبي خلدة [جلدة] قال: سمعت عليّاً عليه السلام وهو يخطب فذكر عثمان وقال: والله الذي لا إله إلّا هو ما قتلته، ولا مالأت على قتله، ولا ساءني[٣].

هذا، ولعلّ قوله عليه السلام في قتل عثمان: «ما أمرت ولا نهيت، ولا رضيت ولا سخطت» في قبال قول أبي سفيان لمّا مثلت امرأته هند بعمّه حمزة في أُحد، فأشرف أبو سفيان على المسلمين وقال: «أما إنّها قد كانت فيكم مثلة ما أمرت بها ولا نهيت عنها، ولا سرّتني ولا ساءتني»[٤].

هذا، وفي (المروج): لمّا قتل الأمين قيل لزبيدة: ما يجلسك وقد قتل ابنك؟ فقالت: وما أصنع؟ فقيل: تخرجين فتطلبين بثأره كما خرجت عائشة تطلب بدم عثمان. فقالت: اخسأ لا أُمّ لك، ما للنساء وطلب الثأر؟ ثمّ أمرت بثيابها فسوّدت، ولبست مسحاً من شَعَر، ودعت بدواة وقرطاس، وكتبت إلى

---

(١) العقد الفريد لابن عبد رب ٥: ٤٩.

(٢) الشافي في الإمامة ٤: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٣٠٨.

(٤) تاريخ الطبري ٢: ٥٢١، سنة ٣.

المأمون مالقت من طاهر، وقتله لابنها. فلما قرأ المأمون كتابها قال: اللّهمّ إنّي أقول كما قال أمير المؤمنين علي عليه السلام لمّا بلغه قتل عثمان: والله ما أمرت به ولا نهيت عنه...[١].

ومن المضحك أنّ ابن أبي الحديد قال: لا يجوز أن يحمل كلامه عليه السلام: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً» على ظاهره، لما ثبت من عصمة دم عثمان. وأيضاً ثبت في السير أنّه كان ينهى الناس عن قتله؛ فيحمل لفظ النهي على المنع كما يقال: «الأمير ينهى عن نهب أموال الرعية»، أي: يمنع، وحينئذ يستقيم الكلام؛ لأنّه ما أمر بقتله ولا منع عن قتله، وإنّما كان ينهى عنه باللسان، ولا ينهى [يمنع] عنه باليد. ولأجل أشباه هذا الكلام كقوله: «ما سرّني ولا ساءني». وقوله لمّا قيل له: أرضيت بقتله؟ قال: لم أرض. فقيل له: أسخطت قتله؟ فقال: لم أسخط. وقوله: «الله قتله وأنا معه» قال كعب أبياته ـ ونقل تلك الأبيات ـ وللكلّ تأويل يعرفه أولو الألباب[٢].

قلت: بل ينكره ذوات الأذناب فضلاً عن أُولي الألباب. ولو صحّ ما قاله لكان كلّ باطل حقّاً، وكلّ منكر معروفاً.

وكيف يقول: نهى عليه السلام عنه باللسان وعمّار يصيح بين يديه في صفّين: «اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً. والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله»[٣]؟

ثمّ إن كان المصريون والبصريون والكوفيون الذين جاؤوا لقتله لا يطيعونه عليه السلام هل كان عمّار لايطيعه، وهو الذي يقول له عليه السلام: إن أمرتني أن

---

(١) مروج الذهب ٣: ٤٢٣ ـ ٤٢٤. وفي المصدر: والله ما قتلت، ولا أمرت، ولا رضيت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٧ ـ ١٢٨، بتصرّف وتلخيص من الشارح.

(٣) وقعة صفين لابن مزاحم: ٣٢٦، شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠.

أُلقي بنفسي في البحر لفعلت[١]. وهل كان محمّد بن أبي بكر لا يطيعه وهو كان أطوع له من ولده غير الحسنين عليهما السلام[٢]. وهل كان الأشتر لا يطيعه وكان عليه السلام يقول: ليت في أصحابي عدّة مثله في إطاعته لي في كلّ كليّ وجزئيّ[٣].

وكيف جاهر عليه السلام قبل خلافته بوجوب قتل عبيد الله بن عمر قاتل هرمزان العجميّ[٤]، ودافع في خلافته عن قتلة إمامهم الثالث؟!

وكيف يقول بعصمة دم عثمان ولمّا بعث معاوية شرحبيل بن السمط، وحبيب بن سلمة، ومعن بن يزيد إليه عليه السلام قال له شرحبيل ـ كما في (الطبري) وغيره ـ: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ قال عليه السلام: لا. قال شرحبيل: فمن لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوماً فنحن منه برآء. ثمّ قام فانصرف. فقال عليّ عليه السلام: ﴿إنّك لا تُسمع الموتى ولا تُسمِع الصمَّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين* وما أنت بهادي العُمي عن ضلالتهم إن تُسمِع إلّا من يؤمِن بآياتنا فهم مسلمون﴾[٥].

وكيف لم يكن مباح الدم ولمّا كتب معاوية ـ كما في (العقد) ـ إليه عليه السلام:

---

(١) ذكر نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ٣٢٠ دعاء عمّار وأنّه قال: اللهمّ إنّك تعلم أنّي لو أعلم أنّ رضاك في أن أقذف بنفسي في هذا البحر لفعلت ـ إلى أن قال: اللهمّ وإنّي أعلم ممّا أعلمتني أنّي لا أعمل (أعلم) اليوم عملاً هو أرضى لك من جهاد هؤلاء الفاسقين، ولو أعلم اليوم عملاً أرضى لك منه لفعلته، ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٥: ٢٥٣.

(٢) سفينة البحار للمحدّث القمي رحمه الله ١: ٣١٢ ـ ٣١٣.

(٣) قال الامام علي عليه السلام في الأشتر: ليت فيكم مثله اثنين، بل ليت فيكم مثله واحداً يرى في عدوّه [عدوّي] مثل رأيه، إذاً لخفّتْ عليَّ مؤونتكم...

وقعة صفّين: ٥٢١، تاريخ الطبريّ ٥: ٥٩، سنة ٣٨، الإرشاد ١: ٢٦٩، الكامل في التاريخ ٣: ١٦٣، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٤٠، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٥٠٥، ٥٩٣.

(٤) وقعة صفين: ١٨٦.

(٥) وقعة صفين: ٢٠١ ـ ٢٠٢، تاريخ الطبري ٥: ٨، سنة ٣٧، شرح ابن أبي الحديد: ٢٤، والآيتان ٨٠ ـ ٨١ من سورة النمل.

قتلتَ ناصرك، واستنصرت واترك[١]! فايم الله لأرمينّك بشهاب تذكيه الريح ولا تطفئه الماء، فإذا وقع وقب[٢]، وإذا مسّ ثقب، فلا تحسبنّني كسحيم، أو عبد القيس، أو حلوان الكاهن» كتب عليه السلام إليه: (ما قتل ابنَ عمّك غيرك، وإنّي أرجو أن ألحقك به على مثل ذنبه وأعظم من خطيئته)[٣]. غير أنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: «خذله من أنا خير منه»، ومن خذله لا يستطيع أن يقول: «نصره من هو خير منّي». «فمن نصره» كان مروان بن الحكم، والمغيرة بن الأخنس ونظراؤهما من المنافقين، و «من خذله» كان منهم أجلّاء المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان؛ فناصره لا يمكنه لوضوح فسقه ادّعاء كونه خيراً من خاذله، كما أنّ خاذله لثبوت تديّنه لا يمكنه الإقرار على نفسه بكون ناصره خيراً منه.

وهذا الكلام ـ ككلامه الأوّل المشتمل على عدم نهيه عليه السلام عن قتله، مع كونه عليه السلام آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر باتّفاق المؤالف والمخالف ـ دالّ على باحة قتله، فإنّ حقّ الأمور وباطلها يعلمان من متصدّيها؛ فإذا كان ناصره لا يستطيع أن يدّعي تلك الدعوى، وخاذله لا يستطيع أن يقرّ ذاك الإقرار، يفهم أنّ جواز قتله كان بمثابة من الوضوح الذي لا يعتريه مرية، وكيف لا وقاتلوه من الأجلّة الذين اعترف المخالف بجلالهم، مثل عمّار الذي يكفي في جلاله قول النّبيّ صلى الله عليه وآله المتواتر فيه: «عمّار تقتله الفئة الباغية»[٤]. وقد أقرّ عمّار كما

---

(١) يقال: وتر فلاناً: أي قتل حميمه، وأفزعه، وكلّ من أدركته بمكروه فقد وَتَرتَه. (لسان العرب ١٥: ٢٠٥ مادة: وتر).

(٢) وَقَبَ الشيء يقِبُ وَقْباً، أي: دخل. (الصحاح ١: ٢٣٤، مادة: وقب).

(٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٨٢.

(٤) هذا الحديث من الأحاديث المتواترة. نذكر هنا أهمّ المصادر التي نقلت ذلك، حسب الترتيب التاريخي:

وقعة صفين: ٣٢٤ و ٣٢٦، التفسير المنسوب إلى الامام العسكري: ٦٢٥، سيرة ابن هشام ٢: ١٤٢، الطبقات الكبرى ١: ٢٤١، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٨، تاريخ الطبري ١٠: ٥٩، العقد الفريد ٥: ٨٩، عيون أخبار الرضا عليه السلام، مستدرك

مرّ بأنّه من قتلته، وأنّهم قتلوه لأنّه أراد أن يغيّر دين الله[1].

وقال ابن قتيبة: لما أرسل عليّ عليه السلام عمّاراً إلى الكوفة لنفر الناس إليه قال عمّار: يا أهل الكوفة! إنّ كان غاب عنكم أُمورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا[2]، إنّ قتلة عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس، ولا ينكرون ذلك، وقد جعلوا كتاب الله بينكم وبين محاجّيهم، فبكتابه أحيا الله من أحيا، وأمات من أمات[3].

ومن قتلته محمّد بن أبي بكر، وفي (الطبري): أنّ معاوية بن حُديج لمّا قال لمحمّد بن أبي بكر: أقتلك بعثمان؛ قال له محمّد: إنّ عثمان عمل بالجور، ونبذ حكم القرآن، وقد قال تعالى: ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسقون﴾[4]، فنقمنا ذلك عليه فقتلناه[5].

ومن قتلته عمرو بن الحمق الخزاعي: وفي (الطبري): جلس عمرو بن الحمق على صدر عثمان وبه رمق، فطعنه تسع طعنات، وقال: فأمّا ثلاث منهنّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه لله، وأمّا ستّ فإنّي طعنتهنّ إيّاه لما كان في صدري عليه[6].

ويكفي في إباحة دمه إجماع المهاجرين والأنصار على قتله بخذلانهم إيّاه؛ قال الفضل بن عباس في أبياته في ردّ الوليد بن عقبة:

فلو رأت الأنصار ظُلم ابن عمّكم لكانوا له من ظلمه حاضري النصر

الحاكم ٣: ٣٨٥ ـ ٣٨٦، تاريخ بغداد ٢: ٢٨٢ عن أبي قتادة و ٧: ٤١٤ عن عبد الله بن عمر و ٨: ٢٧٥ عن حذيفة و ١١: ٢١٨ عن عثمان بن عفّان و ١٣: ١٨٧ عن أبي أيوب، الخرائج والجرائح، شرح ابن أبي الحديد ٨: ١٠.

(١) وقعة صفين: ٣٣٨ ـ ٣٣٩، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٢.

(٢) في المصدر: إن كان غاب عنكم أنباؤنا فقد انتهت اليكم أُمورنا.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٦٧.

(٤) المائدة: ٤٧.

(٥) تاريخ الطبري ٥: ١٠٤، سنة ٣٨.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٣٩٤، سنة ٣٥.

كفى ذاك عيباً أن يُشيروا بقتله   وأن يسلموه للأحابيش من مصر[1]

ولم نقل: إنّ قتلته كلّهم كانوا مؤمنين؛ فكان فيهم طلحة والزبير ونظراؤهما، وإنّما نستدلّ بفعل مؤمنيهم؛ ولذا كان حذيفة بن اليمان ـ كما روى (شافي المرتضى) من طرقهم ـ يقول: ما في عثمان بحمد الله شك، لكنّني أشكّ في قاتله؛ لا أدري أكافر قتل كافراً، أم مؤمن خاض إليه الفتنة حتّى قتله؟ هو أفضل أهل الايمان [المؤمنين] إيماناً[2].

وروى الطبري: أنّ عثمان نبذ ثلاثة لا يُدفن ثمّ إنّ حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم كلّما عليّاً عليه السلام في دفنه، وطلبا إليه أن يأذن لأهله في ذلك، ففعل. فلمّا سمع الناس بذلك قعدوا إليه في الطريق بالحجارة، وخرج به ناس يسير من أهله؛ وهم يريدون به حائطاً بالمدينة، يقال له: حشّ كوكب[3]، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلمّا خرج على الناس رجموا سريره، وهمّوا بطرحه، فبلغ ذلك عليّاً عليه السلام، فأرسل إليهم يعزم عليهم ليكفّنّ عنه، ففعلوا، فانطلق به حتّى دفن في حشّ كوكب. فلمّا ظهر معاوية على الناس أمر بهدم ذلك الحائط حتّى أفضى به إلى البقيع، وأمر الناس أن يدفنوا حوله حتّى اتّصل بمقابر المسلمين[4].

وفي (الطبري): قال أبو كرِب عامل عثمان على بيت المال: إنّ عثمان دفن بين المغرب والعتمة، لم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه وابنته الخامسة، فناحت [ابنته] فأخذ الناس الحجارة، وقالوا:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٦، سنة ٣٥.

(٢) الشافي في الإمامة ٤: ٢٩١ ـ ٢٩٢.

(٣) قال ياقوت الحموي في معجم البلدان ٢: ٢٦٢: حشّ كوكب: موضع عند بقيع الغرقد اشتراه عثمان بن عفّان وزاده في البقيع، ولمّا قتل أُلقي فيه ثمّ دفن في جنبه.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

نعثل نعثل! وكادت ترجم[١].

وفي (الطبري): كان قتل معه عبداه نُجيح وصُبيح، فجرّا بأرجلهما فرمي بهما على البلاط، فأكلتهما الكلاب؛ ولم يغسل عثمان ولا غلاماه، ولمّا وضع ليصلّى عليه، جاء نفر من الأنصار يمنعونهم الصلاة عليه[٢].

وفي (صفين نصر بن مزاحم): سأل معاوية النعمان بن بشير أن يخرج إلى قيس بن سعد بن عبادة، فيعاتبه ويسأله السلم. فخرج النعمان حتّى وقف بين الصفين فقال: يا قيس، أنا النعمان بن بشير. فقال قيس: هيه يابن بشير، فما حاجتك؟ فقال: ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذْل عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وأقحمتم خيولكم على أهل الشام بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً لكانت واحدة بواحدة، ولكنّكم خذلتم حقّاً، ونصرتم باطلاً، ثمّ لم ترضوا أن تكونوا كالناس حتّى أعلمتم في الحرب ودعوتم إلى البراز، ثمّ لم ينزل بعليّ أمر قطّ إلّا هوّنتم عليه المصيبة، ووعدتموه الظفر. وقد أخذت الحرب منّا ومنكم ما قد رأيتم، فاتقوا الله في البقيّة.

فضحك قيس ثمّ قال: ماكنت أراك يا نعمان تجترئ على هذه المقالة، لكن لا ينصح أخاه مَن غشّ نفسه، وأنت والله الغاشّ الضالّ المضلّ، أما ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منّي، واحدة قتَل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك ...[٣].

وكيف لم يكن مباح الدم وشهد حُجْر بن عديّ وأصحابه الذين قالوا: لو

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٤١٣ ـ ٤١٥، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتقديم وتأخير.

(٣) وقعة صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

لم يكن في معاوية إلّا قتله لهم لكفاه في هلاكته بذلك.

ففي (الطبري) ـ بعد ذكر بعث زياد بهم إلى الشام، وبعث معاوية جمعاً لقتلهم ـ قال أصحاب معاوية لحجر وأصحابه: يا هؤلاء، رأيناكم البارحة قد أطلتم الصلاة، وأحسنتم الدعاء، فأخبرونا ما قولكم في عثمان؟ قالوا: هو أوّل من جار في الحكم، وعمل بغير الحقّ[1].

وقال ـ في عبد الرحمن العنزي الذي كان أحد أصحاب حُجر ولم يقتله معاوية معهم، بل ردّه إلى زياد فدفنه حيّاً بقسّ الناطف ـ قال معاوية له: إيهٍ يا أخا ربيعة، ما قولك في عليّ؟ قال: دعني ولا تسألني فإنّه خير لك. قال: والله لا أدعك حتّى تخبرني. قال: أشهد أنّه كان من الذاكرين الله كثيراً، ومن الآمرين بالحقّ، والقائمين بالقسط، والعافين عن الناس. قال: فما قولك في عثمان؟ قال: هو أوّل من فتح باب الظلم، وأرْتج أبواب الحقّ. قال له معاوية: قتلت نفسك. قال: بل إيّاك قتلتُ[2].

وكيف يقول ابن أبي الحديد بعصمة دمه، وكان سعد من خذلته، وطلحة والزبير من قتلته، وهم من ستّة شوراهم، وعشرتهم المبشّرة. وتسبّبت صدّيقتهم في تحريضاتها عليه لقتله؟

وفي (كامل المبرد): كتب نافع إلى ابن الزبير: قد حضرت عثمان يوم قتل، فلعمري لئن كان قتل مظلوماً لقد كفر قاتلوه وخاذلوه، ولئن كان قاتلوه مهتدين ـ وإنّهم لمهتدون ـ لقد كفر من يتولّاه وينصره ويعضده. ولقد علمت أنّ أباك وطلحة وعليّاً كانوا أشدّ الناس عليه، وكانوا في أمره [من] بين قاتل وخاذل، وأنت تتولّى أباك وطلحة وتتولى عثمان. وكيف ولاية قاتل متعمّد

---

(١) تاريخ الطبريّ ٥: ٢٧٥، سنة ٥١.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٦ ـ ٢٧٧، سنة ٥١.

ومقتول في دين واحد![1].

قلت: ما أورده نافع على ابن الزبير يرد على جميع أهل السنّة، لكن يقال لنافع: إنّه كما يكون الجمع بين المتضادّين باطلاً بالعقل، يكون انفكاك الملزوم عن اللازم كذلك، وولاية الأوّل والثاني يستلزم صحّة ولاية الثالث، فإذا كانت ولاية الثالث عندك باطلة فلابدّ أن تقول ببطلان ولاية الأوّلين. وقد دبّر الثاني للثالث ولايته مع عرفانه له وأنّه يفعل ما فعل.

ومن العجب أنّ إخواننا أتوا بالتضادّ في أقوالهم فضلاً عن مذهبهم فهذا ابن قتيبة وابن عبد ربه والمسعودي قالوا بعدما مرّ عنهم: لمّا قتل عثمان دخل عليّ عليه ـ وكان أرسل الحسن والحسين لمنعه ـ وكان ذهل عقله فقال لهما:

كيف قتل أمير المؤمنين وأنتما على الباب؟ فلطم الحسين وضرب صدر الحسن!![2] فأيّ تخليط هذا؟! أما لهم شعور حتّى لا يقولوا بالتناقض والتضادّ؟! فإن كان مَن يروي خبرين متضادّين معذوراً في الظاهر، فليس من يفتي بالتضادّ بمعذور أصلاً، مع أنّ من يروي متضادّاً ويكون أحد الضدّين معلوم الكذب، وعلى خلاف اتّفاق التواريخ كالطبري في ضمّه روايات سيف المعلومة الكذب ليس بمعذور أيضاً.

وليس تلك الروايات إلّا من أخبارٍ أمر معاوية بوضعها، كما أنّه حمل الناس بالسيف على القول بإمامة عثمان، وإلّا فجميع أهل السنّة الذين كانوا في ذاك اليوم ـ سوى الأمويّة وأتباعهم ـ كانوا قائلين بكفر عثمان، واستحقاقه القتل.

---

(١) الكامل للمبرد ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٤٤، العقد الفريد لابن عبد ربه ٥: ٤٢، مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٤.

وكان التضادّ بينه وبين أمير المؤمنين عليه السلام كالتضادّ بين معاوية وبينه عليه السلام أمراً بيّناً عندهم، كما عند الشيعة، وإنّما كان الفرق بين الشيعة والسنّة ذاك اليوم تضادّه عليه السلام مع أبي بكر وعمر أيضاً، فالشيعة قائلون به بشهادة الدراية، والسنّة ينكرونه بإنكار البداهة.

وكيف لم يكن تضادّه عليه السلام مع عثمان واضحاً، وكان نافع بن هلال الجمليّ من أصحاب الحسين عليه السلام يقاتل يوم الطفّ ويقول ـ كما في (الطبري) ـ: أنا الجمليّ أنا على دين عليّ. فخرج إليه مُزاحم بن حُريث من أصحاب ابن سعد وقال: أنا على دين عثمان. فقال له نافع: أنت على دين شيطان[١].

وكيف لم يكن بطلان أمر عثمان واضحاً وقد باهل أصحاب الحسين عليه السلام أصحاب ابن سعد في ذلك؟ ففي (الطبري): قال عفيف بن زهير ـ وهو ممّن شهد مقتل الحسين عليه السلام ـ: خرج يزيد ابن معقل من أصحاب ابن سعد فقال لبُرير بن حُضير من أصحاب الحسين عليه السلام كيف ترى اللّه صنع بك؟ قال: صنع الله والله بي خيراً، وصنع بك شرّاً. قال له يزيد: كذبت، وقبل اليوم ما كنت كذّاباً، فهل تذكر وأنا أُماشيك في بني لوذان وأنت تقول: إنّ عثمان كان على نفسه مسرفاً، وإنّ معاوية ضالّ مضلّ، وإنّ إمام الهدى والحقّ عليّ بن أبي طالب؟ فقال له برير: أشهد أنّ هذا رأيي وقولي. فقال له يزيد: فإنّي أشهد أنّك من الضالّين. فقال له برير: هل لك أن أُباهلك[٢]، ولندع الله أن يلعن الكاذب وأن يقتل المبطل، ثمّ نخرج للمبارزة؟ قال: نعم. فخرجا فرفعا

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٣٥، سنة ٦١.

(٢) المباهلة: الملاعنة؛ ومعنى المباهلة أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء، فيقولوا: لعنة الله على الظالم منّا. (لسان العرب ١: ٥٢٢، مادة: بهل).

أيديهما يدعوانه أن يلعن الكاذب، وأن يقتل المحقُّ المبطلَ، ثمّ برز كلّ واحد منهما لصاحبه، فاختلفا ضربتين، فضرب يزيد بُريراً ضربة خفيفة لم تضرّه شيئاً، وضربه برير ضربة قدّت المغفر، وبلغت الدماغ، فخرّ كأنّما هوى من حالق، وإنّ سيف برير لثابت في رأسه، فكأني أنظر إليه ينضنضه[1] من رأسه ـ الخ[2].

ومن المضحك أنّ (الطبريّ) روى في رواياته الخبيثة عن سيف: أنّ الحسن خرج يرتجز في الدفاع عن عثمان مثل المغيرة بن الأخنس![3]

فيقال له: إذا كان الأمر كذلك لِمَ يقول عمرو بن العاص للحسن عليه السلام لمّا رآه في الطواف ـ كما روى المدائني عن زيد بن أرقم ـ: زعمت يا حسن، أنّ الدين لا يقوم إلّا بك وبأبيك، فقد رأيت الله أقامه بمعاويه، فجعله راسياً بعد ميله، وبيّناً بعد خفائه، أفرضي الله بقتل عثمان، أو من الحقّ أن تطوف بالبيت عليك ثياب كغرقئ[4] البيض، وأنت قاتل عثمان، والله إنّه لألمّ للشعث، وأسهل للوعث، أن يوردك معاوية حياض أبيك؛ فقال له الحسن عليه السلام: إنّ لأهل النار لعلاماتٍ يعرفون بها، إلحاداً لأولياء الله، وموالاة لأعداء الله، والله إنّك لتعلم أنّ عليّاً عليه السلام لم يرتَبْ في الدين، ولم يشكّ في الله ساعة ولا طرفة عين قطّ. وأيم الله لتنتهينّ يابن أم عمرو أو لأنفذنّ حِضْنيك بنوافذ أشدّ من القعضبية[5]، فإيّاك والتهجم عليّ! فإنّي من قد عرفت؛ لست بضعيف الغمزة، ولا هشّ المُشاشة[6]،

---

(١) ينضنضه: يحرّكه. (لسان العرب ١٤: ١٨٠، مادة: نضض).

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤٣١ ـ ٤٣٢، سنة ٦١.

(٣) المصدر نفسه ٤: ٣٨٨، سنة ٣٥.

(٤) الغِرقيء: القشرة الملتزقة ببياض البيض. (لسان العرب ١٠: ٥٨، مادة: غرق).

(٥) قَعْضَب: اسم رجل كان يعمل الأسِنّة في الجاهليّة، إليه تُنسب أسنّة قَعْضَب (لسان العرب ١١: ٢٤٦، مادة: قعضب).

(٦) المُشاشة: واحدة المُشاش، وهي رؤوس العظام اللينة التي يمكن مضغُها (الصحاح ٣: ١٠١٩ مادة: مشش).

ولا مريء المأكلة، وإنّي من قريش كواسطة القلادة، يُعرف حسبي، ولا أُدعى لغير أبي، وأنت من تعلم ويعلم الناس، تحاكمت فيك رجال قريش، فغلب عليك جزّارها، ألأمهم حسباً، وأعظمهم لؤماً، فإيّاك عنّي، فإنّك رجس، ونحن أهل بيت الطهارة، أذهب الله عنّا الرجس، وطهّرنا تطهيراً. فأفحم عمرو وانصرف كئيباً[1].

وكيف لا يستحيون أن يقولوا: إنّ أمير المؤمنين أرسل الحسنين للدفاع عن عثمان؟! وقد قتل بنو أُمية الحسين عليه السلام بعثمان، ففي الطبري: كتب عبيد الله بن زياد إلى عمر بن سعد: أمّا بعد؛ فحُلْ بين الحسين وأصحابه وبين الماء، ولا يذوقوا منه قطرة، كما صُنع بالتقيّ الزكيّ المظلوم عثمان[2].

وفي (الطبري) أيضاً: لمّا جيء برأس الحسين عليه السلام إلى عبيد الله بن زياد، دعا عبد الملك بن أبي الحارث السلميّ، وقال له: انطلق حتّى تأتي المدينة على عمرو بن سعيد بن العاص ـ وكان يومئذ أمير المدينة ـ فبشّره بقتل الحسين. قال: فدخلت على عمرو فقال: ما وراءك؟ قلت: ما سرّ الأمير، قُتل الحسين. فقال: ناد بقتله. فناديت فلم أسمع والله واعية[3] مثل واعية نساء بني هاشم في دورهنّ على الحسين، فقال عمرو متمثّلاً ببيت عمرو بن معد يكرب وضحك:

عجّت نساء بني زياد عجّةً ... كعجيج نسوتنا غداة الأرنب[4]

ثمّ قال: هذه واعية بواعية عثمان[5].

وفي (تذكرة سبط ابن الجوزي): قال ابن سعد كاتب الواقدي: دفن رأس

---

(١) نقل عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٦: ٢٧ ـ ٢٨.

(٢) تاريخ الطبري ٥: ٤١٢، سنة ٦١.

(٣) يقال: ارتفعت الواعية: الصراخ على الميّت. وسمعتُ واعية القوم: أصواتهم. (أساس البلاغة: ٥٠٤، مادة: وعى).

(٤) في رواية لسان العرب: بني زُبيد بدل: بني زياد. والأرنب: موضع. (لسان العرب ٥: ٣٣١، مادة: رنب).

(٥) تاريخ الطبري ٥: ٤٦٥ ـ ٤٦٦، سنة ٦١، تذكرة الخواص لسبط ابن الجوزي: ٢٦٦.

الحسين عليه السلام بالمدينة عند أمّه؛ وذكر الشعبيّ أنّ مروان كان بالمدينة فأخذ الرأس، وتركه بين يديه، وتناول أرنبة أنفه وقال:

يا حبّذا بردك في العيدين ولونك الأحمر في الخدّين

والله لكأنّي أنظر إلى أيّام عثمان[1].

ومن المضحك أنّ (المسعودي) قال: فلمّا بلغ عليّاً أنّهم يريدون قتله، بعث ابنيه ومواليه بالسلاح لنصرته؛ وبعث الزبير ابنه وبعث طلحة ابنه ـ إلى أن قال ـ: وجُرح الحسن، وشُجّ قنبر، وجرح محمّد بن طلحة[2].

وكيف يرسل طلحة والزبير ابنيهما لنصرته وهما كانا محرّضين على قتله إلى ساعة قتله؟ ففي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ عمّاراً لمّا جاء إلى الكوفة لنفر الناس في حرب الجمل قال: يا أهل الكوفة، وإنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن على عثمان، وآخر من أمر بقتله[3].

وكيف أرسل طلحة ابنه لنصرة عثمان وقد رماه مروان بسهم ـ مع كونه في جنده ـ فقتله وقال: أخذت ثأري من طلحة في عثمان[4].

وإنّما المحقّق نصرة ابن الزبير لعثمان من نفسه لا من قِبل أبيه، حضر لنصره لأمرين؛ أحدهما: أنّه لمّا كان حريصاً على الإمارة، وطالباً للخلافة يمكنه أن يدّعي أنّ عثمان في حصاره نصّ عليه، فكان يدّعي ذلك. والثاني: أنّه علم أنّ عثمان إنْ قتل، يكون الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام، وكان كخالته أُمّ مؤمنيهم في كون ذلك أشدّ عليه من وقوع السماء عليه.

---

(١) تذكرة الخواصّ لسبط ابن الجوزي: ٢٦٥ ـ ٢٦٦.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٥٣ ـ ٣٥٤.

(٣) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٦٧.

(٤) أنساب الأشراف ٣: ٢٤٦، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٨٢، الجمل للمفيد: ٣٨٤، تذكرة الخواصّ: ٧٧، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١١٣.

روى المدائني: أنّ ابن الزبير قال يوماً لمعاوية: أتنكر شجاعتي وقد وقفت في الصفّ بإزاء عليّ؛ وهو من تعلم! فقال له معاوية: لا جرم أنّه قتلك وأباك بيسرى يديه، وبقيت يده اليمنى فارغة يطلب من يقتله بها. فقال له ابن الزبير: أما والله ما كان ذلك إلّا في نصر عثمان فلم نُجْزَ به، فقال له معاوية: خلّ هذا عنك، فوالله لولا شدّة بغضك لابن أبي طالب لجرَرْت برِجْل عثمان مع الضبع[1].

وكيف يعقل صحّة ما قال أُولئك المصنفون؟ وقد قال عليه السلام: «إنّ من نصره لا يستطيع أن يقول: خذله مَن أنا خير منه، ومَن خذله لا يستطيع أن يقول: نصره مَن هو خير منّي»[2]. فهل كان ناصروه إلّا كندماء ابن عمّه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان؟ ولمّا أرادوا قتل الوليد أخذ مصحفاً مثل عثمان، وقال: يومي [يوم] كيوم عثمان[3]. مع أنّه كان رامياً المصحف بالسهم حتّى مزّقه[4].

وفي (الطبري): كان مع الوليد مالك المغنّي، وعمرو الوادي المغنّي، فلمّا تفرّق عن الوليد أصحابه، وحُصر، قال مالك لعمرو: اذهب بنا. فقال عمرو: ليس هذا من الوفاء، ونحن لا يُعرض لنا لأنّا لسنا ممّن يقاتل، فقال مالك: ويلك! والله لئن ظفروا بنا لا يقتل أحد قبلي وقبلك؛ فيوضع رأسه بين رأسينا، ويقال للناس: انظروا من كان معه في هذه الحال؛ فلا يعيبونه بشيء أشدّ من هذا؛ فهربا[5].

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٢٠: ١٢٦.

(٢) نهج البلاغة ١: ٧١ ـ ٧٢.

(٣) تاريخ الطبري ٧: ٢٤٦، سنة ١٢٦.

(٤) مروج الذهب للمسعودي ٣: ٢٢٨.

(٥) تاريخ الطبري ٧: ٢٥٢، سنة ١٢٦.

ولعمر الله إنّ المغنّيين كانا أحسن من مروان صاحب عثمان؛ فقد كانا فاسقين بالعمل؛ وقد كان مروان من خبث النفس بحيث لا يوصف؛ فهو الذي قال للوليد بن عُتبة ابن عمّ يزيد الذي كتب يزيد إليه: «خذ البيعة لي من الحسين»: احبس الحسين حتّى يبايع أو تضرب عنقه. فقال له الوليد: اخترت لي التي فيها هلاك ديني؛ والله ما أُحبّ أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وغربت عنه من مال الدّنيا وملكها، وأنّي قتلت حسيناً، سبحان الله! أقتل حسيناً أن قال: لا أُبايع! والله إنّي لا أظنّ أمرأً يُحاسَب بدم الحسين لخفيف الميزان عند الله تعالى يوم القيامة. فقال له مروان مستهزئاً به: إذا كان هذا رأيك فقد أصبت في ما صنعت[1].

ونفس عثمان ونفس مروان واحدة، «فالمرء على دين خليله»[2].

وكيف يصحّ ما قالوا من أنّه عليه السلام وطلحة والزبير بعثوا بنيهم للدفاع عن عثمان؟ وقد عرفت أنّ نافعاً حاجّ ابن الزبير، فحجّه بأنّك تعلم أنّ أباك وطلحة وعليّاً كانوا أشد الناس على عثمان، وكانوا في أمره من بين قاتل ـ والمراد أبوه وطلحة ـ وخاذل ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ وأنت تتولّى أباك وطلحة وعثمان. وكيف ولاية قاتل متعمّد ومقتول في دين واحد![3].

وكيف يصحّ ما قالوا: من أنّه عليه السلام بعث ابنيه للدفاع عن قتل عثمان، وكان عليه السلام مدافعاً عن قتلة عثمان؛ فلمّا قام أبو مسلم الخولاني[4] في قرّاء

---

(١) المصدر نفسه ٥: ٣٤٠، سنة ٦٠.

(٢) رواه الكليني في الكافي ٢: ٣٧٥.

وقال ابن منظور في لسان العرب ٤: ٢٠٢، مادة (خلل): وفي الحديث: المرء بخليله، أو على دين خليله، فلينظر امرؤ مَنْ يُخالِل. وأورده الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٧٥ عن النّبي صلى الله عليه وآله وقال: المرء بخليله، أي: مقيس بخليله.

(٣) الكامل للمبرّد ٢: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(٤) هو عبد الله بن ثوب أحد الزّهاد الثمانية، تابعيّ، أصله من اليمن، أدرك الجاهلية وأسلم قبل وفاة النّبيّ صلى الله عليه وآله ولم

الشام إلى معاوية ـ كما في (صفين نصر) ـ وقال له: علام تقاتل عليّاً وليس لك مثل صحبته ولا قرابته ولا سابقته؟ قال: لست أدّعي ذلك، ولكن ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ فليدع إلينا قتلته فنقتلهم به، ولا قتال بيننا وبينه ـ إلى أن قال ـ فقال أبو مسلم لعليّ عليه السلام: قد رأيت قوماً مالك معهم أمر. قال: وماذاك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان فضجّوا واجتمعوا، ولبسوا السلاح، وزعموا أنّهم كلّهم قتلة عثمان. فقال له عليّ عليه السلام: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينيه، ما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك. فخرج أبو مسلم وهو يقول: الآن طاب الضّراب![1]

وإنّما خلّى عليه السلام بينه وبينهم ليريه إجماع المسلمين على قتل عثمان، وإباحة دمه.

«وأنا جامع لكم أمره» من طرفه وطرفكم.

«استأثر فأساء الأثرة» فكان عثمان خصّ أقاربه بولاية البلاد حتّى عزل عمرو بن العاص، فطلّق عمرو لذلك أُخته أُمّ كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط، وحرّض الناس عليه. ولمّا سمع خبر قتله قال: أنا أبو عبد الله؛ إذا حككتُ قرحةً نكأتها[2]، إن كنت لأُحرّض عليه، حتى لأُحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس

يره. فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام. توفي سنة ٦٢ هـ ودفن في داريّا بدمشق. وكان للعامّة فيه اعتقاد عظيم. ولكنّه من أعوان معاوية وسيّئ الرأي في عليّ عليه السلام. روي عن الفضل بن شاذان أنّه قال عند ذكره للزّهاد الثمانية: وأمّا أبو مسلم، فإنّه كان فاجراً مرائياً وكان صاحب معاوية، وهو الذي كان يحثّ الناس على قتال عليّ عليه السلام.

أُنظر حلية الأولياء ٢: ١٢٢، الأعلام ٤: ٧٥، الكنى والألقاب ١: ١٥٨.

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٨٥ ـ ٨٦، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٣ ـ ٧٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ١: ٤١٨، مادة (حكك): وفي حديث عمرو بن العاص: إذا حككتُ قرحةً دمّيتُها، أي: إذا أمّمتُ غاية تقصّيتها وبلغتها، وفي الصحاح ١: ٧٨، مادة (نكأ): نكأتُ القرحة نكأً، إذا قشرتها.

الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش، إنّه كان بينكم وبين العرب باب وثيق فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نُخرج الحقّ من خاصرة [حافرة] الباطل، وأن يكون الناس في الحقّ شَرَعاً سواء(١).

«وجزعتم فأسأتم الجزع» لأنّهم منعوه الماء في حياته، ومنعوا من دفنه بعد قتله. ولا يجوز منع الماء من أحد(٢). ويجب مواراة أموات جميع الناس المسلم وغيره.

وقال ابن أبي الحديد: أساؤوا الجزع لأنّه كان الواجب عليهم ألّا يجعلوا جزاءه عمّا أذنب القتل، بل الخلع والحبس وترتيب غيره في الإمامة(٣).

قلت: فإذا كان مستحقّاً للخلع، كيف يقول بإمامته؟ وقد قال الناس له قبل قتله: أنت مستحقّ للخلع، لمّا رأوا غلامه على جمله، وكتابه إلى عامله على مصر بقتل محمّد بن أبي بكر ومن معه؛ وكان بعثه لمّا شكوا إليه ظلم عامله، وقتله الناس بغير حقّ، فأنكر عثمان أن يكون هو بعث الغلام وكتب الكتاب، فقالوا له: إن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع؛ لعملك هذا، وإن كنت صادقاً استحققت الخلع لعجزك عن أمر الخلافة حيث يكتب غيرك على لسانك مثل هذا، وأنت لا تعلم؛ فاخلع نفسك. فأبى عليهم حتّى قتلوه(٤).

وإنّما الأصل في قوله عليه السلام: «وأسأتم الجزع» لأنّ عمدة الجازعين وهم قريش وفي رأسهم طلحة من تيم، والزبير من أسد لم يقتلوه غضباً لله بل لهوى أنفسهم، لأنّه لم يولّهم وولّى بني أبيه.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٧، سنة ٣٥، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٤.

(٢) ولذا بعث أمير المؤمنين عليه السلام الماء إلى عثمان حين منع من الماء. انظر أمالي الشيخ الطوسي ٢: ٣٢٥، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٤٨، وبحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٧٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٢٨ ـ ١٢٩.

(٤) تفصيل ذلك في تاريخ الطبري ٤: ٣٧٥ ـ ٣٧٦، سنة ٣٥، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ١٥٠.

وفي (المروج): حجّ عبد الملك في بعض أعوامه، فأمر للناس بالعطاء، فخرجت بدرة مكتوب عليها «من الصدقة» فأبى أهل المدينة من قبولها وقالوا: إنّما كان عطاؤنا من الفيء. فقال عبد الملك وهو على المنبر: يا معشر قريش، مثلنا ومثلكم أنّ أخوين خرجا مسافرين، فنزلا في ظلّ شجرة تحت صفاة، فلمّا دنا الرواح خرجت إليهما من تحت الصفاة حيّة تحمل ديناراً فألقته إليهما، فقالا: إنّ هذا لمن كنز، فأقاما عليها ثلاثة أيّام؛ كلّ يوم تخرج إليهما ديناراً، فقال أحدهما لصاحبه: إلى متى ننتظر هذه الحيّة؟ ألا نقتلها ونحفر هذا الكنز فنأخذه؟ فنهاه أخوه، وقال: ما تدري لعلّك تعطب ولا تدرك المال. فأبى عليه، وأخذ فأساً وصرد الحيّة حتّى خرجت، فضربها ضربة جرحت رأسها ولم تقتلها؛ فثارت الحيّة فقتلته، ورجعت إلى جحرها، فقام أخوه فدفنه، وأقام حتّى إذا كان الغد خرجت الحيّة معصوباً رأسها ليس معها شيء، فقال لها: يا هذه، إنّي والله ما رضيت ما أصابك، ولقد نهيت أخي عن ذلك، فهل لك أن نجعل الله بيننا أن لا تضرّيني ولا أضرّك، وترجعين إلى ما كنت عليه؟ قالت الحيّة: لا. قال: ولِمَ؟ قالت: لأنّي أعلم أنّ نفسك لا تطيب لي أبداً، وأنت ترى قبر أخيك، ونفسي لا تطيب لك أبداً وأنا أذكر هذه الشجّة، وأنشدهم ـ أي عبد الملك ـ شعر النابغة في ذلك:

فقالت أراه [أرى] قبراً تراه مقابلي

وضربة فأس فوق رأسي فاغرة [فاقره]

يا معشر قريش، وليكم عمر فكان فظّاً غليظاً مضيّقاً عليكم، فسمعتم له وأطعتم، ثمّ وليكم عثمان فكان سهلاً فعدوتم عليه فقتلتموه، وبعثنا عليكم مسلماً يوم الحرّة فقتلناكم، فنحن نعلم يا معشر قريش، أنكم لا تحبّوننا أبداً

وأنتم تذكرون يوم الحرّة ونحن لا نحبّكم أبداً ونحن نذكر قتل عثمان[1].

«ولله حكم واقع في المستأثر والجازع» هو نظير قوله عليه السلام: «لو أمرت به لكنت قاتلاً، أو نهيت عنه لكنت ناصراً» في إجمال الجواب لعدم تمكّنه عليه السلام من بيان الحقيقة؛ وهي بطلان ولايته المستلزمة لبطلان ولاية الأوّل والثاني.

وفي (الأغاني): كان حسّان بن ثابت والنعمان بن بشير وكعب بن مالك عثمانية، يقدّمون بني أُميّة على بني هاشم، ويقولون: الشام خير من المدينة. واتّصل بهم أنّ ذلك قد بلغ عليّاً عليه السلام، فدخلوا عليه، فقال له كعب: أخبرنا عن عثمان: أقُتل ظالماً، فنقولَ بقولك؟ [أم قتل مظلوماً، فنقول بقولنا]، ونكلك إلى الشبهة فيه، والعجب من تيقّننا وشكّك، وقد زعمت العرب أنّ عندك علم ما اختلفنا فيه، فهاته نعرفه، فقال لهم عليّ عليه السلام: لكم عندي ثلاثة أشياء: استأثر عثمان فأساء الأثرة، وجزعتم فأسأتم الجزع، وعند الله ما تختلفون فيه إلى يوم القيامة. فقالوا: لا ترضى بهذا العرب، ولا تعذرنا فيه [به]. فقال لهم عليّ: أتردّون عليَّ بين ظهراني المسلمين، بلا بيّنة صادقة، ولا حجّة واضحة؟ اخرجوا عنّي، فلا تجاوروني في بلد أنا فيه أبداً. فخرجوا من يومهم، فساروا حتّى أتوا معاوية، فقال: لكم الكفاية أو الولاية. فأعطى حسّاناً ألف دينار، وكعباً ألف دينار، وولّى النعمان حِمصاً[2].

وفي (مواسم الأدب): قال كعب بن مالك الأنصاري لعليّ عليه السلام: بلغك عنّا أمر لو كان غيرك لم يحتمله، ولو كان غيرنا لم يقم معك عليه، وما في الناس من هو أعلم منك، وفي الناس من نحن أعلم منه؛ وأوضح العلم ما وقف على لسان؛ وأرفعه ما ظهر في الجوارح والأركان، ونحن أعرف بقدر عثمان من

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٣: ١٢٧ ـ ١٢٨، ونقله الشارح بتصرّف.

(٢) الأغاني ١٦: ٢٣٣ ـ ٢٣٤، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

قاتليه؛ وأنت أعلم بهم وبخاذليه، فإن قلت: «إنّه قتل ظالماً» قلنا: بقولك، وإن قلت: «إنّه قتل مظلوماً» قلنا بقولنا، وإن وكلتنا إلى الشبهة آيسنا بعدك من إصابة البيّنة.

فقال عليه السلام عندي في عثمان وفيكم. استأثر فأساء الأثرة وجزعتم فأسأتم الجزع، ولله عزوجل حكم واقع في المستأثر والجازع[١].

وهو عليه السلام وإن أجمل في جواب أُولئك العثمانيّة لكون سؤالهم في غير الموقع، إلّا أنّه بيّن بأفعاله من إيوائه قاتليه، ودفاعه عنهم؛ وبأقواله كما مرّ من قوله عليه السلام للخولاني: «إنّي ضربت هذا الأمر أنفه وعينه، فرأيت أنّه ما ينبغي لي أن أدفع قتلته إلى أحد»[٢] وقوله عليه السلام لقرّاء الشام والعراق لمّا قالوا له: «إنّ معاوية يقول: إن كنت صادقاً أنّك ما أمرت بقتل عثمان، ولا مالأت على قتله، فادفع إلينا قتلته أو أمكنّا منهم»: تأوّل القوم عليه القرآن، وقتلوه في سلطانه وليس على أضرابهم [ضربهم] قَوَد[٣]، أنّه كان مباح الدم، وبه صرّح شيعته عمّار وغيره[٤].

وفي (فواتح الميبدي): روى إبراهيم النخعي وأبو العالية أنّ قوله تعالى: ﴿ثمّ إنّكم يوم القيامة عند ربّكم تختصمون﴾[٥] في شأن المسلمين، وناظر إلى قتل عثمان وحرب صفين. وقوله تعالى: ﴿فمن أظلم ممّن كذب على الله وكذّب بالصِّدق إذْ جاءهُ أليس في جهنّم مثوىً للكافرين* والّذي جاء بالصِّدق

---

(١) نهج البلاغة خطبة ٣٠.

(٢) وقعة صفّين: ٨٦، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٥.

(٣) وقعة صفّين: ١٨٩.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٦٧.

(٥) الزمر: ٣١.

وصدّق به أُولئك هم المُتّقون﴾[١] تفصيل أُولئك الفِرَق[٢].

٦
الكتاب (٣٨)

ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لما ولّى عليهم الأشتر:

مِنْ عَبْدِ اللّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ، وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى أهل مصر لمّا ولّى عليهم الأشتر» روى الطبري عن أبي مخنف، عن فُضيل بن خديج، عن مولى للأشتر قال: لمّا هلك الأشتر وجدنا في ثَقَله رسالة عليّ عليه السلام إلى أهل مصر: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أُمّة المسلمين الذين غَضِبوا لله حين عصي في الأرض، وضَرَبَ الجورُ بأرواقه على البرّ والفاجر، فلا حقّ يُستراح إليه، ولا منكر يُتناهى عنه»[٣].

ورواه (غارات الثقفي) تارة عن المدائنيّ وأُخرى عن الشعبيّ[٤].

ورواه (أمالي المفيد) أيضاً عن الشعبيّ عن صعصعة[٥].

وأمّا رواية (الاختصاص)[٦] المنسوب إلى المفيد أيضاً فنسبته غير

---

(١) الزمر: ٣٢ ـ ٣٣.

(٢) كتاب الفواتح للميبدي، مخطوط.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٩٦، سنة ٣٨.

(٤) الغارات ١: ٢٦٣ ـ ٢٦٦.

(٥) الأمالي للمفيد: ٧٩ ـ ٨٢ عن إبراهيم بن محمّد الثقفي، وفي الاختصاص عن الشعبي.

(٦) الاختصاص: ٧٩ ـ ٨٠.

معلومة؛ حيث إنّ كتب المفيد طرزها غير طرزه. وخبر (الاختصاص) غير صحيح؛ حيث تضمّن قتل محمّد بن أبي بكر قبل الأشتر، وهو خلاف الواقع[١].

قوله عليه السلام: «من عبد الله عليّ أمير المؤمنين» روى الكنجيّ الشافعيّ بإسناده عن ابن عبّاس قال: قال النّبيّ صلى الله عليه وآله: ما أنزل الله تعالى آية فيها ﴿يا أيّها الذين آمنوا﴾ إلّا وعليّ رأسها وأميرها[٢]!

«إلى القوم الذين غضبوا لله» مدحه عليه السلام أهل مصر مع كونهم قتلة عثمان بأنّهم غضبوا لله، دالّ على كون قتل عثمان عملاً مرضيّاً عند الله تعالى فضلاً عن إباحته.

وفي (الطبريّ): ذُكر في سبب مسير المصريين إلى عثمان، ونزولهم ذا خُشُب أُمور كثيرة، ومنها ما أعرضت عن ذكره كَراهة منّي ذكره، لبشاعته[٣].

وقال أيضاً: قد ذكرنا كثيراً من الأُمور التي ذكر قاتلوه أنّهم جعلوها ذريعة إلى قتله، فأعرضنا عن ذكر كثير منها، لعلل دعت إلى الإعراض عنها[٤].

قلت: العجب من الرجل يستقصي روايات السريّ عن شعيب، عن سيف مع أنّ أكثرها مفتعلة قطعاً، ويترك كثيراً من روايات المدائنيّ والواقدي وغيرهما ممّن اتّفق على جلاله وصحّة رواياته.

وقال ابن أبي الحديد: هذا الفصل من كلامه يُشكل عليَّ تأويله، لأنّ أهل مصر هم الذين قتلوا عثمان، وإذا شهد أمير المؤمنين عليه السلام أنّهم غضبوا لله

---

(١) لا يخفى أنّ في تاريخ قتلهما ـ رضوان الله عليهما ـ اختلافاً ولا يسمح المقام ذكر ذلك. اُنظر تاريخ اليعقوبي ٢: ١٩٤، تاريخ الطبري ٥: ٩٤، سنة ٣٨، مروج الذهب ٢: ٤٢٠، أُسد الغابة ٤: ٣٢٤، الإصابة ٣: ٤٨٢، الأعلام ٥: ٢٥٩ و ٦: ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(٢) كفاية الطالب: ١٣٩ ـ ١٤٠، نظم درر السمطين: ٨٩.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦، سنة ٣٥.

(٤) تاريخ الطبري: ٣٦٥، سنة ٣٥.

حين عُصي في الأرض، فهذه شهادة قاطعة على عثمان بالعصيان، وإتيان المنكر[١].

ثمّ ذكر ابن أبي الحديد تأويلاً ركيكاً[٢]. ولو صحّ تأويله لم يكن في الدنيا أمر باطل. ﴿أفرأيت من اتّخذ إلهه هواه﴾[٣] ومن لم ينفعه عيان لا يفيده برهان.

«حين عُصي في أرضه» في (الطبري): كتب أهل مصر بالسُقيا أو بذي خشب إلى عثمان بكتاب؛ فجاء به رجل منهم حتّى دخل به عليه، فلم يردّ عليه شيئاً، فأمر به فاخرج من الدار؛ وكان أهل مصر الذين ساروا إلى عثمان ستّمائة رجل على أربعة ألوية لها رؤوس أربعة، مع كلّ رجل منهم لواء؛ وكان جماع أمرهم إلى عمرو بن بُديل بن ورقاء الخزاعي -وكان من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله- وإلى عبد الرحمن بن عُديس التُّجيبيّ؛ فكان في ما كتبوا إليه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ أمّا بعد؛ فاعلم ﴿...أنّ الله لا يغيّر ما بقوم حتّى يغيّروا ما بأنفسهم...﴾[٤]. فالله الله! ثمّ الله الله! فإنّك على دنيا فاستتمّ إليها معها آخرة، ولا تنس [لا تلبس] نصيبك من الآخرة؛ فلا تسوغ لك الدنيا. واعلم [أنّا] والله لله نغضب، وفي الله نرضى؛ وأنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة مُبلجة. فهذه مقالتنا لك، وقضيتنا إليك، والله عذيرنا منك[٥].

«وذهب بحقّه» في (الطبري): خرجت عائشة إلى مكّة وعثمان محصور،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٦.

(٢) المصدر نفسه: ١٥٧.

(٣) الجاثية: ٢٣.

(٤) الرعد: ١١ .

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٩، سنة ٣٥.

فقدم عليها رجل يقال له أخضر، فقالت: ما صنع الناس؟ فقال: قتل عثمان المصريّين. قالت عائشة: إنّا لله وإنّا إليه راجعون! أيقتل عثمان قوماً يطلبون الحقّ وينكرون الظلم! والله لا نرضى بهذا. ثمّ قدم آخر فقالت عائشة له: ما صنع الناس؟ قال: قتل المصريّون عثمان. قالت: العجب لأخضر، زعم أنّ المقتول هو القاتل! فكان يُضرب به المثل: أكذب من أخضر[1].

قلت: أخضر أيضاً ما كذب. أراد عثمان قتل المصريين؛ فكتب سرّاً إلى ابن أبي سرح بقتلهم، إلّا أنّ الله لم يرد ذلك؛ فرأوا رسوله وكتابه معه بذلك؛ فرجعوا وقتلوه[2].

«فضرب الجور سرادقه على البرّ والفاجر والمقيم» أي: البلديّ.

«والظاعن» أي: الغريب المرتحل.

في (الطبريّ): قال محمّد بن السائب الكلبيّ: إنّما ردّ أهل مصر إلى عثمان بعد انصرافهم عنه أنّه أدركهم غلام لعثمان على جمل له بصحيفة إلى أمير مصر أن يقتل بعضهم، ويصلب بعضهم. فلمّا أتوا عثمان، قالوا: هذا غلامك؟ قال: هذا غلامي انطلق بغير علمي. قالوا: جملك. قال: أُخذ من الدار بغير أمري. قالوا: خاتمك. قال: نقش عليه. فقال ابن عُدَيس التُجيبيّ حين أقبل أهل مصر:

أقبلن من بلبيسَ والصعيد ... خُوصاً كأمثال القسيّ قود

مستحقِباتٍ حَلَقَ الحديد ... يَطلبن حقّ الله في الوليد

وعند عثمان وفي سعيد ... يا ربِّ فارجعنا بما نريد[3]

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٩، سنة ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٦٧ ـ ٣٦٨، سنة ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٨، سنة ٣٥.

وعن سفيان بن أبي العوجاء: قدم المصريّون القَدْمة الأولى، فكلّم عثمان بن محمّد بن مسلمة، فخرج في خمسين راكباً من الأنصار، فأتوهم بذي خُشب فردّهم، ورجع القوم حتّى إذا كانوا بالبويب، وجدوا غلاماً لعثمان معه كتاب إلى عبد الله بن سعد، فكرّوا، فانتهوا إلى المدينة، وقد تخلّف بها من الناس الأشتر وحُكيم بن جبلة، فأتوا بالكتاب، فأنكر عثمان أن يكون كتبه، وقال: هذا مفتعل. قالوا: فالكتاب كتاب كاتبك! قال: أجل، ولكنّه كتب بغير أمري. قالوا: فإنّ الرسول الذي وجدنا معه الكتاب غلامك؛ قال: أجل، ولكنّه خرج بغير إذني. قالوا: فالجمل جملك. قال: أجل، ولكنّه أُخذ بغير علمي. فقالوا: ما أنت إلّا صادق أو كاذب؛ فإن كنت كاذباً فقد استحققت الخلع، لما أمرت به من سفك دمائنا بغير حقّها، وإن كنت صادقاً فقد استحققت أن تخلع لضعفك وغفلتك وخبث بطانتك؛ لأنّه لا ينبغي لنا أن نترك على رقابنا من يقتطع مثل هذا الأمر دونه لضعفه وغفلته. وقالوا له أيضاً: إنّك ضربت رجالاً من أصحاب النّبيّ ﷺ حين يعظونك ويأمرونك بمراجعة الحقّ عندما يستنكرون من أعمالك؛ فأقدْ مِن نفسك مَن ضربته وأنت له ظالم. فقال: الإمام يخطئ ويصيب، فلا أقيد من نفسي؛ لأنّي لو أقدت كلّ من أصبته بخطأ آتي على نفسي، وقالوا له: إنّك أحدثت أحداثاً عظيمة [عظاماً] فاستحققت بها الخلع؛ فإذا كلّمت فيها أعطيت التوبة ثمّ عدت إليها وإلى مثلها، ثمّ قدمنا عليك فأعطيتنا التوبة والرجوع إلى الحقّ؛ ولامنا فيك محمّد بن مسلمة، وضمن لنا ما حدث من أمر، فأخفرته فتبرّأ منك، وقال: لا أدخل في أمره. فرجعنا أوّل مرّة لنقطع حجّتك ونبلغ أقصى الإعذار إليك، ونستظهر بالله عزّوجلّ عليك، فلحقَنا كتاب منك إلى عاملك [علينا] تأمره فينا بالقتل والقطع والصلب. وزعمت أنّه كُتب بغير علمك. وهو مع غلامك وعلى جملك وبخطّ كاتبك وعليه خاتمك، فقد

وقعتْ عليك بذلك التهمة القبيحة، مع ما بلونا منك قبل ذلك من الجور في الحكم، والأثرة في القسمة [القسم] والعقوبة للأمر بالقسط، وإظهار التوبة، ثمّ الرجوع إلى الخطيئة ـ إلى أن قال بعد ذكر قول عثمان لهم: إنّه يتوب ـ: قالوا: إن كان هذا أوّل حدث أحدثته ثمّ تبت منه ولم تقم عليه، لكان علينا أن نقبل منك، ولكنّه قد كان منك من الأحداث قبل هذا ما قد علمت ـ إلى أن قال ـ: ثمّ انصرفوا عنه وآذنوه بالحرب، وأرسل عثمان إلى محمّد بن مسلمة أن يردّهم، فقال: والله لا أكذب الله في سنة مرّتين[1].

قلت: صدق المصريّون في استحقاق عثمان للخلع، إن صدق أنّ بعث كتاب بخطّ كاتبه على جمله مع غلامه بخاتمه في الأمر بقتل بعض، وقطع بعض، وصلب بعض بدون جناية كان بغير علمه، وإن كذب فيه. فيشهد به عقل كلّ عاقل ملحد أو موحّد. فما وجه قول إخواننا بإمامته مع أنّ كذبه كان أمراً بيّناً؟ فلو كان بغير علمه كيف لم يستعظم ذلك، ولِمَ لا يؤاخذ غلامه بذلك؟

وفي (الطبري) أيضاً: لمّا سمع عثمان بوفد أهل مصر، استقبلهم، وكان في قرية له، فقالوا له: ادع بالمصحف. فدعا به. فقالوا له: افتح السابعة ـ وكانوا يسمّون سورة يونس السابعة ـ فقرأها حتّى أتى على قوله تعالى: ﴿قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزقٍ فجعلتم منه حراماً وحلالاً قُل آلله أذِنَ لكم أم على الله تفترون﴾[2] قالوا له: قف. أرأيت ما حميت من الحمى؟ آلله أذن لك ـ إلى أن قال ـ ثمّ أخذوه بأشياء لم يكن عنده منها مخرج. فعرفها، فقال: استغفر الله، فأخذوا ميثاقه ـ إلى أن قال ـ ثمّ رجع الوفد المصريّون راضين؛ فبينا هم

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٥ ـ ٣٧٧، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) يونس: ٥٩.

في الطريق إذا هم براكب ...[١].

«فلا معروف يستراح إليه، ولا منكر يتناهى عنه» في (الطبري): لمّا قال المصريّون لعثمان: ما هذا الكتاب الذي كتبت في قتلنا؟ وأنكره، قالوا: إنّا لا نعجّل عليك؛ وإن كنّا قد اتّهمناك، اعزل عنّا عمّالك الفسّاق، واستعمل علينا من لا يُتّهم على دمائنا وأموالنا، واردد علينا مظالمنا.

قال عثمان: إذَن ما أراني في شيء إن كنت أستعمل من هويتم، وأعزل من كرهتم إذَن الأمر أمركم! قالوا: والله لتفعلنّ أو لتعزلنّ أو لتقتلنّ، فانظر لنفسك أو دعْ. فأبى عليهم وقال: لم أكن لأخلع سربالاً سربلنيه الله. فحصروه أربعين ليلة[٢].

قلت: لعمر الله ذاك السربال لم يسربله الله، بل سربله عمر بتدبير الشورى شكراً له بما كتب عن أبي بكر في غشوته استخلافه له.

٧
الخطبة (١٦٤)

ومن كلام له عليه السلام: قالوا: لما اجتمع الناس عليه، وشكوا ما نقموه على عثمان، وسألوه مخاطبته عنهم واستعتابه لهم، فدخل عليه، فقال:

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ ٱسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ؛ وَوَٱللّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ! مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شيءٍ لَا تَعْرِفُهُ! إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ؛ مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ؛ وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا، وَصَحِبْتَ رَسُولَ

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٤ ـ ٣٥٥، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٧١، سنة ٣٥.

ٱللّهِ صَلَّى ٱللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحِبْنَا، وَمَا ٱبْنُ أَبِـي قُـحَافَةَ وَلَا ٱبْـنُ ٱلْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الحقّ مِنْكَ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ ٱللّهِ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا، وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَالَمْ يَنَالاَ؛ فَـاللّهَ ٱللّهَ فِي نَفْسِكَ، فَإِنَّكَ وَٱللّهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى، وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ؛ وَإِنَّ الطُّرُقَ لَوَاضِحَةٌ، وَإِنَّ أَعْلاَمَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ.

فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ ٱللّهِ عِنْدَ ٱللّهِ إِمَامٌ عَادِلٌ؛ هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً؛ وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ، وَإِنَّ ٱلْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلاَمٌ؛ وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ ٱللّهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ؛ فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً، وَأَحْيَا بِدْعَةً مَتْرُوكَةً! وَإِنِّي سَـمِعْتُ رَسُـولَ اللهِ صَلَّى ٱللّه عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ: يُؤْتى يَوْمَ القِيامَةِ بِالْامَامِ ٱلْجَائِرِ، وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ، يُلْقَىَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى، ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا.

وَإِنِّي أَنْشُدُكَ ٱللّهَ أَنْ لا تَكُونَ إِمَامَ هَذِهِ ٱلأُمَّةِ المَقْتُولَ! فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ: يُقْتَلُ فِي هَذِهِ ٱلأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا ٱلْقَتْلَ وَٱلْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ ٱلْـقِيَامَةِ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا، وَيُثَبِّتُ ٱلْفِتَنَ فِيهَا، فَـلاَ يُـبْصِرُونَ ٱلْـحَقَّ مِـنَ ٱلْبَاطِلِ؛ يَمُوجُونَ فِيها مَوْجاً، وَيَمْرُجُونَ فِيها مَرْجاً. فَلاَ تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلاَلِ السِّنِّ، وَتَقَضِّي ٱلْعُمْرِ.

فقال له عثمان:

كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي، حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ.

فقال عليه السلام:

مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلاَ أَجَلَ فِيهِ؛ وَما غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ.

أقول: رواه المدائني ـ كما في (جمل المفيد) ـ عن علي بن صالح قال: ذكر

ابن دأب أنّه لمّا عاب الناس على عثمان ما عابوا، كلّموا عليّاً عليه السلام فيه فدخل عليه ...[١].

ورواه (العقد الفريد) مختصراً عن ابن دأب أيضاً[٢].

ورواه الطبري في ثلاث روايات: روى في إحداها صدره إلى قوله عليه السلام: «فلا تكوننّ لمروان سيّقة»[٣]. وفي أُخرى قوله عليه السلام: «فلا تكوننّ» ... وفي ثالثة قوله عليه السلام: «ما كان بالمدينة» ...

ففيه: زعم الواقديّ أنّ عبد الله بن محمد حدّثه عن أبيه، قال: لمّا كانت سنة (٣٤) كتب أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله بعضهم إلى بعض: أن أقدموا، فإن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد. وكثّر الناس على عثمان، ونالوا منه أقبح ما نيل من أحد، وأصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله يرون ويسمعون؛ ليس فيهم أحد ينهى ولا يذبّ ـ أي عن عثمان ـ إلّا نفير؛ زيد بن ثابت، وأبو أسيد الساعديّ، وكعب بن مالك وحسّان. فاجتمع الناس، وكلّموا عليّاً عليه السلام. فدخل على عثمان فقال: «الناس ورائي، وقد كلّموني فيك، والله ما أدري ما أقول لك إلى «ويمرجون مرجاً» مثله مع اختلاف يسير. ثمّ بعده: فقال له عثمان: قد والله علمت، ليقولنّ الذي قلت، أما والله لو كنت مكاني ما عنّفتك، ولا أسلمتك، ولا عبت عليك، ولا جئت مُنكراً أن وصلت رحماً، وسددت خلّة، وآويت ضائعاً، وولّيت شبيهاً بمن كان عمر يولّي. أنشدك الله يا علي، هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك؟! قال: نعم. قال: فتعلم أنّ عمر ولّاه؟ قال: نعم. قال: فلِمَ تلومني أن ولّيت ابن عامر في رحمه وقرابته؟ قال عليّ عليه السلام: سأخبرك؛ إنّ عمر كان كلّ من ولّى فإنّما يطأ

---

(١) الجمل: ١٨٧ ـ ١٨٨.

(٢) العقد الفريد ٥: ٥٨.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٧، سنة ٣٤.

على صماخه، وإن بلغه عنه حرف جلبه، ثمّ بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل، ضعفت ورققت [رفقت] على أقربائك.

قال عثمان: هم أقرباؤك أيضاً. فقال عليّ عليه السلام: لعمري إنّ رحمهم منّي لقريبة، ولكنّ الفضل في غيرهم. قال عثمان: هل تعلم أنّ عمر ولّى معاوية خلافته كلّها؟ فقد ولّيته. فقال عليّ عليه السلام: أُنشدك الله هل تعلم أنّ معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه؟ قال: نعم. قال عليّ عليه السلام: فإنّ معاوية يقتطع الأُمور دونك وأنت لا تعلمها [تعلمها] فيقول للناس: هذا أمر عثمان، فيبلغك ولا تغيّر على معاوية.

ثمّ خرج عليّ عليه السلام من عنده، وخرج عثمان على أثره، فجلس على المنبر وقال: إنّ لكلّ شيء آفة، ولكلّ أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأُمّة، وعاهة هذه النعمة، عيّابون طعّانون؛ يرونكم ما تحبّون، ويسرّون ما تكرهون؛ يقولون لكم وتقولون، أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق؛ أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصاً ولا يردون إلّا عكراً، لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأُمور، وتعذّرت عليهم المكاسب. أما [ألا فقد] والله عبتم عليّ بما أقررتم لابن الخطاب بمثله، ولكنّه وطأكم برجله، وضربكم بيده، وقمعكم بلسانه، فدنتم له على ما أحببتم أو كرهتم، ولنت لكم، وأوطأت لكم كتفي، وكففت يدي ولساني عنكم، فاجترأتم عليّ. أما والله أنا لأعزّ [لأنا أعزّ] نفراً، وأقرب ناصراً، وأكثر عدداً، وأقمن إن قلت هلمّ [أتي] إليّ؛ ولقد أعددت لكم أقرانكم، وأفضلت عليكم فضولاً، وكشرت لكم عن نابي، وأخرجتم منّي خلقاً لم أكن أحسنه، ومنطقاً لم أنطق به، فكفّوا عليكم ألسنتكم، وطعنكم وعيبكم على ولاتكم، فإنّي قد كففت عنكم من لو كان هو الذي يكلّمكم لرضيتم منه بدون منطقي هذا. ألا فما تفقدون من حقّكم؟ والله ما قصّرت في بلوغ ما كان يبلغ من كان قبلي، ومن لم

تكونوا تختلفون عليه وأفضل [فضل فضلٌ من مال]، فمالي لا أصنع في الفضل ما أُريد! فلم كنت إماماً! فقام مروان فقال: إن شئتم حكّمنا والله بيننا وبينكم السيف، نحن والله وأنتم كما قال الشاعر:

فرشنا لكم أعراضَنا فَنبَت بكُم معارسكم تبنون في دمن الثّرى[١]

قول المصنف: «ومن كلام له عليه السلام» زاد في (ابن أبي الحديد): «لعثمان»[٢]. ولعلّه كان حاشية خلط بالمتن، فليس في (ابن ميثم)[٣] ونسخة نهجه كانت بخطّ مصنّفه.

«لمّا اجتمع الناس عليه» هكذا في (المصرية)[٤]، والصواب: «إليه» كما في (ابن ميثم)[٥]. لكن في (ابن أبي الحديد) بدل الكلام: «قالوا لمّا اجتمع الناس إلى أمير المؤمنين عليه السلام»[٦].

«وشكوا ممّا نقموه على عثمان» هكذا في (المصرية)[٧]، وفي (ابن ميثم): «وشكوا ما نقموه على عثمان»[٨]. وفي (ابن أبي الحديد): «وشكوا إليه ما نقموه على عثمان»[٩].

«وسألوه مخاطبته عنهم» ليس في (ابن أبي الحديد) كلمة «عنهم»[١٠].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦ ـ ٣٣٩، سنة ٣٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

(٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

(٥) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١ أيضاً: «عليه».

(٦) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

(٧) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

(٨) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠١ أيضاً: «ممّا».

(٩) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

(١٠) المصدر نفسه.

«واستعتابه» أي: طلب رجوعه عن أعماله الشنيعة.

«لهم فدخل عليه» وفي (ابن أبي الحديد): «على عثمان»[١].

«فقال» كالتأكيد لقوله «ومن كلام له» فلو أسقط لم يكن الكلام ناقصاً.

قوله عليه السلام : «إنّ الناس ورائي» ليس كلمة «ورائي» في نسخة (ابن ميثم)[٢].

«وقد استسفروني» أي: اتّخذوني سفيراً، أي: رسولاً.

«بينك وبينهم. ووالله» وفي (ابن ميثم): «والله»[٣].

«ما أدري ما أقول لك» لأنّ التنبيه على قبح الظلم والجور تنبيه على البديهيات.

«ما أعرف شيئاً تجهله ولا أدلّك على شيء» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: «على أمر» كما في (ابن أبي الحديد[٥]، والخطيّة).

«لا تعرفه. إنّك لتعلم ما نعلم، ما سبقناك إلى شيء فنخبرك عنه، ولا خلونا بشيء فنبلغكه، وقد رأيت كما رأينا، وسمعت كما سمعنا، وصحبت رسول الله صلى الله عليه وآله كما صحبنا».

قال ابن أبي الحديد: أقسم عليه السلام في قوله: «والله ...» على أنّه لا يعرف أمراً يجهله عثمان، أي: من هذه الأحداث خاصّة. وهذا حقّ، لأنّ علياً عليه السلام لم يكن يعلم منها ما يجهله عثمان، بل كان أحداث الصبيان فضلاً عن العقلاء

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

(٢) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ «ورائي» أيضاً.

(٣) في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ «ووالله» أيضاً.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٨٤.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١.

والمميّزين، يعلمون وجهي الصواب والخطأ فيها[١].

قلت: الأمر كما ذكر من أنّ المراد أنّ عثمان كان يعلم كما يعلم أمير المؤمنين عليه السلام وباقي الناس: أنّ أعماله من بذل بيت مال المسلمين، وبذل الأخماس حقوق أهل بيت النّبيّ صلى الله عليه وآله لأقاربه من بني أُميّة أعداء النّبي وأعداء الدين[٢]؛ وردّه عمّه الحكم بن أبي العاص طريد رسول الله صلى الله عليه وآله[٣]؛ وتولية أخيه لأُمّه الوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن بإجماع الأُمّة، والذي كان يشرب الخمر ويصلّي الصبح في حال السكر بالناس أربعاً، ويغنّي في الصلاة، ويتكلّم فيها، ويقول للناس: إن تحبّوا الزيادة على أربع ركعات أزيدكم[٤]؛ وتوليته ابن أبي سرح الذي كان النّبيّ صلى الله عليه وآله أباح دمه، وأمر بقتله ولو رأوه متعلّقاً بأستار الكعبة[٥]، أُمور منكرة يعلمها جميع الناس حتّى النساء والصبيان إلّا أنّه كان يغالط فأجاب أميرَ المؤمنين عليه السلام بأنّه لو كان مكانه وفعل ما أنكر عليه، ما عابه. فمع كونه من المحالات فإنّه عليه السلام هو الذي عامل مع أخيه لمّا طلب زيادة صاع برّ على حقّه ما عامل[٦]، وعلى فرضه فهو أيضاً من عدم مبالاته بالدين وإلّا فإنكار المنكر واجب؛ وسمّى إركابه أعداء الدين على رقاب الناس صلة رحم! ومجرّد مودّة أرحام مثلهم منكر. ألم يقل جلّ وعلا: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٢ ـ ٢٦٣.

(٢) أنساب الأشراف ، الإمامة والسياسة ١: ٣٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٣، الأغاني ٦: ٢٦٨ ـ ٢٦٩.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٣، الطبقات الكبرى ٥: ٤٤٧، الاستيعاب ١: ٣١٧ ـ ٣١٩، الشافي في الإمامة ٤: ٢٢٨.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٣، مروج الذهب ٢: ٣٤٣ ـ ٣٤٤.

(٥) تاريخ الطبري ٣: ٥٨، سنة ٨.

(٦) نهج البلاغة ٢: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، الخطبة ٢٢٤ وشرح ابن أبي الحديد ٤: ٩٢.

ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم...﴾[١]؟

وسمّى تمكينهم من «خضم مال الله خضم الإبل نبتة الربيع»[٢] سدّ خلّة الأرحام[٣]؛ وسمّى ردّ من أمر الله رسوله بتبعيده إيواء ضائعهم[٤]؛ وتولية من كان مثل المغيرة من ولاة عمر[٥].

وما أبلهه حيث أراد مغالطة مثل أمير المؤمنين عليه السلام، المتنمّر في ذات الله بتلك المغالطات.

وتولية عمر المغيرة أيضاً كان أمراً منكراً، فكان نفاقه وخبثه أمراً بيّناً.

ولذا قال عثمان له عليه السلام: «هل تعلم أن المغيرة ليس هناك»[٦] إلّا أنّه عليه السلام لعدم تمكّنه من تخطئة عمر ماشاهُ بأن قال له: «إنّ عمر إن كان بلغه عمّن ولّاه حرف جلبه ثمّ بلغ به أقصى الغاية، وأنت لا تفعل»[٧] إلّا أنّ عمر كان يجلب من بلغه عنه حرف، سياسة لا ديانة؛ فإن لم يكن له داع فيه عزله وصادره وعاقبه، وإلّا فيعمل معه عملاً يموّه به على الناس؛ فجلب المغيرة من البصرة لمّا شهدوا عليه بالزنا، إلّا أنّه لاحتياجه إلى دهائه منع الشاهد الرابع ـ وهو زياد ـ عن أداء شهادته عليه بالزنا كاملة، وضرب باقي الشهود. ثمّ ولّاه الكوفة؛ فصار غضب عمر على المغيرة بعزله عن البصرة

---

(١) المجادلة: ٢٢.

(٢) من الخطبة ٣ (الشقشقيّة)، انظر نهج البلاغة ١: ٣٠. وقال ابن الأثير في النهاية ٢: ٤٤، في حديث عليّ عليه السلام عنه «فقام إليه بنو أُميّة يخضمون مال الله خَضْم الإبل نَبْتَةَ الربيع». الخضم: الأكل بأقصى الأضراس.

(٣) الشافي في الإمامة ٤: ٢٧٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٣٦.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٢٣.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٤.

(٧) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

وتوليته الكوفة مثلاً بين الناس[١].

وكذلك الكلام في تولية عمر لمعاوية؛ فإنّه وإن كان أمير المؤمنين عليه السلام ماشى عثمان في جوابه «بأن معاوية كان أخوف من عمر من يرفأ غلام عمر منه، إلّا أنّ معاوية يقتطع الأمور دونك»[٢] وإلّا فخوف معاوية من عمر إنّما كان لخوف عمر من معاوية، فكان معاوية لا يحسب عمر شيئاً لكونه فوقه في الحسب لكونه من بني عبد مناف، وعمر من عديّ ولا دهاء فوق دهائه.

فكان عمر يقول: تصفون دهاء كسرى وقيصر وعندكم فتى قريش معاوية![٣]

فكان عمر يداقّه كاملاً لئلّا يزلزل أمره، وإلّا فما فعل معاوية مع كونه من الشجرة الملعونة من قيامه في قبال أمير المؤمنين عليه السلام كان بواسطة تولية عمر له، فكان يحتجّ به حتّى حمل بذلك أهل الشام على قتال أمير المؤمنين عليه السلام[٤] الذي كان بمنزلة نفس النّبيّ صلى الله عليه وآله بنصّ القرآن[٥].

ولكون توليته أمراً منكراً أنكر عليه السلام على المغيرة لمّا أشار عليه بعد بيعة الناس له بأن يبقي معاوية على إمارته على الشام لئلّا يزلزل أمره، ثمّ يعزله؛ بأن قال عليه السلام له: ﴿...ما كنت متّخذ المضلّين عضداً﴾[٦].

ثمّ إنّ عثمان اقتصر في الدفاع عن نفسه بأنّه إن ولّى ابنَ عامر المنافق فقد ولّى عمرُ المغيرة المنافق، وإن ولّى معاوية عدوّ الإسلام

---

(١) انظر تاريخ الطبري ٤: ٧٠ ـ ٧٢، سنة ١٧، الأغاني ١٦: ٩٥ ـ ٩٩.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٥.

(٣) تاريخ الطبري: ٣: ٢٦٤ ـ ٢٦٥، دار الكتب العلمية.

(٤) وقعة صفّين: ٣٢.

(٥) إشارة إلى آية المباهلة ٦١ من سورة آل عمران.

(٦) وقعة صفّين: ٥٢، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٨٤ والآية ٥١ من سورة الكهف.

فقد ولّاه عمر طول خلافته[١].

ولم يمكنه أن يقول له عليه السلام: إنّ عمر دبّر خلافتي في الشورى بحكميّة ابن عوف مع علمه بأنّي أفعل ما أفعل؛ لعرفانه أخلاقي وتهالكي لبني أبي، بل قال ذلك لي صريحاً.

وفي (العقد): كان عليّ عليه السلام كلّما اشتكى الناس أمر عثمان، أرسل ابنه الحسن إليه، فلمّا أكثر عليه قال له: إنّ أباك يرى أنّ أحداً لا يعلم ما يعلم، ونحن أعلم بما نفعل، فكفّ عنّا! فلم يبعث عليّ عليه السلام ابنه في شيء بعد ذلك[٢].

قلت: قوله عليه السلام: «إنّك لتعلم ما نعلم» إشارة إلى كلام عثمان؛ فتسلّم عليه السلام قول عثمان «إنّه يعلم ما يعلم هو» لكنّه غير مراده، وهذا في غاية اللطافة في جواب الخصم.

«وما ابن أبي قحافة ولا ابن الخطّاب أولى» هكذا في (المصرية)[٣] والصواب: «بأولى» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٤] والخطية).

«بعمل الحقّ منك» في (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ ابن عبّاس قال: خرجت إلى المسجد فإنّي لجالس فيه مع عليّ عليه السلام حين صلّيت العصر، إذ جاء رسول عثمان يدعو عليّاً عليه السلام فقال: انطلق معي. فأقبلت معه فإذا طلحة والزبير وسعد وأُناس من المهاجرين، فجلسنا فإذا عثمان عليه ثوبان أبيضان، فسكت القوم، ونظر بعضهم إلى بعض، فقال عثمان: إنّ ابن عمّي معاوية قد كان غائباً عنكم وعمّا نلتم منّي، وما عاتبتموني، وقد سألني أن يكلّمكم ـ إلى أن قال ـ:

وخرج القوم وأمسك عثمان ابن عبّاس، وقال له: ياابن عمّي وابن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

(٢) العقد الفريد ٥: ٥٨ ـ ٥٩.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١، وفي شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢ أيضاً: أولى.

خالتي، لم يبلغني عنك شيء أُحبّه ولا شيء أكرهه، أنت لا عليّ ولا لي، وقد علمت أنّك رأيت بعض ما رأى الناس، فمنعك عقلك وحلمك من أن تظهر ما أظهروا، وقد أحببت أن تعلمني رأيك في ما بيني وبينك فأعتذر. فقال له ابن عبّاس: والله لوددت أنّك لم تفعل ما فعلت ممّا ترك الخليفتان قبلك، فإن كان شيئاً تركاه لما رأيا أنّه ليس لهما علمت أنّه ليس لك كما لم يكن لهما، وإن كان ذلك لهما فتركاه خيفة أن ينال منهما مثل الذي نيل منك، تركته لما تركاه له، ولمن يكونا أحقّ بإكرام أنفسهما منك بإكرام نفسك، قال: فما منعك أن تشير عليّ بهذا قبل أن أفعل ما فعلت؟ قال: وما علمي أنّك تفعل ذلك قبل أن تفعل؟ قال: فهب لي صمتاً حتّى ترى رأيي[1].

وروى الطبري: أنّ محمّد بن أبي بكر لمّا قعد على صدر عثمان لقتله، وأخذ لحيته، قال له عثمان: ما كان أبوك ليقبض على ما قبضت عليه. فقال له محمّد بن أبي بكر: لو رآك أبي تعمل هذه الأعمال أنكرها عليك[2].

وروى الزبير بن بكّار أنّ عمر لمّا أتي بجوهر كسرى، وضع في المسجد، فطلعت عليه الشمس فصار كالجمر، فقال لخازن بيت المال: ويلك [ويحك]! أرحني من هذا، واقسمه بين المسلمين، فإنّ نفسي تحدّثني أنّه سيكون في هذا بلاء وفتنة بين الناس. فقال: إن أقسمته [قسمته] بين المسلمين لم يسعهم، وليس أحد يشتريه؛ لأنّ ثمنه عظيم، ولكن تدعه إلى قابل، فعسى الله أن يفتح على المسلمين بمال فيتشريه منهم من يشتريه. قال: ارفعه وأدخله بيت المال.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٩ ـ ٣١، ونقله الشارح بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٣، سنة ٣٥.

وقتل عمر وهو بحاله، فأخذه عثمان لمّا ولّي الخلافة فحلّى به بناته[١].

«وأنت أقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وشيجة» أي: اشتباك.

«رحم منهما» كان عثمان يجتمع مع النّبيّ صلى الله عليه وآله في جدّه الرابع عبد مناف، وأبو بكر يجتمع معه صلى الله عليه وآله في جدّه السابع مرّة بن كعب، وعمر في جدّه الثامن كعب بن لؤي، وكانت أمّ عثمان أروى بنت كريز، وأمّها البيضاء بنت عبد المطّلب، فأمّه كانت من عبد شمس ابن عبد مناف، وأمّ أمّه من هاشم، وأمّ أبي بكر كانت سلمى من تيم مثله، وأمّ عمر كانت حنتمة من مخزوم؛ فهو كان أقرب في النسب أمّاً وأباً[٢].

«وقد نلت من صهره ما لم ينالا» فتزوّج عثمان برقيّة، ثمّ بعد موتها بأمّ كلثوم بنتي النّبيّ صلى الله عليه وآله، وكانتا قبله عند عتبة بن أبي لهب، وعتيبة بن أبي لهب. وأبو بكر وعمر لم ينالا صهريّة منه صلى الله عليه وآله لكن تزوّج صلى الله عليه وآله بابنتيهما ولم ينل ذلك عثمان.

هذا، وقال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام: «وأنت أقرب ـ إلى ـ مالم ينالا» كلام موضع المثل: «يُسر حسْواً في ارتغاء»، ومراده تفضيل نفسه عليهما، لأنّ العلّة التي باعتبارها فضّل عثمان عليهما محقّقة فيه وزيادة؛ لأنّ له مع المنافيّة الهاشمية[٣].

قلت: بل كلام ابن أبي الحديد موضع التهوّع؛ أين أمير المؤمنين الذي هو كنفس النّبيّ صلى الله عليه وآله وأين ابن أبي قحافة وابن الخطّاب وابن عفّان الذين لم يكن فيهم شيء سوى أن نالوا ملكاً معجلاً غصباً فتنة للناس؟ ﴿...هل يستوي

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦.

(٢) جمهرة أنساب العرب لابن حزم الأندلسي: ١٣، ١٥، ٧٤، ٧٥، ١٣٥، ١٣٦، ١٤٤، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٣.

الّـذين يـعلمون والذيـن لا يـعلمون...﴾[١] ﴿...أم هـل تسـتوي الظّـلمات والنّور...﴾[٢] ﴿...فمالكم كيف تحكمون﴾[٣].

«فالله الله في نفسك فإنّك والله ما تبصّر من عمى، ولا تعلّم من جهل، وإنّ الطرق لواضحة، وإنّ أعلام الدين» أي: راياته.

«لقائمة» يبصرها كلّ أحد.

في (الطبري): لمّا انصرف المصريون بواسطة عليّ عليه السلام طلب من عثمان أن يتكلّم بكلام يشهدون عليه بنزوعه وإنابته لئلّا يقدم ركب آخر لتمخّض البلاد عليه، فخرج فخطب فقال: أيّها الناس، والله ما عاب مَن عاب منكم شيئاً أجهله، وما جئت شيئاً إلّا وأنا أعرفه، ولكنّي منّتني نفسي وكذّبتني، وضلّ عنّي رشدي، ولقد سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «من زلّ فليتب، ومن أخطأ فليتب، ولا يتمادى في الهلكة، إنّ من تمادى في الجور كان أبعد من الطريق»، فأنا أوّل من اتّعظ[٤].

«فاعلم» وفي (ابن ميثم): «واعلم»[٥].

«أنّ أفضل عباد الله عند الله إمام عادل هُديَ وهَدى، فأقام سنّة معلومة، وأمات بدعة مجهولة» قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمّةً يهدون بِأمرنا وأوحينا إليهم فعل الخيرات وإقام الصّلاة وإيتاء الزكاة وكانوا لنا عابدين﴾[٦].

«وإنّ السنن لنيّرة» كالنجوم، ويقال للشمس والقمر: النيّران.

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) الرعد: ١٦.

(٣) يونس: ٣٥.

(٤) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٦٠ ـ ٣٦١، سنة ٣٥.

(٥) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢ أيضاً فاعلم.

(٦) الأنبياء: ٧٣.

«لها أعلام» أي: علائم فلا يمكن لأحد أن يدخل فيها البدع.

«وإنّ البدع لظاهرة» كالنار على المنار.

«لها أعلام» فلا يمكن لأحد أن يجعلها من السنن.

فبيت المال، السنّة فيه كانت معلومة من وجوب صرفه في مصالح الإسلام والمسلمين، وبذل عثمان له لبني أُميّة أعداء الإسلام بدعة واضحة، وتسمية عثمان فعله صلة الرحم مخزاة له؛ فإنّ مورد صلة الرحم بذل الإنسان مال شخصه لرحمه الذي كان رضى الله في صلته، وأمّا من كان من أعداء الله فلا يجوز إعطاؤه من ماله فضلاً عن مال غيره.

«وإنّ شرّ الناس عند الله إمام جائر ضَلّ وضُلّ به، فأمات سنّة مأخوذة، وأحيا بدعة متروكة». قال تعالى: ﴿وجعلناهم أئمّة يدعون إلى النّار ويوم القيامة لا ينصرون* وأتبعناهم في هذه الدّنيا لعنةً ويوم القيامة هم من المقبوحين﴾[1].

«وإنّي سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: يؤتى يوم القيامة بالإمام الجائر وليس معه نصير ولا عاذر. يلقى» هكذا في (المصرية)[2] والصواب: «فيلقى» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية).

«في نار جهنّم» وفي (ابن ميثم)[3]: «في جهنّم»[4].

«فيدور فيها كما تدور الرحى، ثمّ يرتبط في قعرها» وفي نسخة (ابن ميثم): «ثمّ يرتبك في قعرها ويرتبط»[5].

---

(١) القصص: ٤١ ـ ٤٢.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

(٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦١، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٠٢: أيضاً يلقى.

(٤) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضاً في نار جهنّم.

(٥) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: أيضاً ثمّ يرتبط في قعرها.

روى الثقفي في (تاريخه) عن ابن عبّاس قال: استأذن أبو ذرّ على عثمان فأبى أن يأذن له، فقال لي: استأذن لي عليه؛ فرجعت فاستأذنت له عليه، قال: إنّه يؤذيني. فقلت: عسى أن لا يفعل. فآذن له من أجلي، فلمّا دخل عليه قال: اتّق الله يا عثمان، فجعل يقول لعثمان: اتّق الله وعثمان يتوعّده، فقال أبو ذرّ: حدّثني النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يجاء بك وبأصحابك يوم القيامة فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم، كلّما مرّت أُخراها رُدّت أُولاها حتّى يفصل بين الناس.

قال يحيى بن سلمة: فحدّثني العرزميّ أنّ في هذا الحديث: «ترفعون حتّى إذا كنتم مع الثريا ضرب بكم على وجوهكم فتطأكم البهائم»[1].

ثمّ إنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام واضح الدلالة على أنّ عثمان إمام جائر، قال النّبيّ صلى الله عليه وآله فيه ما قال، كما أنّ حديث أبي ذرّ صريح الدلالة فيه.

«وإنّي أنشدك» بالفتح.

«الله» وفي (ابن ميثم): «ياعثمان إنّي أنشدك الله»[2].

«أن لا تكون» هكذا في (المصرية)[3] والصواب: «أن تكون» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4].

«إمام هذه الأُمّة المقتول، فإنّه كان يقال: يقتل في هذه الأمّة إمام يفتح عليها» أي: على الأُمّة.

«القتل والقتال إلى يوم القيامة» روى (سنن أبي داود) عن ثوبان مولى النّبيّ عنه صلى الله عليه وآله قال: إنّي سألت ربّي لأُمّتي أن لا يهلكها بسنة بعامّة، ولا يسلّط

---

(١) نقله عن الثقفي العلّامة المجلسيّ في بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٦.

(٢) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: «وإنّي أنشدك» أيضاً.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٦٢، ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٠٢: «أن لا تكون» أيضاً.

عليهم عدوّاً من سوى أنفسهم فيستبيح بيضتهم ـ إلى أن قال ـ: وإنّما أخاف على أُمّتي الأئمّة المضلّين، وإذا وضع السيف في أُمّتي لم يرفع عنها إلى يوم القيامة(١).

وفي (الطبري): قال أبو معشر: بويع لعثمان سنة أربع وعشرين عام الرعاف، وإنّما قيل لهذه السنة عام الرعاف لأنّه كثر الرعاف فيها في الناس(٢).

قلت: بيعته عام الرعاف كانت دليلاً على كثرة قتل الناس بسببه بغير حقّ، مثل سنة بيعة ابن عمّه يزيد بن معاوية.

قال ابن قتيبة في (خلفائه): قدم عمرو بن سعيد الأشدق من قِبل يزيد أميراً على المدينة وعلى الموسم، فلمّا استوى على المنبر رعف، فقال اعرابيّ مستقبله: «مه! جاءنا والله بالدم»، فتلقّاه بعمامته، فقال: «مه! عمّ والله الناس»، ثمّ قام يخطب، فناوله عصاً له شعبتان، فقال: «مه! شعب والله النّاس»(٣).

وفي (صفّين نصر): قال رجل لعديّ بن حاتم يوم صفّين: ألم أسمعك تقول يوم الدار: «والله لا يخنق [تحبق] فيها ـ أي في قضيّة قتل عثمان ـ عَناق حَوْليّة»(٤)، وقد رأيت ما كان فيها؟ ـ وقد كانت فقئت عين عديّ وقتل بنوه ـ

---

(١) سنن أبي داود ٢: ٤٩٩ ح ٤٢٥٢.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٢، سنة ٢٤.

(٣) الإمامة والسياسة ٢: ٣.

(٤) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٢٢٥ تحت الرقم ٣٥٤٨ ما لفظه:

«لا تَحْبِقُ في هذا الأمر عَنَاقٌ حَوْليّة» قاله عديّ بن حاتم حين قُتل عثمان رضي الله عنه، فلمّا كان يوم الجمل فُقئت عين عديّ وقتل ابنه بصفّين، فقيل له: يا أبا طريف، ألم تزعم أنّه لا تحبق في هذا الأمر عَنَاق حوليّة؟ فقال: بلى والله، التّيس الأعظم قد حبق فيه. قالوا: ولمّا كان بعد ذلك دخل على معاوية وعنده عبد الله بن الزبير، فقال ابن الزبير: يا أمير المؤمنين! هِجْهُ فإنّ عنده جواباً. فقال معاوية: أمّا أنا فلا، ولكن دونك إن شئت. فقال له ابن الزبير: أيّ يوم فقئت عينك يا عديّ؟ قال: في اليوم الذي قُتل فيه أبوك مُدْبِراً وضُرِبْتَ على قفاك مُوَلّياً. فأفحمه.

يضرب المثل في أمر لا يُعْبأ به ولا غِيَرَ له، أي لا يدرك فيه ثأر.

قال: بلى والله لقد خنقت [حبقت] فيه العناق والتّيس الأعظم[1].

وفي خبر (خلفاء ابن قتيبة) -بعد ذكر مكالمة معاوية لأمير المؤمنين عليه السلام والصحابة في أمر عثمان ثم انصرافهم-: فقال عثمان لمعاوية: ما ترى؟ قال له معاوية: أرى أن تأذن لي بضرب أعناق هؤلاء القوم -إلى أن قال-: فقال معاوية: فثالثة. قال: وما هي؟ قال: اجعل لي الطلب بدمك إن قُتلت. قال عثمان: نعم هذه لك إن قتلت فلا يطلّ دمي[2].

وحينئذ فأوزار كلّ قتل وقتال، منها قتل سيّد شباب أهل الجنّة وأسر بنات النّبيّ صلى الله عليه وآله، ومنها قتل كلّ مؤمن كعمّار وغيره ممّن قتل في الجمل وصفّين، وكلّ قتل وقتال يقعان إلى يوم القيامة على عثمان.

وبذلك صرّح أمير المؤمنين عليه السلام في شخوصه إلى صفّين؛ مضافاً إلى فحوى كلامه في ما مرّ من مكالمته مع عثمان، فروى الأعمش -وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر- عن الحكم بن عتيبة، عن قيس بن أبي حازم قال: سمعت علياً على منبر الكوفة وهو يقول: «يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمّة الكفر، وبقيّة الأحزاب، وأولياء الشيطان. انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فوالله الذي فلق الحبّة، وبرأ النسمة؛ إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم القيامة لا ينقص من أوزارهم شيئاً»[3].

وقيس الراوي هذا ليس بشيعيّ بل ناصبيّ، روى هذا عنه عليه السلام ذمّاً له، فقال بعد نقل كلامه عليه السلام: ولمّا سمعته قال: «انفروا إلى بقيّة الأحزاب»

والعَناق: الأنثى من ولد المعز. والجمع أعْنُق وعُنُوق. (الصحاح ٤: ١٥٣٤، مادة: عوق). والحوليّة: التي أتى عليها حَوْل، وكل ذي حافر أوّل سنة حوليّ، والأنثى حوليّة، والجمع حوليّات. (لسان العرب ٣: ٣٩٨، مادة: حول).

(١) وقعة صفّين: ٣٥٩ ـ ٣٦٠، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٩.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٣١، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٩٤، بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٤٢.

دخل بغضه في قلبي[١].

وحينئذ فجميع من قتل بنو أُميّة من معاوية إلى آخرهم وبنو العبّاس جميعهم من المؤمنين ومن أئمّة الدين أوزارهم على عثمان.

وفي (موفقيات ابن بكّار): أنّ رجلاً جاء إلى عليّ عليه السلام يستشفع بـه إلى عثمان فقال: «حمّال الخطايا، لا والله لا أعود إليه أبداً»[٢].

كما أنّ أوزار عثمان على من أسّس له الأوّل والثاني، وبه صرّح معاوية في جوابه لكتاب محمّد بن أبي بكر[٣]. لا سيّما الأخير في تدبيره له مع عرفانه له.

وروى الكشي عن الورد بن زيد: أنّ الكميت سأل أبا جعفر عن الرجلين [الشيخين]؟ فقال[عليه السلام]: ما أُهريق دم ولا حكم بحكم [يحكم] غير موافق لحكم الله وحكم رسوله إلّا وهو في أعناقهما[٤].

وعن (تاريخ إبراهيم الثقفي) عن خيثمة عن ابن مسعود قال: بينا نحن في بيت ونحن اثنا عشر رجلاً نتذاكر أمر الدجّال وفتنته، إذ دخل النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: «ما تتذاكرون من أمر الدجّال، والذي نفسي بيده إنّ في البيت لمن هو أشدّ على أمّتي من الدجّال». قال ابن مسعود: وقد مضى من كان في البيت غيري وغير عثمان[٥].

«ويلبس» وفي (ابن ميثم): «ويلتبس»[٦].

---

(١) المصدر نفسه ٢: ١٩٤ ـ ١٩٥.

(٢) أخبار الموفقيات للزبير بن بكار: ٦١٣ رقم ٣٩٧، بحار الأنوار ط الكمباني ٨: ٣٣٦.

(٣) نقله الطبرسيّ في الاحتجاج ١: ١٨٤.

(٤) اختيار معرفة الرجال ٢: ٤٦١ الرقم ٣٦١.

(٥) نقله عنه العلّامة المجلسي في بحار الأنوار، ط الكمباني ٨: ٣٣٨.

(٦) شرح ابن ميثم المصححة ٢: ٣٠٣ خ ١٦٣ بلفظ: يُلبسُ.

«أُمورها عليها»، والمراد: عامّة الأُمّة، وأمّا خواصّهم كطلحة والزبير وعائشة وعمرو بن العاص فكانوا عارفين باستحقاقه القتل؛ وكان الأوّلان من قاتليه، والأخيران من المحرّضين على قتله، ولبس الأوّلون بقيامهم للطلب بدمه كالأخير مع معاوية المحبّ لقتله ليكون وسيلة لنيله الخلافة.

«ويثبّت» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: «ويبثّ» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطّية)[٢].

«الفتن فيها» ففتنة الجمل وصفّين كانت باسم طلب ثأره، وفتنة النهروان كان أمر عثمان سببها.

«فلا يبصرون الحقّ من الباطل يموجون فيها موجاً، ويمرجون» أي: يختلطون ويضطربون.

«فيها مرجاً» ولا سيّما أنّ معاوية وضع لهم أنّ من أُطلق عليه اسم الخلافة بأيّ نحو كان، يكون حجّة الله وفي درجة رسول الله؛ فكان مسلم بن عُقبة[٣] مستبيح المدينة يقول في احتضاره: اللهمّ إنّي لم أُنكر خليفة من خلفائك[٤].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٨٥.

(٢) ورد بلفظ «يُثَبِّتُ» ٣: ٣٠٣خ١٦٣.

(٣) في الإصابة ٣: ٤٩٣ ـ ٤٩٤: مسلم بن عُقْبة بن رباح المرّيّ أبو عقبة، الأمير من قِبل يزيد بن معاوية على الجيش الذين غزوا المدينة يوم الحرّة... وقد أفحش مسلم القول والفعل بأهل المدينة، وأسرف في قتل الكبير والصغير حتى سمّوه مسرفاً، وأباح المدينة ثلاثة أيّام لذلك، والعسكر ينهبون ويقتلون ويفجرون، ثمّ رفع القتل وبايع من بقي على أنّهم عبيد ليزيد بن معاوية وتوجّه العسكر إلى مكّة ليحارب ابن الزبير لتخلّفه عن البيعة ليزيد فعوجل بالموت فمات بالطريق وذاك سنة ثلاث وستين.

وقال ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١: ٢١٥ في واقعة الحرّة ما لفظه: فبلغ عدّة قتلى الحرّة يومئذ من قريش والأنصار والمهاجرين ووجوه الناس، ألفاً وسبعمائة، وسائرهم من الناس عشرة آلاف، سوى النساء والصبيان.

(٤) أورد اليعقوبي نصاً آخر لمسلم بن عقبة وهو «اللّهم إن عذبتني بعد طاعتي لخليفتك يزيد بن معاوية، وقتل أهل

«فلا تكوننّ لمروان سيّقة يسوقك حيث شاء» كما يسوق ناهب الدوابّ لها حيث يشاء.

«بعد جلال السنّ» أي: كبره.

«وتقضّي العمر» أي: انقضائه، فكان يومئذ ـ كما قال الواقديّ ـ ابن (٨٢) سنة[1].

روى الطبري عن الواقديّ بإسناده عن عبد الرحمن بن الأسود بن عبد يغوث قال: خرج عثمان إلى الناس فأعطاهم الرضا، وبكى على المنبر وبكى الناس حتّى نظرت إلى لحية عثمان مُخْضَلّة من الدموع، وهو يقول: «اللهمّ إنّي أتوب إليك، والله لئن ردّني الحقّ لأن أكون عبداً قِنّاً لأرضينّ به، فإذا دخلت منزلي فادخلوا عليّ؛ فوالله لا أحتجب منكم، ولأعطينّكم الرضا، ولأزيدنّكم على الرضا، ولأنحينّ مروان وذويه».

فلمّا دخل عثمان أمر بالباب ففتح، ودخل عليه مروان، فلم يزل يفتله في الذروة والغارب حتّى فتله عن رأيه، وأزاله عمّا كان يريد؛ فلقد مكث عثمان ثلاثة أيّام ما خرج، استحياءً من الناس؛ وخرج مروان إلى الناس فقال: «شاهت الوجوه، ارجعوا إلى منازلكم؛ فإن يكن للخليفة حاجة بأحد منكم يرسل إليه، وإلّا قرّ في بيته».

قال عبد الرحمن بن الأسود: فجئت إلى عليّ عليه السلام فأجده بين القبر والمنبر، وأجد عنده عمّار ومحمّد بن أبي بكر وهما يقولان: «صنع مروان بالناس وصنع». قال: فأقبل عليّ عليه السلام عليَّ وقال: أحضرت خطبة عثمان؟ قلت: نعم. قال: أفحضرت مقالة مروان للناس؟ قلت: نعم. قال: «يا للمسلمين! إنّي إن

الحرة، فإني إذاً لشقي» راجع تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٥١.

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤١٥، سنة ٣٥.

قعدت في بيتي قال لي -أي عثمان-: تركتني وقرابتي وحقّي؛ وإنّي إن تكلّمت فجاء ما يريد يلعب به مروان، فصار سيّقة[1] له يسوقه حيث شاء بعد كبر السنّ»[2].

وروى الطبري عن الواقدي أيضاً بإسناده أنّ علياً عليه السلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريّين، فقال له: تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، وتشهد [يشهد] الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فلا آمنُ ركباً آخر يقدمون من الكوفة، فتقول: اركب إليهم؛ ولا أقدر أن أركب إليهم، ولا أسمع عذراً. ويقدم ركب آخر من البصرة فتقول: اركب إليهم؛ فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك، واستخففت بحقّك.

فخرج عثمان فخطب الخطبة التي نزع فيها، وأعطى [الناس] من نفسه التوبة، فلمّا نزل وجد في منزله مروان وسعيداً ونفراً من بني أُميّة؛ ولم يكونوا شهدوا الخطبة؛ فلمّا جلس قال مروان: أتكلّم أم أصمت؟ فقالت نائلة امرأة عثمان الكلبيّة: لا بل اصمت، فإنّهم والله قاتلوه ومؤثّموه؛ إنّه قد قال مقالة لا ينبغي له أن ينزع عنها. فأقبل عليها مروان، فقال: ما أنت وذاك! فوالله لقد مات أبوك وما يحسن أن يتوضّأ. فقالت له: مهلاً يا مروان عن ذكر الآباء، تخبر عن أبي وهو غائب، تكذب عليه! وإنّ أباك لا تستطيع أن تدفع عنه؛ أما والله لولا أنّه عمّه، وأنّه يناله غمّه، أخبرتك عنه بما لم [لن] أكذب عليه.

فأعرض عنها مروان، ثمّ قال: أتكلّم أم أصمت؟ قال: بل تكلّم. فقال مروان: بأبي أنت وأُمّي! والله لوددت أنّ مقالتك هذه كانت وأنت ممتنع منيع، فكنت أوّل من رضي بها، وأعان عليها؛ ولكنّك قلت ما قلت حين بلغ الحزام

---

(١) السيّقة: ما استاقه العدوّ من الدوابّ، مثل الوسيقة. (الصحاح ٤: ١٤٩٩، مادة: سوق).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٣ ـ ٣٦٤، سنة ٣٥.

الطُّبيين، وخلف السيل الزُّبى، وحين أعطى الخطّة الذليلة الذليل؛ والله لإقامةً على خطيئة تستغفر الله منها أجمل من توبة تُخوّف عليها؛ وإنّك إن شئت تقرّبت بالتوبة ولم تقرّب [تقرر] بالخطيئة، وقد اجتمع إليك على الباب مثل الجبال من الناس.

فقال عثمان: فاخرج إلى الناس فكلّمهم، فإنّي أستحيي أن أُكلّمهم. فخرج مروان إلى الباب فقال: أما والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لا يسرّكم؛ ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا إلى منازلكم؛ فإنّا والله لسنا بمغلوبين على ما في أيدينا.

فرجع الناس وخرج بعضهم حتّى أتى عليّاً عليه السلام فأخبره الخبر، فجاء مغضباً حتّى دخل على عثمان، فقال: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه؛ وايم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك؛ وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبتَ شرفك، وغلبت على أمرك[1].

قلت: ومع كون حال عثمان على ذاك المنوال، إخواننا لا يجعلون أمثال ذلك مبطلاً لإمامته؛ فكانت إمامته كوضوء مرأة معروفة كان يطأها الرجال واحد بعد واحد، وكلّما قام عنها رجل تشتغل بالصلاة حتّى يجيء آخر بوضوئها الأوّل.

فعمل السوء والباطل والجور والفساد؛ أيّ شيء لم يأت به عثمان؟ لكنّ إخواننا أرادوا أن يرضوا معاوية بن أبي سفيان لَعِينَ النّبيّ صلى الله عليه وآله في موطن بعد موطن.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٠ ـ ٣٦٢، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

ثمّ لعمر الله هل يصل صلابة وجه البشر إلى هذا الحدّ الذي بلغها وجه عثمان في مواعيده التي كانت كمواعيد عرقوب[١]؟ ولقد أجاد أبو تمّام في وصف فرس:

أيــقنت أن تــتثبت أنّ حــافره ... من صخر تدمر أو وجه عثمان[٢]

قول المصنّف: «فقال له عثمان: كلّم الناس في أن يؤجّلوني حتّى أخرج إليهم من مظالمهم. فقال عليه السلام: ما كان بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه».

روى الطبري مسنداً عن الزبير ـ بعد ذكر كتاب المصريين إلى عثمان ـ: إنّا والله لله نغضب، وفي الله نرضى، وإنّا لن نضع سيوفنا عن عواتقنا حتّى تأتينا منك توبة مصرّحة، أو ضلالة مجلّحة[٣].

قال: وكتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويقسمون له بالله لا يمسكون عنه أبداً حتّى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حقّ الله.

قال: فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فقال لهم: قد صنع القوم ما قد رأيتم، فما المخرج؟ فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ بن أبي طالب فيطلب إليه أن يردّهم عنه، ويعطيهم ما يرضيهم ليطاولهم حتّى يأتيه امداد؛ فقال لهم عثمان: إنّ القوم لن يقبلوا التعليل، وقد كان منّي في قدمتهم الأُولى ما كان؛ فمتى أعطهم ذلك يسألوني الوفاء به.

فقال مروان: مقاربتهم حتّى تقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب،

---

(١) قال الجوهري في الصحاح ١: ١٨٠ ما لفظه: عُرقوب اسم رجل من العمالقة ضربت به العرب المثل في الخُلْف فقالوا: مواعيد عرقوب.

(٢) ورد في ديوانه: «حلفت ان لم تثبت أنّ حافره من صخر تدمر أو من وجه عثمان» وهو في مدح عثمان بن إدريس السامي. راجع شرح ديوان أبي تمام: ٥٤٠، دار الكتب العلمية، بيروت. ١٩٨٧ م. ط ١.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٩، سنة ٣٥.

فأعطهم ما سألوك، وطاولهم ما طاولوك؛ فإنّما هم بغوا عليك، فلا عهد لهم.

فأرسل إلى عليّ عليه السلام فلمّا جاءه قال: يا أبا الحسن، إنّه قد كان من الناس ما قد رأيت، وكان منّي ما قد علمت؛ ولست آمنهم على قتلي، فأرددهم عنّي، فإنّ لهم عهد الله عزّوجلّ أن أعتبهم من كلّ ما يكرهون؛ وأن أعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري، وإن كان في ذلك سفك دمي.

فقال له عليّ عليه السلام: الناس إلى عدلك أحوج منهم إلى قتلك؛ وإنّي لأرى قوماً لا يرضون إلّا بالرضا، وقد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأُولى عهداً من الله: لترجعنّ عن جميع ما نقموا؛ فرددتهم عنك، ثمّ لم تف لهم بشيء من ذلك، فلا تغرّني هذه المرّة من شيء فإنّي معطيهم عليك الحقّ. قال: نعم، فأعطهم، فوالله لأفينّ لهم.

فخرج عليّ عليه السلام إلى الناس، فقال: أيّها الناس، إنكم إنّما طلبتم الحقّ فقد أعطيتموه؛ وإنّ عثمان قد زعم أنّه منصفكم من نفسه ومن غيره؛ وراجع عن جميع ما تكرهون، فاقبلوا منه ووكّدوا عليه.

قال الناس: [قد] قبلنا فاستوثق لنا منه، فإنّا والله لا نرضى بقول دون فعل. فقال لهم: ذلك لكم. ثمّ دخل عليه فأخبره الخبر، فقال له عثمان: اضرب بيني وبينهم أجلاً يكون لي فيه مهلة، فإنّي لا أقدر على ردّ ما كرهوا في يوم واحد. فقال له علي عليه السلام: ما حضر بالمدينة فلا أجل فيه، وما غاب فأجله وصول أمرك إليه. قال: نعم، ولكن أجّلني في ما بالمدينة ثلاثة أيّام. قال عليّ عليه السلام: نعم، فخرج إلى الناس فأخبرهم بذلك، وكتب بينهم وبين عثمان كتاباً أجّله فيه ثلاثاً، على أن يردّ كلّ مظلمة، ويعزل كلّ عامل كرهوه؛ ثمّ أخذ عليه في الكتاب أعظم ما أخذ الله على أحد من خلقه من عهد وميثاق، وأشهد عليه ناساً من وجوه المهاجرين والأنصار، فكفّ المسلمون عنه ورجعوا إلى

أن يفي لهم بما أعطاهم من نفسه؛ فجعل يتأهّب للقتال، ويستعدّ بالسلاح ـ وقد اتخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس ـ فلمّا مضت الأيّام الثلاثة ـ وهو على حاله لم يغيّر شيئاً ممّا كرهوه، ولم يعزل عاملاً ـ ثار به الناس. وخرج عمرو بن حزم الأنصاري حتّى أتى المصريين وهم بذي خُشب، فأخبرهم الخبر، وسار معهم حتّى قدموا المدينة، فأرسلوا إلى عثمان: ألم نفارقك على أنّك زعمت أنّك تائب من إحداثك، وراجع عمّا كرهنا منك؛ وأعطيتنا على ذلك عهد الله وميثاقه؟ قال: بلى، أنا على ذلك، قالوا: فما هذا الكتاب الذي وجدنا مع رسولك، وكتبت به إلى عاملك؟ ـ إلى أن قال ـ: فحصروه أربعين ليلة، وطلحة يصلّي بالناس[١].

هذا، وفي (الطبري): قال الوليد بن يزيد يوم قتل وهو يقاتلهم: من جاء برأس فله خمسمائة. فجاء قوم بأرؤس، فقال الوليد: اكتبوا أسماءهم. فقال أحد من جاء برأس: ليس هذا بيوم يعمل فيه بنسيئة![٢]

وفي (الأغاني): عن إسحاق الموصليّ قال: عمل محمّد المخلوع[٣] سفينة فأعجب بها، وركب فيها يريد الأنبار، وأنا مقبل على قبض [بعض] أبواب السفينة فصاحوا: إسحاق إسحاق. فوثبتُ فدنوتُ منه، فقال لي: كيف ترى سفينتي؟ فقلت: حسنة عمّرها الله ببقائك. قال: قل فيها أبياتاً. فقلت، فقال لي: أحسنت يا إسحاق، وحياتِك لأهبنّ لك عشرة آلاف دينار. قلت: متى؟ إذا وسّع الله عليك! فضحك ودعا بها على المكان[٤].

نقلت هذا بمناسبة قوله عليه السلام: «ما كان بالمدينة فلا أجل فيه»[٥].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٩ ـ ٣٧١، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ٧: ٢٥٢، سنة ١٢٦.

(٣) هو محمّد الأمين بن هارون الرشيد.

(٤) الأغاني ٥: ٤٠٥ ـ ٤٠٦.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٨٦.

٨
من الخطبة (١٥٢)

منها:

قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ، وَلَمَعَ لَامِعٌ؛ وَلَاحَ لَائِحٌ، وَٱعْتَدَلَ مَائِلٌ، وَٱسْتَبْدَلَ ٱللّٰهُ بِقَومٍ قَوْماً، وَبِيَوْمٍ يَوْماً؛ وَٱنْتَظَرْنَا ٱلْغِيَرَ، ٱنْتِظَارَ ٱلْمُجْدِبِ ٱلْمَطَرَ.

«قد طلع طالع» يقال: طلعت الشمس والقمر.

«ولمع لامع» يقال: لمع البرق.

«ولاح لائح» يقال: لاح النجم.

«واعتدل» أي: استقام برجوع الأمر إليه عليه السلام.

«مائل» أي: ما اعوج من الأمور أيّام عثمان.

في (الطبري): قال الزهري: خرج محمّد بن أبي بكر ومحمّد بن أبي حذيفة عام خرج عبد الله بن سعد ـ في غزوته الروم سنة ٣١ ـ فأظهرا عيب عثمان وما غيّر، وما خالف به أبا بكر وعمر، وأنّ دم عثمان حلال. ويقولان: استعمل عبد الله بن سعد؛ رجلاً كان رسول الله صلى الله عليه وآله أباح دمه ونزل القرآن بكفره، وأخرج النبيّ صلى الله عليه وآله قوماً فأدخلهم عثمان، ونزع أصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله واستعمل سعيد بن العاص وعبد الله بن عامر. فبلغ ذلك عبد الله بن سعد، فقال: لا تركبا معنا، فركبا في مركب ما فيه أحد من المسلمين، ولقوا العدوّ، وكانا انكل [أكلّ] المسلمين قتالاً، فقيل لهما في ذلك، فقالا: كيف نقاتل مع رجل لا ينبغي لنا أن نحكّمه ـ الخ[1].

وفيه أيضاً: قال العلاء بن عبد الله العنبريّ: اجتمع ناس من المسلمين، فتذاكروا أعمال عثمان وما صنع، فاجتمع رأيهم على أن يبعثوا إليه رجلاً

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٩٢، سنة ٣١.

يكلّمه، ويخبره بإحداثه، فأرسلوا إليه عامر بن عبد الله التميمي ثمّ العنبري ـوهو الذي يدعى عامر بن عبد قيس ـ فأتاه، فدخل عليه فقال له: إنّ ناساً من المسلمين اجتمعوا فنظروا في أعمالك، فوجدوك قد ركبت أُموراً عظاماً، فاتّق الله عزّوجلّ وتب إليه، وانزع عنها.

فقال عثمان: انظروا إلى هذا، يزعم الناس أنّه قارئ، ثمّ هو يجيء فيكلّمني في المحقّرات، فوالله ما يدري أين الله! قال عامر: أنا لا أدري أين الله! قال: نعم، والله ما تدري أين الله! قال عامر: بلى والله إنّي لأدري أنّ الله بالمرصاد لك.

فأرسل عثمان إلى معاوية، وإلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وإلى سعيد بن العاص، وإلى عبد الله بن عامر، وإلى عمرو بن العاص؛ فجمعهم ليشاورهم في أمره وما طُلب إليه، وما بلغه عنهم، فلمّا اجتمعوا عنده قال لهم: إنّ لكلّ امرئ وزراء ونصحاء، وإنّكم وزرائي ونصحائي وأهل ثقتي، وصنع الناس ما قد رأيتم، وطلبوا إليّ أن أعزل عمّالي، وأن أرجع عن جميع ما يكرهون إلى ما يحبّون، فاجتهدوا رأيكم، وأشيروا عليّ.

فقال عبد الله بن عامر: رأيي لك أن تشغلهم بجهاد يشغلهم عنك، وأن تجمّرهم[1] في المغازي حتّى يذلّوا لك فلا يكوننّ همّ أحدهم إلّا نفسه، وما هو فيه من دبرة دابته، وقَمْل فَرْوه.

ثمّ أقبل عثمان على سعيد بن العاص فقال له: ما رأيك؟ قال: إن كنت تريد [ترى] رأينا فاحسم عنك الداء، واقطع عنك الذي تخاف، واعمل برأيي تُصب. قال: وما هو؟ قال: إنّ لكلّ قوم قادة متى تهلك يتفرّقوا، ولا يجتمع لهم أمر، فقال عثمان: إنّ هذا هو الرأي لولا ما فيه.

---

(١) تجمير الجيش: أن تحبسهم في أرض العدوّ ولا تقفلهم من الثغر. (الصحاح ٢: ٦١٦، مادة: جمر).

ثمّ أقبل على معاوية فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أن تردّ عمّالك على الكفاية لما قبلهم، وأنا ضامن لك قِبَلي.

ثمّ أقبل عثمان على عبد الله بن سعد فقال: ما رأيك؟ قال: أرى أنّ الناس أهل طمع، فأعطهم من هذا المال تعطف عليك قلوبهم.

ثمّ أقبل على عمرو بن العاص، فقال له: ما رأيك؟ قال: أرى أنّك قد ركبت الناس بما يكرهون؛ فاعتزم أن تعتدل، فإن أبيت فاعتزم أن تعتزل، فإن أبيت فاعتزم عزماً، وامض قدماً. فقال له عثمان: مالك قَمل فروك؟ أهذا الجدّ منك! فأسكت عنه دهراً، حتّى إذا تفرّق القوم، قال عمرو لعثمان: لا والله لأنت أعزّ عليّ من ذلك، ولكن قد علمت أن سيبلغ الناس قول كلّ رجل منّا، فأردت أن يبلغهم قولي فيثقوا بي، فأقود إليك خيراً، أو أدفع عنك شرّاً[١].

ورواه عن الزهريّ أيضاً وزاد: فردّ عثمان عمّاله على أعمالهم، وأمرهم بالتضييق على من قِبَلهم، وأمرهم بتجمير الناس في البعوث، وعزم على تحريم أعطياتهم ليطيعوه، ويحتاجوا إليه[٢].

«واستبدل الله بقوم قوماً، وبيوم يوماً» قال ابن أبي الحديد: أي: استبدل الله بعثمان وشيعته عليّاً عليه السلام وشيعته، وبأيّام ذاك أيّام هذا[٣].

قلت: استبدل بالظلمة النّور، وبالجور العدل، وبالباطل الحقّ.

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر خطبة له عليه السلام في التحريض على جهاد معاوية ـ: ثمّ قام أبو أيّوب الأنصاريّ فقال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام قد أسمع من كانت له أُذن واعية، وقلب حفيظ، إنّ الله قد أكرمكم به كرامة ما قبلتموها

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٣ ـ ٣٣٤، سنة ٣٤.

(٢) نفس المصدر ٤: ٣٣٥، سنة ٣٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

حقّ قبولها، حيث نزل بين أظهركم ابن عمّ الرسول ﷺ، وخير المسلمين وأفضلهم وسيّدهم بعده، يفقّهكم في الدين، ويدعوكم إلى جهاد المحلّين، فوالله لكأنكم صمّ لا تسمعون، وقلوبكم غلف مطبوع عليها فلا تستجيبون، أليس إنّما عهدكم بالجور والعدوان أمس، وقد شمل العباد، وشاع في الإسلام، فذو حقّ محروم، ومشتوم عرضه، ومضروب ظهره، وملطوم وجهه، وموطوء بطنه، وملقى بالعراء؛ فلمّا جاءكم أمير المؤمنين عليه السلام صدع بالحقّ، ونشر العدل [بالعدل]، وعمل بالكتاب، فاشكروا نعمة الله عليكم، ﴿ولا تتولّوا مجرمين﴾[(١)].

وفي (جمل محمّد بن محمّد بن النعمان): لمّا بعث عليّ عليه السلام الأشتر إلى الكوفة لمّا أراد قتال البصرة، صعد الأشتر المنبر وقال بعد حمده تعالى وذكر الإسلام -إلى أن قال-: ثمّ ولّي رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، وعمل في أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعزل نفسه عنّا فلم يفعل، وأقام على أحداثه، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا، ولا يبعد الله إلّا القوم الظالمين، وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأجلّهم في الإسلام سهماً، ابن عمّ رسول الله ﷺ، وأفقه الناس في دين الله، وأقرئهم لكتاب الله، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس، وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أسعيد الذي فعل ما فعل، أم الوليد الذي شرب الخمر وصلّى بكم على سكر، أيّ هذين تريدون؟ قبّح الله من له هذا الرأي[(٢)].

«وانتظرنا الغير» أي: التغيّرات.

«انتظار المجدب» أي: من أصابه القحط.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٢ - ١٥٣، والآية ٥٢ من سورة هود.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٥٤ - ٢٥٥، ونقله الشارح بتصرّف.

«المطر» كان انتظار الناس أيّام عثمان انتظار ناس أصابهم القحط لمطر يحييهم.

ولمّا أخرج عثمان أبا ذرّ إلى الربذة، وشيّعه أمير المؤمنين عليه السلام والحسنان عليهما السلام، قال له الحسين عليه السلام: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى؛ وهو كلّ يوم في شأن[1].

وفي (تاريخ الثقفي): أنّ رجلاً شهد الجمعة عند معاوية بالجابية لقي أبا الدرداء وصاحباً له في طريق، فقال لهما: خبر كرهت أن أُخبركما به، فقال أبو الدرداء: لعلّ أبا ذرّ قد نفي. قال: نعم والله. فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء لصاحبه: ﴿...فَارتَقِبهم واصْطَبِر﴾[2] كما قيل لأصحاب الناقة[3].

وفي (سقيفة الجوهريّ): عن أبي كعب الحارثي ـ في خبر ـ أنّه كان يجيء عند عثمان إذ جاء نفر فقالوا: إنّه أبى أن يجيء. فغضب عثمان وقال: أبى أن يجيء! اذهبوا فجيئوا به؛ فإن أبى فجرّوه جرّاً. قال: فمكثت قليلاً فجاؤوا ومعهم رجل آدم طوال أصلع، في مقدّم رأسه شعرات، وفي قفاه شعرات، فقلت: من هذا؟ قالوا: عمّار.

فقال له عثمان: أنت الذي تأتيك رسلنا فتأبى أن تجيء؟ فكلّمه بشيء لم أدرِ ما هو ـ إلى أن قال ـ: فتبعت عثمان حتّى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى سارية، وحوله نفر من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله يبكون، فقال عثمان: يا وثّاب عليّ بالشرط. فجاؤوا، فقال: فرّقوا بين هؤلاء.

---

(١) السقيفة وفدك ٧٦ ـ ٧٧، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(٢) من الآية ٢٧ في سورة القمر.

(٣) نقله عنه، العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٣٧ ط الكمباني.

ثمّ أُقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان فصلّى بهم، فلمّا كبّر قالت امرأة من حُجرتها: تركتم أمر الله، وخالفتم عهده. ثمّ صمتتْ وتكلّمت أُخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة وحفصة. فسلّم عثمان ثمّ أقبل على الناس فقال: إنّ هاتين لفتّانتان، يحلّ لي سبّهما، وأنا بأصلهما عالم. فقال له سعد: أتقول هذا لحبائب النبيّ؟ فقال له: وفيم أنت! وما هاهنا، ثمّ أقبل نحو سعد عامداً ليضربه، فانسلّ سعد -إلى أن قال-: فلقي علياً عليه السلام بباب المسجد، فقال عثمان له: ألست الذي خلّفك النبيّ يوم تبوك؟ فقال له عليّ عليه السلام: ألست الفارّ يوم أُحد؟![1].

وفي (موفّقيّات الزبير بن بكّار) عن ابن عبّاس -في خبر- قال عثمان لعمّار: أما إنّك من شنآئنا وأتباعهم، وايم الله، إنّ اليد عليك منبسطة، وإنّ السبيل إليك لسهلة -إلى أن قال- فقال له عمّار: والله ما أعتذر من حبّي علياً عليه السلام. فقال له عثمان: إنّك والله ما علمت لَمِن أعوان الشرّ الحاضّين عليه، الخذلة عند الخير والمثبّطين عنه. فقال عمّار: مهلاً يا عثمان، فقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يصفني بغير ذلك. قال عثمان: ومتى؟ قال: يوم دخلت أنا عليه منصرَفه عن الجمعة، وليس عنده غيرك، وقد ألقى ثيابه، وقعد في فُضُله[2]، فقبّلت أنا صدره ونحره وجبهته، فقال: يا عمّار، إنّك لتحبّنا وإنّا لنحبك، وإنّك لمن الأعوان على الخير والمثبّطين عن الشرّ.

فقال عثمان: أجل ولكنّك غيّرت وبدّلت. فرفع عمّار يديه يدعو وقال: آمّنْ يا ابن عبّاس، اللهمّ من غيّر فغيِّر به![3].

وروى (الموفقيات) أيضاً عن عليّ عليه السلام قال: أرسل إليّ عثمان في

---

(١) السقيفة وفدك: ٧٩ ـ ٨١، شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣ ـ ٥، ونقله الشارح بتلخيص.

(٢) ثوب فُضُل، تقول: خرجت في فُضُل أي: في ثوب واحد ملحفة أو نحوها. أساس البلاغة: ٣٤٣، مادة (فضل).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠ ـ ١١.

الهاجرة[١]، فتقنّعت بثوبي، فأتيته، فدخلت عليه وهو على سريره، وفي يده قضيب، وبين يديه مال دثر[٢]: صُبرتان من ورق وذهب، فقال: دونك خذ من هذا حتّى تملأ بطنك فقد أحرقتني. فقلت: وصلتك رحم! إن كان هذا المال ورثته، أو أعطاكه معطٍ، أو اكتسبته من تجارة، كنت أحد رجلين: إمّا آخذ وأشكر، أو أفرّ وأجهد، وإن كان من مال الله وفيه حقّ المسلمين واليتيم وابن السبيل، فوالله مالكَ عليّ أن تعطينيه، ولا لي أن آخذه. فقال: أبيتُ والله إلّا ما أبيت. ثمّ قام إليّ بالقضيب فضربني، والله ما أردّ يده حتّى قضى [حاجته]، فتقنّعت بثوبي، ورجعت إلى منزلي، وقلت: الله بيني وبينك إن كنتُ أمرتك بمعروف أو نهيتك عن منكر![٣].

وروى الثقفي في (تاريخه) عن داود بن الحصين الأنصاري أنّ محمّد بن مسلمة الأنصاري قال يوم قتل عثمان: ما رأيت يوماً قطّ أقرّ للعيون ولا أشبه بيوم بدر من هذا اليوم.

وروى عن أبي سفيان قال: أتيت محمّد بن مسلمة فقلت: قتلتم عثمان؟ قال: نعم، وأيم الله ما وجدت رائحة هي أشبه برائحة يوم بدر من رائحة هذا اليوم[٤].

قلت: صدق، ففي بدر قتل جمع من الجبابرة، وأُسر جمع من الجبابرة، وفي ذاك اليوم قتل رئيس الجبابرة عثمان رئيس بني أُميّة الشجرة الملعونة، فذلّوا وخزيوا.

ثمّ تشبيه أمر محبوب متوقّع بمطر بعد جدب، كما في كلامه عليه السلام، أمر

---

(١) الهَجر والهاجِرة: نصفُ النهار عند اشتداد الحرّ. (الصحاح ٢: ٨٥١، مادة: هجر).

(٢) الدّثر ـ بالفتح ـ: المال الكثير. يقال: مالٌ دَثْرٌ وأموال دَثْرٌ. (الصحاح ٢: ٦٥٥، مادة: دثر).

(٣) أخبار الموفقيات للزبير بن بكار: ٦١٢ رقم ٣٩٥، مطبعة العاني، بغداد، شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦.

(٤) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤٠ ط الكمباني.

شائع؛ قال الفرزدق:

إنّي وإيّاك إذ حلّت بأرحلنا كمن بواديه بعد المَحْل مَمْطورُ[١]

وقال آخر:

وحديثها كالغيث يسمعها راعي سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حياً ويقول من فرح هيا ربا[٢]

ولمّا كثر عبث هشام بن عبد الملك بالوليد بن يزيد وبندمائه، قال أحدهم:

لعلّ الوليد دنا ملكُه فأمسى إليه قد استجمعا
وكنّا نؤمّل في مُلْكه كتأميل ذي الجدب أن يُمرِعا[٣]

قلت: لكنّ الوليد وعد ذلك من نفسه إلّا أنّه لم يفعل كعثمان الذي وعد الناس الخير في أوّل خلافته لما حصل له العيّ في خطبته، ولم يفعل إلّا الشرّ.

قال أبو الفرج في (أغانيه): لمّا خرج زيد بن عليّ على هشام منع أهل مكّة والمدينة أعطياتهم، فلمّا ولي الوليد بعده كتب إلى أهل مكّة والمدينة:

ضمنت لكم إن لم تصابوا بمهجتي بأنّ سماء الضرّ عنكم ستُقلِع

فلمّا فعل خلاف ما قال، قال حمزة بن بَيْض ردّاً عليه:

وصلتَ سماء الضرّ بالضرّ بعدما زعمتَ سماء الضرّ عنّا ستقلع
فليت هشاماً كان حيّاً يسوسنا وكنّا كما كنّا نُرجّي ونطمع[٤]

هذا، وبعضهم بدل في التشبيه، المطر بعد المَحْل بقرب الغريق إلى

---

(١) أورده أبو الفرج الاصبهاني في الأغاني ٢١: ٣٠٨ هكذا:

إنّا وإيّاك إن بلّغن أرحلَنا كمن بواديه بعد المَحْل مَمْطورُ

(٢) عيون الأخبار لابن قتيبة ٤: ٨٢، دار الكتاب العربي.

(٣) الأغاني ٧: ٨ ـ ٩.

(٤) الأغاني ٧: ٢١ ـ ٢٢.

الساحل فقال:

إذا قلت أي فتى تعلمون	أهش إلى الطعن بالذابل
وأضرب للقرن يوم الوغى	وأطعم في الزمن الماحل
أشارت إليك أكفّ الورى	اشارة غرقى إلى الساحل

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال: كلامه عليه السلام «وانتظرنا الغِيَر، انتظار المُجْدب المطر» يدلّ على أنّه عليه السلام كان يتربّص بعثمان الدوائر، ويرتقب حلول الخطوب بساحته.

فإن قلت: أيجوز على مذهب المعتزلة أن يقال: إنّه عليه السلام كان ينتظر قتل عثمان، انتظار المجدب المطر، وهل هذا إلّا محض مذهب الشيعة!

قلت: إنّه عليه السلام وإنْ قال: «انتظر الغير» يجوز أن يكون أراد انتظار خلعه وعزله عن الخلافة، فإنّ علياً عليه السلام عند أصحابنا كان يذهب إلى أنّ عثمان يستحقّ الخلع بأحداثه، ولم يستحقّ القتل.

فإن قلت: أتقول المعتزلة أنّ علياً عليه السلام كان يذهب إلى فسق عثمان المستوجب لأجله الخلع؟

قلت: كلّا! حاش لله أن تقول المعتزلة ذلك! وإنّما تقول: إنّ علياً عليه السلام كان يرى أنّ عثمان يضعف عن تدبير الخلافة، وأنّ أهله غلبوا عليه، واستبدّوا بالأمر دونه، واستعجزه المسلمون، واستسقطوا رأيه، فصار حكمه حكم الإمام إذا عمي، أو أسره العدوّ، فإنّه ينخلع من الإمامة[1].

قلت: هب أنّ الأمر كما ذكر، فإذا كان عثمان بالغاً درجة الانخلاع فضلاً عن استحقاقه الخلع، هل صار قتله موجباً لاستحقاق الخلافة،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣ ـ ١٥٤، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

فكيف يقولون بإمامته؟

ثمّ لم أعلم أيّ شيء يجعلون معنى الفسق، فإن لم يكن عثمان بتلك الأحداث فاسقاً فلا فاسق في الدّنيا.

ثمّ كيف لم يكن فاسقاً بها وقد قال تعالى: ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الفاسِقون﴾[1]؟

وقال جلّ وعلا: ﴿...ومَن لم يحكُم بِما أنزل الله فأُولئك هم الظالمون﴾[2].

وقال عزّ اسمه: ﴿...ومَنْ لم يحكم بما أنزل الله فأُولئك هم الكافرون﴾[3].

وكان عمّار يقول: هذه الثلاثة تشهد بكفره وأنا الرابع[4].

وسبحان الله! هل حبّ الشيء يعمي الإنسان ويصمّه بدرجة يسلبه فطرياته وضروريّات العقول؟ وإلّا فمن قال بإمامة أبي بكر وعمر في عصر عثمان كفّر عثمان، وأباح دمه، وإنّما حمل معاوية عدوّ الاسلام ولعين النبيّ صلى الله عليه وآله في غير موطن الناس بالسيف على القول به.

ثمّ كيف يقول ابن أبي الحديد: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام لم يقل بفسقه، ولا باستحقاقه القتل![5] والأشتر يصيح بين يديه في صفّين:

لا يبعد الله سوى عثمانا   مخالف قد خالف الرحمانا

(١) المائدة: ٤٧.

(٢) المائدة: ٤٥.

(٣) المائدة: ٤٤.

(٤) تفسير العيّاشي ١: ١٢٣ ـ ٣٢٣، الشافي في الإمامة ٤: ٢٩١.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٥٣.

نصرتموه عابداً شيطانا[١]

وعمّار يصيح بين يديه ـ كما في (صفّين نصر بن مزاحم) ـ: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون ـ فيما يزعمون ـ بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان؛ ويقول هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لإحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال. والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون أنّه كان ظالماً، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمروها وعلموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها. ولم يكن للقوم سابقة في الاسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة[٢].

وروى الثقفي أنّ رجلاً قال لعمّار يوم صفّين: علام تقاتلهم؟ قال: على أنّهم زعموا أنّ عثمان مؤمن ونحن نزعم أنّه كافر[٣].

وروى الواقدي ـ كما في (تقريب الحلبي) ـ: أنّه قيل لحذيفة: ما تقول في قتلة [قتل] عثمان؟ فقال: هل هو إلّا كافر قتل كافراً أو مسلم قتل كافراً؟ فقالوا: ما جعلت لعثمان مخرجاً. قال: إنّ الله لم يجعل له مخرجاً[٤].

---

(١) وقعة صفين: ١٧٨.

(٢) وقعة صفين: ٣١٩.

(٣) نقله عنه العلّامة المجلسي‏ﷺ في بحار الأنوار ٨: ٣٣٨ ط الكمباني.

(٤) المصدر نفسه ٨: ٣٣٩.

٩
الخطبة (٢٤٥)

ومن كلام له عليه السلام قالهُ لعبد اللّهِ بن عباس، وقد جاءهُ برسالةٍ من عثمانَ، وهو محصورٌ يسألهُ فيها الخروجَ إلى مالِهِ بينبع، ليقلَّ هتفُ الناسِ باسمِهِ للخلافةِ، بعد أن كان سأله مثل ذلك من قبل.

فقال عليه السلام:

يَابْنَ عَبَّاسٍ، مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلاً نَاضِحاً بِالْغَرْبِ، أُقْبِلُ وَأُدْبِرُ! بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدِمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ! وَاللّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً.

أقول: هذا العنوان في (المصرية) قبل عنوان واحد من آخر باب الخطب[١]؛ والصواب جعله قبل خمسة عناوين، أي قبل عنوان: «ومن كلام له عليه السلام اقتصّ فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النّبيّ صلى الله عليه وآله» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام قاله لعبد الله بن عبّاس وقد جاءه برسالة من عثمان» هكذا في (المصرية)[٣]، وفي (ابن ميثم): «من عند عثمان»[٤]، وفي (ابن أبي الحديد): «من عثمان بن عفّان»[٥]، والصواب ما في (ابن ميثم)، لكون نسخته بخطّ المصنّف.

«وهو محصور» أي: حاصره الناس.

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٦٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٢٩٦، وشرح ابن ميثم ٤: ٣٢٢.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٦٠.

(٤) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٢٢: «من عثمان» أيضاً.

(٥) في شرح ابن أبي الحديد المطبوع ١٣: ٢٩٦: «من عثمان» أيضاً.

«يسأله فيها» ليس «فيها» في (ابن ميثم)[١].

«الخروج إلى ماله بينبع»، قال (الصحاح): ينبع بلد[٢]. وقال في (القاموس): ينبع حصن له عيون ونخيل وزروع بطريق حاجّ مصر[٣].

وقال ابن دريد: ينبع بين مكّة والمدينة[٤].

وقال غيره: ينبع من أرض تهامة غزاها النّبيّ صلى الله عليه وآله فلم يلق كيداً وهي قريبة من طريق الحاجّ الشامي، وقال الشريف الينبعي: عددت بها مائة وسبعين عيناً[٥].

وقال الحموي في (بلدانه): قال عرّام السلمي: ينبع عن يمين رَضوى لمن كان منحدراً من المدينة إلى البحر على ليلة من رضوى من المدينة على سبع مراحل، وهي لبني حسن بن عليّ، وكان يسكنها الأنصار وجهينة وليث، وفيها عيون عذاب غزيرة، وواديها يَلْيَل، وبها منبر، وهي قرية غنّاء وواديها يصبّ في غَيْقَة، وقال غيره: ينبع حصن به ماء ونخيل وزرع، وبها وقوف لعليّ عليه السلام يتولّاها ولده[٦].

«ليقل هتف الناس» أي: تصويتهم وصيحتهم.

«باسمه للخلافة» وفي نسخة (ابن ميثم)[٧]: «بالخلافة».

«بعد أن كان» أي: عثمان.

---

(١) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤ : ٣٢٢ : «فيها» أيضاً.

(٢) الصحاح ٣ : ١٢٨٨ : مادة (نبع).

(٣) القاموس المحيط ٣ : ٨٧ ماده (نبع).

(٤) جمهرة اللغة ١ : ٣٦٨ مادة (نبع).

(٥) معجم البلدان ٥ : ٤٥٠.

(٦) المصدر نفسه ٥ : ٤٤٩ ـ ٤٥٠.

(٧) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤ : ٣٣٢ : «للخلافة» أيضاً.

«سأله مثل ذلك» أي: خروجه إلى ينبع.

«من قبل» هذه المرّة.

«فقال عليه السلام» الكلمة تأكيد، وإلّا فلا حاجة إليها بعد قوله: «ومن كلام له عليه السلام».

قوله عليه السلام: «يابن عبّاس ما يريد عثمان إلّا أن يجعلني جملاً» هكذا في (المصرية)[1] والصواب: «ما يريد عثمان أن يجعلني إلّا جملاً» كما في (ابن ميثم والخطية)[2].

«ناضحاً» أي: مستقياً عليه.

«بالغرب» أي: الدلو العظيم.

«أقبل» بلفظ المتكلّم من الإقبال.

«وأدبر» كما يقبل ويدبر الجمل الناضح بالغرب.

«بعث إليّ أن أخرج ثمّ بعث إليّ أن أقدم، ثمّ هو الآن يبعث إليّ أن أخرج» وفي (ابن ميثم): «ثمّ هو يبعث الآن إليّ أن أخرج»[3].

في (العقد الفريد): قال ابن عبّاس: أرسل إليّ عثمان فقال لي: اكفني ابن عمّك! فقلت: إنّ ابن عمّي ليس بالرجل يرى له ولكنّه يرى لنفسه، فأرسلني إليه بما أحببت. قال: قل له: فليخرج إلى ماله بينبع، فلا أغتمّ به ولا يغتمّ بي. فأتيته فأخبرته، فقال: ما اتّخذني عثمان إلّا ناضحاً، ثمّ أنشد يقول:

فكيف به أنّي أُداوي جراحه فيدوى فلا ملّ الدواء ولا الداء

ـ إلى أن قال ـ: فخرج علي عليه السلام إلى ينبع، فكتب إليه عثمان حين اشتدّ

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٦١.

(٢) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٣٢: «إلّا أن يجعلني جملاً» أيضاً.

(٣) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٣٢ «ثمّ هو الآن هو يبعث إليّ أن أخرج».

عليه الأمر: أمّا بعد؛ فقد بلغ السيل الزّبى، وجاوز الحزام الطُّبيين، وطمع فيّ من كان يضعف عن نفسه.

وإنّك لم يفخر عليك كف ...ر ضعيف ولم يغلبك مثل مُغلَّبِ

فأقبل إليّ، وكن لي أم عليّ، صديقاً كنت أم عدوّاً.

فإن كنت مأكولاً فكن خير آكل وإلّا فأدركني ولمّا أُمزّق[١]

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّه لمّا اشتدّ الطعن على عثمان، استأذنه عليّ عليه السلام في بعض بواديه ينتحي إليها، فأذن له، فلمّا اشتدّ الأمر عليه بعد خروج عليّ عليه السلام، ورجا الزبير وطلحة أن يميلا إليهما قلوب الناس، ويغلبا عليهم، واغتنما غيبة عليّ عليه السلام كتب عثمان إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد؛ فقد بلغ السيل الزّبى، وجاوز الحزام الطبيين، وارتفع أمر الناس في شأني فوق قدره، وزعموا أنّهم لا يرضون دون دمي، وطمع فيّ من لا يدفع عن نفسه.

وإنّك لم يفخر عليك ـ البيت ـ وقد كان يقال: أكل السبع خير من افتراس الثعلب[٢].

«والله لقد دفعت عنه حتّى خشيت أن أكون آثماً» بالدفاع عن ظالم.

في (الطبري): قال أبو حبيبة: نظرت إلى سعد يوم قتل عثمان؛ دخل عليه ثمّ خرج وهو يسترجع ممّا يرى على الباب، فقال له مروان: الآن تندم! أنت أشعرته[٣] ـ إلى أن قال ـ: فقال له مروان: إن كنت تريد أن تذبّ عنه، فعليك بابن أبي طالب؛ فإنّه متستّر، وهو لا يُجيبه؛ فخرج حتّى أتى عليّاً عليه السلام وهو بين القبر والمنبر ـ إلى أن قال ـ فقال له عليّ عليه السلام: والله مازلت أذبّ عنه حتّى إنّي

---

(١) العقد الفريد ٥ : ٥٩ ـ ٦٠.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٣٤.

(٣) قال الزمخشري : أشعرتُ أمر فلان : جعلته معلوماً مشهوراً، وأشعرتُ فلاناً : جعلتُه علماً بقبيحة أشدتُها عليه. (أساس البلاغة : ٢٣٦، مادة: شعر).

لأستحيي، ولكنّ مروان ومعاوية وعبد الله بن عامر وسعيد بن العاص هم صنعوا به ما ترى، فإذا نصحتُه وأمرته أن ينحّيهم استغشّني حتّى جاء ما ترى. فبينا هم كذلك إذ جاء محمّد بن أبي بكر، فسارّ علياً عليه السلام، فأخذ عليّ عليه السلام بيدي، ونهض وهو يقول: أيّ خير توبته هذه! فوالله ما بلغت داري حتّى سمعت الهائعة[1]: أنّ عثمان قد قتل[2].

وفي (الطبري) أيضاً: لمّا خرج ابن عُديس من مصر في خمسمائة إلى عثمان وجاؤوا حتّى نزلوا ذا خشب، قال عثمان لعليّ عليه السلام: أُحبّ أن تركب إليهم فتردّهم عنّي، فإنّي لا أُحبّ أن يدخلوا عليّ؛ فإنّ ذلك جرأة منهم عليّ، ويسمع [ليسمع] بذلك غيرهم.

فقال عليّ عليه السلام له: علام أردّهم؟ قال: على أن أصير إلى ما أشرت به عليّ ورأيته لي، ولست أخرج من يديك. فقال علي عليه السلام له: إنّي قد كنت كلّمتك مرّة بعد مرّة، فكلّ ذلك تخرج وتكلّم، وتقول وتقول، وذلك كلّه فعل مروان وسعيد بن العاص وابن عامر ومعاوية، أطعتَهم وعصيتني. قال عثمان: فإنّي أعصيهم وأطيعك.

فركب علي عليه السلام إلى أهل مصر، فردّهم عنه، فانصرفوا راجعين[3].

وروى أيضاً: أنّه عليه السلام جاء إلى عثمان بعد انصراف المصريّين، وقال له: تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك ويشهدون عليه، وتشهد [يشهد] الله على ما في قلبك من النزوع والإنابة، فإنّ البلاد قد تمخّضت عليك، فلا آمنُ ركباً آخرين يقدمون من الكوفة، فتقول: اركب إليهم. ويقدم ركب آخرون من البصرة،

---

(١) الهائعة: الصوت الشديد (الصحاح ٣: ١٣٠٩، مادة: هيع).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٧ ـ ٣٧٨، سنة ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٧ ـ ٣٥٩، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

فتقول: اركب إليهم، فإن لم أفعل رأيتني قد قطعت رحمك. فخرج فخطب الخطبة التي نزع فيها ـ إلى أن قال ـ: فخرج مروان إلى الباب والناس يركب بعضهم بعضاً، فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنكم قد جئتم لنهب! شاهت الوجوه! تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا! فإنّا والله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا.

فرجع الناس وخرج بعضهم حتّى أتى عليّاً عليه السلام فأخبره الخبر، فجاء مغضباً حتّى دخل على عثمان، فقال له: أما رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرّفك عن دينك وعن عقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث يسار به؛ والله ما مروان بذي رأي في دينه ولا في نفسه، وايم الله إنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك؛ وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك، أذهبتَ شرفك، وغلبت على أمرك.

فلمّا خرج دخلت عليه نائلة ابنة الفرافصة امرأته، فقالت: قد سمعت قول علي لك، وإنّه ليس يعاودك، وقد أطعت مروان يقودك حيث شاء. قال: فماذا [فما] أصنع؟ قالت: تتّقي الله، وتتّبع سنّة صاحبيك من قبلك، فإنّك متى أطعت مروان قتلك، ومروان ليس له عند الناس قدر ولا هيبة ولا محبّة، وإنّما تركك الناس لمكان مروان، فأرسل إلى عليّ فاستصلحه. فأرسل إليه فأبى أن يأتيه، وقال: قد أعلمته أنّي لستُ بعائد[1].

وروى الطبريّ أيضاً: عن عبد الرحمن بن الأسود، قال: جاء رسول عثمان إلى عليّ عليه السلام أن ائتني. فقال بصوت مرتفع عال مغضب: قل له: ما أنا بداخل عليك ولا عائد ـ إلى أن قال ـ: قال عبد الرحمن: فغدوت فجلست معه عليه السلام، فقال: جاءني عثمان البارحة، فجعل يقول: إنّك [إنّي] غير عائد، وإنّي

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٠ ـ ٣٦٣، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

فاعل. فقلت له: بعدما تكلّمت به على منبر النّبيّ ﷺ، وأعطيت من نفسك، ثمّ دخلت بيتك، وخرج مروان إلى الناس فشتمهم على بابك، فرجع عثمان وهو يقول: قطعت رحمي، وخذلتني، وجرأت الناس عليّ.

فقلت: والله إنّي لأذبّ الناس عنك، ولكنّي كلّما جئت بهنة أظنّها لك رضاً جاء بأُخرى، فسمعت قول مروان عليَّ، واستدخلت مروان.

قال عبد الرحمن: فلم أزل أرى علياً عليه السلام منكّباً عنه لا يفعل ما كان يفعل، إلّا أنّي أعلم أنّه قد كلّم طلحة حين حصر في أن يُدخَل عليه الروايات وغضب في ذلك غضباً شديداً، حتّى دخلت الروايا على عثمان[1].

وروى أبو حذيفة في كتابه مقتل عثمان ـ كما في (جمل المفيد) ـ عن ابن إسحاق عن الزهريّ قال: لمّا قدم أهل مصر في ستّمائة راكب، عليهم عبد الرحمن بن عديس البكري [البلويّ] فنزلوا ذا خُشُب وفيهم كِنانة بن بشر الكناني [الكنديّ]، وابن بُديل الخزاعيّ، وأبو عروة الليثي، واجتمع معهم حُكيم بن جبلة العبدي في طائفة من أهل البصرة، وكميل بن زياد، ومالك الأشتر، وصعصعة بن صوحان، وحُجر بن عدي، في جماعة من قرّاء الكوفة الذين كانوا سيّرهم عثمان من الكوفة إلى الشام حين شكوا أحداثه التي أنكرها عليه المهاجرون والأنصار، فاجتمع القوم على عيب عثمان، وجهروا بذكر أحداثه، فمرّ بهم نفران، فقالا لهم: إن شئتم بلّغنا عنكم أزواج النّبي ﷺ، فإن أمرنكم أن تُقدموا فأقدموا. فقالوا: افعلا واقصدا علياً عليه السلام آخر الناس.

فانطلقا فبدأ بعائشة وباقي أزواجه، ثمّ بأصحاب النّبيّ ﷺ فأمروا أن يقدموا المدينة؛ وصارا إلى عليّ عليه السلام فأخبراه، فقال: هل أتيتما أحداً قبلي؟ قالا: نعم، أزواج النّبيّ ﷺ وأصحابه من المهاجرين والأنصار، فأمروا أن يقدموا.

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٤، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف.

فقال عليه السلام: لكنّي لا آمرهم، بل يستغيثون بمن [يستعتبونه ممّن] قرب، فإن أغاثهم [أعتبهم] فهو خير لهم، وإن أبى فهم أعلم.

فخرجا إليهم وتسرّع جماعة من المدينة إليهم واجتمعوا مع أهل ذي خشب وذي مروة [أهل الحسب وذوي المروّات].

فلمّا بلغ عثمان اجتماعهم أرسل إلى علي عليه السلام وقال: يا أبا الحسن اخرج إلى هؤلاء القوم وردّهم. فخرج عليه السلام إليهم، فلمّا رأوه رحّبوا به وقالوا له: قد علمت ما أحدثه هذا الرجل من الأعمال الخبيثة، وما يلقاه المسلمون منه ومن عمّاله، وكنّا لقيناه واستعتبناه فلم يُعتبنا، وكلّمناه فلم يُصْغ إلى كلامنا وأغراه ذلك بنا، وقد جئناه نطالبه بالاعتزال عن إمرة المسلمين، واستأذنا في ذلك المهاجرين والأنصار وأزواج النّبيّ صلى الله عليه وآله، فأذنوا لنا في ورود المدينة ونحن على ذلك.

فقال عليه السلام لهم: يا هؤلاء، تلبّثوا [تريّثوا] ولا تسرعوا إلى شيء لا تعرفون عاقبته. فقالوا: هيهات! لا نقنع منه إلّا بالاعتزال عن هذا الأمر ليقوم به من يوثق به. فرجع عليه السلام إلى عثمان وأخبره بمقالتهم.

فخرج عثمان فخطب وجعل يدعو إلى نصرته، فقام إليه عمرو بن العاص فقال: إنّك قد ركبت الناس بالتهمة [بالنهابير]، فتب إلى الله. فقال له: وإنّك لهاهنا يا بن النابغة، ثمّ رفع يده إلى السماء وقال: أتوب إلى الله، اللهمّ إنّي أتوب إليك.

فأنفذ عليّ عليه السلام إلى القوم بما صار إليه من التوبة والإقلاع، ومع ذلك ساروا إليه بأجمعهم، وسار إليه عمرو بن معد يكرب في ناس كثيرين وجعل يحرّض على عثمان، وانضمّ إليهم من المهاجرين والأنصار طلحة والزبير وجمهور الأنصار، فخرج علي عليه السلام إليهم وقال لهم: اتّقوا الله مالكم وللرجل؟!

أما رجع عمّا أنكرتموه، أما تاب على المنبر توبة جهر بها؟! ولم يزل يلطف بهم حتّى سكنت فورتهم.

ثمّ سأله أهل مصر أن يلقاه في عزل ابن أبي سَرح، وأهل الكوفة في عزل سعيد بن العاص، وأهل البصرة في عزل ابن كُريز، ويعدل عمّا كان عليه من منكر الأفعال. فدخل عليه‌السلام عليه، ولم يزل به حتّى أعطاه ما أراد القوم، وبذل لهم العهود والأيمان. فخرج عليّ عليه‌السلام إليهم بما ضمنه له، ولم يزل بهم حتّى تفرّقوا.

فلمّا سار أهل مصر ببعض الطريق -إلى أن قال-: رأوا كتاباً من عثمان إلى ابن أبي سَرح: إذا أتاك كتابي فاضرب عنق عمرو بن بُديل، وعبد الرحمن البكري [البلوي]، واقطع أيدي علقمة، وكنانة، وعروة وأرجلهم، ثمّ دعهم يتشحّطون في دمائهم، فإذا ماتوا فأوقفهم على جذوع النخيل[النخل].

فدخل عليّ عليه‌السلام على عثمان وقال له: إنّك وسطتني أمراً بذلت الجهد فيه لك، أمّا أنا فمعتز لك وشأنك وأصحابك. وخرج من عنده ودخل داره وأغلق عليه بابه[1].

١٠
الخطبة (١٣٥)

ومن كلام له عليه‌السلام:

يابْنَ ٱللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ، وَالشَّجَرَةِ الَّتي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ تَكْفِيني ؟ فَوَ اللّٰهِ ما أَعَزَّ ٱللّٰهُ مَنْ أَنْتَ نَا صِرُهُ، وَلَا قامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ، ٱخْرُجْ عَنَّا أَبْعَدَ ٱللّٰهُ نَوَاكَ ؛ ثُمَّ ٱبْلُغْ جَهْدَكَ. فَلَا أَبْقَى اللّٰهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ !

---

(١) تاريخ المدينة المنوّرة ٣: ١١٢٦، و ٤: ١١٥١ ـ ١١٦١، الإمامة والسياسة ١: ٣٦ ـ ٣٨، أنساب الأشراف، الجمل للمفيد: ١٣٧ ـ ١٤١، ونقله الشارح عن الجمل بتصرّف وتلخيص.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى عوانة عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبيّ: أنّ عثمان لمّا كثرت شكايته من عليّ عليه السلام، أقبل لا يدخل عليه أحد من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله إلّا شكاه إليه، فقال له زيد بن ثابت الأنصاري ـ وكان من شيعته وخاصّته ـ: أفلا أمشي إليه فأُخبره بموجدتك فيما يأتي إليك؟ قال: بلى. فأتاه زيد ومعه المغيرة بن الأخنس بن شريق الثقفي ـ وعداده في بني زهرة، وأُمّه عمّة عثمان ـ في جماعة فدخلوا عليه.

ثمّ قال له زيد: إنّ الله قدّم لك سلفاً صالحاً في الإسلام، وجعلك من الرسول بالمكان الذي أنت به، فأنت للخير كلّ الخير أهل، وعثمان ابن عمّك، ووالي هذه الأُمّة، فله عليك حقّان: حقّ الولاية وحقّ القرابة؛ وقد شكا إلينا أنّ عليّاً يعرض لي، ويردّ عليّ أمري، وقد مشينا إليك نصيحة لك، وكراهية أن يقع بينك وبين ابن عمّك أمر نكرهه لكما.

فقال عليّ عليه السلام: والله ما أُحبّ الاعتراض، ولا الردّ عليه، إلّا أن يأبى حقّاً لله لا يسعني أن أقول فيه إلّا بالحقّ، ووالله لأكفنّ عنه ما وسعني الكفّ.

فقال المغيرة بن الأخنس ـ وكان رجلاً وقاحاً، وكان من شيعة عثمان وخلصائه ـ: إنّك والله لتكفّنّ عنه أو لتُكفّنّ؛ فإنّه أقدر عليك منك عليه! وإنّما أرسل هؤلاء القوم من المسلمين إعذاراً [إعزازاً] إليك ليكون له الحجّة عندهم عليك.

فقال له علي عليه السلام: يا بن اللعين الأبتر، والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع، أنت تكفّني؟! فوالله ما أعزّ الله امرأً أنت ناصره، اخرج أبعد الله نواك، ثمّ أجهد جهدك، فلا أبقى الله عليك ولا على أصحابك إن أبقيتم.

فقال زيد: إنّا واللّه ما جئناك لنكون عليك شهوداً، ولا ليكون مشينا [ممشانا] إليك حجّة، ولكن [مشينا فيما بينكما] التماس الأجر أن يصلح الله

ذات بينكما، ثمّ قام فقاموا معه[١].

قال ابن أبي الحديد: وهذا الخبر يدلّ على أنّ اللفظة «تكفّني» لا «تكفيني» كما ذكره الرضيّ، لكنّ الرضيّ طبّق هذه اللفظة على ما قبلها، وهو قوله: «أنا أكفيكه» ولا شبهة أنّه رواية أُخرى[٢].

قلت: ورواه أعثم الكوفي في (تاريخه) مثل (ابن أبي الحديد) وزاد: أنّ الأصل في وقوع المشاجرة بين عليّ عليه السلام وعثمان، أنّ عثمان أراد إخراج عمّار بعد أبي ذرّ إلى الربذة أيضاً.

ومختصر روايته: أنّ عمّاراً لمّا سمع بوفاة أبي ذر في الربذة ترحّم عليه في حضور عثمان، فغضب وقال: ارسلوه إلى محل كان فيه أبو ذر. فقال له عمّار: مجاورة الكلاب والخنازير أحبّ إليّ من جوارك.

وخرج من عنده وعزم عثمان على إخراجه، فاجتمع بنو مخزوم حلفاء عمّار إلى عليّ عليه السلام وقالوا له: ضربه مرّة وفتقه أُخرى، والآن أراد إخراجه، فالق عثمان ينصرف عن هذا وإلّا تكون فتنة. فدخل عليّ عليه السلام على عثمان وقال له: أخرجت أبا ذر وهو من أجلّ الصحابة حتّى مات في الغربة، فانصرف وجوه المسلمين عنك؛ والآن أردت اخراج عمّار فاتّق الله. فغضب عثمان وقال: يجب إخراجك أوّلاً حتّى لا تجترئ أمثال عمّار وفسادهم منك.

فقال له عليّ عليه السلام: إنّك لا تقدر على ذلك، وفساد أمثال عمّار من أعمالك لا منّي، فأعمالك خلاف الدين فينكرون عليك. ثم خرج من عنده فاجتمع الناس إليه وقالوا: أراد عثمان أن يخرجنا جميعاً حتّى نموت بعيدين من أهالينا. فقال عليه السلام: قولوا لعمّار: لا يخرج من بيته. فاطمأن بنو مخزوم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٢ ـ ٣٠٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٣.

باستظهاره عليه السلام، وقالوا له: لو كنت معنا لم يقدر عثمان على إضرارنا. فبلغ ذلك إلى عثمان، فشكاه عليه السلام إلى الناس فقال له زيد بن ثابت: لو تأذن ألقى علياً. فخرج هو والمغيرة بن الأخنس إليه عليه السلام إلى آخر ما مرّ[1].

وتاريخ تأليف كتاب أعثم سنة (٢٠٤) كما صرّح به مترجمه المتوفى، وكلّ منهما عاميّ[2].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام» اقتصر عليه في (المصرية)[3]، مع أنّه قال المصنّف بعده: «وقد وقعت مشاجرة بينه وبين عثمان، فقال المغيرة بن الأخنس لعثمان: أنا أكفيكه. فقال أمير المؤمنين عليه السلام للمغيرة» كما يشهد له نقل (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[4] مع اختلاف يسير، واخترنا لفظ ما في (ابن ميثم) لكون نسخته بخطّ المصنّف.

---

(١) الفتوح لابن أعثم الكوفي ١ : ١٦، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت.

(٢) قال ياقوت في معجم الأدباء ٢ : ٢٣٠ ـ ٢٣١ ما لفظه : «أحمد بن أعثم الكوفي أبو محمّد الاخباريّ المؤرّخ، كان شيعيّاً، وهو عند أصحاب الحديث ضعيف، وله كتاب التاريخ إلى آخر أيّام المقتدر، ابتداه بأيام المأمون، ويوشك أن يكون ذيلاً على الأوّل، رأيت الكتابين».

وعدّ العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ١ : ٢٥ كتاب الفتوح من كتب تواريخ العامّة، وقال : وتاريخ الفتوح للأعثم الكوفي وتاريخ الطبري و...

وقال حاجي خليفة في كشف الظنون في ذيل عنوان فتوحات الشام : وصنّف فيها أبو محمّد أحمد بن أعثم الكوفيّ وترجمه أحمد بن محمّد المنوفيّ إلى الفارسية.

وقال الشيخ آقا بزرك الطهراني في الذريعة ٣ : ٢٢١ : قال المنوفيّ في أوّل ترجمة «الفتوح» : «ذكر عندي كتاب الفتوح الذي ألّفَ سنة ٢٠٤» وهذا فيه غلط في تاريخ التأليف جزماً، فإنّ ياقوت المعاصر للمترجم، لأنّه توفي سنة ٦٢٦، أخبر بأنّه رأى الكتابين : الفتوح المنتهي إلى عصر الرشيد، والتاريخ المنتهي فيه إلى أيّام المقتدر المقتول سنة ٣٢٠، وهما لأحمد بن أعثم. فمؤلّف هذا التاريخ كيف يكون تأليف فتوحه سنة ٢٠٤؟ فالظاهر أنّ المترجم بما أنّه لم يظفر بتاريخ ابن أعثم وإنّما ظفر بفتوحه فقط المنتهي إلى حدود سنة ٢٠٤، حَسِبَ ذلك تاريخ الفراغ لمؤلّفه وترجمه الى الفارسية... .

(٣) نهج البلاغة ٢ : ٢٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠١، شرح ابن ميثم ٣ : ١٦٣.

ثمّ من مشاجراته عليه السلام مع عثمان غير ما في المتن ما في (مروج المسعودي): أنّ علياً عليه السلام لمّا رجع من تشييع أبي ذرّ استقبله الناس وقالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك لأبي ذرّ، فقال عليه السلام: غضبَ الخيلِ على اللُّجُم[1] ـ إلى أن قال ـ: فقال له عثمان: أوَلم يبلغك أنّي نهيت الناس عن تشييع أبي ذرّ؟ فقال له عليّ عليه السلام: أوَ كلّ شيء أمرتنا به نرى طاعة الله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ لا والله. قال عثمان: أقِدْ مروان ـ إلى أن قال ـ:

قال عثمان له عليه السلام: فوالله ما أنت عندي بأفضل من مروان. فغضب علي عليه السلام وقال: ألي تقول هذا القول، وبمروان تعدلني؟ ـ إلى أن قال ـ: فلمّا كان من الغد واجتمع الناس إلى عثمان شكا إليهم علياً عليه السلام وقال: إنّه يعيبني ويظاهر من يعيبني ـ يريد بذلك أبا ذرّ وعمّاراً وغيرهما ـ فدخل الناس بينهما، فقال عليه السلام: ما أردت بتشييع أبي ذرّ إلّا الله[2].

وما في (تاريخ الثقفي) ـ على ما في تقريب الحلبي ـ عن عبد الرحمن بن معمّر عن أبيه قال: لمّا قدم بأبي ذرّ من الشام إلى عثمان كان ممّا أنّبه[3] عثمان به أن قال: أيّها النّاس، إنّه يقول: إنّه خير من أبي بكر وعمر. قال أبو ذرّ: أجل، أنا أقول؛ والله لقد رأيتني رابع أربعة من النّبي صلى الله عليه وآله؛ ما أسلم غيرنا، وما أسلم أبو بكر ولا عمر، ولقد وليّا وما وليّت.

فقال عليّ عليه السلام: والله لقد رأيته وإنّه لربع الإسلام. فردّ عثمان ذلك على علي عليه السلام، وكان بينهما كلام، فقال عثمان: والله لقد هممت بك. قال عليّ عليه السلام:

---

(١) قال الميدانيّ في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ ما لفظه: يضرب لمن يغضب غضباً لا ينتفع به، ولا موضع له، ونصب «غضبَ» على المصدر، أي: غَضِبَ غَضَبَ الخيلِ.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٠ ـ ٣٥١، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) التأنيب: المبالغة في التوبيخ والتعنيف. النهاية ١: ٧٣، مادة (أنب).

وأنا والله لأهمّ بك. فقام عثمان ودخل بيته[١].

ونقل (ابن أبي الحديد) أيضاً مقداراً من مشاجراته[٢].

هذا، وقالوا: كان اسم أبي المغيرة بن أخنس أُبيّاً، فلمّا خرجت قريش إلى بدر، وأتاهم الخبر عن أبي سفيان بسلامة العير، قال أُبيّ لبني زهرة ـ وكان حليفاً لهم ـ: ارجعوا. فرجعوا. فقيل: خنس بهم أُبيّ، فسمّي الأخنس[٣].

قوله عليه السلام: «يا بن اللعين» قال ابن أبي الحديد: جعل عليه السلام أباه لعيناً، لأنّه كان من أكابر المنافقين، ذكره أصحاب الحديث كلّهم في المؤلّفة الذين أسلموا يوم الفتح بألسنتهم دون قلوبهم، وأعطاه النّبي صلى الله عليه وآله من غنائم حنين مائة من الإبل لتأليفه[٤].

قلت: وروى (أسباب نزول الواحدي): أنّ فيه نزل ﴿ومن النّاس من يعجبك قوله في الحياة الدّنيا ويُشهد الله على ما في قلبه وهو ألدُّ الخصام * وإذا تولّى سعى في الأرض ليُفسد فيها ويُهلك الحرث والنسل والله لا يحبُّ الفساد * وإذا قيل له اتّقِ الله أخذتهُ العِزّة بالإثم فحسبه جهنّم ولبِئسَ المِهاد﴾[٥].

ففيه قال السُّدي: أقبل الأخنس بن شريق الثقفي إلى المدينة فأظهر الإسلام، فأعجب النّبي صلى الله عليه وآله ذلك منه، وقال الأخنس: إنّما جئت أُريد الاسلام، والله يعلم إنّي لصادق. ثمّ خرج من عند النّبي صلى الله عليه وآله فمرّ بزرع القوم من

---

(١) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨ : ٣٣٧ ط الكمباني.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٥٤ ـ ٢٥٥.

(٣) أُسد الغابة ١ : ٤٧ ـ ٤٨، الإصابة ١ : ٢٥.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٣٠١.

(٥) أسباب النزول : ٣٩، والآيات ٢٠٤ ـ ٢٠٦ من سورة البقرة.

المسلمين وحمر، فأحرق الزرع وعقر الحمر، فأنزل فيه تلك الآيات[١].

ومنه يظهر قول ابن أبي الحديد: أسلم يوم الفتح[٢].

قال ابن أبي الحديد: وأبو الحكم بن الأخنس أخو المغيرة، قتله أمير المؤمنين عليه السلام يوم أُحد كافراً في الحرب، والحقد الذي في قلب المغيرة عليه عليه السلام من جهة أخيه هذا[٣].

قلت: وخرج ابنه عبد الله بن المغيرة، وابن أخيه عبد الله بن أبي عثمان يوم الجمل عليه عليه السلام في الناكثين فقتلا[٤].

وفي (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان المفيد): مرّ أمير المؤمنين عليه السلام يوم الجمل في القتلى على عبد الله بن المغيرة، فقال عليه السلام: أمّا هذا فقُتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار، فخرج مغضباً لقتل أبيه وهو غلام حدث حُيِّن[٥] لقتله.

ثمّ مرَّ عليه السلام بعبد الله بن أبي عثمان بن الأخنس، فقال عليه السلام: أمّا هذا فكأنّي أنظر إليه -وقد أخذ القوم السيوف- هارباً يعدو من الصفّ، فنهنهتُ عنه فلم يسمع مَن نهنهتُ فقتله[٦].

«الأبتر» قال ابن أبي الحديد: جعل عليه السلام أباه أبتر، لأنّ من كان عقبه ضالاً خبيثاً، فهو كمن لا عقب له، بل من لا عقب له خير منه[٧].

قلت: الأصل في كلامه عليه السلام قوله تعالى: ﴿إنّ شانِئكَ هو الأبتر﴾[٨] نزل

---

(١) أسباب النزول: ٣٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

(٤) الجمل للمفيد: ٣٩٣ـ ٣٩٤.

(٥) الحَيْن ـ بالفتح ـ: الهلاك؛ يقال: حانَ يحين حَيْناً، وحيَّنه الله فتحيَّن. (لسان العرب ٣: ٤٢٣ ـ ٤٢٤، مادة: حين).

(٦) الإرشاد ١: ٢٥٥ ـ ٢٥٦، الجمل: ٣٩٣ ـ ٣٩٤، بحار الأنوار ٣٢: ٢٠٨.

(٧) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠١.

(٨) الكوثر: ٣.

في العاص أبي عمرو بن العاص.

وفي (الأسباب) أيضاً: تحدّث العاص مع النّبيّ صلى الله عليه وآله عند باب بني سهم، ثمّ دخل المسجد فقالت له قريش: من كنت تحدّث؟ قال ذاك الأبتر ـ وقد كان ابنه صلى الله عليه وآله من خديجة مات، وكانوا يسمّون من ليس له ابن أبتر ـ فأنزل تعالى سورة الكوثر[1].

«والشجرة التي لا أصل لها ولا فرع» قال ابن أبي الحديد: قال عليه السلام ذلك لكون المغيرة من ثقيف، وفي نسب ثقيف طعن؛ فهم يزعمون أنّهم من هوازن من قيس عيلان، وقيل: إنّهم من إياد بن نزار، وقيل: إنّهم من بقايا ثمود[2].

وقال الحجّاج: يزعمون أنّا من بقايا ثمود؛ وقد قال تعالى: ﴿وثمودَ فما أبقى﴾[3].

قلت: ومع كونه بهذه المثابة من الخباثة افتعل له سيف الوضّاع خبراً في كون قاتله من أهل النّار[4]، لكونه قتل مع عثمان يوم الدار[5].

«أنت تكفيني؟ فوالله ما أعزّ الله من أنت ناصره» يعني عليه السلام عثمان.

«ولا قام من أنت منهضه» أي: مقيمه، وناهضة الرجل بنو أبيه الذين يغضبون له، هذا، وفي (بلاغات أحمد بن أبي طاهر البغدادي): لمّا قتل علي عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته، فكان في من طلب عمرو بن الحمق الخزاعي فراغ منه فأرسل إلى امرأته فحبسها في سجن دمشق سنتين، ثم إنّ عبد الرحمن بن الحكم ظفر بعمرو بن الحمق في بعض بلاد الجزيرة، فقتله

---

(١) أسباب النزول: ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٣ ـ ٣٠٥.

(٣) المصدر نفسه ٨: ٣٠٦، والآية ٥١ من سورة النجم.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٢، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٣٠٦.

وبعث برأسه إلى معاوية ـ وهو أول رأس حمل في الإسلام ـ فبعث معاوية بالرأس إلى امرأته في السجن ـ إلى أن قال ـ: فسمعها الاسلع الهلالي، وكان رجلاً أسود أصلع أصعل، تذكر معاوية فقال: من تعني هذه عليها لعنة الله. فالتفتت إليه، فلمّا رأته قالت: خزياً لك وجدعاً، أتلعنني واللعن بين جنبيك، وما بين قرنك إلى قدميك، اخسأ يا هامة الصعل ووجه الجعل، فأذلل بك نصيراً واقلل بك نصيراً. فبهت الاسلع منها واعتذر إليها[١].

وفي (كنايات الجرجاني) قال أبو حيان: رأيت أبا حامد في مجلس ابن أُمّ شيبان يناظر خصماً له، فابتدر أبو جعفر الأبهري ليتكلّم مداخلاً، فأنشد أبو حامد:

فإن تك قيس قدمتك لنصرها فقد خزيت قيس وذلّ نصيرها[٢]

«اخرج عنّا أبعد الله نواك» في (الصحاح): النوى: الوجه الذي ينويه المسافر من قرب أو بعد؛ وهي مؤنّثة[٣].

«ثمّ ابلغ جهدك» في (الصحاح): قال الفرّاء: الجُهد بالضمّ الطاقة، وبالفتح من قولك: اجْهَدْ جَهْدك في هذا الأمر، أي: ابلغ غايتك؛ والمراد فيما تستطيع من الإيذاء والإضرار[٤].

«فلا أبقى الله عليك إن أبقيت» شيئاً ممّا يأتي من يديك. وقد قال عليه السلام نظير هذا الكلام لحبيب بن مسلمة الفهريّ لمّا بعثه معاوية إليه عليه السلام في صفّين؛ ففي (الطبري): أنّ حبيباً قال له عليه السلام: كان عثمان خليفةً مهديّاً، يعمل بكتاب الله، ويُنيب إلى أمر الله، فاستثقلتم حياته، واستبطأتم وفاته، فعدوتم عليه

---

(١) بلاغات النساء لابن أبي طاهر البغدادي: ٨٧، دار النهضة الحديثة، بيروت.

(٢) الكنايات للجرجاني: ١٠٠، مطبعة السعادة، مصر.

(٣) الصحاح ٦: ٢٥١٦، مادة (نوى).

(٤) المصدر نفسه ٢: ٤٦٠، مادة (جهد).

فقتلتموه؛ فادفع إلينا قتلة عثمان ـ إن زعمت أنّك لم تقتله ـ نقتلهم به، ثمّ اعتزل أمرَ الناس، فيكون أمرهم شورى بينهم، يولّي الناس أمرهم مَن أجمع عليه رأيهم.

فقال عليه السلام له: وما أنت ـ لا أُمّ لك ـ وهذا الأمر؟ اسكت فإنّك لست هنا لك ولا بأهل له! فقام وقال: والله لتريني بحيث تكره. فقال عليه السلام: وما أنت، ولو أجلبت بخيلك ورَجِلك؟ لا أبقى الله عليك إن أبقيت عليّ؛ أحُقْرةً وسوءاً؟ اذهب فصوِّب واصعد [صعّد] ما بدا لك[1].

١١
الخطبة (١٣٠)

ومن كلام له عليه السلام لأبي ذرّ رحمه اللّه لما أُخرج إلى الرّبَذة:

يا أباذَرٍّ؛ إنَّكَ غَضِبْتَ لِلّهِ فارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إنَّ ٱلْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ، وَاهْرُبْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ؛ فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ؛ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ! وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَداً، وَٱلأَكْثَرُ حُسَّداً وَلَوْ أَنّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقاً، ثُمَّ ٱتَّقَى ٱللّهَ، لَجَعَلَ ٱللّهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجاً. لَا يُؤْنِسَنَّكَ إلَّا ٱلْحَقُّ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إلَّا ٱلْبَاطِلُ. فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لأَحَبُّوكَ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمَّنُوكَ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى هذا الكلام أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري في (سقيفته) عن عبد الرزّاق، عن أبيه، عن عكرمة، عن ابن عبّاس قال: لمّا أُخرج أبو ذرّ إلى الربذة أمر عثمان، فنودي في الناس أن لا يكلّم أحد أبا ذرّ، ولا يشيّعه. وأمر مروان أن يخرج به فخرج به، وتحاماه الناس إلّا عليّ بن

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٧، سنة ٣٧.

أبي طالب عليه السلام وعقيلاً أخاه، والحسن والحسين عليهما السلام وعمّاراً، فإنّهم خرجوا معه يشيّعونه، فجعل الحسن عليه السلام يكلّم أبا ذرّ، فقال له مروان: ألا تعلم أنّ الخليفة قد نهى عن كلام هذا الرجل؟ فإن كنت لا تعلم ذلك فاعلم. فحمل عليّ عليه السلام على مروان بالسوط بين أُذني راحلته، وقال له: تنحّ نحّاك [لحاك] الله إلى النّار! فرجع مروان مغضباً إلى عثمان، فأخبره الخبر، فتلظّى على عليّ عليه السلام. ووقف أبو ذرّ فودّعه القوم، ومعه ذكوان مولى أُمّ هاني بنت أبي طالب.

قال ذكوان: فحفظت كلام القوم ـ وكان حافظاً ـ فقال له عليّ: يا أبا ذرّ، إنّك غضبت لله. إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فامتحنوك بالقِلى، ونفوك إلى الغلى [الفلا]، لو كانت السماوات والأرض على عبد رتقاً، ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منها مخرجاً. يا أبا ذرّ لا يؤنسنّك إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك إلّا الباطل.

ثمّ قال لأصحابه: ودّعوا عمّكم. وقال لعقيل: ودّع أخاك. فتكلّم عقيل، فقال: ما عسى أن نقول يا أبا ذرّ وأنت تعلم أنّا نحبّك، وأنت تحبّنا، واتّق الله فإنّ التقوى نجاة، واصبر فإنّ الصبر كرم، واعلم أنّ استثقالك الصبر من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال: يا عمّاه، لولا أنّه لا ينبغي للمودّع أن يسكت، و [لابدّ ـ ظ] للمشيّع أن ينصرف، لقصر الكلام وإن طال الأسف، وقد أتى القوم إليك ما ترى، فضع عنك [همّ ـ ظ] الدنيا بتذكّر فراقها، وشدّة ما اشتدّ منها برخاء [برجاء] ما بعدها، واصبر حتّى تلقى نبيّك وهو عنك راضٍ.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى، والله كلّ يوم هو في شأن، وقد منعك القوم دنياهم، ومنعتهم دينك،

فما أغناك عمّا منعوك، وأحوجهم إلى ما منعتهم، فاسأل الله تعالى الصبر والنصر، واستعذ به من الجشع والجزع، فإنّ الصبر من الدين والكرم، وإنّ الجشع لا يقدّم رزقاً، والجزع لا يؤخّر أجلاً.

ثمّ تكلّم عمّار رضي الله عنه مغضباً فقال: لا آنس الله مَن أوحشك، ولا آمن مَنْ أخافك. أما والله لو أردت دنياهم لأمّنوك، ولو رضيت أعمالهم لأحبّوك، وما منع الناس أن يقولوا بقولك إلّا الرضا بالدنيا، والجزع من الموت، ومالوا إلى سلطان جماعتهم عليه، والملك لمن غلب، فوهبوا لهم دينهم، ومنحهم القوم دنياهم، فخسروا الدّنيا والآخرة، وذلك هو الخسران المبين.

فبكى أبو ذرّ وكان شيخاً كبيراً، وقال: رحمكم الله يا أهل بيت الرحمة! إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، مالي بالمدينة سَكَن ولا شَجَن[1] غيركم، إنّي ثقلت على عثمان بالحجاز، كما ثقلت على معاوية بالشام، وكره أن أُجاور أخاه وابن خاله بالمصرين، فأُفسد الناسَ عليهما، فسيّرني إلى بلد ليس لي به ناصر ولا دافع إلّا الله، والله ما أُريد إلّا اللّه صاحباً، وما أخشى مع الله وحشة.

ثمّ رجعوا إلى المدينة، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: ما حملك على ردّ رسولي، وتصغير أمري؟ فقال: أمّا رسولك، فأراد أن يردّ وجهي فرددته. قال: أما بلغك نهيي عن كلام أبي ذرّ؟ قال: أو كلّما أمرت بأمر معصية أطعناك فيه؟ قال: أقِدْ مروان. قال: ممّ؟ قال: من شتمه وجذب راحلته. قال: أمّا راحلته فراحلتي بها، وأما شتمه إيّاي، فوالله لاشتمني شتمة إلّا شتمتُك مثلها، ولا أكذب عليك.

فغضب عثمان، وقال: لِمَ لا يشتمك، كأنّك خير منه؟ قال عليّ عليه السلام: أي والله ومنك. ثمّ قام فخرج ـ إلى أن قال ـ: فقالت قريش وبنو أُميّة لمروان: أأنت

(١) الشَجَن ـ بفتحتين ـ : الحاجة (المصباح المنير ١ : ٣٦٨، مادة: شجن).

رجل! جَبَهك علي، وضرب راحلتك، وقد تفانت وائل في ضرع ناقة، وذُبيان وعَبْس في فرس، والأوس والخزرج في نَسْعة! أفتحمل لعليّ ما أتاه إليك؟ فقال مروان: والله لو أردت ذلك لما قدرت عليه[١].

قلت: ورواه محمّد بن يعقوب في (روضته) عن عدّة من أصحابه، عن سهل الآدميّ، عن محمّد بن الحسن، عن محمّد بن حفص التميمي، عن أبي جعفر الخثعميّ قال: لمّا سيّر عثمان أبا ذرّ إلى الربذة شيّعه أمير المؤمنين عليه السلام وعقيل والحسنان عليهما السلام وعمّار، فلمّا كان عند الوداع قال عليه السلام له: يا أبا ذرّ، إنّما غضبت لله عزّوجلّ، فارج من غضبت له، إنّ القوم خافوك على دنياهم، وخفتهم على دينك، فأرحلوك عن الفناء وامتحنوك بالبلاء ووالله لو كان السماوات والأرض على عبد رتقاً ثمّ اتّقى الله جعل الله له منها مخرجاً، فلا يؤنسنّك [يونسك] إلّا الحقّ، ولا يوحشنّك [يوحشك] إلّا الباطل.

ثمّ تكلّم عقيل فقال: يا أبا ذرّ، أنت تعلم أنّا نحبّك، ونحن نعلم أنّك تحبّنا، فإنّك قد حفظت منّا [فينا] ما ضيّع الناس إلّا القليل، فثوابك على الله عزّوجلّ، ولذلك أخرجك المخرجون وسيّرك المسيّرون، فاتّق الله، واعلم أنّ استثقالك [استعفاءك] البلاء من الجزع، واستبطاءك العافية من اليأس، فدع اليأس والجزع وقل: حسبي الله ونعم الوكيل.

ثمّ تكلّم الحسن عليه السلام فقال: يا عمّاه، إنّ القوم قد أتوا إليك ما ترى، وإنّ الله عزّوجلّ بالمنظر الأعلى، فدع عنك ذكر الدّنيا بذكر فراقها، وشدّة ما يرد عليك لرخاء ما بعدها، واصبر حتّى تلقى نبيّك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ.

ثمّ تكلّم الحسين عليه السلام فقال: يا عمّاه، إنّ الله تعالى قادر على أن يغيّر ما ترى وهو كلّ يوم في شأن، إنّ القوم منعوك دنياهم، ومنعتهم دينك، فما

---

(١) السقيفة وفدك: ٧٦ ـ ٧٩، شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢ ـ ٢٥٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

أغناك عمّا منعوك، وما أحوجهم إلى ما منعتهم، فعليك بالصبر وإنّ الخير في الصبر، والصبر من الكرم، ودع الجزع فإنّ الجزع لا يغنيك.

ثمّ تكلّم عمّار رضي الله عنه فقال: يا أبا ذرّ، أوحش الله من أوحشك، وأخاف من أخافك، إنّه والله ما منع الناس أن يقولوا الحقّ إلّا الركون إلى الدّنيا والحبّ لها، ألا إنّما الطاعة مع الجماعة، والملك لمن غلب عليه، وإنّ هؤلاء القوم دعوا الناس إلى دنياهم فأجابوهم إليها، ووهبوا لهم دينهم فخسروا الدّنيا والآخرة وذلك هو الخسران المبين.

ثمّ تكلّم أبو ذرّ فقال: عليكم منّي السلام ورحمة الله وبركاته، بأبي وأُمّي هذه الوجوه؛ فإنّي إذا رأيتكم ذكرت بكم رسول الله صلى الله عليه وآله، ومالي بالمدينة شَجَن ولا سكن غيركم، وإنّه ثقل على عثمان جواري بالمدينة كما ثقل على معاوية بالشام، فآلى أن يسيّرني إلى بلدة، فطلبت إليه أن يكون ذلك إلى الكوفة، فزعم أنّه يخاف أن أُفسد على أخيه الناس بالكوفة، وآلى بالله أن يسيّرني إلى بلدة لا أرى بها أنيساً ولا أسمع لها حسيساً[١]، وإنّي والله ما أُريد إلّا الله عزّوجلّ صاحباً ومالي مع الله وحشة ﴿حسبي الله لا إله إلّا هو عليه توكّلت وهو ربّ العرش العظيم﴾[٢].

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام لأبي ذرّ رضي الله عنه لمّا خرج» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: «لمّا أُخرج» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤]، وأيضاً لم يخرج هو بل أُخرج كما عرفت وتعرف.

«إلى الربذة» في (المعجم): الربذة من قرى المدينة على ثلاثة أميال

---

(١) الحسيس: الصوت الخفيّ. (المصباح المنير ١: ١٦٦، مادة: حسس).

(٢) الكافي ٨: ٢٠٦ ـ ٢٠٨، والآية ١٢٩ من سورة التوبة.

(٣) نهج البلاغة ٢: ١٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢، شرح ابن ميثم ٣: ١٤٥.

[إيام]، قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت في فيد تريد مكة، وبها قبر ابي ذر[١].

قال ابن أبي الحديد: اعلم أنّ الذي عليه أكثر أرباب السيرة وعلماء الأخبار والنقل، أنّ عثمان نفى أبا ذرّ أوّلاً إلى الشام، ثمّ استقدمه إلى المدينة لمّا شكا منه معاوية، ثمّ نفاه من المدينة إلى الربذة لمّا عمل بالمدينة نظير ما كان يعمل بالشام.

وأصل هذه الواقعة أنّ عثمان لمّا أعطى مروان بن الحكم وغيره بيوت الأموال، واختصّ زيد بن ثابت بشيء منها، جعل أبو ذرّ يقول بين الناس وفي الطرقات والشوارع: بشّر الكافرين بعذاب أليم، ويرفع بذلك صوته، ويتلو قوله تعالى: ﴿...والّذين يكنِزون الذّهب والفضّة ولا يُنفقونها في سبيل الله فبشّرهم بعذابٍ أليم﴾[٢]، فرفع ذلك إلى عثمان مراراً وهو ساكت.

ثمّ إنّه أرسل إليه مولى من مواليه: أن انتَهِ عمّا بلغني عنك. فقال أبو ذرّ: أينهاني عثمان عن قراءة كتاب الله؟ فوالله لأن أرضي الله بسخط عثمان أحبّ إليّ من أن أُسخط الله برضا عثمان.

فأغضب عثمان ذلك وأحفظه، فتصابر وتمالك [تماسك] -إلى أن قال عثمان يوماً، والناس حوله: أيجوز للإمام أن يأخذ من بيت المال شيئاً قرضاً، فإذا أيسر قضى؟

فقال كعب الأحبار: لا بأس بذلك. فقال أبو ذرّ: يابن اليهوديّين، أتعلّمنا ديننا! فقال عثمان: قد كثر أذاك لي، وتولّعك بأصحابي، الحقْ بالشام. فأخرجه إليها.

---

(١) معجم البلدان ٣: ٢٤.

(٢) التوبة: ٣٤.

فكان أبو ذرّ ينكر على معاوية أشياء يفعلها، فبعث إليه معاوية يوماً ثلاثمائة دينار، فقال أبو ذرّ لرسوله: إن كانت من عطائي الذي حرمتمونيه عامي هذا أقبلُها، وإن كانت صلة فلا حاجة لي فيها، وردّها عليه.

ثمّ بنى معاوية الخضراء بدمشق، فقال أبو ذرّ: يا معاوية، إن كانت هذه من مال الله فهي الخيانة، وإن كانت من مالك فهي الإسراف. وكان أبو ذرّ يقول بالشام: والله لقد حدثتْ أعمال ما أعرفها، والله ما هي في كتاب الله ولا سنّة نبيّه، والله إنّي لأرى حقّاً يطفأ وباطلاً يحيا، وصادقاً مكذّباً، وإمرة [أثرة] بغير تقى، وصالحاً مستأثراً عليه.

فقال حبيب بن مسلمة الفهريّ لمعاوية: إنّ أبا ذرّ لمفسد عليكم الشام؛ فتدارك أهله إن كان لك فيه حاجة[1].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: روى شيخنا الجاحظ في (سفيانيّته) عن جلّام بن جندل الغفاريّ، قال: كنت عاملاً [غلاماً] لمعاوية على قنّسرين والعواصم في خلافة عثمان، فجئت إليه يوماً أسأله عن حال عملي؛ إذ سمعت صارخاً على باب داره يقول: أتتكم القطار تحمل [بحمل] النار، اللهمّ العن الآمرين بالمعروف، التاركين له، اللهمّ العن الناهين عن المنكر المرتكبين له. فازْبأرّ[2] معاوية وتغيّر لونه وقال: يا جلّام، أتعرف الصارخ؟ قلت: لا. قال: مَن عذيري من جندب بن جنادة! يأتينا كلّ يوم فيصرخ على باب قصرنا بما سمعت! ثمّ قال: أدخلوه. فجيء بأبي ذرّ بين قوم يقودونه، حتّى وقف بين يديه، فقال له معاوية: يا عدوّ الله وعدوّ رسوله! تأتينا كلّ يوم فتصنع ما تصنع، أما إنّي لو كنت قاتل رجل من أصحاب محمّد من غير إذن عثمان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٥ ـ ٢٥٧.

(٢) ازْبأرّ الرجلُ: اقْشَعَرَّ. (لسان العرب ٦: ١٣، مادة: زبر).

لقتلتك، ولكنّي أستأذن فيك.

قال جلّام: وكنت أُحبّ أن أرى أبا ذرّ، لأنّه رجل من قومي، فالتفتّ إليه فإذا رجل أسمر ضَرْب[1] من الرجال، خفيف العارضين، في ظهره حنى [جنأ]، فأقبل على معاوية وقال: ما أنا بعدوّ لله ولا لرسوله، بل أنت وأبوك عدوّان لله ولرسوله، أظهرتما الإسلام وأبطنتما الكفر، ولقد لعنك النبيّ ﷺ، ودعا عليك مرّات أن لا تشبع، وسمعته يقول: «إذا ولي الأُمة الأعين الواسع البلعوم، الذي يأكل ولا يشبع، فلتأخذ الأُمّة حذرها منه».

فقال معاوية: ما أنا ذاك الرجل. قال أبو ذرّ: بل أنت ذلك، أخبرني بذلك النبي ﷺ، وسمعته يقول -وقد مررت به-: «اللهمّ العنه ولا تشبعه إلّا بالتراب»، وسمعته يقول: «است[2] معاوية في النار». فضحك معاوية وأمر بحبسه، وكتب إلى عثمان فيه. فكتب عثمان إليه: «أن احمل جندباً على أغلظِ مركب وأوعره». فوجّه به من سار به الليل والنّهار، وحمله على شارف[3] ليس عليها إلّا قَتَب، حتّى قدم به المدينة، وقد سقط لحم فخذيه من الجهد. فلمّا قدم بعث إليه عثمان أن الحقْ بأيّ أرض شئت. قال: بمكّة؟ قال: لا. قال: بيت المقدس؟ قال: لا. قال: بأحد المصرين؟ قال: لا، ولكنّي مسيّرك إلى الربذة. فسيّره إليها، فلم يزل بها حتّى مات.

قال: وفي رواية الواقديّ: أنّ أبا ذرّ لمّا دخل على عثمان قال له:

---

(١) الضرب : الرجل الخفيف اللحم. قال طرفة :

أنا الرجل الضرب الذي تعرفونه خَشاش كرأس الحيّة المتوقّدِ

(الصحاح ١ : ١٦٨، مادة: ضرب).

(٢) الاسْت : العَجُز. وقد يراد به حلقة الدُبر، وأصلها سَتَهٌ على فَعَل بالتحريك، يدلّ على ذلك أنّ جمعه أستاه، مثل جمل وأجمال. (الصحاح ٦ : ٢٢٣٣، مادة: سته).

(٣) ناقة شارف : عالية السنّ. (أساس البلاغة : ٢٣٣، مادة: شرف).

لا أنــعم الله بـقَيْنٍ عـينا نعم ولا لقّاه يوماً زيْـنا

تـحيّة السُّخْط إذا التقينا

فقال أبو ذرّ: ما عرفت اسمي «قينا». وفي رواية أُخرى، قال: لا أنعم الله بك عيناً يا جُنيدب! فقال: أنا جندب، وسمّاني النّبي صلى الله عليه وآله عبد الله، فاخترت اسمه الذي سمّاني به على اسمي. فقال له عثمان: أنت الذي تزعم أنّا نقول: ﴿يد الله مغلولة﴾[1] و ﴿إنّ الله فقير ونحن أغنياء﴾[2]؟ فقال أبو ذرّ: لو كنتم لا تقولون هذا لأنفقتم مال الله على عباده؛ ولكنّي أشهد أنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «إذا بلغ بنو أبي العاص ثلاثين رجلاً، جعلوا مال الله دُوَلاً وعباده خَوَلاً».

فقال عثمان لمن حضر: أسمعتموها من النبيّ؟ قالوا: لا. قال عثمان: ويلك يا أبا ذرّ! أتكذب على النّبيّ؟ فقال أبو ذرّ لمن حضر: أما تدرون أنّي صدقت! قالوا: لا والله ما ندري. فقال عثمان: ادعوا لي عليّاً. فلمّا جاء قال عثمان لأبي ذرّ: اقصص عليه حديثك في بني أبي العاص. فأعاده، فقال عثمان لعليّ عليه السلام: أسمعت هذا من النّبي صلى الله عليه وآله؟ قال: لا، وقد صدق أبو ذرّ. قال عثمان: كيف عرفت صدقه؟ قال: لأنّي سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «ما أظلّت الخضراء، ولا أقلّت الغبراء من ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ». فقال من حضر: أمّا هذا، فسمعناه كلّنا من النّبيّ صلى الله عليه وآله. فقال أبو ذرّ: أُحدّثكم أنّي سمعت هذا من النّبيّ صلى الله عليه وآله فتتّهموني! ما كنت أظنّ أنّي أعيش حتّى أسمع هذا من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله[3].

وقال ابن أبي الحديد: وروى الواقدي في خبر آخر بإسناده عن

---

(١) المائدة: ٦٤.

(٢) آل عمران: ١٨١.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٧ ـ ٢٥٩.

صبهان، مولى الأسلميّين، قال: رأيت أبا ذرّ يوم دُخل به على عثمان، فقال له: أنت الذي فعلت وفعلت! فقال أبو ذرّ: نصحتك فغششتني، ونصحت صاحبك فاستغشّني! قال عثمان: كذبت؛ ولكنّك تريد الفتنة وتحبّها، قد أنغلتَ[1] الشام علينا. فقال له أبو ذرّ: اتّبعْ سنّة صاحبيك لا يكن لأحد عليك كلام.

فقال له عثمان: مالك وذلك لا أمّ لك! قال أبو ذرّ: ما وجدت عذراً لي إلّا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فغضب عثمان وقال: أشيروا عليّ في هذا الشيخ الكذّاب؛ اضربه، أو أحبسه، أو اقتله؛ فإنّه فرّق جماعة المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام.

فتكلّم عليّ عليه السلام -وكان حاضراً- فقال: أُشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون: ﴿...وإن يَكُ كاذِباً فعليه كذبُهُ وإن يكُ صادِقاً يُصِبكم بعض الذي يَعِدكُم إنّ الله لا يهدي من هو مسرفٌ كذّابٌ﴾[2] فأجابه عثمان بجواب غليظ، وأجابه عليّ عليه السلام بمثله، ولم يذكر الجوابين تذمّماً منهما[3].

قلت: ذكر إبراهيم الثقفي الجوابين وهما: أنّ عثمان قال له عليه السلام: بفيك التراب فقال عليه السلام له: بل بفيك[4].

وقال ابن أبي الحديد: قال الواقدي: ثمّ إنّ عثمان حظر على الناس أن يقاعدوا أبا ذرّ، أو يكلّموه. فمكث كذلك أيّاماً ثمّ أُتي به فوقف بين يديه، فقال أبو ذر: ويحك يا عثمان! أما رأيت النبيّ صلى الله عليه وآله، ورأيت أبا بكر وعمر! هل هديُك كهديهم؟ أما إنّك لتبطش بي بطش جبّار [عنيد].

فقال عثمان: اخرج عنّا. قال أبو ذرّ: فما أبغض إليّ جوارك! فإلى أين

---

(١) أنغلهم حديثاً سمعه: نمّ إليهم به، والنَّغَل: الإفساد بين القوم والنميمة. (لسان العرب ١٤ : ٢٢٢، مادة: نغل).

(٢) غافر: ٢٨.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٥٩.

(٤) بحار الأنوار ٨ : ٣٢٤ ط الكمباني، عن تقريب المعارف.

أخرج؟ قال: حيث شئت. قال: أخرج إلى الشام أرض الجهاد؟ قال: إنّما جلبتك من الشام لِمَا قد أفسدتها، أفأردّك إليها؟ قال: فأخرج إلى العراق. قال: لا، إنّك إن تخرج إليها تقدم على قوم أُولي شبه وطعن على الأئمّة والولاة، اخرج إلى البادية. قال: أصير أعرابيّاً بعد الهجرة؟ قال: نعم. قال أبو ذرّ: فاخرج إلى بادية نجد. قال: لا تعدونّ الربذة[1].

وقال: وروى الواقدي أيضاً عن مالك بن أبي الرجال، عن موسى بن ميسرة: أنّ أبا الأسود الدؤلي قال: كنت أُحبّ لقاء أبي ذرّ لأسأله عن سبب خروجه إلى الربذة، فجئته فقلت له: ألا تخبرني، أخرجتَ من المدينة طائعاً، أم أُخرجت كرهاً؟ فقال: كنت في ثغر من ثغور المسلمين أغني عنهم، فأُخرجت إلى المدينة، فقلت: دار هجرتي وأصحابي. فأُخرجت من المدينة إلى ما ترى.

ثمّ قال: بينا أنا ذات ليلة نائم في مسجد النّبي صلّى الله عليه وآله، إذ مرّ بي النّبي صلّى الله عليه وآله فضربني برجله وقال: لا أراك نائماً في المسجد. فقلت: بأبي أنت وأُمّي! غلبتني عيني، فنمت فيه. قال: فكيف تصنع إذا أخرجوك منه؟ قلت: آخذ سيفي فأضربهم به. فقال: ألا أدلُّك على خير من ذلك؟ انسقْ معهم حيث ساقوك، وتسمع وتطيع. فسمعت وأطعت، والله ليلقينّ الله عثمان وهو آثم في جنبي[2].

قلت: وروى الثقفيّ في (تاريخه) ـ كما في (تقريب الحلبيّ) ـ كثيراً ممّا رواه الواقدي[3].

وروى أيضاً: أنّ أبا الدرداء وصاحباً له لقيا رجلاً شهدا الجمعة عند معاوية بالجابية، فقال الرجل: خبر كرهت أن أُخبركما به. فقال أبو الدرداء:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٩ ـ ٢٦٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦٠ ـ ٢٦١.

(٣) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٢٦ ـ ٣٢٨ ط الكمباني.

لعلّ أبا ذرّ قد نفي؟ قال: نعم والله. فاسترجع أبو الدرداء وصاحبه قريباً من عشر مرّات، ثمّ قال أبو الدرداء: ﴿...فارتقِبهم واصطبر﴾[1] كما قيل لأصحاب الناقة، اللهمّ إن كانوا كذّبوا أبا ذرّ فإنّي لا أُكذّبه، وإن اتّهموه فإنّي لا أتّهمه، وإن استغشّوه فإنّي لا أستغشّه؛ إنّ النبي ﷺ كان يأتمنه حيث لا يأتمن أحداً، ويسرّ إليه حتّى لا يسرّ إلى أحد. أما والذي نفسي بيده لو أنّ أبا ذرّ قطع يميني ما أبغضته بعدما سمعت النبيّ ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ[2].

وروى عن الأحنف بن قيس: بينا نحن جلوس مع أبي هريرة إذ جاء أبو ذرّ، فقال: يا أبا هريرة، هل افتقر الله منذ استغنى؟ فقال أبو هريرة: سبحان الله! بل الله الغنيّ الحميد ونحن الفقراء إليه. قال أبو ذرّ: فما بال هذا المال يجمع بعضه إلى بعض. فقال: مال الله قد منعوه أهله من الناس والمساكين.

ثمّ انطلق أبو ذرّ، فقلت لأبي هريرة: مالكم لا تأبون مثل هذا؟ قال: هذا رجل [قد] وطّن نفسه على أن يُذبح في الله، أما إنّي أشهد أنّي سمعت النّبيّ ﷺ يقول: ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذرّ، فإذا أردتم أن تنظروا إلى أشبه الناس بعيسى بن مريم برّاً وزهداً ونسكاً فعليكم به[3].

وروى أيضاً مسنداً أنّ معاوية قام بالشام خطيباً فقال: أيّها الناس، إنّما أنا خازن؛ فمن أعطيته فالله يعطيه، ومن حرمته فالله يحرمه.

فقام إليه أبو ذرّ فقال: كذبت والله يا معاوية! إنّك لتعطي من حرم الله،

---

(١) القمر: ٢٧.

(٢) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧ ط الكمباني.

(٣) المصدر نفسه.

وتمنع من أعطى الله[١].

وروى عن المغرور بن سويد قال: كان عثمان يخطب، فأخذ أبو ذرّ بحلقة الباب فقال: أنا أبو ذرّ، من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا جُندب، سمعت النّبيّ ﷺ يقول: إنّما مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح في قومه؛ من تخلّف عنها هلك، ومن ركبها نجا.

فقال له عثمان: كذبت. فقال له علي عليه السلام: إنّما كان عليك أن تقول كما قال العبد الصالح: ﴿إنْ يَكُ كاذباً فعليه كذبهُ وإنْ يَكُ صادقاً يُصبكم بعض الذي يعدكم﴾[٢].

وروى المفيد في (أماليه) عن الثقفي أيضاً عن محمّد بن علي، عن الحسين بن سفيان، عن أبيه، عن أبي جهضم الأزدي، عن أبيه قال: لمّا أخرج عثمان أبا ذرّ من المدينة إلى الشام كان يقوم في كلّ يوم فيعظ الناس، ويأمرهم بالتمسّك بطاعة الله، ويحذّرهم من ارتكاب معاصيه، ويروي عن النّبيّ ﷺ ما سمعه في فضائل أهل بيته، ويحضّهم على التمسّك بعترته.

فكتب معاوية إلى عثمان: أمّا بعد، فإنّ أبا ذرّ يصبح إذا أصبح، ويُمسي إذا أمسى وجماعة من الناس كثيرة عنده فيقول كيت وكيت، فإن كان لك في الناس قِبلي حاجة فأقدم أبا ذرّ إليك؛ فإنّي أخاف أن يفسد الناس عليك.

فكتب عثمان إليه: أشخص أبا ذرّ إليّ حين تنظر في كتابي هذا.

فبعث معاوية إلى أبي ذرّ ودعاه، وأقرأه كتاب عثمان، فقال: النجا[٣]

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) بحار الأنوار، ٨: ٣٣٧ ـ ٣٣٨ ط الكمباني، والآية ٢٨ من سورة غافر.

(٣) النجا ـ بالمد والقصر ـ: مصدر منصوب بفعل مضمر، والنجاء: السرعة. (لسان العرب ١٤: ٦٢، مادة: نجا).

الساعة. فخرج أبو ذرّ إلى راحلته، فشدّها بكورها[١]، وأنساعها[٢]، فاجتمع إليه الناس فقالوا له: رحمك الله! أين تريد؟ قال: أخرجوني إليكم غضباً عليّ، وأخرجوني منكم إليهم الآن عبثاً بي، ولا يزال هذا الأمر فيما أرى فيما بيني وبينهم حتّى يستريح برّ، أو يستراح من فاجر. ومضى.

وسمع الناس بخروجه حين خرج من دمشق، فساروا معه حتّى انتهى إلى دير مرّان[٣] -إلى أن قال-: فلمّا دخل على عثمان قال له: لا قرّب الله بعمرو عينا. فقال أبو ذرّ: والله ما سمّاني أبواي عمراً ولكن لا قرّب الله مَن عصاه وخالف أمره، فارتكب هواه. فقام إليه كعب الأحبار فقال: ألا تتّقي الله يا شيخ! وتجيب أمير المؤمنين بهذا الكلام! فرفع أبو ذرّ عصا كانت في يده فضرب بها رأس كعب، ثمّ قال له: يا بن اليهوديّين! ما كلامك مع المسلمين؟ فوالله ما خرجت اليهوديّة من قلبك بعد. فقال عثمان: والله لا جمعتني وإيّاك دار، قد خرفت، وذهب عقلك، أخرجوه من بين يديّ حتّى تركبوه قتب ناقة بغير وطاء، ثمّ انخسوا[٤] به الناقة، وتعتعوه حتّى توصلوه الربذة، فنزّلوه بها من غير أنيس حتّى يقضي الله فيه ما هو قاض. فأخرجوه متعتعاً[٥] موهوناً [ملهوزاً] بالعصيّ.

وتقدّم عثمان أن لا يشيّعه أحد من الناس، فبلغ ذلك علياً عليه السلام، فبكى حتّى بلّ لحيته بدموعه، ثمّ قال: أهكذا يصنع بصاحب رسول الله؟ إنّا لله وإنّا

---

(١) الكور ـ بالضمّ ـ: الرحْل بأداته. (الصحاح ٢: ٨١٠، مادة: كور).

(٢) الأنساع: جمع النِّسعة: التي تنسج عريضاً للتصدير. (الصحاح ٣: ١٢٩٠، مادة: نسع).

(٣) هذا الدير بالقرب من دمشق على تل مشرف على مزارع الزعفران ورياض حسنة، وبناؤه بالجصّ. (معجم البلدان ٢: ٥٣٣).

(٤) نخسوا بفلان: نخسوا دابّته وطردوه. (أساس البلاغة: ٤٥٠، مادة: نخس).

(٥) التعتعة: الحركة العنيفة. (لسان العرب ٢: ٣٦، مادة: تعع).

إليه راجعون، ثمّ نهض ومعه الحسنان عليهما السلام، وعبد الله بن العبّاس، والفضل، وقثم، وعبيد الله حتّى لحقوا أبا ذرّ فشيّعوه ـ إلى أن قال ـ: فرجعوا وهم يبكون على فراقه[1].

وفي (مروج المسعودي): ممّا أنكر الناس على عثمان فعله بأبي ذرّ، وهو أنّه حضر أبو ذرّ يوماً مجلس عثمان، فقال عثمان: أرأيتم من زكّى ماله هل فيه حقّ لغيره؟ فقال كعب: لا، فدفع أبو ذرّ في صدره، وقال له: كذبت يابن اليهوديّ، ثمّ تلا: ﴿ليس البرّ ...﴾[2]. فقال عثمان: أترون بأساً أن نأخذ مالاً من بيت مال المسلمين فننفقه فيما ينوبنا من أُمورنا ونعطيكموه؟ فقال كعب: لا بأس بذلك. فرفع أبو ذرّ العصا فدفع بها في صدر كعب وقال: يا بن اليهوديّ، ما أجرأك على القول في ديننا! فقال له عثمان: ما أكثر أذاك لي! غَيِّبْ وجهك عنّي فقد آذيتني.

فخرج أبو ذرّ إلى الشام فكتب معاوية إلى عثمان: أنّ أبا ذرّ تجتمع إليه الجموع، ولا آمن أن يفسدهم عليك، فإن كان لك في القوم حاجة فاحمله إليك.

فكتب عثمان إليه بحمله، فحمله على بعير عليه قَتَب يابس معه خمسة من الصقالبة يطيرون به، حتّى أتوا به المدينة قد تسلّخَتْ بواطن أفخاذه وكاد أن يتلف، فقيل له: إنّك تموت من ذلك. فقال: هيهات! لن أموت حتّى أُنفى. وذكر جوامع ما نزل به بعد، ومن يتولّى دفنه، فاحتبس في داره أيّاماً، ثمّ دخل على عثمان فجلس على ركبتيه، وتكلّم بأشياء، وذكر الخبر في ولد أبي العاص إذا بلغوا ثلاثين رجلاً اتّخذوا عباد الله خَولاً[3]، ومرّ في الخبر بطوله، وتكلّم بكلام

---

(١) أمالي المفيد: ١٦١ ـ ١٦٥ بتلخيص من الشارح.

(٢) البقرة: ١٧٧.

(٣) خَوّل الرجل: حشمه، الواحد: خائل. (الصحاح ٤: ١٦٩٠، مادة: خول).

كثير، وكان في ذلك اليوم قد أتى عثمان بتركة عبد الرحمن بن عوف، فنضّت [فنثرت] البدَر حتّى حالت بين عثمان وبين الرجل القائم، فقال عثمان: إنّي لأرجو لعبد الرحمن خيراً؛ لأنّه كان يتصدّق، ويَقْري الضيف، وترك ما ترون. فقال كعب الأحبار: صدقت. فشال أبو ذرّ العصا، فضرب بها رأس كعب، ولم يشغله ما كان فيه من الألم، وقال: يا بن اليهوديّ، أتقول لرجل مات وترك هذا المال: إنّ الله أعطاه خير الدنيا وخير الآخرة، وتقطع على الله بذلك؟ وإنّي سمعت النّبيّ ﷺ يقول: ما يسرّني أن أموت وأدع ما يزن قيراطاً.

فقال له عثمان: وارِ عنّي وجهك. فقال: أسير إلى مكّة. قال: لا والله. قال: فتمنعني من بيت ربّي أعبده فيه حتّى أموت؟ قال: أي والله. قال: فإلى الشام؟ قال: لا والله. قال: فالبصرة؟ قال: لا والله، اختر غير هذه البلدان. قال: لا والله ما اختار غير ما ذكرت لك، ولو تركتني في دار هجرتي ما أردت شيئاً من البلدان، فسيّرني حيث شئت. قال: فإنّي مسيّرك إلى الربذة. قال: الله أكبر، صدق رسول الله ﷺ قد أخبرني بكلّ ما أنا لاقٍ.

قال عثمان: وما قال لك؟ قال: أخبرني أنّي أُمنع عن مكّة والمدينة وأموت بالربذة، ويتولّى مواراتي نفر ممّن يردون من العراق نحو الحجاز.

وبعث أبو ذرّ إلى جمل له فحمل عليه امرأته ـ وقيل: ابنته ـ وأمر عثمان أن يتجافاه الناس حتّى يسير إلى الربذة، فلمّا طلع عن المدينة ومروان يسيّره إذ طلع عليه عليّ عليه السلام ومعه ابناه، وأخوه، وعبد الله بن جعفر، وعمّار، فاعترض مروان وقال: يا عليّ، إنّ الخليفة قد نهى الناس أن يصحبوا أبا ذرّ في مسيره وأن يشيّعوه، فإن كنت لم تدرِ بذلك فقد أعلمتك. فحمل عليه عليّ عليه السلام بالسوط بين أُذني راحلته، وقال له: تنحَّ نحّاك الله إلى النار.

ومضى مع أبي ذرّ فشيّعه ثمّ ودّعه وانصرف، فلمّا أراد الانصراف

بكى أبو ذرّ وقال: رحمكم الله أهل البيت، إذا رأيتك يا أبا الحسن وولديك ذكرت بكم رسول الله ﷺ ـ إلى أن قال ـ: فلمّا رجع عليّ عليه السلام قالوا له: إنّ عثمان عليك غضبان لتشييعك أبا ذرّ. فقال عليه السلام: غضبَ الخيلِ على اللُّجُم[1] ـ إلى أن قال ـ: فقال عثمان له عليه السلام: أولم يبلغك أنّي قد نهيت الناس عن أبي ذرّ وعن تشييعه؟ فقال عليّ عليه السلام: أوَ كلّ ما أمرتنا به من شيء يرى طاعة الله والحقّ في خلافه اتّبعنا فيه أمرك؟ لا، بالله لا نفعل. قال عثمان: أقِدْ مروان، فوالله ما أنت عندي بأفضل منه. فغضب عليّ عليه السلام وقال: ألي تقول هذا؟ وبمروان تعدلني؟...[2].

قال ابن أبي الحديد: إخراج أبي ذرّ إلى الربذة أحد الأحداث التي نُقِمَتْ على عثمان[3].

قلت: هو أعظم أحداثه مع كون أبي ذرّ في تلك المرتبة من الجلالة، ومعاملة عثمان معه تلك المعاملة توجب نفاقه الذي في حدّ الكفر، ولذا أعرض عنه رأساً كثير من مؤرّخيهم كابن قتيبة في (خلفائه) وابن عبد ربّه في (عِقده)[4]، فذكرا كثيراً من أحداثه وسكتا عن هذا؛ وتمجمج بعضهم كابن عبد البرّ في (استيعابه)؛ فأنكر إخراجه أوّلاً إلى الشام، بل قال: خرج بنفسه[5]. وأتى في إخراجه إلى الربذة بلفظ مجمل فقال: خرج بعد وفاة أبي بكر إلى الشام، فلم يزل بها حتّى ولي عثمان، ثمّ استقدمه عثمان بشكوى معاوية،

---

(١) قال الميداني في مجمع الأمثال ٢: ٥٦ مانصّه: يضرب لمن يغضب غضباً لا ينتفع به، ولا موضع له. ونصب «غضب» على المصدر، أي: غَضِبَ غَضَبَ الخيل.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٨ ـ ٣٥١ بتصرّف وتلخيص من الشارح.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٣٢، العقد الفريد ٥: ٥٥ ـ ٦٠.

(٥) الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٢١٤.

وأسكنه الربذة فمات بها[١].

كما أنّه نقل بعض أخباره كذلك؛ فروى عن عبد الرحمن بن غنم قال: كنت عند أبي الدرداء إذ دخل رجل من أهل المدينة فسأله، فقال: أين تركت أبا ذرّ؟ قال: بالربذة. فقال أبو الدرداء: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، لو أنّ أبا ذرّ قطع منّي عضواً لما هجته، لمّا سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول فيه[٢].

وروى حديث «ما أظلّت الخضراء» عن أبي هريرة، وعن أبي الدرداء، قال: وروى عن النّبيّ صلى الله عليه وآله قال: أبو ذرّ في أُمّتي شبيه عيسى بن مريم في زهده[٣].

وسُئل عليّ عليه السلام عن أبي ذرّ، فقال: ذلك رجل وعى علماً عجز عنه الناس، ثمّ أوكأ عليه ولم يخرج شيئاً منه[٤].

وروى عن أبي ذرّ أنّه قال: أنا ربع الإسلام[٥].

قال ابن أبي الحديد: حكى قاضي القضاة في (المغني) عن شيخنا أبي عليّ: أنّ الناس اختلفوا في أمر أبي ذرّ، وأنّ الرواية وردت أنّه قيل له: أعثمان أنزلك الربذة؟ قال: لا، بل أنا اخترت ذلك.

قال: وروى أبو علي أيضاً عن زيد بن وهب، قال: قلت لأبي ذرّ وهو بالربذة: ما أنزلك هذا المنزل؟ قال: أُخبرك أنّي كنت بالشام، فذكرت قوله تعالى: ﴿...والذين يكنزون الذهب والفِضّة ولا ينفقونها...﴾[٦] فقال لي

(١) الاستيعاب بهامش الاصابة ١: ٢١٤.

(٢) المصدر نفسه ١ : ٢١٧.

(٣) المصدر نفسه ١ : ٢١٦.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر نفسه ١ : ٢١٣.

(٦) التوبة : ٣٤.

معاوية: هذه نزلت في أهل الكتاب. فقلت: فيهم وفينا. فكتب معاوية إلى عثمان في ذلك، فكتب إليّ أن أقدِمْ، فقدمْتُ، فانثال النـاس إليّ كأنّـهم لم يـعرفوني، فشكوت ذلك إلى عثمان فخيّرني وقال: انزل حيث شئت. فنزلت الربذة.

قال: وروى أبو علي أيضاً: أنّ معاوية كتب يشكوه وهو بالشام، فكتب إليه عثمان: أن صِرْ بالمدينة. فلمّا صار إليها، قال له: ما أخرجك إلى الشـام؟ قال: إنّي سمعت النّبيّ يقول: «إذا بلغت عمارة المـدينة مـوضع كـذا فـاخرج منها»؛ فلذلك خرجت. فقال: أيّ البلاد أحبّ إليك بعد الشام؟ قال: الربذة. فقال: صِرْ إليها[1].

ثم قال ابن أبي الحديد: وهذه الأخبار وإن كانت قد رُويت، لكنّها ليست في الاشتهار والكثرة كتلك الأخبار، والوجه أن يقال في الاعتذار عن عـثمان وحسن الظن بفعله: إنّه خاف الفتنة واختلاف كلمة المسلمين، فيغلب على ظنّه أنّ إخراج أبي ذرّ إلى الربذة أحسم للشَّغَب، وأقطع لأطماع من يشرئبّ إلى شقّ العصا، فأخرجه مراعاةً للمصلحة، ومـثل ذلك يـجوز للإمـام. وهكـذا يـقول أصحابنا المعتزلة؛ وهو الأليق بمكارم الأخلاق، فقد قال الشاعر:

إذا ما أتت من صاحب لك زلّةٌ ... فكنْ أنت مـحتالاً لزلّـته عُـذْراً

وإنّما يتأوّل أصحابنا حال من يحتمل التأويـل كـعثمان، فأمّـا مـن لا يـحتمل حاله التأويل، وإن كانت له صحبة سالفة كمعاوية وأضرابه، فإنّهم لا يتأوّلون لهم، إذا كانت أعمالهم وأفعالهم لا وجه لتأويلها، ولا تقبل العلاج[2].

قلت: شيخ تاريخهم الطبري تأوّل لمعاوية أيضاً؛ فقال: وفي سنة (٣٠) كان ما ذكر من أمر أبي ذرّ ومعاوية، وإشخاص معاوية إيّاه من الشام، وقد

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٦١.

(٢) المصدر نفسه ٨: ٢٦١ ـ ٢٦٢.

ذكر في سبب إشخاصه إيّاه من الشام أُمور كثيرة، كرهت ذكر أكثرها.

فأمّا العاذرون معاوية في ذلك، فإنّهم ذكروا في ذلك قصّة كتب بها إليّ السريّ، يذكر أنّ شعيباً حدّثه عن سيف، بسند أنّه لمّا ورد ابن السوداء الشام لقي أبا ذرّ، فقال له: ألا تعجب إلى معاوية، يقول: «المال مال الله! ألا إنّ كلّ شيء لله» كأنّه يريد أن يحتجنه دون المسلمين، ويمحو اسم المسلمين. فأتاه أبو ذرّ فقال: ما يدعوك إلى أن تسمّي مال المسلمين مال الله ـ إلى أن قال ـ: وجعل أبو ذرّ يقول بالشام: يا معشر الأغنياء، واسوا الفقراء. فما زال حتّى ولع الفقراء بمثل ذلك، وأوجبوه على الأغنياء، وحتّى شكا الأغنياء ما يلقون من الناس.

فكتب معاوية إلى عثمان: انّ أبا ذرّ قد أعضل بي[1]، وقد كان من أمره كَيْت وكَيْت. فكتب إليه عثمان: جهّز أبا ذرّ إليّ، وابعث معه دليلاً وزوّده، ورافق به ـ إلى أن قال ـ: ودخل على عثمان، فقال له عثمان: ما لأهل الشام يشكون ذَرَبك؟ فأخبره أنّه لا ينبغي أن يقال: مال الله، ولا ينبغي للأغنياء أن يقتنوا مالاً. فقال: يا أبا ذرّ، عليّ أن أقضي ما عليّ، وآخذ ما على الرعيّة، ولا أجبرهم على الزهد. قال: فتأذن لي بالخروج، فإنّ المدينة ليست لي بدار؟ فقال: لا تستبدل بها إلّا شرّاً منها.

قال: أمرني النّبيّ صَلَّىٰ اللّٰه عَلَيْهِ وَآلِه أن أخرج منها إذا بلغ البناء سَلْعاً. قال: فانفذ لما أمرك به. فخرج حتّى نزل الربذة، فخطّ بها مسجداً، وأقطعه عثمان صِرْمة[2] من الإبل وأعطاه مملوكين، وأرسل إليه: أن تعاهد المدينة حتّى

---

(١) عضل بي الأمر وأعضل بي وأعضلني: اشتدّ وغَلُظ واسْتَغْلَقَ؛ قال الأُموي في قوله: أعضل بي: هو من المُعضال وهو الأمر الشديد الذي لا يقوم به صاحبه، أي: ضاقت عليّ الحِيَل في أمرهم، وصعبتْ عليّ مداراتهم. (لسان العرب ٩: ٢٦٠، مادة: عضل).

(٢) الصرمة ـ بالكسر ـ: القطعة من الإبل ما بين العشرة إلى الأربعين. (المصباح المنير ١: ٤٠٩، مادة: صرم).

لا ترتدّ أعرابياً. ففعل(١).

وعنه بإسناد قال: كان أبو ذرّ يختلف من الربذة إلى المدينة مخافة الأعرابيّة، وكان يحبّ الوحدة والخلوة. فدخل على عثمان، وعنده كعب الأحبار، فقال لعثمان: لا ترضوا من الناس بكفّ الأذى حتّى يبذلوا المعروف؛ وقد كان ينبغي للمؤدّي الزكاة أن لا يقتصر عليها حتّى يحسن إلى الجيران والإخوان، ويصل القرابات. فقال كعب: من أدّى الفريضة فقد قضى ما عليه. فرفع أبو ذرّ مِحْجنه فضربه فشجّه، فاستوهبه عثمان، فوهبه له، وقال له: يا أبا ذرّ، اتّق الله وكفّ يدك ولسانك، وقد كان قال له: يابن اليهوديّة، ما أنت وما هاهنا؟ ـ إلى أن قال (الطبري) ـ: وأمّا الآخرون، فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأموراً شنيعة، كرهت ذكرها(٢).

فتراه لم يذكر اسماً من عثمان، واقتصر على إشخاص معاوية له من الشام، وقال: إنّ عاذري معاوية ذكروا في ذلك قصّة(٣).

ولو أُريد الدفاع فالعلاج ما فعل الطبري من طهارة ساحة معاوية، دون ما قاله ابن أبي الحديد من معذوريّة عثمان، وعدم معذوريّة معاوية. فإنّ قصّة أبي ذرّ لم تكن أيّام معاوية بل أيّام عثمان؛ فما فعل معاوية إنّما كان فعل عثمان. فكيف يعذر هو دونه؟ اللهمّ إلّا أن يقول ابن أبي الحديد ـ كعثمان في أمر كتابه إلى مصر بخطّ كاتبه على يد غلامه على جمله بقتل الجماعة، بأنّه ما كان عن اطّلاعه(٤) ـ: بأنّ معاوية فعل بأبي ذرّ ما فعل، من دون اطّلاع عثمان، وحينئذ فيقال في جواب ابن أبي الحديد: ما أجاب الناس عثمان من عدم

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٢٨٣ ـ ٢٨٤، سنة ٣٠، بتلخيص من الشارح.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٢٨٤ ـ ٢٨٦، سنة ٣٠، وقد نقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) المصدر نفسه ٤ : ٢٨٣، سنة ٣٠.

(٤) تاريخ المدينة المنوّرة ٤ : ١١٥٥، الإمامة والسياسة ١ : ٤٠، الجمل للمفيد : ١٤٠ ـ ١٤١.

معذوريّته على صدقه وكذبه[١].

ثمّ العجب من الطبري كيف ترك روايات الواقدي والمدائني والثقفي وغيرهم من أهل النقل الموثوق بهم، واقتصر على روايات السريّ عن شعيب، عن سيف التي كلّها كذب قطعيّ مخالف لجميع السيَر؛ فإذا كان عثمان بتلك الدرجة من العدالة حتّى يعظ أبا ذرّ بأن لا يتعرّب بعد الهجرة، ولا يؤذي الناس بغير حقّ، لِمَ قال الطبري نفسه في عنوان دفن عثمان ـ ودفن كلّ مسلم واجب ـ: نبذ عثمان ثلاثة أيّام لم يدفن، ولم يشهد جنازته إلّا مروان وثلاثة من مواليه، وأخذ الناس الحجارة، وقالوا: نعثل نعثل[٢]؟

ومن الغريب أنّ ياقوتاً قال في عنوان الربذة: كان أبو ذرّ خرج إليها مغاضباً لعثمان، فأقام بها إلى أن مات في سنة (٣٢)[٣].

فالطبري وإن اقتصر في نقل الروايات على رواية السري، إلّا أنّه قال: وأمّا الآخرون، فإنّهم رووا في سبب ذلك أشياء كثيرة، وأُموراً شنيعة، كرهت ذكرها[٤]. فأشار إلى الحقيقة، وأقرّ بأنّه أخذ جانب العصبيّة، لكنّ ياقوتاً أرسل المطلب إرسالاً مسلّماً.

فهل الرجل أنصب من الجاحظ، الذي يصحّ من درجة نصبه أن يعدّ في عداد بني أُميّة؟ فقد عرفت أنّه قال في (سفيانيّته): إنّ عثمان كتب إلى معاوية أن يحمل أبا ذرّ على أغلظ مركب وأوعره، ففعل ما أمره به، حتّى سقط لحم فخذيه في الطريق، ولم يخلّه عثمان يذهب إلى البصرة

(١) تاريخ المدينة المنورة ٤: ١١٥٥، الإمامة والسياسة ١: ٤٠، الجمل للمفيد: ١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤١٢، سنة ٣٥.

(٣) معجم البلدان ٣: ٢٤.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٦، سنة ٣٠.

والكوفة، وسيّره إلى الربذة[١].

وأما قول ابن أبي الحديد: إنّ أخبار خروج أبي ذرّ بنفسه إلى الربذة كانت شواذاً، وأخبار إخراجه إليها مشتهرة، والوجه في الاعتذار عنه أن يقال: إنّه أخرجه لأنّه خاف الفتنة ـ إلى آخر ما مرّ ـ[٢] فيقال له: نعم، إنّه خاف فتنة لبني أُميّة بأن يقطع طمعهم في الخلافة لو عزل عثمان عن الخلافة، فيوم بويع عثمان علم بنو أُميّة أنفسهم ورّاث الخلافة.

قال المسعودي في (مروجه): وقد كان عمّار حين بويع عثمان بلغه قول أبي سفيان في دار عثمان عقيب الوقت الذي بويع فيه ودخل داره مع بني أُميّة: أفيكم أحد من غيركم؟ وقد كان عَمِيَ. قالوا: لا. قال: يا بني أُميّة تَلقّفُوها تلقّفَ الكرة، فوالذي يحلف به أبو سفيان مازلت أرجوها لكم، ولتصيرنّ إلى صبيانكم وراثة[٣].

ورووا أنّ أبا سفيان مرّ في أيّام عثمان بقبر حمزة، فضربه برجله وقال: يا أبا عمارة، إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس [أمسى] في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به![٤]

ورضي عثمان بقتله دون عزله لذلك؛ فإنّه إن كان عزل، لصاروا أذلّ الناس بل كان الناس، يستأصلونهم بجناياتهم في كفرهم وإسلامهم، فرأى عثمان أنّ عمره قد فني حيث كان بلغ ثمانين، وأنّه إن قتل يصير وسيلة لبني أُميّة بأن يقولوا: قتل مظلوماً، وإنّهم يطلبون ثأره حتّى أنّه ـ أي عثمان ـ جعل طلب دمه إلى معاوية، وصار الأمر كما دبّر، وآل إلى ما أمّل لبني أُميّة.

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٨ : ٢٥٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٦١ ـ ٢٦٢.

(٣) مروج الذهب ٢ : ٣٥١ ـ ٣٥٢.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦ : ١٣٦.

ففي (صفين نصر بن مزاحم): قام عمّار بصفّين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون فيما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه؛ وذلك لأنّه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدّت عليهم الجبال. والله ما أظنّهم يطلبون دمه. إنّهم ليعلمون إنّه لظالم، ولكنّ القوم ذاقوا الدّنيا فاستحبّوها واستمروها، وعلموا لو أنّ الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقّون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً...[١].

كما أنّ أعمال أبي ذرّ وعمّار وأمثالهما كانت موجبة ليأس أعداء الله من نيل خلافة الله؛ فمنعهم عثمان بالضرب والكسر والحبس والنفي لاستحكام طمعهم.

وأمّا ما أنشده ابن أبي الحديد لحمل أفعال إمامه على الصحّة، والإغماض عمّا فيها من قول الشاعر[٢]، فلم يقله الشاعر لبناء الدين وتصنّع إمام له، بل في المصاحبات الدّنيوية؛ فلا مناسبة لما أنشده من الشعر، وإنّما المناسب للمقام تلاوة قوله تعالى: ﴿اتّخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون اللهِ...﴾[٣] بالتمثيل.

وقول ابن أبي الحديد نظير قول زيد بن ثابت ـ وكان مع عثمان يوم

---

(١) وقعة صفّين : ٣١٩، شرح ابن أبي الحديد ٥ : ٢٥٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٦٢.

(٣) التوبة : ٣١.

الدار، ولم ينصره من الأنصار غيره ـ للأنصار مرغّباً لهم في نصرة عثمان: يا معشر الأنصار، انصروا والله مرّتين[١].

وجواب ابن أبي الحديد جواب الأنصار لزيد: يا زيد، إنّا نكره أن نلقى الله تعالى، فنقول له كما قال القوم: ﴿ربّنا إنّا أطعنا سادتنا وكُبراءنا فأضلُّونا السّبيلا﴾[٢].

«يا أبا ذرّ، إنّك غضبت لله» بإنكار ما أنكره، ومن لم يغضب له جلّ وعلا فليس منه في شيء؛ وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: بعث الله تعالى ملكين إلى أهل مدينة ليقلباها على أهلها، فلمّا انتهيا إلى المدينة وجدا رجلاً يدعو الله ويتضرّع، فقال أحدهما لصاحبه: أما ترى هذا الداعي؟ فقال: قد رأيته ولكن أمضي لما أمر به ربّي. فقال: ولكنّي لا أُحدث شيئاً حتّى أُراجع ـ إلى أن قال ـ: فقال الله تعالى له: امض لما أمرتك به، فإنّ ذا رجل لم يتمعّر[٣] وجهه غيظاً لي قطّ[٤].

وعن الباقر عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى شعيب: أنّي معذّب من قومك مائة ألف؛ أربعين ألفاً من شرارهم، وستّين ألفاً من خيارهم. فقال: يا ربّ، فما بال الأخيار؟ قال عزّوجلّ: داهنوا أهل المعاصي، ولم يغضبوا لغضبي[٥].

وروي أيضاً: أنّ الله عزّوجلّ أوحى إلى داود عليه السلام: أنّي قد غفرت ذنبك، وجعلت عار ذنبك على بني إسرائيل. فقال: يا ربّ، كيف وأنت لا تظلم؟ قال: إنّهم لم يعاجلوك بالنكرة[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٣٠، سنة ٣٥: كونوا أنصاراً لله... مرّتين.

(٢) أنساب الأشراف للبلاذري ٥ : ٧٨، والآية ٦٧ من سورة الأحزاب.

(٣) تمعّر لونه عند الغضب : تغيّر. (الصحاح ٢ : ٨١٨، مادة: معر).

(٤) الكافي ٥ : ٥٨، فقه الرضا عليه السلام :

(٥) الكافي ٥ : ٥٦، تهذيب الأحكام ٦ : ١٨١.

(٦) الكافي ٥: ٥٨، وقال الفيروز آبادي: النكرة ـ بالتحريك ـ: اسم من الإنكار كالنفقة من الإنفاق. (القاموس المحيط

وعن النّبيّ صلى الله عليه وآله: إنّ الله عزّوجلّ ليبغض المؤمن الضعيف الذي لا دين له. فقيل له: وما المؤمن الذي لا دين له؟ قال: الذي لا ينهى عن المنكر[١].

وعن أمير المؤمنين عليه السلام: أمرنا النّبيّ صلى الله عليه وآله أن نلقي أهل المعاصي بوجوه مكفهرّة[٢].

وروي الثقفي ـ كما في (أمالي المفيد) ـ: أنّ أبا ذرّ لمّا ودّع جمعاً كانوا اتّبعوه في الشام لمّا أُخرج منها، قال لهم: اجمعوا مع صلاتكم وصومكم غضباً لله تعالى إذا عُصي في الأرض، ولا ترضوا أئمّتكم بسخط الله، وإذا أحدثوا ما لا تعرفون فجانبوهم، وأزروا عليهم، وإن عذّبتم وحرمتم وسيّرتم حتّى يرضى الله تعالى، فإنّ الله أعلى وأجلّ ولا ينبغي أن يسخط برضا المخلوقين، غفر الله لي ولكم[٣].

«فارج مَن غضبت له» وهو الله تعالى حتّى يثيبك على عملك؛ قال جلّ وعلا: ﴿...ولينصرنَّ الله مَنْ يَنصرهُ...﴾[٤].

«إنّ القوم خافوك على دنياهم» فعاملوك بما عاملوك، من الإخراج تارةً إلى الشام، وأُخرى إلى الربذة، لئلّا تفسد عليهم دنياهم، فمن حال بين أهل الدنيا وبين دنياهم جهدوا في دفعه بأيّ قيمة كانت؛ فلمّا خرج محمّد بن عبد الله بن الحسن[٥] على المنصور بالمدينة قال المنصور: لو حاول صاحب القبر

---

٢ : ١٤٨، مادة: نكر).

(١) الكافي ٥ : ٥٩.

(٢) الكافي ٥: ٥٩، وقال الجوهري : اكفهرَّ الرجل، إذا عبس؛ ومنه قول ابن مسعود : إذا لقيت الكافر فالقه بوجهٍ مكفهرّ، يقول : لا تلقه بوجه منبسط. (الصحاح ٢ : ٨٠٩، مادة: كفهر).

(٣) أمالي المفيد : ١٦٣.

(٤) الحجّ : ٤٠.

(٥) هو محمّد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام، أبو عبد الله، الملقّب بالنفس الزكيّة، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له : صريح قريش، لأنّ أُمّه وجدّاته لم يكن فيهنّ أُمّ ولد. خرج محمّد بن عبدالله على

ـ يعني قبر النّبيّ صلى الله عليه وآله ـ إزالة سلطاني لم يكن لي بُدٌّ من قتله فكيف هذا الرجل؟.

«وخفتهم على دينك» حيث خالفتهم ليسلم لك.

وفي (الكافي) عن الباقر عليه السلام سئل عن أعمالهم، فقال: لا ولا مدّة قلم[1]؛ إنّ أحدهم لا يصيب من دنياهم شيئاً إلّا أصابوا من دينه مثله[2].

وعن الصادق عليه السلام: ما أُحبّ أنّي عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاء[3]، وإنّ لي ما بين لابيتها لا ولا مدّة بقلم؛ إنّ أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من النار [نار] حتّى يحكم الله تعالى بين العباد[4].

وعنه عليه السلام: من خضع لصاحب سلطان ولمن يخالفه على دينه طلباً لما في يديه من دنياه أخمله[5] الله تعالى، ومقته عليه، ووكله إليه، فإن غلب على شيء من دنياه نزع الله تعالى البركة منه، ولم يأجره على شيء ينفقه منه في حجّ ولا عتق ولا برّ[6].

وفي (العقد): عن مالك بن أنس قال: بعث المنصور إليّ وإلى ابن طاوس؛

المنصور في أيّام خلافته وانتدب المنصور لقتاله وليّ عهده عيسى بن موسى العبّاسي فقتله عيسى في المدينة وبعث برأسه إلى المنصور.

أُنظر: مقاتل الطالبيين: ١٥٧ ـ ١٨٦، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب: ١٠٣ ـ ١٠٥، الأعلام ٦: ٢٢٠، سفينة البحار ١: ٣٢٦.

(١) قال العلّامة المجلسي رحمه الله في مرآة العقول ١٩: ٦٣ مالفظه: أي لا يجوز إعطاؤهم مدّة من السواد ولا يجوز أخذ المدّ منهم، ولا يجوز إعمال مدّة قلم في ديوانهم. وقال الفيروزآبادي: المدّة ـ بالضمّ ـ: اسم ما استمددت به من المداد على القلم.

(٢) الكافي ٥: ١٠٦ ـ ١٠٧، تهذيب الأحكام ٦: ٣٣١.

(٣) الوكاء ـ بالكسر ـ: الذي يشدّ به رأس القِربة. (الصحاح ٦: ٢٥٢٨، مادة: وكى).

(٤) الكافي ٥: ١٠٧، تهذيب الأحكام ٦: ٣٣١.

(٥) خمل ذكره وصوته خُمُولاً: خفي وأخمله الله تعالى، فهو خامل ساقط لا نباهة له. (القاموس المحيط ٣: ٣٧١، مادة: خمل).

(٦) الكافي ٥: ١٠٥ ـ ١٠٦، ثواب الأعمال وعقاب الأعمال: ٢٩٢، أمالي المفيد: ١٠٠، تهذيب الأحكام ٦: ٣٠٣.

فأتيناه فإذا هو جالس على فُرش قد نضّدت، وبين يديه نطاع قد بُسطت، وبين يديه جلاوزة بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأومأ إلينا، فجلسنا. فأطرق عنّا، ثمّ رفع رأسه إلى ابن طاوس فقال: حدّثني عن أبيك. فقال: نعم، حدّثني أبي أنّ النّبيّ ﷺ قال: «أشدّ الناس عذاباً يوم القيامة رجل أشركه الله في حكمه فأدخل عليه الجور في عدله»، فأمسك ساعة، ثمّ ضممت ثيابي من ثياب ابن طاوس مخافة أن يملأني من دمه. ثمّ التفت إليه، فقال له: عظني. قال: نعم، يقول الله تعالى: ﴿ألم ترَ كيف فعل ربُّك بعادٍ * إرَمَ ذات العماد * التي لم يُخلق مثلها في البلاد * وثمودَ الّذين جابوا الصخر بالوادِ... إنّ ربَّك لبِالمرصاد﴾[١]، فأمسك ساعة، ثمّ قال: يا بن طاوس ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه، ثمّ قال: ناولني هذه الدواة. فأمسك عنه، فقال: ما يمنعك أن تناولنيها؟ قال: أخشى أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها. فلمّا سمع ذلك قال: قوما عنّي. فقال ابن طاوس له: ذلك ما كنّا نبغي منذ اليوم.

قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله[٢].

«فاترك في أيديهم ما خافوك عليه» من دنياهم ولا تشاركهم فيها فتكون مثلهم؛ وفي (الكافي) عن الصادق عليه السلام: أنّ قوماً ممّن آمن بموسى قالوا: «لو أتينا عسكر فرعون وكنّا فيه، ونلنا من دنياه فإذا كان الذي نرجو من ظهور موسى عليه السلام صرنا إليه» ففعلوا. فلمّا توجّه موسى عليه السلام ومن معه هاربين من فرعون، ركبوا دوابّهم، وأسرعوا في السير ليلحقوا موسى عليه السلام وعسكره ليكونوا معهم، فبعث الله عزّوجلّ ملكاً، فضرب وجوه دوابّهم فردّهم إلى عسكر فرعون فكانوا في من غرق مع فرعون. وقال لهم: حقّ على الله تعالى أن

---

(١) الفجر: ٦ ـ ١٤.

(٢) العقد الفريد ١: ٥٢ ـ ٥٣، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

تصيروا مع من عشتم معه في دنياه[١].

«واهرب بما» هكذا في (المصرية)[٢] والصواب: «واهرب منهم بما» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣].

«خفتهم عليه» من دينك ليسلم؛ قال الصادق عليه السلام لجهم بن حميد: أما تغشى[٤] سلطان هؤلاء؟ قال: لا. قال: ولِمَ؟ قال: فراراً بديني. قال: وعزمت على ذلك؟ قال: نعم. قال: الآن سلم لك دينك[٥].

وفي (عيون ابن قتيبة): طُلب أبو قِلابة للقضاء فلحق بالشام هرباً، فأقام حيناً ثمّ قدم البصرة؛ فقال له أيّوب: لو أنّك وليت القضاء، وعدلت بين الناس رجوت لك في ذلك أجراً، فقال له: إذا وقع السابح في البحر فكم عسى أن يسبح![٦]

وقال زياد: أي الناس أنعم؟ قالوا: معاوية. قال: فأين ما يلقى من الناس؟ قالوا: فأنت. قال: فأين ما ألقى من الثغور والخراج؟ قالوا: فمن؟ قال: شابّ له سداد من عيش، وامرأة قد رضيها ورضيته، لا يعرفنا ولا نعرفه، فإن عرفنا وعرفناه، أفسدنا عليه دينه ودنياه[٧].

ومرّ طارق صاحب شرطة خالد القسري بابن شبرمة في موكبه، فقال ابن شبرمة:

---

(١) الكافي ٥ : ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة ٢ : ١٨.

(٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ٨ : ٢٥٢ ولكن في شرح ابن ميثم ٣ : ١٤٥ «واهرب بما» أيضاً.

(٤) غشيه يغشاه غِشياناً : إذا جاءه . (لسان العرب ١٠ : ٧٧، مادة: غشي).

(٥) الكافي ٥ : ١٠٨، تهذيب الأحكام ٦ : ٣٣٢.

(٦) عيون الأخبار ٢ : ٣٧٣.

(٧) عيون الأخبار ١ : ٢٦٤، العقد الفريد ١ : ٧٧.

أراهـا وإن كـانت تـحبّ كأنّـها سحابةُ صيف عن قريب تَقشّعُ

اللهمّ لهم دنياهم، ولي ديني[١]. ثمّ استعمل ابن شبرمة بـعد ذلك عـلى القضاء، فقال له ابنه: أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت؟ فقال: يا بُنيّ، إنّهم يجدون مثل أبيك ولا يجد أبوك مثلهم. يا بـنيّ، إنّ أبـاك أكـل مـن حلوائهم، وحطّ في أهوائهم[٢].

وقال أبو العتاهية:

فاستغن بالدين عن دنيا الملوك كما اسـ ـــتغنى المـلوك بـدنياهم عـن الديـن[٣]

«فما أحوجهم إلى ما منعتهم» من الدين؛ وفي الخبر: أخوك دينك فاحتط لدينك[٤].

«وما أغناك» هكذا في (المصرية)[٥] والصواب: «وأغناك» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦] بكونه عطفاً على «أحوجهم».

«عمّا منعوك» من الدّنيا؛ لأنّها فانية تمنع عن الباقية.

ذكر عند أعرابيّ أهل السلطان فقال: أما والله لئن عزّوا في الدّنيا بالجور لقد ذلّوا في الآخرة بالعدل، ولقد رضوا بقليلٍ فانٍ عن كثيرٍ باقٍ.

هذا، وقال العبّاس بن الأحنف في جارية مسمّاة بفوز:

---

(١) في المصدرين: اللهمّ لي ديني، ولهم دنياهم.

(٢) عيون الأخبار ١: ٥٦، العقد الفريد ١: ٧٥.

(٣) عيون الأخبار ٢: ٣٧٣.

(٤) رواه المفيد رحمه الله في الأمالي: ٢٨٣، عن عليّ بن موسى الرضا عليه السلام.

(٥) نهج البلاغة ٢: ١٨.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ٨: ٢٥٢، وشرح ابن ميثم ٣: ١٤٥ «وما أغناك» أيضاً.

يا فوْزُ ما ضَرَّ من يُمسي وأنتِ له ... ألّا يــفوز بـدنيا آل عـبّاس[١]

«وستعلم من الرابح» أنت أو هم.

«غداً» يوم القيامة؛ ففيهم: ﴿...وسيعلم الكفّار لمن عُقبى الدّار﴾[٢]، وفيه: ﴿إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثمّ استقاموا تتنزّل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنّة التي كنتم توعدون * نحنُ أولياؤكم في الحياة الدّنيا وفي الآخرةِ ولكم فيها ما تشتهي أنفُسُكم ولكم فيها ما تدَّعون * نُزُلاً من غفورٍ رحيم﴾[٣].

«والأكثر حسداً» كان الصادق عليه‌السلام يقول لشيعته: ما بين أحدكم وبين أن يغتبط ويرى السرور وقرّة العين إلّا أن تبلغ نفسه هاهنا ـ وأومأ بيده إلى حلقه[٤]

«ولو أنّ السماوات والأرض كانتا على عبد رتقاً، ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً» عن أبي جعفر عليه‌السلام: أوحى الله تعالى إلى داود عليه‌السلام: ما اعتصم بي أحد من عبادي دون أحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته، ثمّ تكيده السماوات والأرض ومن فيهنّ إلّا جعلت له المخرج ممّا [من] بينهنّ. وما اعتصم أحد من عبادي بأحد من خلقي، عرفت ذلك من نيّته إلّا قطعت أسباب السماوات والأرض من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أُبال بأيّ وادٍ هلك[٥].

وورد: أنّ أصحاب الرقيم كانوا ثلاثة رجال، لجؤوا إلى كهف من المطر فخرّت قطعة من الجبل وأطبقت عليهم، ثمّ ذكر كلّ منهم ما فعله لله اتّقاءً منه؛

(١) الأغاني ١٧ : ٧٣.

(٢) الرعد : ٤٢.

(٣) فصّلت : ٣٠ ـ ٣٢.

(٤) الكافي ٣ : ١٣١ ح ٤.

(٥) الكافي ٢ : ٦٣، كنز العمّال ٣ : ١٠١.

من ترك أحدهم امرأة علقها، وأعطاها ما طلبت، وقعد منها مقعد الرجل من امرأته؛ وقيام آخر منهم على أبويه لإطعامهما ـ وكانا غلبهما النّوم ـ وخلّى امرأته وولده جائعين لئلّا يستيقظ أبواه، ويبقيا جائعين، ولم ينبهّما لئلّا يتأذّيا؛ وردّ ثالثهم ما حصل بيده من زرع أرزّ عيّنه لأجيره إليه، ففرّج الله عنهم، وكشف تلك القطعة لتقواهم حتّى نجوا[1].

«لا يؤنسنك إلّا الحقّ، ولا يوحشنك إلّا الباطل» في (تاريخ بغداد): قال المنتصر: والله ما عزّ ذو باطل ولو طلع القمر من جبينه، ولا ذلّ ذو حقّ ولو أطبق العالم عليه[2].

«فلو قبلت دنياهم لأحبّوك» لأنّ محبّ الحبيب محبوب وإن كانت بينهم مخاصمات، ومبغض الحبيب مبغوض وإن لم يكن بينهم مزاحمات. ولذا كانت طوائف قريش على اختلاف مشاربهم لاتّفاقهم على حبّ الدّنيا يتآلفون كمعاوية مع طلحة والزبير وعائشة، مع كونهم من قتلة عثمان؛ ومن أهل البيت عليهم السلام لكونهم ملتزمين بالحقّ متنافرون لعلمهم بأنّهم لو ولّوا لحالوا بينهم وبين دنياهم.

«ولو قرضت منها» أي: قطعت من دنياهم لنفسك قطعة.

«لأمّنوك» في (الكشّي) عن الصادق عليه السلام: أرسل عثمان إلى أبي ذرّ موليين ومعهما مائتا دينار، فقال لهما: انطلقا إلى أبي ذر وقولا له: إنّ عثمان يقرؤك السلام ويقول لك: هذه مائتا دينار فاستعن بهما على ما نابك. فقال أبو ذرّ: هل أُعطي أحد من المسلمين مثل ما أعطاني؟ قالا: لا. قال: فإنّما أنا رجل من المسلمين يسعني ما يسعهم. قالا له: إنّه يقول: هذا من صلب مالي، وبالله

---

(١) الخصال ١ : ١٨٤ ـ ١٨٥، قصص الأنبياء : ٢٦٢ ـ ٢٦٣، بحار الأنوار ١٤ : ٤٢١.

(٢) لم أجد هذا النصّ في تاريخ بغداد بتتبّع فهارسه.

الذي لا إله إلّا هو ما خالطها حرام، ولا بعثت بها إليك إلّا من حلال. فقال: لا حاجة لي فيها، وقد أصبحت يومي هذا وأنا من أغنى الناس. فقالا له: ما نرى في بيتك قليلاً ولا كثيراً. فقال: بلى تحت هذا الإكاف[1] الذي [التي] ترون رغيفا شعير قد أتى عليهما أيّام فما أصنع بهذه الدّنانير، لا والله حتّى يعلم الله أنّي لا أقدر على قليل ولا كثير، وقد أصبحت غنيّاً بولاية عليّ بن أبي طالب وعترته الهادين عليهم السلام الذين يهدون بالحقّ وبه يعدلون.

وكذلك سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: فإنّه لقبيح بالشيخ أن يكذب. فردّاها عليه، وأعلماه أنّه لا حاجة لي فيها ولا فيما عنده، حتّى ألقى الله ربّي فيكون هو الحاكم فيما بيني وبينه[2].

١٢

بسم الله الرّحمن الرحيم. باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين إلى أعدائه وأُمراء بلاده. ويدخل في ذلك ما اختير من عهودهِ إلى عمّاله، ووصاياه لأهله وأصحابه.

الكتاب (١)

من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة :

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِالمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ ٱلكُوفَةِ، جَبْهَةِ ٱلْأَنْصَارِ وَسَنَامِ ٱلْعَرَبِ .

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ .

إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ، فَكُنْتُ رَجُلاً مِنَ المُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ ٱسْتِعْتَابَهُ وَأُقِلُّ

---

(١) الإكاف ـ ككِتاب وغُراب ـ: الحمار. (القاموس المحيط ٣ : ١١٨، مادة: أكف).

(٢) اختيار معرفة الرجال (الكشّي) ١ : ١١٨ ـ ١٢٠.

عِتَابَهُ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهما فِيهِ ٱلْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا ٱلْعَنِيفُ\وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ، فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي ٱلنَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ، وَلَا مُجْبَرِينَ، بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ.

وَٱعْلَمُوا أَنَّ دَارَ ٱلْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا، وَجَاشَتْ جَيْشَ ٱلْمِرْجَلِ\وَقَامَتِ ٱلفِتْنَةُ عَلَى ٱلْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ، وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ، إِنْ شَاءَ ٱللَّهُ.

قول المصنف: «بسم الله الرّحمن الرحيم» ليس في (ابن ميثم)[١].

«باب المختار من كتب مولانا أمير المؤمنين» ليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم) كلمة «مولانا»[٢].

«إلى أعدائه وأُمراء بلاده» وفي (ابن أبي الحديد): «باب المختار من كتب أمير المؤمنين عليّ عليه السلام، ورسائله إلى أعدائه وأولياء بلاده»[٣]، فزاد وبدّل.

«ويدخل في ذلك ما اختير من عهودهِ إلى عمّاله، ووصاياه لأهله وأصحابه».

قال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السلام لشريح القاضي، ولشريح بن هانئ لمّا جعله مقدّمته إلى الشام بباب الخطب أشبه[٤].

قلت: كلامه كما ترى؛ أمّا الأوّل، فصرّح فيه بأنّه كتاب لكنّه كتاب بيع لا كتاب رسالة، والثاني من عهوده عليه السلام إلى عمّاله التي صرّح بدخولها في الكتب إلحاقاً.

---

(١) شرح ابن ميثم ٤ : ٣٣٧.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٥، وشرح ابن ميثم ٤ : ٣٣٧ المطبوعين: «مولانا أمير المؤمنين» أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٥.

(٤) المصدر نفسه.

ولكن لو لم يسقط من عنوان المصنّف بعد «إلى أعدائه» كلمة «وأوليائه» أو «وغيرهم» خرج من هذا الباب كتبه الثلاثة إلى أهل الكوفة الأوّل والثاني والسابع والخمسون، وكتابه إلى أهل الأمصار وهو (٥٨) من الكتب، وكتاباه إلى أهل مصر (٣٨) و(٦٢) منها، وكتابه عليه السلام إلى أخيه عقيل (٣٦) منها، وكتابه عليه السلام إلى سلمان وهو (٦٨) منها لعدم دخولها في كتبه عليه السلام إلى أعدائه، ولا إلى أُمراء بلاده، ولا في عهوده عليه السلام ووصاياه.

أقول: قال ابن أبي الحديد: روى محمّد بن إسحاق عن عمّه عبد الرحمن بن يسار القرشيّ، قال: لمّا نزل عليّ عليه السلام الربذة متوجّهاً إلى البصرة بعث إلى الكوفة محمّد بن جعفر ومحمّد بن أبي بكر، وكتب إليهم هذا الكتاب، وزاد في آخره:

فحسبي بكم إخواناً، وللدين أنصاراً، فـ﴿انفروا خِفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعلمون﴾[1].

قلت: ورواه ابن قتيبة في (خلفائه)[2] إلّا أنّه قال: بعث عليّ عليه السلام أوّلاً محمّد بن أبي بكر وعمّاراً، فمنعهما أبو موسى فانصرفا، فبعث الحسن عليه السلام، وابن عبّاس، وعمّاراً، وقيس بن سعد، وكتب معهم هذا الكتاب، وفيه زيادة هكذا: أمّا بعد؛ فإنّي أُخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سامعه كمن عاينه، إنّ الناس طعنوا على عثمان، فكنت رجلاً من المهاجرين أُقلّ عيبه، وأُكثر استعتابه.

وكان هذان الرجلان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه اللهجة

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٨، والآية ٤١ من سورة التوبة.

(٢) رواه ابن قتيبة في الإمامة والسياسة ١ : ٦٦، والشيخ الطوسي في الأمالي ٢ : ٣٢٩، وابن شهر آشوب في المناقب ٣ : ١٥١.

والوجيف، وكان من عائشة فيه قول على غضب، فانتحى له قوم فقتلوه، وبايعني الناس غير مستكرهين، وهما أوّل من بايعني على ما بويع عليه من كان قبلي، ثمّ استأذنا إلى العمرة، فأذنت لهما، فنقضا العهد، ونصبا الحرب، وأخرجا عائشة من بيتها ليتّخذاها فتنة، وقد سارا إلى البصرة اختياراً لأهلها، ولعمري ما إيّاي تجيبون، ما تجيبون إلّا الله، وقد بعثت ابني الحسن، وابن عمّي عبد الله بن العبّاس، وعمّار بن ياسر، وقيس بن سعد فكونوا عند ظنّنا بكم، والله المستعان[1].

ورواه المفيد في (جمله) مثله إلّا أنّه لم يذكر ابن عبّاس[2].

قول المصنّف: «من كتاب له عليه السلام لأهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة».

أقول: قد عرفت من رواية محمّد بن إسحاق أنّه كتبه من الربذة[3]. ويفهم من (الخلفاء) أنّه كان من قرب الكوفة في مسيره إلى البصرة[4].

قوله عليه السلام: «**من عبد الله عليّ أمير المؤمنين إلى أهل الكوفة جبهة الأنصار**» أي: أنصار الحقّ، وليس المراد أنصار المدينة.

«**وسنام العرب**» أي: أعلاهم، كما أنّ سنام البعير أعلى أعضائه.

قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: كتب عليّ عليه السلام من الربذة إلى أهل الكوفة: أمّا بعد؛ فإنّي اخترتكم وآثرت النزول بين أظهركم، لما أعرف من مودّتكم وحبّكم لله ولرسوله، فمن جاءني ونصرني فقد أجاب

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٦٥ ـ ٦٧، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) الجمل : ٢٤٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٨.

(٤) الإمامة والسياسة ١ : ٦٥.

الحقّ، وقضى الذي عليه[١].

قلت: وروى النعمانيّ عن أبي هارون: أنّه سأل أبا سعيد الخدري عن السمك الذي يزعم أهل الكوفة أنّه حرام، فقال أبو سعيد: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يقول: الكوفة جُمْجُمَة العرب، ورمح الله تعالى[٢]، وكنز الإيمان، فخذ عنهم[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ بعد ذكر بعثه عليه السلام ابنه الحسن عليه السلام وجمع معه وقراءته كتابه عليه السلام عليهم ـ ثمّ قام، فقال: أيُّها الناس، إنّه قد كان في مسير أمير المؤمنين عليه السلام ما قد بلغكم، وقد أتيناكم مستنفرين، لأنكم جبهة الأنصار، ورؤوس العرب، وقد كان من نقض طلحة والزبير بعد بيعتهما وخروجهما بعائشة ما بلغكم، وتعلمون أنّ وهن النساء وضعف رأيهنّ إلى التلاشي، ومن أجل ذلك جعل الله الرجال قوّامين على النساء[٤].

«أمّا بعد: فإنّي أُخبركم عن أمر عثمان حتّى يكون سمعه كعيانه» في (خلفاء ابن قتيبة): لمّا أقرأهم الحسن عليه السلام كتاب أبيه عليه السلام وخطبهم في ذلك، قام شريح بن هانئ فقال: لقد أردنا أن نركب إلى المدينة، حتّى نعلم قتل عثمان، فقد أتانا الله به في بيوتنا، فلا تخالفوا عن دعوته، والله لو لم يستنصر بنا لنصرناه سمعاً وطاعة[٥].

«إنّ الناس طعنوا عليه» في (أغاني أبي الفرج): قال مطر الورّاق: قدم رجل

---

(١) تاريخ الطبري ٤ : ٤٧٧، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ١٦.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٩٩، مادة (جمجم) ما نصّه : في الحديث : «ائت الكوفة فإنّ بها جُمجمة العرب» أي : ساداتها، لأنّ الجمجمة : الرّأس، وهو أشرف الأعضاء. وقيل : جماجم العرب : التي تجمع البطون فيُنسب إليها دونهم.

وقال فيه أيضاً ٢ : ٢٦٢، مادة (رمح) : العرب تجعل الرمح كناية عن الدفع والمنع.

(٣) علل الشرائع ٢ : ٤٦٠ ـ ٤٦١ الباب ٢٢٢ ح١.

(٤) الامامة والسياسة ١ : ٦٧.

(٥) الإمامة والسياسة ١ : ٦٧.

من أهل الكوفة إلى المدينة فقال لعثمان: إنّي صلّيت صلاة الغداة خلف الوليد، فالتفت في الصلاة إلى الناس فقال: أأزيدكم فإنّي أجد اليوم نشاطاً؟ وشممنا منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل. فقال الناس لعثمان: عطّلت الحدود، وضربت الشهود[١].

وفي (الطبري): قال عبد الرحمن بن يسار: لمّا رأى الناس ما صنع عثمان كتب مَن بالمدينة من أصحاب النّبيّ ﷺ إلى مَن بالآفاق منهم وكانوا قد تفرّقوا في الثغور: «إنّكم إنّما خرجتم أن تجاهدوا في سبيل الله، وتطلبون دين محمّد ﷺ، فإنّ دين محمّد ﷺ قد أُفسد من خلفكم وترك، فهلمّوا فأقيموا دين محمّد ﷺ» فأقبلوا من كلّ أُفق حتّى قتلوه[٢].

وفي (الطبري) أيضاً: قال أبو حبيبة: خطب عثمان فقام إليه جَهجاه الغفاري، فصاح: يا عثمان! إنّ هذه شارف[٣] قد جئنا بها، عليها عباءة وهذه جامعة، فانزل فلندرّعك العباءة، ولنطرّحك في الجامعة، ولنحمّلك على الشارف، ثمّ نطرحك في جبل الدخان. ولم يكن ذلك منه إلّا عن ملأ من الناس، وقام إلى عثمان حزبه من بني أُميّة فحملوه فأدخلوه الدار. قال: فكان آخر ما رأيته[٤].

«فكنت رجلاً من المهاجرين» قال ابن أبي الحديد: هو من لطيف الكلام؛ فإنّ فيه من التخلّص والتبرّي ما لا يخفى على المتأمّل، ألا ترى أنّه لم تبق عليه في ذلك حجّة لطاعن، من حيث جعل نفسه كواحد من عُرْض المهاجرين، الذين بنفرٍ يسير منهم انعقدت خلافة أبي بكر، وهم أهل الحلّ والعقد، وإنّما كان

---

(١) الأغاني ١ : ٢٠، ٥ : ١٣١.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤ : ٣٦٧، سنة ٣٥.

(٣) الشارف : المُسِنّة من النوق، والجمع الشُرُف . (الصحاح ٤ : ١٣٨٠، مادة: شرف).

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٣٦٦، سنة ٣٥.

الإجماع حجّة لدخولهم فيه[١].

قلت: نعم كلامه عليه السلام من لطيف الكلام لكن لا لما قال، بل لأنّه دلّ على أنّ الطاعنين على عثمان والمنكرين لعثمان كان فيهم من المهاجرين الحقيقيين الملتزمين بالشريعة عند الكلّ كأبي ذرّ، والمقداد، وعمّار، وحذيفة ونظرائهم، ولم ينحصروا بالعامّة الغوغاء ولا بالمغرضين، كعمرو بن العاص.

فروى الطبري عن الواقدي: انّ عثمان لمّا عزل عمرو بن العاص عن مصر، واستعمل ابن أبي سرح قدم المدينة وجعل يطعن على عثمان؛ فقال له عثمان: يا بن النابغة، ما أسرع ما قمل جُربّان جبتّك ـ إلى أن قال ـ: ولمّا سمع عمرو بن العاص بقتل عثمان قال: إنّي كنت لأحرّض عليه الناس، حتّى إنّي لأحرّض الراعي عليه في رأس الجبل. وفارق عمرو حين عزله عثمان أُخت عثمان لأمّه أمّ كلثوم بنت أبي معيط[٢].

وقول ابن أبي الحديد: «الذين بنفر يسير منهم انعقدت خلافة أبي بكر»[٣] ممّا يضحك الثكلى، فالمهاجرون الذين جعل أمير المؤمنين عليه السلام نفسه أحدهم قلنا: هم أبو ذرّ، وعمّار ونظراؤهما.

وأمّا بيعة أبي بكر فكانت عن توطئة بينه وبين عمر وأبي عبيدة؛ وهم فعلوا أفعال عثمان حيث كانوا السبب لأفعاله لا كانوا من مستعتبيه؛ فكتب عثمان ـ وكان كاتب أبي بكر ـ في غشوة أبي بكر استخلافه لعمر، فكافأه عمر مع علمه بأنّه يفعل ما يفعل بما دبّر في أمر الشورى لصيرورته خليفته.

وأمّا أهل حلّه وعقده فكانوا أُولئك الثلاثة، فكان أبو بكر يقول للناس:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٧.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٣٥٦ ـ ٣٥٧، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٧.

بايعوا أحد هذين: عمر أو أبي عبيدة. وهما كانا يقولان: ما كنّا لنتقدّمك[١].

وروى الثقفي في (تاريخه) عن رجالهم، ورواه أبو نعيم في (حليته): أنّ رجلاً جاء إلى أُبيّ بن كعب فقال: يا أبا المنذر، ألا تخبرني عن عثمان، ما قولك فيه؟ فأمسك عنه، فقال له الرجل: جزاكم الله شرّاً يا أصحاب محمّد! شهدتم الوحي وعاينتموه، ثمّ نسألكم التفقّه في الدين فلا تعلّمونا. فقال أُبيّ عند ذلك: «هلك أصحاب العُقدة وربّ الكعبة![٢] أما والله ما عليهم آسي ولكن آسي على من أهلكوا»[٣] والله لئن أبقاني الله إلى يوم الجمعة لأقومنّ مقاماً أتكلّم فيه بما أعلم، قُتلت أو استُحييت. فمات يوم الخميس[٤].

«أكثر استعتابه» أي: طلب رجوعه عن الباطل.

«وأقلّ عتابه» العتاب: إظهار الموجدة، وقد كان مستحقّاً لكلّ عتاب. ويعبّر عن العتاب في الفارسية بـ(سرزنش).

وأمّا المهاجرون، فكانوا يكثرون من عتابه؛ روى الثقفي في (تاريخه): أنّ أبا ذرّ كان يقول لعثمان: حدّثني النّبيّ صلى الله عليه وآله أنّه يجاء بك وبأصحابك يوم القيامة، فتبطحون على وجوهكم، فتمرّ عليكم البهائم فتطأكم[٥].

وذكر الواقدي في (تاريخه): أنّ أبا ذرّ أظهر عيب عثمان بالشام، فجعل كلّما دخل المسجد أو خرج منه شتم عثمان، وذكر منها خصالاً قبيحة[٦].

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٢١، سنة ١١.

(٢) قال ابن الأثير في النهاية ٣: ٢٧٠: وفي حديث أُبيّ: «هلك أصحاب العُقدة وربّ الكعبة» يريد البيعة المعقودة للوُلاة.

(٣) قول أُبيّ مذكور في حلية الأولياء ١: ٢٥٢.

(٤) رواه عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني، وقريب منه ما في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤.

(٥) رواه عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٣٦، ط الكمباني.

(٦) المصدر نفسه ٨: ٣٣٨.

ونقل ابن أبي الحديد عن كتاب (أبي مخنف) روايته عن عبد الرحمن بن أبي ليلى [عن أبيه]: أنّه سمع عمّاراً لمّا جاء إلى الكوفة لاستنفارهم يقول: ما تركت في نفسي حزّة أهمّ إليّ من أن لا نكون نبشنا عثمان من قبره، ثمّ أحرقناه بالنار(١).

وقد روى الثقفي في (تاريخه): أنّ رجلاً قام إلى أُبيّ بن كعب، فقال له: إنّ عثمان كتب للرجل من آل أبي معيط بخمسين ألف درهم من بيت المال. فقال أُبيّ: لا تزال تأتوني بشيء ما أدري ماهو. فبينما هو كذلك إذ مرّ به الصكّ، فقام فدخل على عثمان فقال: يا بن الهاوية! يا بن النار الحامية! أتكتب لبعض آل أبي معيط إلى بيت مال المسلمين بصكّ بخمسين ألف درهم؟ فغضب عثمان(٢).

وروى هو أيضاً في (تاريخه)، والواقدي في كتاب (داره) عن عبيدة السلمانيّ قال: سمعت ابن مسعود يلعن عثمان، فقلت له في ذلك. فقال: سمعت النّبيّ صلى الله عليه وآله يشهد له بالنار(٣).

وعن خيثمة قال ابن مسعود: بينا نحن في بيت، ونحن اثنا عشر رجلاً نتذاكر أمر الدّجال وفتنته، إذ دخل النّبيّ صلى الله عليه وآله فقال: ما تتذاكرون من أمر الدجّال، والذي نفسي بيده إنّ في البيت لمن هو أشدّ على أُمّتي من الدجّال.

قال ابن مسعود: وقد مضى من كان في البيت غيري وغير عثمان، [ثمّ] قال ابن مسعود: والذي نفسي بيده لوددت أنّي وعثمان برمل عالج(٤) نتحاثى

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ١١.

(٢) نقله عنه العلاّمة المجلسي رحمه الله في البحار ٨ : ٣٣٦، ط الكمباني.

(٣) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨ : ٣٣٦، ط الكمباني.

(٤) قال الطريحيّ : نقل أنّ رمل عالج جبال متواصلة يتّصل أعلاها بالدهناء، والدهناء بقرب يمامة، وأسفلها بنجد. وفي كلام البعض : رمل عالج محيط بأكثر أرض العرب. (مجمع البحرين ٢ : ٣١٨ ـ ٣١٩، مادة: علج).

التراب حتّى يموت الأعجز[١].

وروى الأول عن جمع من أصحاب ابن مسعود، قالوا: قال ابن مسعود: لا يعدل عثمان عند الله تعالى جناح بعوضة[٢].

وروى عن همّام بن الحارث، قال: دخلت مسجد المدينة فإذا الناس مجتمعون على عثمان، وإذا رجل يمدحه، فوثب المقداد وأخذ كفّاً من حصى أو تراب فأخذ يرميه به، فرأيت عثمان يتّقيه بيده[٣].

وروى عن عيسى بن زيد قال: كان عبد الرحمن بن حنبل القرشي ـ وهو من أهل بدر ـ من أشدّ الناس على عثمان، وكان يذكره في الشعر، ويذكر جوره، ويطعن عليه ويبرأ منه، ويصف صنائعه، فلمّا بلغ ذلك عثمان ضربه مائة سوط، وحمله على بعير، وطاف به في المدينة ثمّ حبسه موثقاً في الحديد[٤].

وروى عن قيس بن أبي حازم قال: جاءت بنو عبس إلى حذيفة يستشفعون به إلى عثمان، فقال حذيفة: لقد أتيتموني من عند رجل وددت أنّ كلّ سهم في كنانتي في بطنه[٥].

وأمّا هو عليه السلام فكان أقلّهم عتاباً له، وأكثرهم استعتاباً، رعاية لكرم الأخلاق، وبراءة عن التهم.

روى الواقدي في (شوراه) ـ ونقله ابن أبي الحديد في عنوان «ومن كلام له عليه السلام وقد وقعت بينه وبين عثمان مشاجرة» ـ عن ابن عبّاس قال: شهدت

---

(١) بحار الأنوار ٨ : ٣٣٨، ط الكمباني.

(٢) نقله عن تاريخ الثقفيّ العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨ : ٣٣٨، ط الكمباني.

(٣) المصدر نفسه ٨ : ٣٣٩.

(٤) نقله عن تاريخ الثقفي العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨ : ٣٣٨، ط الكمباني.

(٥) المصدر نفسه.

عتاب عثمان لعليّ عليه السلام يوماً، فقال له في بعض ما قاله: نشدتك الله أن تفتح للفرقة باباً! فلعهدي بك وأنت تطيع عتيقاً وابن الخطّاب ـ إلى أن قال ـ: فإن كنت تزعم أنّ هذا الأمر جعله النّبي صلى الله عليه وآله لك، فقد رأيناك حين تُوفّي النّبيّ صلى الله عليه وآله نازعت ثمّ أقررت، فإن كانا لم يركبا من الأمر جدّاً فكيف أذعنت لهما بالبيعة، وبخعت بالطاعة ـ إلى أن قال ـ: فقال عليّ عليه السلام: أمّا الفرقة، فمعاذ الله أن أفتح لها باباً، أو أُسهّل إليها سبيلاً؛ ولكنّي أنهاك عمّا ينهاك الله ورسوله عنه، وأهديك إلى رشدك؛ وأمّا عتيق وابن الخطاب فإن كانا أخذا ما جعله النّبي صلى الله عليه وآله لي، فأنت أعلم بذلك والمسلمون، ومالي ولهذا الأمر وقد تركته منذ حين ـ إلى أن قال ـ: وأمّا التسوية بينك وبينهما، فلست كأحدهما؛ إنّهما ولّيا هذا الأمر، فظلفا[1] أنفسهما وأهلهما عنه، وعُمت فيه وقومك عوم السابح في اللجة، فارجع إلى الله أبا عمرو، وانظر هل بقي من عمرك إلّا كظمء الحمار[2]. فحتى متى وإلى متى! لا تنهى [ألا تنهى] سفهاء بني أُميّة عن أعراض المسلمين وأبشارهم وأموالهم! والله لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركاً بينه وبينك.

فقال عثمان: لك العتبى، وافعل واعزِلْ [من عمّالي] كلّ من تكرهه ويكرهه المسلمون؛ ثمّ افترقا فصدّه مروان، وقال: يجترئ عليك الناس، فلم يعزل [فلا تعزل] أحداً منهم[3].

«وكان طلحة والزبير أهون سيرهما فيه الوجيف» الوجيف: ضرب من سير الإبل والخيل سريع؛ روى (جمل المفيد) عن كتاب (مقتل عثمان) لأبي حذيفة

---

(١) ظلف نفسه: كفّها عمّا لا يجمل. (أساس البلاغة : ٢٨٩، مادة: ظلف).

(٢) قال ابن الأثير : وفي حديث بعضهم : «حين لم يبق من عمري إلّا ظِمْء حمار» أي : شيء يسير، وإنّما خصّ الحمار لأنّه أقلّ الدواب صبراً عن الماء. (النهاية ٣ : ١٦٢، مادة: ظمأ).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩ : ١٥ ـ ١٦، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

القرشيّ من أهل حديث العامّة: قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: والله كأنّي لأنظر إلى طلحة، وعثمان محصور، وهو على فرس، وبيده رمح يجول حول دار عثمان[١].

وروى أيضاً أنّه لمّا اشتدّ الحصار بعثمان عمد بنو أُميّة على إخراجه ليلاً إلى مكّة، وعرف الناس ذلك وجعلوا عليه حرساً، وكان على الحرس طلحة وهو أوّل من رمى بسهم في دار عثمان[٢].

وفي (صفّين نصر بن مزاحم): قدم خُفاف الطائي الشام، فقال له معاوية: هات يا أخا طي! حدّثنا عن عثمان. قال: حصره المكشوح، وحكم فيه حُكيم، وولي في أمره محمّد وعمّار، وتجرّد في أمره ثلاثة نفر: عديّ بن حاتم، والأشتر، وعمرو بن الحمق، وجدّ في أمره طلحة والزبير[٣].

وقال عبيد الله بن عمر:

وقد كان فيها للزبير عَجاجَةٌ وطلحةُ فيها جاهدٌ غيرُ لاعبِ[٤]

وفي (أنساب البلاذري): ذكروا أنّ عثمان نازع الزبير، فقال الزبير: إن شئت تقاذفنا. فقال: بماذا أبالبعر؟ قال: لا والله ولكن بطبع خباب وريش المقعد -وكان خباب يطبع السيوف، وكان المقعد يريش النبل[٥].

«وأرفق حدائهما» قال الجوهري: الحدو: سوق الإبل، والغناء لها[٦].

«العنيف» أي: الشديد؛ في (الطبري): قال عبد الرحمن بن الأسود: لم أزل

---

(١) الجمل : ١٤٦.

(٢) المصدر نفسه، والرواية عن أبي إسحاق.

(٣) وقعة صفّين : ٦٥، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١١١.

(٤) وقعة صفّين : ٨٤، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١٠٢.

(٥) أنساب الأشراف للبلاذري ٥ : ١٤، مكتبة المثنى، بغداد.

(٦) الصحاح ٦ : ٢٣٠٩، مادة (حدا).

أرى علياً عليه السلام مُنكّباً عن عثمان لمّا أعطى الناس عهداً على المنبر، ودخل بيته فخرج مروان وشتمهم، وفرّقهم عن الباب؛ إلّا أنّي أعلم أنّه قد كلّم طلحة حين حصر عثمان في أن يدخل عليه الروايا، وغضب في ذلك غضباً شديداً حتّى دخلت الروايا على عثمان[١].

وفيه: قال عبد الله بن عيّاش بن أبي ربيعة: دخلت على عثمان، فتحدّثت عنده ساعة، فقال: تعال. فأخذ بيدي فأسمعني كلام من على الباب، فسمعنا منهم من يقول: ما تنتظرون به؟ ومنهم من يقول: انظروا عسى أن يراجع. فبينا أنا وهو واقف إذ مرّ طلحة، فقال: أين ابن عُديس؟ فقيل: ها هو ذا. فجاءه ابن عُديس، فناجاه طلحة بشيء، ثمّ رجع ابن عديس؟ فقال لأصحابه: لا تتركوا أحداً أن يدخل على هذا الرجل، ولا يخرج من عنده[٢].

وفي (مقتل أبي حذيفة): اطلع عثمان وقد اشتد به الحصار وظمئ من العطش، فنادى أيها الناس اسقونا شربة من الماء وأطعمونا ممّا رزقكم الله. فناداه الزبير يا نعثل والله لا تذوقه.

وفيه أيضاً: قال ثعلبة الحماني: أتيت الزبير وهو عند أحجار الزيت فقلت له: قد حيل بين أهل الدار وبين الماء. فنظر نحوهم وقال: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون كما فعل بأشياعهم من قبل إنّهم كانوا في شكٍّ مريب﴾[٣].

وفيه أيضاً: أنفذ عثمان إلى علي عليه السلام إنّ طلحة والزبير قد قتلاني من العطش وإنّ الموت بالسلاح أحسن، فخرج معتمداً على يد مسور بن مخرمة الزهري حتّى دخل على طلحة وهو جالس في داره يسوي نبلاً وعليه قميص

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٤، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٨ ـ ٣٧٩، سنة ٣٥.

(٣) سبأ: ٥٤.

هندي، فلما رآه طلحة رحّب به ووسّع له على الوسادة، فقال له عليّ عليه السلام: إنّ عثمان قد أرسل إليّ أنكم أهلكتموه عطشاً، وأنّ ذلك ليس بحسن، والقتل بالسلاح أحسن، وكنت آليت على نفسي أن لا أردّ عنه أحداً بعد أهل مصر، وأنا أحبّ أن تدخلوا عليه الماء حتى تروا رأيكم فيه. فقال طلحة: والله لا ننعمه عيناً ولا نتركه يأكل ويشرب. فقال عليّ عليه السلام: ما كنت أظنّ أن أُكلّم أحداً من قريش فيردني، دع ما كنت فيه يا طلحة. فقال طلحة: ما كنت أنت ياعلي في ذلك من شيء. فقام عليّ عليه السلام مغضباً وقال: ستعلم يا بن الحضرمية أكون في ذلك من شيء أم لا؟ ثم انصرف[١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ طلحة والزبير أتيا علياً عليه السلام بعد خلافته، فقالا له: هل تدري على ما بايعناك؟ ـ وكان الزبير لا يشكّ في ولاية العراق، وطلحة في اليمن ـ إلى أن قال ـ: فلمّا استبان لهما أنّ علياً عليه السلام غير موليهما شيئاً، أظهرا الشكاية [الشكاة]، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش، فقال: هذا جزاؤنا من عليّ؛ قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب، وسبّبنا له القتل وهو جالس في بيته وكفي الأمر. فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا. فقال طلحة: ما اللوم إلّا لنا، كنّا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا[٢].

قلت: ومراد طلحة بكونهم ثلاثة من أهل الشورى: هما مع سعد بن أبي وقّاص؛ فهما بايعاه عليه السلام طمعاً، واعتزله سعد يأساً.

وفيه أيضاً: ولمّا نزل طلحة والزبير وعائشة بأوطاس[٣]، من أرض

---

(١) الجمل للمفيد: ٧٤.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٥١.

(٣) قال ياقوت : أوطاس : واد في ديار هوازن. فيه كانت وقعة حُنين للنبيّ صلى الله عليه وآله ببني هوازن. (معجم البلدان ١ : ٢٨١).

خيبر، أقبل عليهم سعيد بن العاص على نجيب له، فأقبل على مروان ـ وكان مع طلحة والزبير ـ فقال له: وأين تريد؟ قال: البصرة. قال: وما تصنع بها؟ قال: أطلب قتلة عثمان. قال: فهؤلاء قتلة عثمان معك؛ إنّ هذين الرجلين ـ يعني طلحة والزبير ـ قتلا عثمان وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم، والحوبة[١] بالتوبة[٢].

وفيه أيضاً ـ بعد ذكر دخول طلحة والزبير البصرة ـ: فبينا هم كذلك أتاهم رجل من أشراف البصرة بكتاب كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان، فقال لطلحة: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردّك على ما كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه[٣].

وعن (تاريخ الواقدي): ما كان أحد من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله أشدّ على عثمان من عبد الرحمن بن عوف حتّى مات عبد الرحمن، ومن سعد بن أبي وقّاص حتّى مات عثمان، ومن طلحة ـ وكان أشدّهم ـ فإنّه لم يزل كهف المصريّين وغيرهم؛ يأتونه بالليل يتحدّثون عنده إلى أن حاربوه [جاهدوا]، فكان وليّ الحرب والقتال، وعمل المفاتيح على بيت المال، وتولّى الصلاة بالناس، ومنع عثمان ومن معه من الماء، وردّ شفاعة عليّ عليه السلام في حمل الماء إليه، وقال: لا والله...[٤].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أقبل الأشتر من الكوفة في ألف رجل، وأقبل محمّد بن أبي حذيفة من مصر في أربعمائة رجل، فأقام أهل الكوفة وأهل

---

(١) الحوبة ـ بالفتح ـ: الخطيئة. (المصباح المنير ١ : ١٩٠، مادة: حوب).

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٦٣.

(٣) الإمامة والسياسة ١ : ٦٨.

(٤) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨ : ٣٣٩، ط الكمباني.

مصر بباب عثمان ليلاً ونهاراً، وطلحة يحرّض الفريقين جميعاً على عثمان، ثمّ إنّ طلحة قال لهم: إنّ عثمان لا يبالي ما حصرتموه، وهو يدخل إليه الطعام والشراب فامنعوه الماء أن يدخل عليه[١].

وممّن هيّج على عثمان غير طلحة والزبير، وسار فيه الوجيف وحدا فيه العنيف عبد الرحمن بن عوف، وهو الذي عيّن عثمان إماماً، ولم يذكره عليه السلام؛ لأنّ كلامه عليه السلام في أصحاب الجمل الذين قاتلوا عثمان حتّى قتلوه، ثمّ حاربوه عليه السلام باسم ثأره. فقد عرفت كون عبد الرحمن أيضاً ممّن كانوا أشدّاء عليه إلّا أنّه مات قبل عثمان.

وعن (تاريخ الثقفي): قال طارق بن شهاب: رأيت عبد الرحمن وهو يقول: إنّ عثمان أبى أن يقيم فيكم كتاب الله. فقيل له: فأنت أوّل من بايعه، وأوّل من عقد له. قال: إنّه نقض، وليس لناقضٍ عهد[٢].

وعن (تاريخ الواقدي): قال عثمان بن شريد: دخلت على عبد الرحمن بن عوف في شكواه الذي مات فيه أعوده، فذكر عنده عثمان، فقال: عاجلوا طاغيتكم هذه قبل أن يتمادى في ملكه. قالوا: فأنت ولّيته. قال: لا عهد لناقض[٣].

وعن (تاريخ الثقفي): قال أبو إسحاق: أصبح الناس يوماً حين صلّوا الفجر في خلافة عثمان، فنادوا بعبد الرحمن، فحوّل وجهه إليهم، واستدبر القبلة، ثمّ خلع قميصه عن جيبه فقال: يا معشر أصحاب محمّد، يا معشر المسلمين، أشهد الله وأُشهدكم أنّي قد خلعت عثمان من الخلافة كما خلعت سربالي هذا. فأجابه مجيب من الصفّ الأوّل: ﴿الآن وقد عصيت من قبل،

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٣٨.

(٢) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، ط الكمباني.

(٣) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤٠، ط الكمباني.

وكنت من المفسدين﴾[١]. فنظروا من الرجل فإذا هو عليّ بن أبي طالب عليه السلام[٢].

«وكان من عائشة فيه فلتة غضب» روى الجوهري في (سقيفته)[٣]، ونقله ابن أبي الحديد في موضع آخر مسنداً عن أُبي بن كعب الحارثي في خبر طويل، قال: تبعت عثمان حتّى دخل المسجد، فإذا عمّار جالس إلى سارية، وحوله نفر من أصحاب النّبي صلى الله عليه وآله يبكون، فقال عثمان: يا وثّاب عليّ بالشرط، فجاؤوا، فقال: فرّقوا هؤلاء. ففرّقوا بينهم.

ثم أُقيمت الصلاة، فتقدّم عثمان فصلّى بهم، فلمّا كبّر قالت امرأة من حجرتها: أيّها الناس، وتكلّمت، ثمّ ذكرت النّبيّ صلى الله عليه وآله وما بعثه الله به، ثمّ قالت: تركتم أمر الله وعهده، ونحو هذا، ثم صمتتْ وتكلّمت أُخرى بمثل ذلك، فإذا هما عائشة وحفصة.

فسلّم عثمان ثمّ أقبل على الناس، وقال: إنّ هاتين لفتّانتان، يحلّ لي سبّهما، وأنا بأصلها عالم...[٤].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عائشة لمّا أتاها أنّه بويع عليّ عليه السلام ـ وكانت خارجة عن المدينة ـ قالت: ما كنت أُبالي أن تقع السماء على الأُرض، قتل عثمان والله مظلوماً، وأنا طالبة بدمه. فقال عبيد: إنّ أوّل من طعن فيه وأطمع الناس فيه لأنت، ولقد قلت: اقتلوا نعثلاً فقد كفر [فجر]. فقالت: قلت وقال الناس، وآخر قولي خير من أوّله. فقال عبيد: عذر ضعيف والله. ثمّ قال:

فمنك البداء ومنك الغير ... ومنك الرياح ومنك المطر
وأنت أمرت بقتل الإمام ... وقلت لنا إنّه قد فجر

---

(١) يونس: ٩١.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) السقيفة وفدك: ٨٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥.

فـهبنا أطـعناك فـي قـتله وقـاتله عـندنا مـن أمـر[1]

وفي (الطبري): عن ابن عباس، قال: قال لي عثمان، إنّي قد استعملت خالد بن العاص على مكّة، وقد بلغ أهل مكّة ما صنع الناس، فأنا خائف أن يمنعوه الموقف [فيأبى]، فيقاتلهم، فرأيت أن أُولّيك أمر الموسم. وكتب معه إلى أهل الموسم بكتاب يسألهم أن يأخذوا له بالحقّ ممّن حصره. فخرج ابن عبّاس، فمرّ بعائشة في الصُّلصل[2]، فقالت: يا بن عبّاس، أُنشدك الله ـ فإنّك قد أعطيت لِساناً ذلقاً [إزعيلا] ـ أن تجادل [تخذل] عن هذا الرجل، وأن تشكّك فيه الناس، فقد بانت لهم بصائرهم وأنهجت، ورفعت لهم المنار، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حمّ، وقد رأيت طلحة قد اتّخذ على بيوت الأموال والخزائن مفاتيح، فإن يَلِ يسرْ بسيرة ابن عمّه أبي بكر[3]

وفيه: أقبل غلام من جُهينة على محمّد بن طلحة ـ وكان عابداً ـ يوم الجمل، فقال له: أخبرني عن قتلة عثمان. فقال: نعم، دم عثمان على ثلاثة أثلاث، ثلث على صاحبة الهودج ـ يعني عائشة ـ وثلث على صاحب الجمل الأحمر ـ يعني أباه طلحة ـ وثلث على عليّ. فضحك الغلام، وقال: أراني على ضلال! ولحق بعليّ عليه السلام، وقال:

سألتُ ابن طلحة عن هالكٍ بجوف المدينة لم يُقبرِ
فقال ثلاثة رهطٍ هُمُ أماتوا ابن عفّان واستعبرِ
فثلثٌ على تلك في خِدرها وثلثٌ على راكب الأحمرِ
وثلثٌ على ابن أبي طالبٍ ونحن بدوِّيَّةٍ قَرْقَرِ

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٥٤، تاريخ الطبري ٤ : ٤٥٨ ـ ٤٥٩، سنة ٣٦.

(٢) قال ياقوت : صُلصل : بنواحي المدينة على سبعة أميال، منها نزل بها رسول الله صلى الله عليه وآله يوم خرج من المدينة إلى مكّة عام الفتح. (معجم البلدان ٣ : ٤٢١).

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٤٠٧، سنة ٣٥، ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه على نهج البلاغة ١٠ : ٦.

فـقلتُ صـدقت عـلى الأوّليـن   وأخطأت في الثالث الأزهـرِ[١]

ورواه (خلفاء ابن قتيبة)، وزاد: وبلغ طلحة قول ابنه محمّد، وكان من عباد الناس، فقال له: أتزعم أنّي قاتل عثمان، كذلك تشهد على أبيك؟ كن كعبد الله بن الزبير، فوالله ما أنت بخير منه، ولا أبوك بدون أبيه، كفّ عن قولك، وإلّا فارجع فإنّ نصرتك نصرة واحد، وفسادك فساد عامّة. فقال: ما قلت إلّا حقّاً ولا [لن] أعود[٢].

وعن (تاريخ الثقفي): جاءت عائشة إلى عثمان فقالت: أعطني ما كان يعطيني أبي وعمر. قال: لا أجد له موضعاً في الكتاب، ولا في السنّة، ولكن كان أبوك وعمر يعطيانك عن طيبة أنفسهما وأنا لا أفعل.

قالت: فأعطني ميراثي من النّبي. قال: أولم تجئ فاطمة تطلب ميراثها منه، فشهدتِ أنت، ومالك بن أوس البصري أنّ النبيّ لا يورّث، وأبطلتِ حقّ فاطمة وجئت تطلبين الميراث؟ لا أفعل. فكان عثمان إذا خرج إلى الصلاة أخرجت عائشة قميص النّبي صلى الله عليه وآله، وتنادي: أنّ عثمان خالف صاحب هذا القميص[٣].

وعنه: انّ عثمان صعد المنبر، فنادته عائشة، ورفعت قميص النّبيّ صلى الله عليه وآله: لقد خالفت صاحب هذا. فقال عثمان: إنّ هذه الزعراء[٤] عدوّة الله، ضرب الله مثلها ومثل صاحبتها حفصة في الكتاب[٥] بامرأة

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٥ ـ ٤٦٦، سنة ٣٦، الإمامة والسياسة ١: ٦٥.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٥.

(٣) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

(٤) زعر الرجل إذا ساء خلقه وقلّ خيره: وهو أزعر وهي زعراء. (أساس الاقتباس ١٩١، مادة: زعر).

(٥) التحريم: ١٠.

نوح وامرأة لوط[١].

وعنه: عن موسى التغلبي عن عمّه قال: دخلت المسجد فإذا الناس مجتمعون، وإذا كفّ مرتفعة وصاحب الكفّ يقول: «إنّ فيكم فرعون أو مثله» فإذا هي عائشة تعني عثمان[٢].

وعن الحسن بن سعيد قال: رفعت عائشة ورقات من ورق المصحف، وعثمان على المنبر، فقالت: يا عثمان، أقم ما في كتاب الله؛ إن تصاحب تصاحب غادراً وإن تفارق تفارق عن قِليً. فقال عثمان: أما والله لتنتهينّ أو لأدخلنّ عليك حمران الرجال وسودها. قالت: أما إن فعلت لقد لعنك النّبيّ صلى الله عليه وآله ثمّ ما استغفر لك[٣].

وروي عن عدّة طرق: أنّه لمّا اشتدّ الحصار على عثمان تجهّزت عائشة للحجّ، فجاءها مروان، وعبد الرحمن بن عتاب فسألاها الإقامة والدفع عنه، فقالت: قد غريت غرائري، وأدنيت ركابي، وفرضت على نفسي الحجّ؛ فلست بالتي أُقيم -إلى أن قال-: فقالت لمروان: لعلّك ترى أنّي إنّما قلت هذا الذي قلته شكّاً في صاحبك! فوالله لوددت أنّ عثمان مخيط عليه في بعض غرائري حتّى أكون أقذفه في اليم. ثمّ ارتحلت حتّى نزلت بعض الطريق، فلحقها ابن عبّاس أميراً على الحجّ، فقالت له: إنّ الله قد أعطاك لساناً وعلماً، فأُنشدك الله أن تخذل عن قتل هذا الطاغية غداً -إلى أن قال-: قال ابن عبّاس: دخلت عليها بالبصرة، فذكرتها هذا الحديث، فقالت: ذاك المنطق أخرجني، لم أر لي توبة إلّا الطلب بدم عثمان. فقلت لها: فأنتِ قتلته بلسانك فأين تخرجين؟ توبي وأنت في بيتك، أو

---

(١) نقله عنه العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه.

ارضي ولاة دم عثمان ولده. قالت: دعنا[١].

وفي (الأغاني) قال الزهري: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد بن عقبة، وشربه الخمر، وصلاته الصبح أربعاً سكران، وتغنّيه في الصلاة، فقال عثمان: أكلّما غضب رجل منكم على أميره رماه بالباطل! لئن أصبحت لكم لأنكّلنّ بكم. فاستجاروا بعائشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد مُرّاق أهل العراق ملجأ إلّا بيت عائشة! فسمعت فرفعت نعل النبيّ ﷺ وقالت: تركت سنّة صاحب هذا النعل. فتسامع الناس فجاؤوا فملأوا المسجد، فمن قائل: أحسنت، ومن قائل: ما للنساء ولهذا! حتّى تحاصبوا وتضاربوا بالنعال؛ ودخل رهط من الصحابة على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا تعطّل الحدّ، واعزل أخاك عنهم[٢].

وفي (أنساب البلاذري): يقال: إنّ عايشة أغلظت لعثمان وأغلظ لها وقال: وما أنت وهذا؟ إنّما أُمرتِ أن تقرّي في بيتك. فقال قوم مثل قوله، وقال آخرون: ومن أولى بذلك منها. فاضطربوا بالنعال وكان ذلك أوّل قتال بين المسلمين بعد النّبيّ ﷺ[٣].

وبالجملة: إنّ عثمان كان يطعن فيه لأعماله وعمّاله البرّ والفاجر، إلّا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته من أبي ذرّ، والمقداد، وعمّار، وحذيفة، وعمرو بن الحمق، ومالك الأشتر ونظرائهم كانوا يطعنون فيه لله تعالى؛ فإنّه عزّوجلّ «أخذ على العلماء ألّا يقارّوا على كظّة ظالم، ولا سغب مظلوم»[٤].

وأمّا عمرو بن العاص، فإنّه كان يطعن فيه لأنّه عزله عن مصر، كما أنّ

---

(١) نقله عنه العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٣٤١، ط الكمباني.

(٢) الأغاني ٥: ١٣٠ ـ ١٣١.

(٣) أنساب الأشراف للبلاذري ٥: ٣٤، مكتبة المثنى، بغداد.

(٤) نهج البلاغة ١: ٣٢.

عبد الرحمن بن عوف كان يطعن فيه لأنّه أعطاه الخلافة ليردّها إليه، ويكون شريكه فيها كما أعطى عمر أبا بكر الخلافة، فردّها إليه بعده، وكان شريكه فيها في وقته. وعثمان لم يرد تولية غير بني أُمية ـ بني أبيه ـ في حياته وبعد وفاته.

وكذلك سعد بن أبي وقّاص يطعن فيه لأنّه تجافى عن سهمه في الشورى ليولّيه. وكذلك طلحة والزبير كانا بايعا عثمان طمعاً أن يكونا شريكيه في حكومته، وكيف لا وطمعا ذلك من أمير المؤمنين عليه السلام الذي كانا هما وغيرهما يعلمون أنّه لا يراقب أحداً غير الله تعالى، وكانا يريان أنفسهما فوق عثمان ـ وكانا فوقه ـ فلمّا رأيا أنّه لا ينظر غير بني أُميّة سعيا في قتله ليَلِيا الأمر كما عرفت اعترافهما بذلك.

وكذلك عائشة كانت تطمع أن يعطيها عثمان ما كان أبوها وصاحبه يعطيانها زائداً على حقّها في قِبال فعّاليّتها لخلافتهما، فلمّا خابت منه طعنت فيه وفطن معاوية بذلك، فكان يعطيها سياسة مثل ما يعطيها أبوها وصاحبه، فلمّا أرادت الطعن فيه بقتل حُجر بن عديّ العابد المجاهد قال لها: هل عطاؤك حسن؟ قالت: نعم. قال لها: فخلّيني وحجراً إلى المعاد. فسكتت[1].

وأمّا عثمان، فلمّا جبهها بأنّك تدّعين ما ليس لك، حرّضت على قتله طمعاً أن يصير الأمر إلى ابن عمّها ـ طلحة ـ فإذا كان صار إليه، كان كأنّه صار إليها كما في أيّام أبيها وأيّام صاحبه، فلمّا سمعت بقتل عثمان وظنّت صيرورة الأمر إلى طلحة قالت: «أبعد الله عثمان بما قدّمت يداه، الحمد لله الذي قتله»[2]، وقالت مشيرة إلى طلحة: «إيهاً

---

(١) ذُكر بأعلام الورى بشكل آخر: ٤٤، ونقله المجلسي في بحار الأنوار ١٨: ١٢٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢١٦.

ذا الإصبع»[١] فلما بلغها بيعة الناس لأمير المؤمنين عليه السلام قالت: «وددت أنّ هذه ـ تعني السماء ـ وقعت على هذه ـ تعني الأرض»[٢].

كما أنّ طلحة والزبير لمّا أيسا من وصول الأمر إليهما ندما، فاتّفقت عائشة معهما ـ وكان طلحة ابن عمّها، والزبير زوج أُختها أسماء ـ على أن يقولوا: «قتل عثمان مظلوماً، وإنّ قاتله عليّ» لعلّ الأمر يرجع إليهم[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): بعث عثمان بن حنيف عامل علي عليه السلام على البصرة بعمران بن الحصين، وأبي الأسود الدؤلي إلى طلحة والزبير وعائشة لإتمام الحجّة عليهما؛ فبدئا بطلحة، فقال له أبو الأسود: إنّكم قتلتم عثمان غير مؤامرين لنا في قتله، وبايعتم عليّاً غير مؤامرين لنا في بيعته، فلم نغضب لعثمان إذ قتل، ولم نغضب لعليّ إذ بويع، ثمّ بدا لكم.

وقال له عمران: إنّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليّاً وبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا؟ وإن كان خطأً فحظّكم منه الأوفر، ونصيبكم منه الأوفى.

فقال لهما طلحة: إنّ صاحبكما لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، وليس على هذا بايعناه.

فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك[٤].

وفيه: قال عمّار لأهل الكوفة: إنّ طلحة والزبير كانا أوّل من طعن [في عثمان]، وآخر من أمر [بقتله]، وكانا أوّل من بايع عليّاً عليه السلام، فلمّا أخطأهما ما

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠، شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ٥٢، تاريخ اليعقوبي ٢ : ١٨٠، شرح ابن أبي الحديد ٦ : ٢١٥.

(٣) الإمامة والسياسة ١ : ٥١ ـ ٥٢.

(٤) الإمامة والسياسة ١ : ٦٤ ـ ٦٥.

أملاه نكثا بيعتهما من غير حدث[١].

هذا، وما قالته عائشة لعثمان: إنّ النبيّ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لعنه، وشبّهه بنعثل اليهودي[٢]، وغير ذلك؛ وما قاله عثمان لعائشة[٣] من أنّ الله تعالى ضرب لها ولحفصة المثل المذكور في قوله جلّ وعلا: ﴿ضرب الله مثلاً للّذين كفروا امرأة نوحٍ وامرأة لوط...﴾[٤] صحيحان، حيث إنّ عند إخواننا: عثمان إمام، وعائشة صدّيقة، فلابدّ من صحّة قولهما.

وأيضاً: انّهما مع شدّة عداوة كلّ منهما للآخر أقرّ بما نسبه إليه، لكن قابله بكون طرفه مثله معيوباً ﴿وقالت اليهود ليست النّصارى على شيء وقالت النّصارى ليست اليهود على شيء...﴾[٥] وكلٌّ منهما صدق.

«فأُتيح» أي: قدر.

«له قوم فقتلوه» وفي (ابن أبي الحديد والخطية): «قتلوه»[٦].

في (العقد الفريد): إنّ نائلة بنت الفرافصة امرأة عثمان كتبت إلى معاوية كتاباً مع النعمان بن بشير، وبعثت إليه بقميص عثمان مخضوباً بالدماء، وكان في كتابها: أنّي أقصّ عليكم خبره، أنّي شاهدة أمره كلّه.

إنّ أهل المدينة حصروه في داره، وحرسوه ليلهم ونهارهم قياماً على أبوابه بالسلاح، يمنعونه من كلّ شيء قدروا عليه، حتّى منعوه الماء، فمكث هو ومن معه خمسين ليلة، وأهل المصر قد أسندوا أمرهم إلى عليّ عَلَيْهِ السَّلَامُ،

---

(١) المصدر نفسه ١ : ٦٧.

(٢) أورده العلّامة المجلسي رَحِمَهُ اللهُ في بحار الأنوار، ط الكمباني ٨ : ٣٤١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) التحريم : ١٠.

(٥) البقرة : ١١٣.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ٦.

ومحمّد بن أبي بكر، وعمّار، وطلحة، والزبير، فأمروهم بقتله، وكان معهم من القبائل: خزاعة، وسعد بن بكر، وهذيل، وطوائف من جهينة، ومزينة، وأنباط يثرب ـ إلى أن قالت ـ: ودخل عليه القوم يقدمهم محمّد بن أبي بكر، فأخذ بلحيته ودعوه باللقب، فضربوه على رأسه ثلاث ضربات، وطعنوه في صدره ثلاث طعنات، وضربوه على مقدم العين [الجبين] فوق الأنف ضربة أسرعت في العظم، فسقطت عليه وقد أثخنوه وبه حياة، يريدون أن يقطعوا رأسه فيذهبوا به، فأتتني ابنة شيبة فألقت بنفسها عليه معي، فوطئنا وطئاً شديداً...[١].

«وبايعني الناس غير مستكرهين ولا مجبرين» الاستكراه: عدم الرغبة، والإجبار: القهر.

«بل طائعين مخيّرين» بل ألجأوه عليه السلام إلى البيعة معه، وكانت رغبتهم في بيعته كما وصفها خُفاف الطائي لمعاوية؛ قال: تهافت الناس على عليّ عليه السلام بالبيعة تهافت الفراش حتّى ضلّت النعل، وسقط الرداء، ووُطِئَ الشيخ[٢].

وقال الحسن عليه السلام: «والله ما دعا إلى نفسه ولقد تداكّ الناس عليه تداكّ الإبل الهيم[٣] [عند] ورودها»[٤].

«واعلموا أنّ دار الهجرة قد قلعت بأهلها وقلعوا بها وجاشت» من «جاشت القدر» أي: غلت.

«جيش المرجل» في (الصحاح) في «رجل»: المرجل قِدر من نُحاس[٥].

---

(١) العقد الفريد ٥ : ٥٠ ـ ٥١، ونقله الشارح بتصرف.

(٢) وقعة صفّين : ٦٥، شرح ابن أبي الحديد ٣ : ١١١.

(٣) الهيم : العطاش. (الصحاح ٥ : ٢٠٦٣، مادة: هيم).

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ١٢.

(٥) الصحاح ٤ : ١٧٠٥، مادة (رجل).

في (جمل المفيد): روى الواقدي عن عبيد [عبد] الله بن الحارث بن الفضل [الفضيل]، عن أبيه قال: لمّا عزم عليّ عليه السلام على المسير من المدينة بعث محمّد بن جعفر [الحنفيّة] ومحمّد بن أبي بكر إلى الكوفة -إلى أن قال بعد ذكر رجوعهما، وقولهما: إنّ أبا موسى يمنع الناس عنّا-: فبعث عمّاراً والحسن عليه السلام وكتب معهما كتاباً: أمّا بعد، فإنّ دار الهجرة تقلّعت بأهلها فانقلعوا عنها، وجاشت جيش المرجل، وكانت فاعلة يوماً ما فعلت، وقد ركبت المرأة الجمل، ونبحتها كلاب الحوأب، وقامت الفئة [الفتنة] الباغية يقودها [رجال] يطلبون بدم هم سفكوه، وعرض هم شتموه، وحرمة انتهكوها، وأباحوا ما أباحوا، يعتذرون إلى الناس دون الله ﴿يحلفون لكم لترضوا عنهم فإن ترضوا عنهم فإنّ الله لا يرضى عن القوم الفاسقين﴾[1]، اعلموا -رحمكم الله- أنّ الجهاد مفترض على العباد، فقد جاءكم في داركم من يحثّكم عليه، ويعرض عليكم رشدكم، والله يعلم أنّي لم أجد بُدّاً من الدخول في هذا الأمر، ولو علمت أنّ أحداً أولى به منّي لما تقدّمت [قدمت] إليه، وقد بايعني طلحة والزبير طائعين غير مكرهين، ثمّ خرجا يطلبان بدم عثمان، وهما اللذان فعلا بعثمان ما فعلا، وعجبت لهما كيف أطاعا أبا بكر وعمر في الغيبة، وأبيا ذلك عليّ[2].

«وقامت الفتنة على القطب» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: أقبل زيد بن صوحان ومعه كتاب من عائشة إليه خاصّة، وكتاب منها إلى أهل الكوفة عامّة، تثبّطهم عن نصرة عليّ عليه السلام، وتأمرهم بلزوم الأرض، فقال زيد: انظروا إلى هذه المرأة، أُمرت أن تقرّ في بيتها، وأُمرنا نحن أن نقاتل، حتّى لا تكون

---

(١) التوبة: ٩٦.

(٢) الجمل: ٢٥٧ ـ ٢٦٠، بتصرّف وتلخيص، وذكره ابن شهر آشوب في مناقب آل أبي طالب ٣: ١٥١، مع اختلاف.

فتنة، فأمرتنا بما أُمرت به، وركبت ما أُمرنا به، ـ إلى أن قال ـ: فقام وشال يده المقطوعة، وأومأ بيده إلى أبي موسى وهو على المنبر: أتردّ الفرات عن أمواجه! دع عنك ما لست تدركه. ثم قرأ: ﴿ألم * أحَسِبَ الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون * ولقد فتنّا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾[1].

قال: وروى أبو مخنف عن الكلبي، عن أبي صالح: أنّ علياً عليه السلام لمّا نزل ذاقارٍ في قلّة من عسكره، صعد الزبير منبر البصرة، فقال: ألا ألف فارس أسير بهم إلى عليّ، فأُبيّته بياتاً، وأُصبّحه صباحاً، قبل أن يأتيه المدد! فلم يجبه أحد، فنزل واجماً، وقال: هذه والله الفتنة التي كنّا نتحدّث بها! فقال له بعض مواليه: تسمّيها فتنة ثمّ تقاتل فيها! فقال: ويحك! والله إنّا لنبصر ثمّ لا نصبر. فاسترجع المولى ثمّ خرج في الليل فارّاً إلى عليّ عليه السلام فأخبره، فقال: اللهمّ عليك به![2]

وفي (العقد): عن الحسن البصري قال الزبير: لقد نزلت: ﴿واتّقوا فتنةً لا تُصيبنَّ الذين ظلمُوا منكُمْ خاصّةً...﴾[3] وما ندري من يختلف إليها. فقال بعضهم: فلِمَ جئت إلى البصرة؟ فقال: ويحك! إنّا ننظر ولا نبصر[4].

وفي (الاستيعاب): عن أبي ليلى الغفاري، عن النّبي صلى الله عليه وآله قال: ستكون بعدي فتنة، فإذا كان ذلك فالزموا عليّ بن أبي طالب عليه السلام؛ فإنّه أوّل من يراني، وأوّل من يصافحني يوم القيامة، وهو الصّدّيق الأكبر، وهو فاروق هذه الأُمّة، يفرّق بين الحقّ والباطل، وهو يعسوب المؤمنين،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٣ ـ ٤٨٤، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٩ ـ ٢٠، والآية ١ ـ ٣ من سورة العنكبوت.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١٤.

(٣) الأنفال: ٢٥.

(٤) العقد الفريد ٥: ٥٦.

والمال يعسوب المنافقين[١].

«فأسرعوا إلى أميركم، وبادروا جهاد عدوّكم» قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: قام زيد بن صوحان ـ أي في الخبر المقدّم بعد تلاوته ﴿ألم * أحَسِبَ الناس أن يُتركوا أن يقولوا آمنّا وهم لا يُفتنون﴾[٢] ـ ثمّ نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين، وصراط سيّد المرسلين.

وقام الحسن عليه السلام فقال: أيّها الناس، أجيبوا دعوة إمامكم، وسيروا إلى إخوانكم؛ فإنّه سيوجد لهذا الأمر مَن ينفر إليه، والله لأن يليه أُولوا النّهى أمثلُ في العاجلة، وخير في العاقبة؛ فأجيبوا دعوتنا، وأعينونا على أمرنا[٣].

وقال: وروى أبو مخنف عن ابن أبي ليلى، قال: لمّا دخل الحسن عليه السلام وعمّار الكوفة، قال الحسن عليه السلام: أيّها الناس، إنّا جئنا ندعوكم إلى الله وإلى كتابه وسنّة رسوله، وإلى أفقه من تفقّه من المسلمين، وأعدل من تعدّلون، وأفضل من تفضّلون، وأوفى مَن تبايعون، من لم يعيه [يعبه] القرآن، ولم تجهّله السنّة، ولم تقعد به السابقة، إلى من قرّبه الله تعالى إلى رسوله قرابتين: قرابة الدين وقرابة الرحم، إلى من سبق الناس إلى كلّ مأثرة، إلى مَن كفى الله به رسوله والناس متخاذلون؛ فقرب منه وهم متباعدون، وصلّى معه وهم مشركون، وقاتل معه وهم منهزمون، وبارز معه وهم محجِمون، وصدّقه وهم مكذّبون [يكذّبون] إلى من لم تردّ له راية [رواية] ولا تكافأ له سابقة، وهو يسألكم النصر، ويدعوكم إلى الحقّ، ويأمركم بالمسير إليه، لتوازروه وتنصروه على قوم نكثوا بيعته، وقتلوا أهل الصلاح من أصحابه، ومثّلوا

---

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٤: ١٧٠.

(٢) العنكبوت: ١ ـ ٢.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٤ ـ ٤٨٥، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢٠.

بـعمّاله، وانـتهبوا بـيت مـاله؛ فأشـخصوا إليـه ـ رحـمكم الله ـ فمروا بالمعروف...[١].

وعن تميم الناجي قال: قدم علينا الحسن عليه‌السلام وعمّار يستنفران الناس إلى علي عليه‌السلام، ومعهما كتابه، فلمّا فرغا من قراءة كتابه، قام الحسن عليه‌السلام ـ وهو فتىً حدث، وإنّي لأرثى له من حداثة سنّه وصعوبة مقامه ـ فرماه الناس بأبصارهم وهم يقولون: اللهمّ سدّد منطق ابن بنت نبيّنا صلى‌الله‌عليه‌وآله! فوضع يده على عمود يتساند إليه، وكان عليلاً من شكوى به، فقال: الحمد لله العزيز الجبّار، الواحد القهّار، الكبير المتعال، ﴿سواءٌ منكم مَنْ أسرَّ القولَ ومَنْ جهرَ به وَمَنْ هو مُسْتَخْفٍ بالليل وسارِبٌ بالنّهار﴾[٢]. أحمده على حسن البلاء، وتظاهر النعماء، وعلى ما أحببنا وكرهنا من شدّة ورخاء ـ إلى أن قال ـ: أمّا بعد، فإنّي لا أقول [لكم] إلّا ما تعرفون، إنّ أمير المؤمنين ـ أرشد الله أمره، وأعزّ نصره ـ بعثني إليكم يدعوكم إلى الصواب، وإلى العمل بالكتاب، والجهاد في سبيل الله، فإن كان في عاجل ذلك ما تكرهون، فإنّ في آجله ما تحبّون إن شاء الله تعالى؛ ولقد علمتم أنّ عليّاً عليه‌السلام صلّى مع الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله وحده، وأنّه يوم صدّق به لفي عاشرة من سنّه، ثمّ شهد مع الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله جميع مشاهده. وكان من اجتهاده في مرضاة الله وطاعة رسوله وآثاره الحسنة في الإسلام ما قد بلغكم، ولم يزل الرسول صلى‌الله‌عليه‌وآله راضياً عنه، حتّى غمّضه بيده وغسّله وحده، والملائكة أعوانه، والفضل ابن عمّه ينقل إليه الماء، ثمّ أدخله حفرته، وأوصاه بقضاء دينه وعِداته، وغير ذلك من أُموره، كلّ ذلك من منّ الله عليه.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ١١.

(٢) الرعد : ١٠.

ثمّ والله ما دعا إلى نفسه...[١].

قلت: وروى المفيد في (جمله): أنّ الحسن عليه السلام صعد المنبر وقال: أيّها الناس! إنّ علياً عليه السلام باب هدى، فمن دخله اهتدى، ومن خالفه تردّى.

ثمّ نزل فصعد عمّار وقال بعد الثناء: أيّها الناس! إنّا لمّا خشينا على هذا الدين أن يهدم جوانبه، وأن يتعرّى أديمه، نظرنا لأنفسنا ولديننا فاخترنا علياً خليفة ورضيناه إماماً، فنعم الخليفة، ونعم الإمام [المؤدِّب]، مؤدِّب لا يؤدَّب، وفقيه لا يُعلَّم، وصاحب بأس لا ينكر، وذو سابقة في الإسلام ليس لأحد من الناس غيره، وقد خالفه قوم من أصحابه، حاسدون له، وباغون عليه، وقد توجّهوا إلى البصرة، فاخرجوا إليهم رحمكم الله؛ فإنّكم لو شاهدتموهم وحاججتموهم تبيّن لكم أنّهم ظالمون.

ثمّ قام الأشتر وقال ـ بعد ذكر أبي بكر وعمر ـ: ثمّ ولي بعدهما رجل نبذ كتاب الله وراء ظهره، وعمل في أحكام الله بهوى نفسه، فسألناه أن يعتزل لنا نفسه فلم يفعل، فاخترنا هلاكه على هلاك ديننا ودنيانا، ولا يبعد الله إلّا القوم الظالمين، وقد جاءكم الله بأعظم الناس مكاناً، وأكبرهم في الإسلام سهماً، ابن عمّ الرسول صلى الله عليه وآله، وأفقه الناس في الدين، وأقرئهم للكتاب، وأشجعهم عند اللقاء يوم البأس، وقد استنفركم فما تنتظرون؟ أتنتظرون سعيداً [الذي جعل سوادكم فطير قريش]، أم الوليد الذي شرب الخمر وصلّى بكم على سكر [الصبح أربعاً] واستباح ما حرّمه الله فيكم، أيّ هذين تريدون؟ قبّح الله من له هذا الرأي! فانفروا مع ابن بنت نبيّكم. وإنّي لكم ناصح إن كنتم تعقلون[٢].

قال ابن أبي الحديد: قال الطبري: روى الشعبي عن أبي الطفيل، قال

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤ : ١١ ـ ١٢.

(٢) الجمل : ٢٥٣ ـ ٢٥٥، بتصرّف وتلخيص من الشارح، المعيار والموازنة : ١١٧ ـ ١٢١.

عليّ عليه السلام: يأتيكم من الكوفة اثنا عشر ألف [رجل] ورجل واحد. قال: فوالله لقعدت على نَجَفة[١] ذي قار، فأحصيتهم واحداً واحداً، فما زادوا رجلاً، ولا نقصوا رجلاً[٢].

قلت: وقال المفيد في (جمله): روى نصر بن مزاحم عن عمرو [عمر] بن سعد، عن الأجلح، عن زيد بن عليّ، قال: لمّا أبطأ على عليّ عليه السلام خبر أهل الكوفة [البصرة] قال ابن عبّاس: أخبرت علياً عليه السلام بذلك، فقال لي: اسكت، فوالله ليأتينا في هذين اليومين من الكوفة ستّة آلاف وستّمائة رجل، وليغلبنّ أهل البصرة، وليقتلنّ طلحة والزبير. قال: فوالله إنّي لأستشرف الأخبار وأستقبلها، حتّى إذا أتى راكب فاستقبلته واستخبرته، فأخبرني بالعدّة التي سمعتها من عليّ عليه السلام، لم ينقص رجلاً واحداً[٣].

وفي (إرشاده): وقال عليه السلام بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة: يأتيكم من قِبل الكوفة ألف رجل، لا يزيدون رجلاً ولا ينقصون رجلاً، يبايعونني على الموت.

قال ابن عبّاس: فجزعت لذلك، وخفت أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا، فلم أزل مهموماً، حتّى ورد أوائلهم، فجعلت أحصيهم فاستوفيت عددهم تسعمائة [رجل] وتسعة وتسعين رجلاً، ثمّ انقطع مجيء القوم، فقلت: إنّا لله وإنّا إليه راجعون، ماذا حمله على ما قال؟! فبينما أنا مفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل، حتّى إذا دنا وإذا هو راجل

(١) النَّجَف والنَّجَفَة ـ بالتحريك ـ: مكان لا يعلوه الماء مستطيل منقاد، والجمع نجاف. (الصحاح ٤: ١٤٢٩، مادة: نجف).

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٢١.

(٣) الجمل: ٢٩٣.

عليه قباء صوف معه سيفه وترسه وإداوته[١]، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال: امدد يدك أبايعك. فقال عليّ عليه السلام علام؟ قال: على القتال بين يديك حتّى أموت أو يفتح الله عليك. فقال له: ما اسمك؟ قال: أويس. فقال عليه السلام: أنت أويس القرني؟ قال: نعم. قال: الله أكبر! أخبرني حبيبي أنّي أدرك رجلاً من أمّته يقال له أويس القرني، يكون من حزب الله ورسوله، يموت على الشهادة، يدخل في شفاعته مثل ربيعة ومُضر[٢].

١٣
الخطبة (١٧٤)

ومن كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد الله[٣]:

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ! وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ النَّصْرِ؛ وَاللّهِ مَا اسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّداً لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ إِلاَّ خَوْفاً مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ؛ لأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ؛ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْقَوْمِ أَحْرَصُ عَلَيْهِ مِنْهُ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ الْأَمْرَ، وَيَقَعَ الشَّكُّ.

وَوَاللّهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلاَثٍ:

لَئِنْ كَانَ ابْنُ عَفَّانَ ظَالِماً ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُؤَازِرَ قَاتِلِيهِ، أَو أَنْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ.

وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُوماً، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ، وَالْمُعَذِّرِينَ فِيهِ.

(١) الإداوة ـ بالكسر ـ إناء صغير من جلد يتّخذ للماء كالسطيحة ونحوها. (لسان العرب ١ : ١٠٠، مادة: أدا).

(٢) الإرشاد ١ : ٣١٥ ـ ٣١٦. وأخرجه الكشّي في اختيار معرفة الرجال ١ : ٣١٥.

(٣) قال الشيخ محمد عبده: في جميع النسخ المطبوعة من الكتاب «طلحة بن عبد الله» وفي النسخة التي شرح عليها ابن أبي الحديد «طلحة بن عبيد الله» وهذا هو الموافق لما في كتب الصحابة في ترجمة طلحة... (نهج البلاغة ٢ : ١٠٧).

وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ، لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ، وَيَرْكُدَ جَانِباً، وَيَدَعَ النَّاسَ مَعَهُ.

فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ الثَّلاَثِ؛ وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ.

قول المصنّف: «ومن كلام له عليه السلام في طلحة بن عبيد الله» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: «في معنى طلحة» لا «في طلحة» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2].

ثم عند إخواننا كونه أحد العشرة المبشّرة مسلّم[3]، ولو صحّ ما قالوا لكان دين الإسلام ديناً متناقضاً؛ حيث إنّ هذا المبشّر قتل واحداً من العشرة، وقاتل آخر منهم وهما عندهما إمامان، ولعمري إنّه من طائفة بشّرهم الله بعذاب أليم على أعمالهم في كتاب ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه...﴾[4] وصرّح الذي شهد له من لا ينطق بالهوى بكونه مع الحقّ عملاً وقولاً، بكونه من أهل النار.

ففي (جمل أبي مخنف): مرّ عليّ عليه السلام بطلحة قتيلاً، فقال: أجلسوه. فأُجلس، فقال: ويل أُمّك طلحة! لقد كان لك قَدَم لو نفعك! ولكنّ الشيطان أظلّك فأزلّك فعجّلك إلى النار[5].

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٧.

(٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣ ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «في طلحة بن عبيد الله» أيضاً.

(٣) انظر الطبقات الكبرى ٣: ٣٨٣، الجرح والتعديل ٤: ٤٧١، المستدرك على الصحيحين ٣: ٣٦٤، أُسد الغابة ٣: ٥٩، شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٢٥، الإصابة ٢: ٣٢٩.

(٤) فصلت: ٤٢.

(٥) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١: ٢٤٨، وقريب منه ما في الشافي ٤: ٣٤٤ والاحتجاج ١: ١٦٣، ونقله العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٣٢: ٢٠٠.

وفي (إرشاد محمّد بن محمّد بن النعمان): مرّ عليّ عليه السلام بطلحة، فقال: هذا الناكث بيعتي، والمنشئ الفتنة في الأمّة، والمُجلب عليّ، والداعي إلى قتلي وقتل عترتي، أجلسوه. فأُجلس، فقال عليه السلام له: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ـ إلى أن قال ـ: فقال له بعض من كان معه: أتكلّم كعباً وطلحة بعد قتلهما؟ فقال: أم والله، لقد سمعا كلامي كما سمعوا كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله وسلم يوم بدر[١].

وكيف كان مبشّراً بما قالوا ولمّا أصاب السهم خنصره في أُحد قال: (حَسِّ) فقال النّبي صلى الله عليه وآله ـ كما في (أنساب البلاذري) ـ: لو قال «بسم الله» ولم يقل حَسِّ لدخل الجنّة[٢].

وفاروقهم، وإن قال أوّلاً: إنّ طلحة من ستّة تُوفّي النّبيّ صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ[٣]، إلّا أنّه قال له ثانياً: أمّا إنّي أعرفك منذ أُصيبتْ إصبعك يوم أُحد بالبأو الذي حدث لك، ولقد مات النّبي صلى الله عليه وآله ساخطاً عليك للكلمة التي قلتها يوم أُنزِلت [آية] الحجاب ـ وأشار إلى قول طلحة: «ماالذي يغني محمّداً [يعنيه] حجاب نسائه اليوم، وسيموت غداً فننكحهنّ».

قال الجاحظ: من كان يجسر أن يقول لعمر: ناقضت[٤]؟

«قد كنت وما أُهدّد بالحرب، ولا أُرهب بالضرب» في (جمل المفيد): لمّا أرسل عليه السلام ابن عبّاس مع مصحف إلى طلحة والزبير وعائشة يدعوهم إلى ما فيه، نادى طلحة: ناجزوا القوم، فإنّكم لا تقومون لحجّاج ابن أبي طالب. قال ابن عبّاس: فقلت: يا أبا محمّد، أبالسيف تخوّف ابن أبي طالب؟! أما

---

(١) الإرشاد ١ : ٢٥٦ ـ ٢٥٧، الجمل : ٣٩٢، الشافي ٤ : ٣٤٤، الاحتجاج ١ : ١٦٣ ـ ١٦٤، بحار الأنوار ٣٢ : ٢٠٩.

(٢) أنساب الاشراف للبلاذري ١ : ٣١٨، تحقيق محمد حميد الله، دار المعارف، مصر.

(٣) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٥ ح٣٤٩٧.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١ : ١٨٥ ـ ١٨٦، ونقله الشارح بتصرف يسير.

والله ليعاجلنّك السيف [للسيف]![1].

وتهديد طلحة له عليه السلام بالحرب والضرب مضحك.

وفي (الطبري): قال الزبير بن الحريث [الخرّيت]: قلت لأبي لبيد: لِمَ تسبّ عليّاً؟ قال: ألا أسبّ رجلاً قتل منّا في الجمل ألفين وخمسمائة، والشمس هاهنا؟! وقال ابن أبي يعقوب: قتل عليّ عليه السلام يوم الجمل ألفين وخمسمائة رجل، ألف وثلثمائة وخمسون من الأزْد، وثمانمائة من بني ضبّة، وثلاثمائة وخمسون من سائر الناس[2].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): شقّ عليّ عليه السلام يوم الجمل في عسكر القوم يطعن ويقتل بعد أخذه الراية من ابنه محمّد، ثمّ خرج وهو يقول: الماء الماء. فأتاه رجل بإداوة فيها عسل، وقال له: لا يصلح لك الماء في هذا المقام. فقال عليه السلام له: هات، فحسا منه حسوة، ثمّ قال له: إنّ عسلك لطائفي. فقال له الرجل: عجباً منك! والله لمعرفتك الطائفي من غيره في هذا اليوم، وقد بلغت القلوب الحناجر! فقال عليه السلام له: يا بن أخي، ما ملأ صدر عمّك شيء ولا أهابه شيء، ثمّ أعطى الراية لابنه، وقال له: هكذا فاصنع[3].

وفي (المروج): لمّا أخذ عليّ عليه السلام في الجمل الراية من ابنه محمّد، حمل وحمل معه الناس، فما كان القوم إلّا ﴿...كرمادٍ اشتدّت به الريح في يومٍ عاصفٍ...﴾[4].

وفيه: نادى عليّ عليه السلام يازبير، اخرج إليّ. فخرج شاكّاً[5] في سلاحه، فقيل

---

(١) الجمل: ٣٣٦ ـ ٣٣٧، ونقله الشارح بتصرّف.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٧٦، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٧٥، والآية ١٨ من سورة إبراهيم.

(٥) الشاكّ في السلاح: هو اللابس للسلاح التامّ. (الصحاح ٤: ١٥٩٤، مادة: شكك).

لعائشة، فقالت: واحرباه لأسماء! فقيل لها: إنّ عليّاً حاسر. فاطمأنت[١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عبد الله بن أبي محجن الثقفي قدم على معاوية، وقال له: إنّي أتيتك من عند العيي [الغبيّ] البخيل الجبان ابن أبي طالب. فقال له معاوية: لله أنت! تدري ما قلت؟ أمّا قولك: العيي [الغبيّ]، فوالله لو أنّ ألسن الناس جمعت فجعلت لساناً واحداً لكفاها لسان عليّ؛ وأمّا قولك: إنّه بخيل، فوالله لو كان له بيتان أحدهما من تبر والآخر من تبن، لأنفد تبره قبل تبنه؛ وأمّا قولك: إنّه جبان، فثكلتك أمّك! هل رأيت أحداً بارزه إلّا قتله؟ فقال الثقفي: فعلام تقاتله إذن؟ قال: على دم عثمان، وعلى هذا الخاتم الذي جعله في يده جازت طينته، وأطعم عياله، وادّخر لأهله. فضحك الثقفي ثمّ لحق بعليّ عليه السلام، وقال له: لا دنياً أصبت، ولا آخرة غنمت. فضحك عليّ عليه السلام ثمّ قال له: أنت على رأس أمرك...[٢].

وفي (صفّين نصر): ذكروا أنّ عتبة بن أبي سفيان، والوليد بن عقبة، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، وابن طلحة الطلحات اجتمعوا عند معاوية، فقال عتبة: إنّ أمرنا وأمر عليّ لعجيب، ليس منّا إلّا موتور؛ أمّا أنا فقتل جدّي، وأشرك في دم عُمومتي يوم بدر؛ وأمّا أنت يا وليد فقتل أباك، وأيتم إخوتك؛ وأمّا أنت يا مروان فكما قال الأوّل:

وأفلتهنّ عِلباءُ جريضاً ولو أدركنه صَفِرَ الوطابُ[٣]

فقال لهم معاوية: فهذا الإقرار وأين الغُيُرُ[٤]؟ قال مروان: أيّ غُير تريد؟

(١) مروج الذهب ٢ : ٣٧١.

(٢) الإمامة والسياسة ١ : ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) قال في هامش المصدر : ٤١٧ : البيت لامرئ القيس، وعلباء هذا هو قاتل والد امرئ القيس، وهو علباء بن حارث الكاهلي: والجريض : الذي يأخذ بريقه. صفر وطابه : قتل.

(٤) الغُيُر : جمع غيور، والغيور فعول من الغيرة، وهي الحميّة والأنَفَة. (تاج العروس ١٣ : ٢٨٨، مادة: غير).

قال: أُريد أن يشجر بالرماح. فقال له: والله إنّك لهازل، أو لقد ثقلنا عليك.

وقال الوليد:

يقول لنا معاوية بن حربٍ ... أما فيكم لواتركم طَلوبُ
يشدّ على أبي حسن عليّ ... بأسمرَ لا تهجّنه الكعوبُ
فيهتك مجمع اللبّاتِ منه ... ونقْعُ القوم مطّردٌ يثوبُ
فقلت له أتلعبُ يا بنَ هندٍ ... كأنّك وسطنا رجلٌ غريبُ
أتأمرنا بحيّة بطن وادٍ ... إذا نهشت فليس لها طبيبُ؟
وما ضَبعٌ يدِبّ ببطن وادٍ ... أُتيح له به أسدٌ مهيبُ
بأضعف حيلةً منّا إذا ما ... لقيناه وذا منّا عجيبُ
وما لاقاه في الهيجاء لاقٍ ... فأخطأ نفسه الأجل القريبُ
سِوى عمروٍ وقتْه خصيتاهُ ... نجا ولقلبه منها وجيبُ
كأنّ القوم لمّا عاينوه ... خلال النقعِ ليس لهم قلوبُ(١)

وفيه: قال جابر بن نمير [عمير] الأنصاري قال: لا والله الذي بعث محمّداً صلى الله عليه وآله بالحقّ نبيّاً، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات والأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليّ عليه السلام، إنّه قتل فيما ذكر العادّون زيادة على خمسمائة من أعلام العرب، يخرج بسيفه منحنياً، فيقول: معذرةً إلى الله عزّوجلّ وإليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه [أصقله] ولكنْ حجزني عنه أنّي سمعت الرسول صلى الله عليه وآله يقول كثيراً: «لا سيف إلّا ذو الفقار ولا فتى إلّا عليّ». وأنا أُقاتل به دونه، فكنّا نأخذه فنقوّمه ثمّ يتناوله من أيدينا فيتقحّم به في عرض الصفّ، ولا والله ما ليث بأشدّ نكاية في عدوّه منه عليه السلام(٢).

---

(١) وقعة صفين: ٤١٧ ـ ٤١٨.

(٢) وقعة صفين: ٤٧٧ ـ ٤٧٨، شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٠ ـ ٢١١.

«وأنا على ما قد وعدني» هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: «ما وعدني» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢].

«ربّي من النصر» وهذا يدلّ على أنّه عليه السلام كان موعوداً من الله تعالى بالظفر على أهل الجمل. ومرّ أنّه عليه السلام لمّا مرّ على طلحة قتيلاً قال: أجلسوه. فأُجلس. فقال عليه السلام له: يا طلحة، قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟[٣]

وروى النعماني في (غيبته) عن الصادق عليه السلام قال: لمّا التقى أمير المؤمنين عليه السلام وأهل البصرة نشر راية النّبيّ صلى الله عليه وآله فتزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنّا يا بن أبي طالب! فعند ذلك قال: لاتقتلوا الأُسراء، ولا تجهزوا على جريح، ولا تتبعوا مولّياً، ومن ألقى سلاحه فهو آمن، ومن أغلق بابه فهو آمن، ولمّا كان يوم صفّين سألوه نشر الراية فأبى عليهم فتحمّلوا عليه بالحسنين عليهما السلام، وعمّار، فقال عليه السلام: إنّ للقوم مدّة يبلغونها، وإنّ هذه راية لا ينشرها بعدي إلّا القائم[٤].

«والله ما استعجل [طلحة] متجرّداً للطلب بدم عثمان إلّا خوفاً من أن يطالب بدمه لأنّه مظنّته». في (العقد): لمّا رأى مروان يوم الجمل طلحة، قال: لا أنتظر بعد اليوم بثأري في عثمان، فانتزعه بسهم فقتله[٥].

وفي (الاستيعاب): كان مروان مع طلحة يوم الجمل، فلمّا اشتبكت الحرب قال مروان: لا أطلب بثأري بعد اليوم، ثمّ رماه بسهم فأصاب ركبته

---

(١) نهج البلاغة ٢: ١٠٧.

(٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٠: ٣، ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «ما قد وعدني» أيضاً.

(٣) الإرشاد ١: ٢٥٦، والجمل للمفيد: ٣٩٢، الشافي ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣.

(٤) كتاب الغيبة: ٣٠٧.

(٥) العقد الفريد ٥: ٧٠.

فما رقأ الدم حتّى مات، فالتفت مروان إلى أبان بن عثمان، فقال: قد كفيناك بعض قتلة أبيك[١].

«ولم يكن في القوم أحرص عليه» أي: على قتل عثمان.

«منه» أي: من طلحة؛ قال ابن أبي الحديد: روى الطبري عن ابن عبّاس، قال: لمّا حججت بالناس نيابة عن عثمان وهو محصور، مررت بعائشة بالصُّلصُل[٢]، فقالت: يا ابن عباس، أُنشدك الله، فإنّك قد أُعطيت لساناً وعقلاً، أن تخذّل الناس عن طلحة؛ فقد بانت لهم بصائرهم في عثمان، ورفعت لهم المنار، وتحلّبوا من البلدان لأمر قد حُمّ، وإنّ طلحة ـ فيما بلغني ـ قد اتّخذ رجالاً على بيوت الأموال والخزائن، وأظنّه يسير بسيرة ابن عمّه أبي بكر. فقلت: يا أُمّه، لو حدث بالرجل حدث ما فزع الناس إلّا إلى صاحبنا. فقالت: إيهاً عنك يابن عبّاس إنّي لست أُريد مكابرتك ولا مجادلتك[٣].

قال: وروى المدائني في كتاب (مقتل عثمان): أنّ طلحة منع من دفنه ثلاثة أيّام، وأنّ علياً عليه‌السلام لم يبايعه[لم يبايع] الناس إلّا بعد قتل عثمان بخمسة أيّام، وأنّ حكيم بن حزام، وجبير بن مطعم استنجدا بعليّ عليه‌السلام على دفنه، فأقعد لهم طلحة في الطريق ناساً بالحجارة، فخرج به نفر يسير من أهله وهم يريدون به حائطاً بالمدينة يعرف بحشّ كوكب[٤]، كانت اليهود تدفن موتاهم فيه، فلمّا صار هناك رجم سريره، وهمّوا بطرحه؛ فأرسل عليّ عليه‌السلام إلى الناس

(١) الاستيعاب بهامش الإصابة ٢ : ٢٢٣.

(٢) صُلصُل : بنواحي المدينة على سبعة أميال منها، نزل بها رسول الله صلى‌الله‌عليه‌وآله يوم خرج من المدينة إلى مكّة عام الفتح. (معجم البلدان ٣ : ٤٢١).

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٤٠٧، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٦.

(٤) حشّ كوكب : موضع عند بقيع الغرقد، اشتراه عثمان بن عفّان، وزاده في البقيع، ولمّا قتل أُلقي فيه ثمّ دفن في جنبه. (معجم البلدان ٢ : ٢٦٢).

يعزم عليهم ليكفّوا عنه فكفّوا، فانطلقوا به حتّى دفنوه في حشّ كوكب[١].

قال: وروى الطبري نحو ذلك إلّا أنّه لم يذكر طلحة بعينه[٢].

قال: وروى الواقديّ أنّ عثمان لمّا قتل، تكلّموا في دفنه، فقال طلحة: يدفن بدير سَلْع ـ يعني مقابر اليهود ـ[٣].

قال: وذكر الطبري في (تاريخه) مثل هذا، إلّا أنّه ورّى عن طلحة، فقال: قال رجل: يدفن بدير سَلْع...[٤].

«فأراد» أي: طلحة.

«أن يغالط» أي: يوقع الناس في الغلط.

«بما أجلب» وجمع من الجند.

«فيه» متعلق بقوله «يغالط»، أي: في كونه قاتل عثمان.

«ليلبس الأمر» أي: يشتبه.

«ويقع الشكّ» في كونه قاتلاً بأن يقول الناس: لو كان قاتلاً لما طلب بدمه.

«وواللّه ما صنع» أي: طلحة.

«في أمر عثمان واحدة» أي: خصلة واحدة.

«من ثلاث» خصال كانت واجبة عليه عقلاً.

«لئن كان ابن عفّان ظالماً كما كان يزعم» قبل قتله.

«لقد كان ينبغي له أن يؤازر» أي: يعين.

«قاتليه أو أن» هكذا في (المصرية)[٥]، والصواب «وأن» كما في (ابن

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٠ : ٦.

(٢) تاريخ الطبري ٤ : ٤١٢، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٧.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٧.

(٤) تاريخ الطبري ٤ : ٤١٣، سنة ٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٠ : ٧.

(٥) نهج البلاغة ٢ : ١٠٧.

ميثم)[١]، ولأنّ الواجب الأمران معاً.

«ينابذ» أي: يكاشف بالحرب والعداوة.

«ناصريه» بعد قتله.

«ولئن كان مظلوماً لقد كان ينبغي له أن يكون من المنهنهين» أي: الكافّين والزاجرين.

«عنه» أي: عن قتله.

«والمعذرين» أي: يعملون عملاً يصيرون به معذورين.

«فيه» أي: في الدفاع عنه.

«ولئن كان في شكّ من الخصلتين» كونه ظالماً وكونه مظلوماً.

«لقد كان ينبغي له أن يعتزله ويركد» أي: يسكن ويهدأ.

«جانباً» أي: في جانب.

«ويدع النّاس» محاربيه.

«معه» وفي (خلفاء ابن قتيبة): قال الزبير لعبد الله بن عامر: مَن رجال البصرة؟ قال: ثلاثة، كلّهم سيّد مطاع: كعب بن سور في اليمن، والمنذر في ربيعة، والأحنف في مضر. فكتب هو وطلحة إلى كعب: أمّا بعد، فإنّك قاضي عمر، وشيخ أهل البصرة، وسيّد أهل اليمن، وقد كنت غضبت لعثمان من الأذى، فاغضب له من القتل.

وكتبا إلى الأحنف: أمّا بعد، فإنّك وافد عمر، وسيّد مضر، وحليم أهل العراق، وقد بلغك مصاب عثمان، فنحن قادمون عليك، والعيان أشفى لك من الخبر.

وكتبا إلى المنذر: أمّا بعد، فإنّ أباك كان رئيساً في الجاهلية، وسيّداً في

---

(١) في شرح ابن ميثم المطبوع ٣: ٣٤٤ «أوأن» أيضاً.

الإسلام، وإنّك من أبيك بمنزلة المصلّي[1] من السابق، يقال: كاد أو لحق، وقد قتل عثمان من أنت خير منه، وغضب له من هو خير منك.

فلمّا وصلت كتبهما إليهم، قام زياد بن مضر، والنعمان، وغزوان، فقالوا: مالنا ولهذا الحيّ من قريش؟ يريدون أن يخرجونا من الإسلام بعد أن دخلنا فيه؟ ويدخلونا في الشرك بعد أن خرجنا منه؟ قتلوا عثمان، وبايعوا عليّاً، لهم مالهم، وعليهم ما عليهم. وكتب كعب إليهما: فإن يك عثمان قتل ظالماً، فمالكما وله؟ وإن كان قتل مظلوماً فغيركما أولى به، وإن كان أمره أشكل على من شهده، فهو على من غاب عنه أشكل. وكتب المنذر: إنّما أوجب حقّ عثمان اليوم حقّه أمس، وقد كان بين أظهركم فخذلتموه، فمتى استنبطتم هذا العلم، وبدا لكم هذا الرأي؟[2]

«فما فعل» أي: طلحة.

«واحدة من الثلاث» المتقدّمة.

«وجاء بأمر لم يعرف بابه، ولم تسلم معاذيره» قيل:

قد عذرتُكَ غيرَ مُعتذرٍ إنّ المعاذِيرَ يشوبُها الكذبُ[3]

في (خلفاء ابن قتيبة): لمّا نزل طلحة والزبير البصرة، بعث عثمان بن حنيف إليهما عمران بن الحصين، وأبا الأسود، فقال عمران: يا طلحة، إنّكم قتلتم عثمان ولم نغضب له إذ لم تغضبوا، ثمّ بايعتم عليّاً فبايعنا من بايعتم، فإن كان قتل عثمان صواباً فمسيركم لماذا؟ وإن كان خطأً فحظّكم منه الأوفر، ونصيبكم منه الأوفى. فقال طلحة: يا هذا، إنّ صاحبك [يا هذان، إنّ صاحبكما]

---

(١) المصلّي: تالي السابق. (الصحاح ٦: ٢٤٠٢، مادة: صلو).

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٠ ـ ٦١، ونقله الشارح بتلخيص.

(٣) الصحاح للجوهري ٢: ٧٣٧، مادة (عذر).

لا يرى أنّ معه في هذا الأمر غيره، وليس على هذا بايعناه. فقال أبو الأسود لعمران: أمّا هذا، فقد صرّح أنّه إنّما غضب للملك. ثمّ أتيا الزبير، فقال لهما: إنّ طلحة وإيّاي كروح في جسدين، وإنّه والله يا هذان، قد كان منّا في عثمان فلتات، احتجنا إلى المعاذير[١].

وفيه: لمّا قال مروان ـ وكان مع طلحة والزبير في مسيرهما إلى البصرة ـ لسعيد بن العاص: أُريد البصرة، أطلب قتلة عثمان. قال له سعيد: هؤلاء قتلة عثمان معك. إنّ هذين الرجلين قتلا عثمان، وهما يريدان الأمر لأنفسهما، فلمّا غلبا عليه قالا: نغسل الدم بالدم، والحوبة بالتوبة[٢].

وفيه ـ بعد ذكر خطبة عائشة واختلاف الناس ـ فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل من أشراف البصرة، بكتاب كان كتبه طلحة في التأليب على قتل عثمان، فقال له: هل تعرف هذا الكتاب؟ قال: نعم. قال: فما ردّك عمّا كنت عليه؟ وكنت أمس تكتب إلينا تؤلّبنا على قتل عثمان، وأنت اليوم تدعونا إلى الطلب بدمه؟ قالا: ذكرنا ما كان من طعننا عليه، وخذلاننا إيّاه، فلم نجد مخرجاً إلّا الطلب بدمه. قال: ما تأمراني به؟ قالا: بايعنا على قتال عليّ، ونقض بيعته. قال: أرأيتما إن أتانا بعدكما من يدعونا إلى ما تدعون إليه، ما نصنع؟ قالا: لا تبايعه. قال: ما أنصفتما، أتأمراني أن أُقاتل عليّاً عليه السلام وأنقض بيعته وهي في أعناقكما، وتنهياني عن بيعة من لا بيعة عليه لكما [له عليكما]...؟[٣]

ولو أرادا التوبة ـ كما زعما أخيراً ـ من حوبة قتل عثمان كان عليهما أن يسلّما أنفسهما إلى أولياء عثمان ليقتلوهما ـ كما صرّح بذلك الأشتر ـ لا أن

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٦٤ ـ ٦٥، ونقله الشارح بتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ١ : ٦٣، ونقله الشارح بتصرّف.

(٣) المصدر نفسه ١ : ٦٨ ـ ٦٩، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

يقتلا الناس، ويقاتلا أمير المؤمنين عليه السلام مع اعتزاله.

١٤
الكتاب (٥٤)

ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعيّ، ذكره أبو جعفر الإسكافي في كتاب (المقامات) في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام:

أَمَّا بَعْدُ، فَقَدْ عَلِمْتُمَا ـ وَإِنْ كَتَمْتُمَا ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي؛ وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ، وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللّهِ منْ قَرِيبٍ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ. وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ.

وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هَذَا الْأَمْرَ (مِن) قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ كانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ. وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ.

فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا؛ فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ، مِنْ قَبْلِ أَنْ يَتَجَمَّعَ الْعَارُ وَالنَّارُ. والسلام.

قول المصنّف: «ومن كتاب له عليه السلام إلى طلحة والزبير مع عمران بن الحصين الخزاعي» روى الكشي عن الفضل بن شاذان أنّ عمران من السابقين الذين رجعوا إلى أمير المؤمنين عليه السلام[١].

---

(١) اختيار معرفة الرجال (الكشّي) ١ : ١٧٩ ـ ١٨٨، وذكره شيخ الطائفة في رجاله : ٢٤، في الصحابة.

وعن (جامع الأصول): سئل عمران عن متعة النساء، فقال: أتانا بها كتاب الله، وأمرنا بها رسول الله صلى الله عليه وآله، ثمّ قال فيها رجل برأيه ما شاء[١].

وفي (حلية أبي نعيم) في محمّد بن واسع مسنداً عنه، قال: تمتّعنا مع النّبيّ صلى الله عليه وآله مرّتين، فقال رجل برأيه ما شاء. قال أبو نعيم: هو حديث صحيح أخرجه مسلم في (صحيحه)[٢].

وروى الكشّي في أبي عبد الله الجدليّ، عن أبي داود قال: حدّثني عمران بن الحصين الخزاعي أنّ النّبيّ صلى الله عليه وآله أمر فلاناً وفلاناً أن يسلّما على عليّ عليه السلام بإمرة المؤمنين، فقالا: من الله أو من رسوله؟ «فقال: من الله ومن رسوله»[٣].

قال ابن أبي الحديد: هو عمران بن الحصين بن عبيد بن خلف بن عبد [بن] نهم بن سالم بن غاضرة...[٤].

قلت: أخذ ماقاله عن أبي عمرو. قال ابن مندة وأبو نعيم جدّ جدّه عبد نهم بن حذيفة بن جهمة بن غاضرة[٥]. وقال الكلبي: جدّ جدّه عبد نهم بن جرمة بن جهيمة كما في (الجزري)[٦].

وفي (الجزري): قال محمّد بن سيرين: لم نرَ في البصرة أحداً من أصحاب النّبيّ صلى الله عليه وآله يفضل على عمران، وكان مجاب الدعوة ولم يشهد الفتنة[٧].

---

(١) نقله عن جامع الأُصول، الميرداماد الإسترابادي في تعليقه على رجال الكشّيّ ١ : ١٨٧، وتجده في صحيح البخاري ٤ : ١٦٤٢ ح٤٢٤٦، صحيح مسلم (باب الحج جواز التمتّع رقم ١٢٢٦)، مسند أحمد ٤ : ٤٣٦.

(٢) حلية الأولياء ٢ : ٣٥٥، صحيح مسلم :

(٣) اختيار معرفة الرجال (الكشّي) ١ : ٣٠٨. وليست هذه العبارة في المصدر.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣٢.

(٥) أُسد الغابة في معرفة الصحابة ٤ : ١٣٧.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) أُسد الغابة ٤ : ١٣٧ ـ ١٣٨.

وروى عنه: أنّ النّبيّ ﷺ نهى عن الكيّ فاكتوينا فما أفلحنا، وكان في مرضه تسلّم عليه الملائكة، فاكتوى ففقد التسليم، ثمّ عادت إليه وكان به استسقاء فطال به سنين وهو صابر عليه، وشقّ بطنه وأخذ منه شحم وثقب له سرير فبقي ثلاثين سنة توفى سنة (٥٢)[١].

«ذكره أبو جعفر الاسكافي» محمّد بن عبد الله، قال ابن أبي الحديد: عدّه قاضي القضاة في الطبقة السابقة من المعتزلة مع عباد بن سليمان الصيمري ومع زرقان ومع عيسى بن الهيثم الصوفي، وجعل أوّل الطبقة ثمامة بن أشرس أبا معن ثم الجاحظ ثم أبا موسى عيسى بن صبيح المردار ثم أبا عمران يونس بن عمران ثم محمّد بن إسماعيل بن العسكري ثم عبد الكريم بن روح العسكري ثمّ أبا يعقوب يوسف بن عبد الله الشحام ثم أبا الحسين الصالحي ثم جعفر بن جرير وجعفر بن ميسر ثم أبا عمران بن النقاش ثم أبا سعيد أحمد بن سعيد الأسدي ثم عبّاد بن سليمان ثم أبا جعفر الاسكافي، وقال: كان أبو جعفر فاضلاً، عالماً، صنّف سبعين كتاباً في علم الكلام، وهو الذي نقض كتاب العثمانية على الجاحظ في حياته، ـفدخل الجاحظ الوراقين ببغداد فقال: من هذا الغلام السوادي الذي بلغني أنّه تعرّض لنقض كتابي. وأبو جعفر جالس، فاختفى منه حتى لم يره ـ وكان علوي الرأي، محققاً، منصفاً، قليل العصبية، يقول بالتفضيل ويبالغ فيه[٢].

«في كتاب المقامات» وذكره ابن قتيبة في (خلفائه) وزاد: وزعمتما أنّي آويت قتلة عثمان فهؤلاء بنو عثمان فليدخلوا في طاعتي ثم يخاصموا إليّ قتلة أبيهم، وما أنتما وعثمان إن كان قتل ظالماً أو مظلوماً؟ ولقد بايعتماني وأنتما

(١) المصدر نفسه ٤ : ١٣٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣٢ ـ ١٣٣.

بين خصلتين قبيحتين: نكث بيعتكما، وإخراجكما أُمّكما[١].

وذكره أعثم الكوفي في عنوان محاربة الجمل[٢].

«في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام» هكذا في (المصرية)[٣].

وقوله: (في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام) زائدة فليس في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤]، والظاهر أنّه كان حاشية خلط بالمتن، مع انّه لم يعلم موضوع المقامات، هل هو في المناقب أو شيء آخر؟

قوله عليه السلام: «أما بعد فقد علمتما ـ وإن كتمتما ـ أنّي لم أرد الناس حتى أرادوني ولم أُبايعهم حتى بايعوني» في (الطبري) قال أبو بشير العابدي: كنت بالمدينة حين قتل عثمان، واجتمع المهاجرون والأنصار فيهم طلحة والزبير فأتوا علياً عليه السلام فقالوا: هلم نبايعك. فقال لهم: لا حاجة لي في أمركم، أنا معكم فمن اخترتم فقد رضيت به. فقالوا: والله لا نختار غيرك. فاختلفوا إليه مراراً، ثمّ أتوه في آخر ذلك فقالوا له: لا يصلح الناس إلا بإمرة وقد طال الأمر. فقال لهم: إنّكم قد اختلفتم إليّ وأتيتم عندي مراراً، وإنّي قائل لكم قولاً إن قبلتموه قبلت أمركم وإلّا فلا حاجة لي فيه. قالوا: ما قلت من شيء قبلناه. فقال: إنّي كنت كارهاً لأمركم فأبيتم إلّا أن أكون عليكم، ألا وإنّه ليس لي أمر دونكم ألا إنّ مفاتيح مالكم معي، ألا وإنّه ليس أن آخذ منه درهماً دونكم، رضيتم؟ قالوا: نعم. قال: اللهمّ اشهد عليهم. ثمّ بايعهم على ذلك[٥].

---

(١) الإمامة والسياسة ١ : ٧٠.

(٢) كتاب الفتوح ٢ : ٤٦٥.

(٣) نهج البلاغة ٣ : ١٢٢.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣١، ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥ : ١٨٧ بزيادة «في مناقب أمير المؤمنين عليه السلام».

(٥) تاريخ الطبري ٤ : ٤٢٧ ـ ٤٢٨، سنة ٣٥.

«وإنّكما ممّن أرادني وبايعني» في (الطبري) عن أبي المليح قال: لما قتل عثمان خرج عليّ عليه السلام إلى السوق ـ وذلك يوم السبت لثماني عشرة ليلة خلت من ذي الحجّة ـ فاتبعه الناس وبهشوا في وجهه، فدخل حايط بني عمرو بن مبذول، وقال لأبي عمرة بن محصن: أغلق الباب. فجاء الناس فقرعوا الباب فدخلوا، وفيهم طلحة والزبير فقالا: يا علي ابسط يدك. فبايعه طلحة والزبير، فنظر حبيب بن ذؤيب الى طلحة حين بايع، فقال: أوّل من بدأ بالبيعة يد شلاء، لا يتم هذا الأمر...[١].

«وإنّ العامّة لم تبايعني لسلطان غالب» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: (غاصب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٣]، كما في بيعة أبي بكر؛ فعن البراء بن عازب ـ كما روت العامّة عنه ـ: لم أزل لبني هاشم محبّاً، فلما قبض النّبي صلى الله عليه وآله خفت أن تتمالأ قريش على إخراج هذا الأمر عنهم، فأخذني ما يأخذ الوالهة العجول، فكنت أتردد إلى بني هاشم وهم عند النّبي صلى الله عليه وآله في الحجرة، وأتفقد وجوه قريش، فإنّي كذلك إذ فقدت أبا بكر وعمر، وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر، فلم ألبث وإذا أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة وهم محتجزون بالازر الصنعائية، لا يمرون بأحد إلّا خبطوه وقدموه، فمدوا يده فمسحوه على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أبى، فأنكرت عقلي...[٤].

هذا وفي (خلفاء ابن قتيبة): دعا عبد الملك في مرض موته ابنه الوليد

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٢٨، سنة ٣٥.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣١، وشرح ابن ميثم ٥: ١٨٨ «غالب» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٩.

وقال له: حضر الوداع. فبكى الوليد، فقال له عبد الملك: لا تعصر عينيك عليّ كما تعصر الأمة الوكساء، إذا متّ فاغسلني وكفّني وصلِّ عليّ وأسلمني إلى عمر بن عبد العزيز يدليني في حفرتي، واخرج أنت إلى الناس والبس لهم جلد نمر، واقعد على المنبر وادع الناس الى بيعتك، فمن مال بوجهه كذا فقل له بالسيف كذا، وتنكّر للصديق والقريب واسمح للبعيد. فلما توفي ـ ومات من يومه ذلك ـ خرج الوليد إلى الناس وقعد على المنبر، ثم دعا الناس الى البيعة فلم يختلف عليه أحد، ثم كان أوّل ما ظهر من أمر الوليد أن أمر بهدم كلّ دار من دار عبد الملك إلى قبره، فهدمت من ساعتها وسوّيت بالأرض لئلّا يعرج بسرير عبد الملك يميناً وشمالاً، ثم كتب ببيعته إلى الآفاق فلم يختلف عليه أحد[1].

«ولا لعرض حاضر» هكذا في (المصرية)[2]، ولكن في نسخة (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3]: «ولا لحرص حاضر»، وفي (سقيفة الجوهري) عن القاسم بن محمّد قال: لمّا توفّى النّبيّ ﷺ اجتمعت الأنصار إلى سعد ـ إلى أن قال ـ: فتكلّم أبو بكر وقال: نحن الأمراء وأنتم الوزراء، والأمر بيننا نصفان كشق الابلمة. فبويع، وكان أول من بايعه بشير بن سعد والد النعمان بن بشير، فلما اجتمع الناس قسم قسماً بين نساء المهاجرين والأنصار فبعث إلى امرأة من بني عدي بن النجار قسمها مع زيد بن ثابت، فقالت: ما هذا؟ قال قسم قسمه أبو بكر للنساء. قالت: أتراشوني عن ديني؟! والله لا أقبل منه شيئاً. فردته[4].

---

(١) الامامة والسياسة ٢: ٥٧ ـ ٥٨.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

(٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧ : ١٣١ ،ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥ : ١٨٨ «ولا لعرض حاضر» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٢ : ٥٢ ـ ٥٣.

«فان كنتما بايعتماني طائعين» هكذا في (النهج)[١]، وكأن «طائعين» محرّف «راغبين» لأن بعده «وإن كنتما بايعتماني كارهين»، ومقابل الكراهة الرغبة لا الطائعية، كما ان مقابل الطوع الإكراه لا الكره؛ ففي (الصحاح): «يقال جاء فلان طائعاً غير مكره»[٢]، اللهمّ الّا أن يقال: بأن المراد بالطوع هنا الرغبة فتصحّ المقابلة.

«فارجعا وتوبا إلى الله من قريب» من نكث البيعة؛ فقد قال تعالى: ﴿...فمَن نكث فإنّما ينكث على نفسه...﴾[٣].

وكان بين ابن الزبير وابن عبّاس مشاجرة، فقال ابن الزبير لابن عبّاس ـ معرضاً بأسر العبّاس أبيه يوم بدر وفدائه نفسه وخلو الزبير من ذلك ـ: وصديق متبجح في الشرف الانيق خير من طليق. فقال له ابن عبّاس: وأما ما ذكرت من الطليق فوالله لقد ابتلي فصبر وأُنعم عليه فشكر، وان كان والله وفيّاً كريماً، غير ناقض بيعته بعد توكيدها، ولا مسلّم كتيبة بعد التأمر عليها. فقال ابن الزبير: أتعيّر الزبير بالجبن؟ والله انّك لتعلم منه خلاف ذلك. قال ابن عبّاس: والله إنّي لا أعلم إلّا انّه فر وما كر، وحارب فما صبر، وبايع فما تمّم، وقطع الرحم، وأنكر الفضل، ورام ما ليس له بأهل.

وكان بين القاسم بن محمّد بن يحيى بن طلحة ـ وهو على شرطة عيسى بن موسى ـ وبين إسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام مشاجرة، فقال القاسم لإسماعيل: لم يزل فضلنا وإحساننا سابقاً عليكم يا بني هاشم وعلى بني عبد مناف. فقال إسماعيل: أي فضل وإحسان أسديتموه إلى بني عبد

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٢٢.

(٢) الصحاح ٣: ١٢٥٥، مادة (طوع).

(٣) الفتح: ١٠.

مناف، أغضب أبوك جدّي بقوله: «ليموتن محمّد ولنجولنّ بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا». فأنزل تعالى مراغمة لأبيك: ﴿...وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً...﴾[1]، ومنع ابن عمّك أُمّي حقّها من فدك وغيرها من ميراث أبيها واجلب أبوك على عثمان وحصره حتى قتل ونكث بيعة عليّ عليه السلام وشام السيف في وجهه وأفسد قلوب المسلمين عليه...

«**وإن كنتما بايعتماني كارهين فقد جعلتما لي عليكما السبيل بإظهاركما الطاعة واسراركما المعصية**» فعلى كلّ حال لم يكن لهما النكث طائعين كانا أو كارهين، وانّما كان لهما النكث لو كانا مكرهين، مع انّه لم يكن قطعاً وإن كانا ادعياه باطلاً كما نسبا قتل عثمان ـ مع كونهما هما المحرّضين في قتله ـ إليه عليه السلام باطلاً.

روى الطبري عن سعد بن أبي وقاص: أنّ طلحة قال: «بايعت والسيف فوق رأسي» وقال سعد: لا أدري أنّ السيف كان على رأسه أم لا، إلّا انّي أعلم انّه بايع كارهاً[2].

«**ولعمري ما كنتما بأحق المهاجرين بالتقيّة والكتمان**» والظاهر وقوع سقط في الكلام من المصنّف أو من نقل عنه، وأنّ الأصل «المهاجرين والأنصار» فتخلف جمع كثير من الأنصار أيضاً عن البيعة معه عليه السلام فتركهم.

ففي (الطبري): لمّا قتل عثمان بايعت الأنصار علياً عليه السلام، إلّا حسان بن ثابت وكعب بن مالك ومسلمة بن مخلد وأبو سعيد الخدري ومحمّد بن مسلمة والنعمان بن بشير وزيد بن ثابت ورافع بن حديج وفضالة بن عبيد

---

(١) الاحزاب: ٥٣.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣١، سنة ٣٥.

وكعب بن عجرة ـ كانوا عثمانية ـ فقال رجل لعبد الله بن حسن: كيف أبى هؤلاء بيعة عليّ عليه السلام؟ قال: أمّا حسان فكان شاعراً لا يبالي ما يصنع، وأمّا زيد فولّاه عثمان الديوان وبيت المال، فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرّتين. فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلّا أنّه أكثر لك من العضدان، فأمّا كعب فاستعمله على صدقة مزينة وترك عثمان له ما أخذ منهم، وأما المهاجرون فكان منهم سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر[١].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): خاطب عليّ عليه السلام بين الصفّين طلحة فقال له: أوَما بايعتني طائعاً غير مكره؟ فقال طلحة: بايعتك والسيف في عنقي. قال: ألم تعلم انّي ما أكرهت أحداً على البيعة، ولو كنت مكرهاً أحداً لأكرهت سعداً وابن عمر ومحمّد بن مسلمة، أبَوا البيعة واعتزلوا فتركتهم[٢].

وفيه: أنّ عمّاراً دعا ابن عمر وسعداً ومحمّد بن مسلمة إلى بيعته عليه السلام فأبَوا، فأخبر عليّاً عليه السلام بذلك فقال عليه السلام: دع هؤلاء الرهط، اما ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود وذنبي إلى محمّد بن مسلمة انّي قتلت أخاه يوم خيبر[٣].

وذكر المسعودي: تخلّف قدامة بن مظعون ووهبان بن صيفي وعبد الله بن سلام والمغيرة بن شعبة عن بيعته عليه السلام أيضاً[٤].

ويمكن أن يقال بعدم سقط وأنّه عليه السلام اقتصر على ذكر المهاجرين، لأن طلحة والزبير كانا منهم، وان كان جمع من الأنصار أيضاً تخلّفوا عن بيعته عليه السلام فتركهم.

وكيف كان، فهما كانا أقوى من سعد وابن عمر، فكيف لم يتقيا وهما

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٩ ـ ٤٣١، سنة ٣٥.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٧٤ ـ ٧٥.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٥٣ ـ ٥٤.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٦١.

اتقيا، فيكون معلوماً كذبهما؟ وان كان سيف الذي يروي الطبري عن السّري عن شعيب عنه روى إكراههما، ولا غرو فإن سيفاً ذاك أحد الوضّاعين، ورواياته جميع خلاف السير وخلاف العقل والنقل، فروى عمّن افترى عليه: أنّه لما اجتمع الناس على عليّ عليه السلام ذهب الأشتر فجاء بطلحة فقال له: دعني أنظر ما يصنع الناس. فلم يدعه وجاء به يتله تلاً عنيفاً، وصعد المنبر فبايع. وجاء حكيم بن جبلة بالزبير حتّى بايع فكان الزبير يقول: جاءني لص من لصوص عبد القيس فبايعت واللج في عنقي.

«وإنّ دفعكما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فيه كان أوسع عليكما من خروجكما منه بعد اقراركما به» في (الطبري) قال الزهري: قد بلغنا أنّ علياً عليه السلام قال لطلحة والزبير: إن أحببتما أن تبايعالي، وإن أحببتما بايعتكما؟ فقالا: بل نبايعك. وقالا بعد ذلك: إنّما صنعنا ذلك خشية على أنفسنا، وقد عرفنا أنّه لم يكن ليبايعنا. فظهرا إلى مكّة بعد قتل عثمان بأربعة أشهر[1].

«وقد زعمتما أنّي قتلت عثمان فبيني وبينكما من تخلّف عني وعنكما» فلا يكون متّهماً بالميل إلى من معه.

«من أهل المدينة ثم يلزم كلّ امرىء بقدر ما احتمل» فغاية ما قالوا: إنّه عليه السلام خذل عثمان وكان راضياً بقتله وكان منتظراً لقتله، وكان عليه السلام لا ينكر ذلك، بل يقرّ به كما مرّ عند قوله عليه السلام: «ما أمرت به ولا نهيت عنه»، وأما هما فكانت دخالتهما في قتله من الواضحات.

فمن تخلّف عنه وعنهما عبيد الله بن عمر ومع أنّه عليه السلام أراد قتله بدم الهرمزان ففرّ منه عليه السلام إلى معاوية، وطلب منه معاوية أن ينسب قتل عثمان إليه عليه السلام، لم يرض مع لجاه إليه بذلك، بل نسبه إلى طلحة والزبير، وإنّما نسب

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٩، سنة ٣٥.

إليه عليه السلام انتظاره قتل عثمان.

فقال نصر بن مزاحم في (صفّينه): في حديث محمّد بن عبيد الله عن الجرجاني قال: لمّا قدم عبيد الله بن عمر على معاوية أرسل معاوية إلى عمرو بن العاص فقال: إنّ الله أحيا لنا عمر بالشام بقدوم عبيد الله وقد رأيت أن أقيمه خطيباً فيشهد على عليّ بقتل عثمان وينال منه. فقال عمرو: الرأي ما رأيت. فبعث إليه فأتى فقال له معاوية: يا بن أخ إنّ لك اسم أبيك فانظر بملء عينيك وتكلّم بكلّ فيك، فأنت المأمون المصدّق، فاشتم عليّاً واشهد عليه أنّه قتل عثمان. فقال: أمّا شتمه فإنّه ابن أبي طالب، وأمّه فاطمة بنت أسد بن هاشم، فما عسى أن أقول في حسبه، وأمّا بأسه فهو الشجاع المطرق، وأمّا أيّامه فما قد عرفت، ولكنّي ملزمه دم عثمان. فقال عمرو: اذن والله قد نكأت القرحة. فلما خرج عبيد الله قال معاوية لعمرو: أما والله لولا قتله الهرمزان ومخافته من عليّ على نفسه ما أتانا أبداً، ألم ترَ إلى تقريظه عليّاً؟ فقال عمرو: يا معاوية إن لم تغلب فاخلب. فخرج حديثه إلى عبيد الله فلما قام خطيباً تكلّم بحاجته حتّى إذا أتى إلى أمر عليّ عليه السلام أمسك، فقال له معاوية: إنّك بين عي أو خيانة. فقال: كرهت أن أقطع الشهادة على رجل لم يقتل عثمان، وقال أبياتاً ومنها مشيراً إليه عليه السلام وذاكراً لطلحة والزبير:

ولكنّه قد قرّب القوم ودبوا	حواليه دبيب العقارب
فما قال أحسنتم ولا قد أسأتم	وأطرق إطراق الشجاع المواثب
وقد كان فيها للزبير عجاجة	وطلحة فيها جاهد غير لاعب[1]

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّه لما كان في الصباح بعد قتل عثمان اجتمع الناس في المسجد، وكثر الندم والتأسف على عثمان وسقط في أيديهم

(١) وقعة صفين: ٨٢ ـ ٨٤.

وأكثر الناس على طلحة والزبير واتّهموهما بقتل عثمان، فقال الناس لهما: قد وقعتما في أمر عثمان فخليا عن أنفسكما. فقال طلحة: أيّها الناس إنّا والله ما نقول اليوم إلّا ما قلناه أمس، انّ عثمان خلط الذنب بالتوبة حتى كرهنا ولايته وكرهنا أن نقتله، وسرّنا أن نكفاه وقد كثر فيه اللجاج، وأمره إلى الله.

ثم قام الزبير فقال: أيّها الناس إنّ الله قد رضي لكم الشورى فأذهب بها الهوى، وقد تشاورنا فرضينا علياً فبايعوه، وأمّا قتل عثمان فإنّا نقول فيه: إنّ أمره إلى الله وقد أحدث أحداثاً والله وليّه في ما كان ـ فقام الناس فأتوا علياً في داره، فقالوا: نبايعك[1].

بل مر أنّ ابن طلحة مع كونه مع أبيه والزبير يحاربه أقرّ بأن ثلث دم عثمان على أبيه، فغضب عليه أبوه وقال له: كن كابن الزبير. فقال له: لم أقل إلّا حقّاً.

«فارجعا أيّها الشيخان عن رأيكما، فإن الآن أعظم أمركما العار» في (الطبري) قال قتادة: سار عليّ عليه السلام من الزاوية يريد طلحة والزبير، وسارا من الفرضة يريدان علياً عليه السلام، فالتقوا عند قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخرة سنة (٣٦) فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح فقيل لعليّ عليه السلام: هذا الزبير. فقال عليه السلام: أما أنّه أحرى الرجلين ان ذكر بالله أن يذكر. وخرج طلحة فخرج إليهما علي عليه السلام وقال لهما: لقد أعددتما سلاحاً وخيلاً ورجالاً إن كنتم أعددتما عند الله عذراً فاتّقيا الله ولا تكونا ﴿كالتي نقضت غزلها من بعد قوّة أنكاثاً﴾[2] ألم أكن أخاكما في دينكما تحرّمان دمي وأُحرّم دماءكما فهل من حدث أحلّ لكما دمي؟ قال طلحة: ألّبْتَ الناس على عثمان. قال

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٤٦.

(٢) النحل: ٩٢.

علـيّ عليه السلام: ﴿يـومئذ يـوفيهم الله ديـنهم الحـقّ ويـعلمون أنّ الله هـو الحـقّ المبين﴾[١] يا طلحة تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتلة عثمان ـإلى أن قال ـ بعد ذكره للزبير قول النّبي صلى الله عليه وآله له: (ولتقاتلنه وأنت ظالم)، قال الزبير: ولو ذكرت ما سرت مسيري هذا، والله لا أُقاتلك أبداً ورجع إلى عايشة فقال لها: ما كنت في موطن مذ عقلت إلّا وأنا أعرف فيه أمري غير موطني هذا. قالت: ما تريد؟ قال: أن أدعهم وأذهب. فقال له ابنه: أحسست رايات ابن أبي طالب وعـلمت أنّـها تحملها فتية أنجاد! قال: إنّي قد حلفت ألّا أُقاتله ـ وأحفظه ما قال له ـ فـقال له ابنه: كفر عن يمينك وقاتله. فـدعا بـغلام له يـقال له مكـحول فأعـتقه فـقال بعضـهم:

لم أر كاليوم أخا اخــوان أعجب من مكفّر الأيـمان

بالعتق في معصية الرحمن

أيضـاً:

يعتق مكحولاً لصون دينه كـــفّارة لله عـــن يــمينه

والنكث قد لاح على جبينه[٢]

«من قبل أن يتجمّع» هكذا في (المصرية)[٣] والصـواب: (يـجتمع) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٤].

«العار والنار» في (جمل المفيد): في رواية سفيان بن عنبسة عـن أبـي موسى عن الحسن بن أبي الحسن قال: خرج طلحة من رساتيق أقطعه إيّاها عثمان، فلم يعرف له ذلك حتّى سعى في دمه، فلما كان يـوم البـصرة خـرج

---

(١) النور: ٢٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٠١ ـ ٥٠٢، سنة ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

(٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣١، ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٨٨ «يتجمّع» أيضاً.

للقتال ـ وقد لبس درعاً استجن به من السهام ـ إذ أتاه سهم فأصابه وكان أمر الله قدراً مقدوراً.

قال الحسن: ورأيته يقول حين أصابه السهم: ما رأيت كاليوم مصرع شيخ أضيع من مصرعي. قال: وقد كان قبل ذلك جاهد جهاداً مع النّبي صلى الله عليه وآله ووقاه بيده فضيع أمر نفسه. قال: ولقد رأيت قبره مأوى الشقاء، فيضع عنده غريبه ثم يقضي عنده حاجته.

وأما الزبير فإنّه أتى حيّاً من أحياء العرب فقال: أجيروني ـ وكان قبل ذلك يجير ولا يجار عليه ـ قالوا: وما الذي أخافك، والله ما أخافك إلّا ابنك؟ فاتبعه ابن جرموز ـ تولّة من أتاليل العرب ـ فقتله، وهذا قبره بوادي السباع مخرأة للثعالب. قال: فخرجا ولم يدركا ما طلبا، ولم يرجعا إلى ما تركا فعزّ عليّ هذه الشقوة التي كتبت عليهما[1].

وفيه: وفي رواية عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون ـ إلى أن قال ـ: فلمّا رأى عليّ عليه السلام رأس الزبير وسيفه، هزّ السيف وقال: سيف طالما قاتل بين يدي الرسول صلى الله عليه وآله، ولكن الحين ومصارع السوء، ثم تفرّس في وجه الزبير وقال: لقد كان لك بالرسول صلى الله عليه وآله صحبة ومنه قرابة، ولكن دخل الشيطان منخرك، فأوردك هذا المورد[2].

وفيه: ومر عليه السلام في قتلى الجمل على طلحة بعد كعب بن سور فرأى طلحة صريعاً، فقال أجلسوه. فأُجلس، فقال: يا طلحة بن عبيد الله قد وجدت ما وعدني ربّي حقّاً، فهل وجدت ما وعدك ربّك حقّاً؟ ـ إلى أن قال ـ: فوقف رجل من القرّاء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه، الهام قد صديت

---

(١) الجمل للمفيد : ٣٨٤ ـ ٣٨٥، شرح ابن أبي الحديد ٩ : ١١٣ ـ ١١٤.

(٢) الجمل : ٣٨٩ ـ ٣٩٠.

لا تسمع كلاماً ولا ترد جواباً؟ فقال عليه السلام: انّهما ليسمعان كلامي كما تسمع أصحاب القليب كلام النّبيّ صلى الله عليه وآله، ولو أُذن لهما في الجواب لرأيت عجباً[1].

ومن العجب أنّ العامة وضعوا في مقابل هذا منكراً عجباً؛ ففي (العقد الفريد): من حديث سفيان الثوري، لمّا انقضى يوم الجمل خرج علي في ليلة ذلك اليوم ومعه مولاه، وبيده شمعة يتصفّح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحة في بطن واد متعفّراً، فجعل يمسح الغبار عن وجهه ويقول: اعزز عليّ يا أبا محمّد أن أراك متعفّراً تحت نجوم السماء وبطون الأودية، إنّا لله وإنّا إليه راجعون، شفيت نفسي وقتلت معشري، إلى الله أشكو عجري وبجري. ثمّ قال: والله اني لأرجو أن أكون أنا وعثمان وطلحة والزبير من الذين قال الله فيهم: ﴿ونزعنا ما في صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾[2]، وإذا لم يكن نحن فمن هم[3]؟ وكم لإخواننا أخبار نظير هذا، مما يجعل الملاحدة أحقّ من الموحدة إن فرض تحققها.

١٥
الخطبة (٢٢)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَرَ حِزْبَهُ وَٱسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ لِيَعُودَ ٱلْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ وَيَرْجِعَ ٱلْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ. وَٱللّٰهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفاً، وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوه وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ، فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ

(١) الجمل: ٣٩٢، الإرشاد ١: ٢٥٦ ـ ٢٥٧.

(٢) الحجر: ٤٧.

(٣) العقد الفريد ٥: ٧٠.

دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ، وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أُمّاً قَدْ فطَمَتْ وَيُحْيُونَ بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ يَا خَيْبَةَ الدَّاعِي مَنْ دَعَا وَإِلَامَ أُجِيب وَإِنِّي لرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللّهِ عَلَيْهِمْ، وَعِلْمِهِ فِيهِمْ. فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ السَّيْفِ، وَكَفَى بِهِ شَافِياً مِنَ ٱلْبَاطِلِ، وَنَاصِراً لِلْحَقِّ وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنْ أَبْرُزَ لِلطِّعَانِ، وَأَنْ أَصْبِرَ لِلْجِلَادِ. هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ، وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي.

وفي الخطبة (١٣٧)

و من كلام له عليه السلام في معنى طلحة والزبير:

وَٱللّهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكراً، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نِصْفاً؛ وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقّاً هُمْ تَرَكُوهُ، وَدَماً هُمْ سَفَكُوهُ. فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا ٱلطَّلِبَةُ إِلَّا قِبَلَهُمْ. وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ. وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي، مَا لَبِسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ.

وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فِيهَا ٱلْحَمَا وَٱلْحُمَةُ، وَالشُّبْهَةُ المُغْدِفَةُ. وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ لَوَاضِحٌ؛ وَقَدْ زَاحَ ٱلْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ، وَٱنْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ. وَايْمُ ٱللّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أنا مَاتِحُهُ؛ لَا يَصْدُرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حِسْيٍ.

وفي الخطبة (١٠)

ومن خطبة له عليه السلام:

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ، وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجِلَهُ؛ وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي؛ مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي، وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ. وَايْمُ ٱللّهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ

حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ، لَايَصْدُرُونَ عَنْهُ، وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ.

أقول: ترى التكرار في الثلاث، وعذره ما قاله في (ديباجته): وربما بعد العهد بما اختير أوّلاً، فأُعيد بعضه سهواً أو نسياناً لا قصداً واعتماداً[١].

قال ابن أبي الحديد بعد الأُولى: ذكر كثيراً من هذه الخطبة أبو مخنف فقال: قال مسافر بن عفيف بن أبي الأخنس لمّا رجعتْ رسل عليعليه السلام من عند طلحة والزبير وعايشة يؤذنونه بالحرب قال: أيّها الناس اني قد راقبت هؤلاء القوم كي يرعووا أو يرجعوا، ووبختهم بنكثهم وعرّفتهم بغيهم فلم يستحيوا، وقد بعثوا إليّ أن أبرز للطعان وأصبر للجلاد، إنّما تمنيك نفسك أماني الباطل وتعدك الغرور. ألا هبلتهم الهبول لقد كنت وما أُهدد بالحرب ولا اذهب بالضرب، ولقد أنصف القارة من راماها، فليرعدوا وليبرقوا فقد رأوني قديماً وعرفوا نكايتي، فكيف رأوني أنا أبو الحسن الذي فللت حدّ المشركين وفرّقت جماعتهم؟ وبذلك القلب ألقى عدوي اليوم، واني لعلى ما وعدني ربي من النصر والتأييد، وعلى يقين من أمري وفي غير شبهة من ديني، أيّها الناس ان الموت لا يفوته المقيم، ولا يعجزه الهارب، وليس عن الموت محيد ولا محيص، ومن لم يقتل مات. إنّ أفضل الموت القتل، والذي نفس عليّ بيده لأُلف ضربة بالسيف أهون من موتة واحدة على الفراش، اللهمّ ان طلحة نكث بيعتي وألّب على عثمان حتى قتله، ثم عضهني به ورماني، اللهمّ فلا تمهله، اللهمّ ان الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليٌّ عدوي، فاكفنيه اليوم بما شئت[٢].

قلت: وروى (جهاد الكافي) عن علي بن إبراهيم عن أبيه، عن ابن محبوب رفعه: أنّ أمير المؤمنينعليه السلام خطب يوم الجمل فقال: أيّها الناس انّي أتيت

---

(١) نهج البلاغة ١: ٥.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٥ ـ ٣٠٦، أمالي الطوسي ١: ١٧١ ـ ١٧٢.

هؤلاء ودعوتهم واحتججت عليهم، فدعوني إلى أن أصبر للجلاد ـإلى آخره مثل ما نقله عن أبي مخنف مع اختلاف يسير[١].

وقال ابن ميثم بعد الأولى: تمام الخطبة هكذا: أيّها الناس ان الله افترض الجهاد فعظّمه وجعله نصرته وناصره، والله ما صلحت دنيا ولا دين إلّا به، وقد جمع الشيطان حزبه واستجلب خيله، ومن أطاعه ليعود له دينه وسننه وخدعه وقد رأيت أُموراً قد تمخّضت، والله ما أنكروا عليّ منكراً ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً، وإنّهم ليطلبون حقّاً تركوه ودماً سفكوه، فان كنت شريكهم فيه فان لهم لنصيبهم منه، وإن كانوا ولّوه دوني فما الطلبة إلّا قبلهم، وإنّ أول عدلهم لعلى أنفسهم ولا اعتذر ممّا فعلت، ولا أتبرّأ مما صنعت، وإنّ معي لبصيرتي مالبست ولا لبس علي وإنّها للفئة الباغية فيها الحم والحمة، طالت جلبتها وانكفت جونتها، ليعودن الباطل في نصابه، يا خيبة الداعي من دعا لو قبل ما أنكر من ذلك وما امامه وفي من سنته والله اذن لزاح الباطل عن نصابه وانقطع لسانه، وما أظنّ الطريق له فيه واضح حيث نهج، والله ما تاب من قتلوه قبل موته، ولا تنصّل من خطيئته. وما اعتذر اليهم فعذروه، ولا دعا فنصروه؛ وايم الله لافرطن لها حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون عنه بري ولا يعبون حسوه أبداً وانها لطيبة نفسي بحجة الله عليهم وعلمه فيهم وإنّي داعيهم فمعذر اليهم، فإن تابوا وقبلوا وأجابوا وأنابوا، فالتوبة مبذولة والحق مقبول وليس علي كفيل، وإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف، وكفى به شافياً من باطل وناصراً لمؤمن، ومع كل صحيفة شاهدها وكاتبها، والله انّ الزبير وطلحة وعايشة ليعلمون أنّي على الحق وأنّهم مبطلون[٢].

---

(١) الكافي ٥: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

قلت: كان عليه ان ينقله في الثاني لأنّه تضمن جميع فقرات الثاني مع زيادة، ولم ينقل في الثاني شيئاً فهو غفل كما غفل المصنّف. وكيف كان فبعض فقرات ما نقل بلا محصل وقد رواه (الإرشاد) صحيحاً. ففي (الارشاد): واستجلب خيله وشبه في ذلك، وخدع وقد بانت الأُمور وتمحصت والله ما أنكروا[١].

وفيه: فياخيبة للداعي ومن دعا لو قيل له: إلى من دعوك، وإلى من أجبت، ومن إمامك وما سنته؟ إذن لزاح الباطل عن مقامه ولصمت لسانه فما نطق) ...[٢].

قال ابن أبي الحديد: واعلم أنّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام وكلام أصحابه وعمّاله في واقعة الجمل كلّه يدور على هذه المعاني، فمن ذلك خطبة رواها المدائني عن عبدالله بن جنادة قال: قدمت من الحجاز أُريد العراق في أول إمارة علي عليه السلام فمررت بمكّة فاعتمرت ثم قدمت المدينة فدخلت المسجد إذ نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج علي عليه السلام متقلّداً سيفه فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلّى على رسوله ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لمّا قبض نبيه صلى الله عليه وآله قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبيّنا صلى الله عليه وآله فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف ويتعزز علينا الذليل، فبكت الأعين منا لذلك وخشنت الصدور وجزعت النفوس، وايم الله لولا مخافة الفرقة بين المسلمين وأن يعود الكفر ويبور الدين لكنّا على غير ما كنّا لهم، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثم

---

(١) الإرشاد ١: ٢٥١.

(٢) المصدر نفسه.

استخرجتموني أيّها الناس من بيتي، فبايعتموني على شنآن مني لأمركم، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أول من بايع ـ تعلمون ذلك ـ وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعايشة ليفرقا جماعتكم، ويلقيا بأسكم بينكم، اللهمّ فخذهما بما عملا ﴿أخذةً رابية﴾[1]، ولا تنعش لهما صرعة ولا تقلهما عثرة ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهما يطلبان حقاً تركاه ودماً سفكاه، اللهمّ إنّي أقتضيك وعدك فإنّك قلت وقولك الحق ولمن ﴿بغي عليه لينصرنه الله﴾[2] اللهمّ فأنجز لي موعدي، ولا تكلني إلى نفسي ﴿إنّك على كل شيء قدير﴾[3].

وقال: وروى الكلبي: أنّ علياًعليه السلام لمّا أراد المسير إلى البصرة قام فخطب الناس فقال بعد أن حمد الله وصلّى على رسوله: إنّ الله لما قبض نبيهصلى الله عليه وآله استأثرت علينا قريش بالأمر ودفعتنا عن حق نحن أحقّ به من الناس كافّة، فرأيت أنّ الصبر على ذلك أفضل من تفريق كلمة المسلمين وسفك دمائهم والناس حديثوا عهد بالإسلام، والدين يمخض مخض الوطب، يفسده أدنى وهن ويعكسه أقلّ خلق، فولي الأمر قوم لم يألوا في أمرهم اجتهاداً ثم انتقلوا إلى دار الجزاء، والله وليّ تمحيص سيئاتهم والعفو عن هفواتهم، فما بال طلحة والزبير ـ وليسا من هذا الأمر بسبيل ـ لم يصبرا عليّ حولاً ولا شهراً حتى وثبا ومرقا ونازعاني أمراً لم يجعل الله لهما إليه سبيلاً، بعد أن بايعا طائعين غير مكرهين يرتضعان أُمّاً قد فطمت، ويحييان بدعة قد أُميتت، أدم عثمان زعما؟! والله ما التبعة إلّا عندهم وفيهم وإنّ أعظم حجتهم

(١) الحاقة: ١٠.

(٢) الحج: ٦٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٧ ـ ٣٠٨، والآية ٢٦ من سورة آل عمران.

لعلى أنفسهم، وأنا راض بحجة الله عليهم وعلمه فيهم، فإن فاءا وأنابا فحظهما أحرزا وأنفسهما غنما وأعظم بهما غنيمة، وإن أبيا أعطيتهما حدّ السيف وكفى به ناصراً لحق وشافياً لباطل. ثم نزل[1].

وقال: وروى أبو مخنف عن زيد بن صوحان قال: شهدت علياًعليه السلام بذي قار وهو معتمّ بعمامة سوداء، ملتف بساج يخطب، فقال في خطبة: الحمد لله على كل أمر وحال في الغدو والآصال، وأشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً عبده ورسولهصلى الله عليه وآله ابتعثه رحمة للعباد وحياة للبلاد حين امتلات الأرض فتنة واضطرب حبلها وعبد الشيطان في أكنافها، واشتمل ابليس عدوّ الله على عقائد أهلها، فكان محمّد بن عبدالله بن عبد المطلب الذي اطفأ الله به نيرانها، وأخمد به شرارها ونزع به أوتادها وأقام به ميلها، امام الهدى والنبي المصطفى، فلقد صدع بما أُمر به وبلّغ رسالات ربه، فأصلح الله به ذات البين، وآمن به السبل وحقن به الدماء وألّف به بين ذوي الضغائن الواغرة في الصدور، حتى أتاه اليقين. ثم استخلف الناس أبا بكر فلم يأل جهده، ثم استخلف الناس عثمان فنال منكم ونلتم منه، حتى إذا كان في أمره ما كان أتيتموني لتبايعوني فقلت: لا حاجة لي في ذلك. ودخلت منزلي فاستخرجتموني، فقبضت يدي فبسطتموها وتداككتم عليّ حتى ظننت أنكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل بعض فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل، وقد علم الله سبحانه أنّي كنت كارهاً للحكومة بين أُمة محمّدصلى الله عليه وآله ولقد سمعته يقولصلى الله عليه وآله: «ما من والٍ يلي شيئاً من أمر أُمتي إلّا أُتي به يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه على رؤس الخلائق، ثم ينشر كتابه فإن كان عادلاً نجا، وإن كان جائراً هوى» حتى اجتمع عليّ ملأكم، وبايعني طلحة والزبير وأنا أعرف الغدر

---

(١) المصدر نفسه ١: ٣٠٨ ـ ٣٠٩.

في أوجههما، والنكث في أعينهما، ثم استأذناني في العمرة فأعلمتهما ان ليس العمرة يريدان، فسارا إلى مكة واستخفّا عايشة وخدعاها، وشخص معهما أبناء الطلقاء، فقدموا البصرة فقتلوا بها المسلمين وفعلوا المنكر، ويا عجباً لاستقامتهما لأبي بكر وعمر وبغيهما عليَّ، وهما يعلمان أنّي لست دون أحدهما ـ ولو شئت أن أقول لقلت ـ ولقد كان معاوية كتب إليهما من الشام كتاباً يخدعهما فيه، فكتماه عني وخرجا يوهمان الطغام أنّهما يطلبان بدم عثمان، والله ما أنكرا عليَّ منكراً ولا جعلا بيني وبينهم نصفاً، وإنّ دم عثمان لمعصوب بهما ومطلوب منهما، ياخيبة الداعي إلامَ دعا وبماذا أُجيب، والله إنّهما لعلى ضلالة صمّاء وجهالة عمياء، وإنّ الشيطان قد ذمر لهما حزبه، واستجلب منهما خيله ورجله، ليعيد الجور إلى أوطانه ويرد الباطل إلى نصابه ـ ثم رفع يديه فقال ـ: اللهمّ إنّ طلحة والزبير قطعاني وظلماني وألّبا عليّ ونكثا بيعتي، فاحلل ما عقدا وانكث ما أبرما ولا تغفر لهما أبداً، وأرهما المساءة في ما عملا وأمّلا.

فقام إليه الأشتر فقال: الحمد لله الذي منَّ علينا فأفضل، وأحسن إلينا فأجمل، قد سمعنا كلامك ولقد أصبت ووفقت، وأنت ابن عمّ نبيّنا وصهره ووصيّه، وأوّل مصدّق به ومصلٍّ معه، شهدت مشاهده كلّها فكان لك الفضل فيها على جميع الأُمّة، فمن اتبعك أصاب حظّه واستبشر بفلجه، ومن عصاك ورغب عنك فإلى أُمّه الهاوية، لعمري ما أمر طلحة والزبير وعايشة علينا بمخيل، ولقد دخل الرجلان في ما دخلا فيه وفارقا على غير حدث أحدثت ولا جور صنعت، فان زعما أنّهما يطلبان بدم عثمان فليقيدا من أنفسهما، فإنّهما أوّل من ألّب عليه وأغرى الناس بدمه، وأُشهد الله لئن لم يدخلا في ما خرجا

منه لنلحقنّهما بعثمان، فإنّ سيوفنا في عواتقنا وقلوبنا في صدورنا...»[١].

قلت: إنّه وإن نقلها للأوّل إلّا أنّها اشتملت على الثاني والثالث أيضاً قوله عليه السلام في الأوّل.

«ألا وإنّ الشيطان قد ذمر» أي: حثّ.

«حزبه واستجلب جلبه» أي: جمع جمعه، ومثله قوله في الثالث.

«ألا وإنّ الشيطان قد جمع حزبه واستجلب خيله ورجله» أي: صاح بركابه ومشاته؛ والأصل فيه قوله تعالى للشيطان: ﴿...واجلب عليهم بخيلك ورجلك...﴾[٢].

ثم الغريب أنّ ابن أبي الحديد لم يتفطّن أنّ الثالث في طلحة والزبير أيضاً، فقال في قوله عليه السلام: «وان الشيطان قد جمع حزبه»: يمكن أن يريد عليه السلام بالشيطان الشيطان الحقيقي، وأن يريد به معاوية[٣].

قوله عليه السلام في الأوّل: «ليعود الجور الى أوطانه ويرجع الباطل إلى نصابه» أي: أصله كما فعلوا ذلك يوم السقيفة ويوم الدار، فحالوا بينه عليه السلام وبين حقّه هرباً من عدله عليه السلام فيهم ومنعهم من الجور والباطل.

قوله عليه السلام في الأوّل والثاني: «والله ما أنكروا عليّ منكراً» حتى نقضوا بيعتي، بل أنكروا التزامه عليه السلام بالمعروف حتى انّ المغيرة بن شعبة ـ الذي كان منافقاً واعتزل أمير المؤمنين عليه السلام ولحق بالطائف أيامه، فلم ينصره عليه السلام لعرفانه بدهائه وأنّه لا يستقر أمره لعداوة قريش وبني أُمّية، ولم يحاربه عليه السلام لعرفانه بأسه وشجاعته ـ أنكر عليهم ذلك.

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٩ ـ ٣١١.

(٢) الإسراء: ٦٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣٩.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): لما أشرف المغيرة مع سعيد بن العاص على طلحة والزبير وعايشة ومن معهم أقبل المغيرة عليهم وقال: أيّها الناس إن كنتم إنّما خرجتم مع أُمّكم فارجعوا خيراً لكم، وإن كنتم غضبتم لعثمان فرؤساؤكم قتلوا عثمان، وإن كنتم نقمتم على عليّ شيئاً فبيّنوا ما نقمتم عليه؛ أُنشدكم الله فتنتين في عام واحد[١]!

«ولا جعلوا بيني وبينهم نصفاً» إذ قتلوا عثمان ونسبوا قتله إليه عليه السلام؛ ثم إنّ ابن أبي الحديد أغرب فقال في شرح الفقرة في الأوّل: النصف الذي ينصف. وقال الراوندي: «النصف النصفة» ولا معنى لقوله «ولا جعلوا إنصافاً في البين»[٢] وفي الثاني: النصف والإنصاف؛ قال الفرزدق:

ولكن نصفاً لو سببت وسبني   بنو عبد شمس من قريش وهاشم

وهو على حذف المضاف أي: ذا نصف ـ فما أنصفه[٣].

«وإنّهم ليطلبون حقّاً هم تركوه» هكذا في (المصرية)[٤] في الأوّل والثاني ولكن في (شرح ابن ميثم) في الأوّل «حقاً تركوه» بدون «هم»[٥].

«ودماً هم سفكوه» قال حسان:

من عذيري من الزبير ومن   طلحة إذ جاء أمر له مقدار

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لما حاصر أهل الكوفة وأهل مصر عثمان ليلاً ونهاراً، كان طلحة يحرّض الفريقين ويقول لهم: إنّ عثمان لا يبالي ما

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٣.

(٤) نهج البلاغة ١: ٥٥، و ٢: ٢٧.

(٥) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

حصرتموه وهو يدخل عليه الطعام والشراب، فامنعوه أن يدخل عليه[١].

قوله في الأوّل: «فلئن كنت شريكهم فيه» هكذا في (المصرية)[٢]، ولكن في (ابن ميثم): «فان كنت شريكهم فيه»[٣]، مثله في الثاني.

«فإنّ لهم لنصيبهم منه» قال ابن أبي الحديد: روى الذين صنّفوا في واقعة الدار: أنّ طلحة كان يوم قتل عثمان مقنّعاً بثوب قد استتر به عن أعين الناس، يرمي الدار بالسهام[٤].

وقال: ورووا: أنّه لما امتنع على الذين حصروه الدخول من باب الدار حملهم طلحة إلى دار لبعض الأنصار، فأصعدهم إلى سطحها وتسوّروا منها على عثمان داره فقتلوه[٥].

وقال: ورووا أيضاً: أنّ الزبير أيضاً يقول: اقتلوه فقد بدّل دينكم. فقالوا: إن ابنك يحامي عنه بالباب. فقال: ما أكره أن يُقتل عثمان ولو بدئ بابني، إنّ عثمان لجيفة على الصراط غداً[٦].

وقال: وروي: أنّ عثمان قال: ويلي على ابن الحضرمية ـ يعني طلحة ـ أعطيته كذا وكذا بهاراً ذهباً وهو يروم دمي ويحرّض على نفسي[٧].

وفي (الطبري): عن عبد الرحمن بن ابزي قال: رأيت اليوم الذي دخل فيه على عثمان، فدخلوا من دار عمرو بن حزم من خوخة هناك، فو الله ما نسيت

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٣٨.

(٢) نهج البلاغة ١: ٥٥.

(٣) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٥.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٥ ـ ٣٦.

(٦) المصدر نفسه ٩: ٣٦.

(٧) المصدر نفسه ٩: ٣٥.

أن خرج سودان بن حمران يقول: أين طلحة، قد قتلنا ابن عفان[١]؟

قوله عليه السلام في الأوّل: «ولئن كانوا ولّوه دوني فما التبعة إلّا عندهم وإنّ أعظم حجّتهم لعلى أنفسهم» وفي (شرح ابن ميثم): «ان كانوا»[٢] كما في الثاني.

«وإن كانوا ولّوه دوني فما الطّلبة إلّا قِبلهم وإنّ أوّل عدلهم لَلحكم على أنفسهم» في (خلفاء ابن قتيبة): تكلّم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا...[٣].

وفي (جمل المفيد): روى سليمان بن عبدالله بن عويمر الأسلمي عن ابن الزبير قال: سمعت عمّاراً يقول لأصحابنا: ما تريدون وما تطلبون؟ فناديناه: نطلب بدم عثمان، فإن خلّيتم بيننا وبين قتلته رجعنا. فنادانا عمّار: قد فعلنا، هذه عايشة وطلحة والزبير قتلوه عطشاناً، فابدؤا بهم، فإذا فرغتم منهم تعالوا إلينا نبذل لكم الحقّ. فأمسك والله أصحاب الجمل كلّهم[٤].

ولم يذكر عليه السلام شقّاً ثالثاً وهو توليته دونهم لأنّه أمر لا يمكنهم التفوّه بذلك لأنّه واضح البطلان، فمن يدّعي باطلاً إن كان عاقلاً لابدّ أن يدّعي ما يمكنه التلبيس فيه دون ما لا يمكن، وتصديهما والتحريض على قتله كان أمراً معلوماً شاهده جميع الناس، وإنّما اتّهموه عليه السلام بشراكته، لأنّه آوى قاتليه ولم ينههم عن قتله، ولمّا سألوه عن رأيه في قتله قال: ما ساءني. وهو إنّما يدلّ على رضاه دون دخالته.

ومما يوضح رضاه قول الأشتر له عليه السلام ـ وهو من أخص أصحابه ـ: إنّ

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٧٩، سنة ٣٥.

(٢) شرح ابن ميثم ١: ٣٣٣.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٥١.

(٤) الجمل للمفيد: ٣٦٥.

طلحة والزبير إن لم يرجعا لنلحقنّهما بعثمان. كما مر عن أبي مخنف.

قولهعليه السلام في الأوّل: «يرتضعون أمّاً قد فطمت» في (خلفاء ابن قتيبة): قام عثمان بن حنيف عامل عليعليه السلام على البصرة ـ لمّا سمع بدنوّ طلحة والزبير ـ فقال: أيّها الناس إنّما بايعتم الله، يد الله فوق أيديكم ﴿فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليهُ الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[١] والله لو علم عليعليه السلام أنّ أحداً أحقّ بهذا الأمر منه ما قبله، وما به إلى أحد من الصحابة حاجة وما بأحد منه غنىً، ولقد شاركهم في محاسنهم وما شاركوه في محاسنه، ولقد بايعه هذان الرجلان وما يريدان الله، فاستعجلا الفطام قبل الرّضاع، والرّضاع قبل الولادة والولادة قبل الحمل[٢].

«ويحيون بدعة قد أُميتت» فعمر بايع أبا بكر، ليكون شريكه في أمره وليرد الأمر إليه بعده ففعل، وكتب عثمان ـ وكان كاتب أبي بكر ـ استخلاف أبي بكر لعمر في غشوته، وإن أفاق وأمضاه ليدبر عمر له في استخلافه، فدبر له مع كونه من بني أُمية، وكون سوابقه الدفاع عن أعداء الله حتى لا يقتلهم النبيصلى الله عليه وآله بجعل شورى، وأنّه من بني عبد مناف كعليّ، وجعل ابن عوف زوج أُخته حكماً، فحكم ابن عوف لعثمان ليردّ الأمر إليه ويكون شريكه كعمر مع أبي بكر، إلّا أنّ عثمان لم يعرف غير بني أبيه فآل الأمر بينهما بالفساد. وقد كانعليه السلام دعا عليه لما فوّض الأمر إلى عثمان فقال له: «دق الله بينكما عطر منشم» فكان يسعى في عزله بعد نصبه إلى أن مات قبله، فبايعهعليه السلام طلحة والزبير أوّل الناس بهذا الطمع، إلّا أنّهعليه السلام لم يكن أهل ذاك وكانوا يعرفونه بذلك، ولذلك اتّفقوا على دفعه عن الأمر يوم السقيفة ويوم الشورى، إلّا أنّهم

---

(١) الفتح: ١٠.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٣ ـ ٦٤.

بعد قتل عثمان لم يمكنهم دفعه، لأنّ شوق الناس إليه كان بحيث كاد أن يقتل بعضهم بعضاً في السبقة إليه، إلّا أنّ الطمع يسلب العقل، فقالا له عليه السلام: إنّا بايعناك على أنّا شركاؤك في الأمر. وقال طلحة بعد قول الزبير المتقدم: ما اللوم إلّا لنا، إنّا كنّا ثلاثة من أهل الشورى ـ أي: هما مع سعد ـ كرهه أحدنا وبايعناه، وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا ما رجونا.

«يا خيبة الداعي» من الاجابة.

«من دعا» أي: إلى طلب دم عثمان. إنّما دعا إليه طلحة والزبير اللذان حثّا على قتله، ودعا إليه من كان مثلهما في الحثّ على قتله عايشة، وكانت مأمورة بنص القرآن بالقرار في بيتها، وبنص النبي صلى الله عليه وآله لها ألّا تكون صاحبة كلاب الحوأب.

سبحان الله من هؤلاء المنتمين إلى السّنة القائلين بجلال هؤلاء من ذاك اليوم إلى يومنا، وهل باطل أوضح من هذا؟ ـ إلّا أنّ لازم كونهم أهل سنة ـ سنّة أبي بكر وعمر ـ ذلك ولا غرو؛ يقول تعالى: ﴿ولو أننا نزّلنا إليهم الملائكة وكلّمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا...﴾[1] ـ وإلّا فكون أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله أهل عصمة وطهارة ومثل النبي صلى الله عليه وآله في كلّ صفة بنص القرآن والسنة المتواترة وإجماع مخالفيهم فضلاً عن موافقيهم، وكون جميع أئمتهم معدن كل عوار ومثلبة، وكون أولهم كآخرهم، وكون أبي بكر وعمر كعثمان، وعثمان كبني أُميّة في عداوتهم لله ولرسوله وأهل بيت نبيه من أوضح الواضحات.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أتى طلحة والزبير عبدالله بن خلف فقال لهما:

---

(١) الأنعام: ١١١.

إنّه ليس أحد من أهل الحجاز كان منه في عثمان شيء إلّا وقد بلغ أهل العراق، وقد كان منكما في عثمان من التخليب والتأليب مالا يدفعه جحود، ولا ينفعكما فيه عذر، وأحسن الناس فيكما قولاً من أزال عنكما القتل وألزمكما الخذلان، وقد بايع الناس عليّاً بيعة عامة، والناس لاقوكما غداً فما تقولان؟ فقال طلحة: ننكر القتل ونقرّ بالخذلان، ولا ينفع الإقرار إلّا مع الندم، ولقد ندمنا على ما كان منّا. وقال الزبير: نقول: بايعنا عليّاً والسيف على أعناقنا، حيث تواثب الناس بالبيعة إليه دون مشورتنا، ولم نصب عثمان قتلاً خطأً فيجب علينا الديّة، ولا عمداً فيجب علينا القصاص. فقال لهما: عذركما أشد من ذنبكما[1].

وفيه: جاء جارية بن قدامة إلى عايشة فقال لها: قتل عثمان كان أهون علينا من خروجك على هذا الجمل الملعون[2].

«وإلامَ» وفي نسخة (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3]: «وإلى ما».

«أُجيب» أي: أُجيب إلى الطلب بدم عثمان الذي استحل المؤمنون دمه، ومنع المسلمون من دفنه في مقابر المسلمين؛ ففي (جمل المفيد): روى عبد الله بن رياح مولى الأنصار بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمّار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء على أيِّ شيء تقاتلونا؟ فقلنا: على أنّ عثمان قتل مؤمناً. فقال عمّار: نحن نقاتلكم على أنّه قتل كافراً. والله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر لعلمنا أنّا على الحقّ وأنّكم على الباطل. والله ما نزل تأويل هذه الآية: ﴿يا أيّها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبّهم

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦١ ـ ٦٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٦٩.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٣، وشرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «إلامَ» أيضاً.

ويحبّونه...﴾[١] إلّا اليوم[٢].

وفي (صفين نصر): قال عمرو بن العاص لعمّار: هل كنت مع من قتل عثمان؟ قال: كنت مع من قتله وأنا اليوم أُقاتل معهم. فقال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه. فقال عمرو لمن معه: ألا تسمعون، قد اعترف بقتل عثمان؟ قال عمّار: وقال قبلك فرعون لقومه: ﴿ألا تسمعون﴾[٣].

هذا وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا: أنّ عبدالله بن عامر لحق بالشام ولم يأت معاوية، فبعث إليه معاوية أن يأتيه وألحَّ عليه، فكتب إليه ابن عامر: أُخبرك أنّي أقحمت طلحة والزبير إلى البصرة، وأنا أقول: إذا رأى الناس أُمّ المؤمنين مالوا إليها، وإن فرّ الناس لم يفرّ الزبير، وإن غدر الناس لم يغدر مروان. فغضبت عايشة ورجع الزبير وقتل مروان طلحة وذهب مالي بما فيه، والناس أشباه، واليوم كأمس. فكتب إليه معاوية: فإنّك قلّدت أمر دينك قتلة عثمان، وأنفقت مالك لابن الزبير وآثرت العراق على الشام، فأخرجك الله من الحرب صفر اليدين، ليس لك حظ الحق ولا ثار القتيل[٤].

«وإنّي لراضٍ بحجة الله عليهم وعلمه فيهم» في (جمل المفيد): روى الواقدي عن عمر بن علي قال: لمّا سمع أبيعليه السلام أصوات الناس يوم الجمل وقد ارتفعت، قال لابنه محمّد: ما يقولون؟ قال: يقولون: يا ثارات عثمان. فقالعليه السلام: فقاتلوهم صابرين محتسبين، فالكتاب معكم والسّنة معكم، ومن كانا معه فهو القوي[٥].

---

(١) المائدة: ٥٤.

(٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦ وقريب منه ما في وقعة صفّين: ٣٢٢ والشافي في الإمامة ٤: ٣٥٥.

(٣) وقعة صفّين: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٨٨ ـ ٨٩.

(٥) الجمل للمفيد: ٣٥٧ ـ ٣٥٨.

«فإن أبوا أعطيتهم حدّ السيف» روى الواقدي ـ كما في (الجمل) للمفيد ـ عن محمّد بن علي قال: رمقت لضرب أبي ولحظته، فاذا هو يورد السيف ويصدره ولا أرى فيه دماً، وإذا هو يسرع اصداره فيسبق الدم، وصاح أبي بمحمد بن أبي بكر: اقطع البطان. فقطعه، وتلقوا الهودج فكأن الحرب والله جمرة صبّ عليها الماء[1].

وروى ابراهيم بن نافع ـ كما فيه ـ: عن سعيد بن أبي هند عمّن حضر الجمل: أنّ علياًعليه السلام قاتل يومئذ أشد القتال، وسمعوه وهو يقول: تبارك الله الذي أذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع[2].

وفي (الطبري) ـ في عنوان كثرة قتلى يوم الجمل ـ قال الزبير بن الحريث: قلت لأبي لبيد: لِمَ تسبّ علياً؟ قال: ألا أسبّ رجلاً قتل منّا ألفين وخمسمائة، والشمس هاهنا[3].

«وكفى به شافياً من الباطل وناصراً للحق» قالواعليهم السلام: لا يقيم الناس على الحقّ إلّا السيف[4]. وقيل فيه من الشعر:

السيف أصدق أنباء من الكتب   في حدّه الحدّ بين الجد واللعب

محا السيف ما قال ابن داره اجمعا

«ومن العجب بعثهم» هكذا في (المصرية)[5]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[6]: «بعثتهم».

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٦٠ ـ ٣٦١.

(٢) الجمل للمفيد: ٣٦١.

(٣) تاريخ الطبريّ ٤: ٥٤٥، سنة ٣٦.

(٤) ثواب الأعمال: ٢٢٦ بإسناده إلى أبي عبد الله عليه السلام.

(٥) نهج البلاغة ١: ٥٥.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٣ وشرح ابن ميثم ١: ٣٣٢ «بعثهم» أيضاً.

«إليَّ أن أبرز للطعان» بالرماح.

«وأن أصبر للجلاد» بالسيوف.

«هبلتهم الهبول» بالفتح أي: ثكلتهم الثكول.

«لقد كنت وما أُهدَّد بالحرب ولا أُرهب بالضرب» مرت هاتان الجملتان في (١٣) من الفصل من أول العنوان قوله هنا.

«وإنّي لعلى يقين من ربّي وغير شبهة من ديني» وفي الثاني والثالث: «وإنّ معي لبصيرتي ما لبست على نفسي ولا لبس عليّ» في (الصحاح): اللبس: مصدر لبست عليه الأمر خلطت، من قوله تعالى: ﴿...وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾[1].

كان ابن عمر وسعد ومحمّد بن مسلمة لبسوا على أنفسهم فاعتزلوه عليه السلام، فحاجّهم عمّار وأتمّ عليهم الحجّة.

ففي (الخلفاء) ذكروا: أنّ عمّاراً أتى ابن عمر بعد استيذانه علياً عليه السلام فقال له: إنّه بايع علياً عليه السلام المهاجرون والأنصار، ومَن إن فضّلناه عليك لم يسخطك، وإن فضلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أنّ على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم، وهذا يقتل بالسيف وهذا بالحجارة. فقال: إنّ أبي جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها عليّ عليه السلام، غير أنّه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، ولكن والله ما أُحبّ أنّ لي الدنيا، وأنّي أضمرت عداوة عليّ عليه السلام.

فأتى بمحمد بن مسلمة فقال: يا عمّار لولا ما في يدي من النبي صلى الله عليه وآله لبايعت علياً، ولو أنّ الناس كلهم عليه لكنت معه. فقال له عمّار: أفتريد من النبي صلى الله عليه وآله قولاً بعد قوله في حجّة الوداع «دماؤكم وأموالكم حرام إلّا بحدث»، أفتقول: لا نقاتل المحدثين؟ قال: حسبك.

---

(١) الصحاح ٣: ٩٧٣، مادة: (لبس)، والآية ٩ من سورة الأنعام.

ثم أتى سعداً فكلّمه، فأظهر الكلام القبيح فانصرف إلى عليعليه السلام فقالعليه السلام له: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، وأمّا سعد فحسود، وذنبي إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه[١].

قولهعليه السلام في الثاني: «وإنّها لَلفئة الباغية» قال ابن أبي الحديد: لام التعريف في الفئة يشعر بأنّ نصّاً كان عنده: أنّه سيخرج عليه فئة باغية ولم يعيّن له وقتها ولا كلّ صفاتها، بل بعض علاماتها، فلمّا خرج أصحاب الجمل ورأى تلك العلامات فيهم قال ذلك[٢].

قلت: بل الظاهر أنّ قولهعليه السلام: «وإنّها للفئة الباغية» إشارة إلى قوله تعالى: ﴿...فإن بغت احداهما على الأُخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى امر الله...﴾[٣].

ثم إنّهعليه السلام كان يعلم تفاصيل تلك الفئة؛ فروى نصر بن مزاحم ـ كما في (جمل المفيد) ـ مسنداً عن زيد عن ابن عباس قال: أبطأ خبر أهل الكوفة علينا ونحن في فلاة، فأخبرت علياًعليه السلام بذلك فقال لي: اسكت يابن عباس، فوالله لتأتين في هذين اليومين من الكوفة ستة آلاف وستمائة رجل، ولتغلبنّ أهل البصرة وليقتلنّ طلحة والزبير. قال ابن عباس: فوالله إنّي أستشرف الأخبار وأستقبلها، حتى إذا أتى ركب فاستقبلته واستخبرته فأخبرني بالعدة التي سمعتها منهعليه السلام لم ينقص واحد[٤].

وإنّما كان الزبير وعايشة أخبرهما النبيصلى الله عليه وآله من أمر الجمل، وأنّهم من أهل البغي وأهل الفتنة، ومن الفئة الباغية، فلمّا اتّفق لهم ما اتفق، ورأوا

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٧.

(٣) الحجرات: ٩.

(٤) الجمل للمفيد: ٢٩٣، تاريخ الطبري ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦، شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٨٧.

العلامات فيهم من قول النبي ﷺ لعايشة «تنبحك كلاب الحوأب» وقوله عليه السلام للزبير: «تقاتل علياً وأنت له ظالم» فهموا أنّهم المرادون.

ففي (الخلفاء): لمّا انتهوا إلى ماء الحوأب في الطريق ومعهم عايشة نبحتها كلاب الحوأب، فقالت لمحمد بن طلحة: أيّ ماء هذا؟ قال: ماء الحوأب، قالت: ما أراني إلّا راجعة. قال: ولِمَ؟ قالت: قال النبي ﷺ لنسائه: «كأني بإحداكن تنبحها كلاب الحوأب». فقال لها محمّد: تقدمي ودعي هذا القول...[1].

وفي (العقد): عن شريك عن الأسود بن قيس قال: حدّثني من رأى الزبير يوم الجمل يقعص الخيل بالرمح قعصاً، فنوّه به علي عليه السلام: أتذكر يوماً أتانا النبي ﷺ وأنا أُناجيك، فقال: «أتُناجيه، والله ليقاتلنّك وهو ظالم لك»؟ فصرف الزبير وجه دابته وانصرف[2].

«فيها الحما والحمة» الظاهر أنّ الحمة: إشارة بعايشة؛ والحما: بطلحة ابن عمّ أبيها ـ فأبو بكر ابن أبي قحافة بن عامر بن عمرو، وطلحة ابن عبيدالله بن عثمان بن عمرو ـ وبالزبير زوج أُختها أسماء؛ قال ابن دريد: الحما: مصدر حامى عنه، يُقال: أنا الحماء لك والفداء. وهما كانا حامياً عنها وبها نهضا[3].

قال ابن أبي الحديد: قد كان النبي ﷺ أعلم علياً عليه السلام بأنّ فئة من المسلمين تبغي عليه أيّام خلافته، فيها بعض زوجاته وبعض أحمائه، فكنّى علي عليه السلام عن الزوجة بالحمة، وهي اسم العقرب، والحما بالألف المقصورة كناية عن الزبير لأنّ كلّ ما كان بسبب الرجل فهم الاحماء، واحدهم حما، مثل: قفا واقفاء، وما كان بسبب المرأة فهم الاحمات، فأمّا الأصهار فيجمع الجهتين،

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٦٣.

(٢) العقد الفريد ٥: ٧١.

(٣) جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٢، مادة: (حما).

وكان الزبير ابن عمّة النبيّ صلى الله عليه وآله، وظهر أنّ الحما الذي أخبر النبيّ صلى الله عليه وآله هو الزبير ابن عمّته[1].

قلت: قوله: «وبعض أحمائه» لا معنى له لأنّه لم يقل أحد إن الأحماء بمعنى مطلق الأقرباء؛ حتى يكون المعنى بعض أقربائه صلى الله عليه وآله، وهو الزبير ابن عمّته، وإنّما الاحماء أقرباء زوج المرأة، فعن عايشة: ما كان بيني وبين علي عليه السلام إلّا ما كان بين المرأة وأحمائها.

وقال امرؤ القيس:

إذا ما عدّ أربعة فسال   فزوجك خامس وحماك سادي[2]

ومعنى فسال: ضعاف، ومعنى سادي: سادس.

وقال آخر:

هي ما كنتي وتزعم   أنّي لها حمو[3]

والكنة: امرأة الابن.

وقال آخر:

قلت لبوّاب لدى دارها   تئذن فإنّي حموها وجارها[4]

وأمّا قول ابن دريد في الحمو: «حمو الرجل: أبو امرأته أو أخوها أو عمّها»[5]، ونقل البيتين الأولين، فوهم أو تصحيف، لأن البيتين يدلّان على خلاف قوله، ولأنّه قال بعد في (حمى): أحماء المرأة أهل زوجها[6]. كما أنّ قول

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤.

(٢) جمهرة اللغة لابن دريد ١: ٥٧٣، مادة: (حمو).

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الصحاح للجوهري ٦: ٢٣١٩، مادة: (حمى).

(٥) جمهرة اللغة ١: ٥٧٣، مادة: (حمو).

(٦) جمهرة اللغة ٢: ١٠٥٢، مادة: (حما).

ابن أبي الحديد: «وما كان بسبب المرأة فهم الاحمات»[١] أيضاً بلا معنى، وإنّما حماة المرأة أمّ زوجها، وكأنّه أراد أن يقول: «فهم الاختان»، فقال: الاحمات.

قال الجوهري: كلّ شيء من قبل الزوج مثل الأب والأخ فهم الاحماء، وكلّ شيء من قبل المرأة فهم الأختان؛ والصهر يجمع هذا كله[٢].

وكيف كان، فروى ابن بابويه باسناده عن عبدالرزاق عن مينا مولى عبدالرحمن بن عوف عن ابن مسعود قال: قلت للنبي صلى الله عليه وآله: من يغسلك إذا مت؟ قال: يغسل كلّ نبي وصيّه. قلت: مَنْ وصيّك؟ قال صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب. قلت: كم يعيش بعدك؟ قال: ثلاثين سنة، فإن يوشع وصيّ موسى عليه السلام عاش بعده ثلاثين سنة، وخرجت عليه صفراء بنت شعيب زوجة موسى فقالت: أنا أحقّ بالأمر منك. فقاتلها وقتل مقاتلتها وأسرها فأحسن أسرها، وإنّ بنت أبي بكر ستخرح على عليّ عليه السلام في كذا وكذا ألفاً من أُمّتي فيقاتلها ويقتل مقاتلتها ويأسرها فيحسن أسرها، وفيها أنزل تعالى: ﴿وقرن في بيوتكنّ ولا تبرجن تبرج الجاهليّة الأُولى...﴾[٣] يعني بالجاهلية الأُولى: صفراء بنت شعيب[٤].

وعن الحميدي في (الجمع بين الصحيحين): عن ابن عمر: قام النبي صلى الله عليه وآله خطيباً فأشار إلى نحو مسكن عايشة وقال: هاهنا الفتنة ـ ثلاثاً ـ منه يطلع قرن الشيطان.

قلت: والظاهر أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال ثلاث مرات: هاهنا الفتنة. لأنّها كانت منشأ الفتنة قبل الجمل أيضاً، يوم بعثت أباها يصلّي بالناس في مرض النبي صلى الله عليه وآله، فجعله رفيقه الفاروق شبهه لاستخلافه، وبعد الجمل في منعها من

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٤.

(٢) الصحاح ٦: ٢٣١٩، مادة: (حمى).

(٣) الأحزاب: ٣٣.

(٤) كمال الدين ١: ٢٧.

دفن الحسن عليه السلام عند جدّه[١].

وروى الواقدي ـ كما في (جمل المفيد) ـ: أنّ أبا بكرة أقبل يُريد أن يدخل مع طلحة والزبير، فلمّا رأى تدبير عايشة لهما رجع عنهما وقال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: ـ وقد ذكر ملكة سبأ ـ لا أفلح قوم تدبرهم امرأة[٢].

«والشبهة المغدقة» أي: الوسيعة الغزيرة.

«وإنّ الأمر لواضح وقد زاح» من زاح يزيح أي: بعد وذهب.

«الباطل عن نصابه» أي: أصله.

«وانقطع لسانه عن شغبه» أي: تهييجه للشر؛ في (جمل المفيد): لمّا سار عليه السلام من ذي قار قدّم صعصعة بكتاب إلى طلحة والزبير وعايشة يعظّم عليهم حرمة الاسلام، ويخوفهم في ما صنعوا من قتل من قتلوا ويدعوهم إلى الطاعة؛ قال صعصعة: فبدأت بطلحة وأعطيته الكتاب، فقال: الآن حين عض ابن أبي طالب الحرب ترقق لنا. ثم جئت إلى الزبير فوجدته ألين من طلحة، ثم جئت إلى عايشة فوجدتها أسرع الناس إلى الشرّ، فقالت: نعم قد خرجت للطلب بدم عثمان والله لأفعلن وأفعلن. فعدت فلقيته عليه السلام قبل أن يدخل البصرة فقال لي: ما وراءك؟ قلت: رأيت قوماً لا يريدون إلّا قتالك. قال: الله المستعان.

ثم دعا ابن عباس وقال له: انطلق إليهم وذكّرهم العهد الذي في رقابهم. قال: فبدأت بطلحة فقال: لقد بايعت واللج على رقبتي. قال: فقلت: أنا رأيتك بايعت طائعاً، أو لم يقل لك قبل بيعتك إن أحببت أُبايعك؟ فقلتَ: لا بل نحن نبايعك. فقال: إنّما قال ذلك لي وقد بايعه قوم فلم أستطع خلافهم، أما علمت أنّي جئت إليه والزبير ولنا من الصحبة مالنا والقدم في الإسلام، وقد أحاط به

---

(١) صحيح البخاري ٨: ٩٥، صحيح مسلم ٨: ١٨١.

(٢) الجمل للمفيد: ٢٩٧، وقريب منه ما في تلخيص الشافي ٤: ١٦٤، وشرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٢٧.

الناس قياماً على رأسه بالسيف فقال لنا ـ يهزل ـ: إن أحببتما بايعت لكما. فلو قلنا: نعم، أفتراه يفعل وقد بايع الناس له، يخلع نفسه ويبايعنا، لا والله ما كان يفعل وحتى ان يغرى بنا من لا يرى لنا حرمة فبايعناه كارهين، وقد جئنا نطلب بدم عثمان، فقل لابن عمّك: إن يريد حقن الدماء وإصلاح أمر الأُمّة فليمكّنّا من قتلة عثمان، فهم معه، ويخلع نفسه ويرد الأمر ليكون شورى، وإن أبى أعطيناه السيف. قال: فقلت له: لست تنصف، ألم تعلم أنّك حصرت عثمان حتّى مكث عشرة أيام يشرب ماء بئره، حتى كلّمك عليّ عليه السلام في أن تخلّي الماء له وأنت تأبى ذلك، ولمّا رأى أهل مصر فعلك وأنت من الصحابة، دخلوا عليه بسلاحهم فقتلوه؟

ثمّ بايع الناس رجلاً له من السابقة والفضل والقرابة من النبي صلى الله عليه وآله والبلاء العظيم ما لا يدفع، وجئت أنت وصاحبك طائعين غير مكرهين حتى بايعتما ثم نكثتما، فعجب والله إقرارك لأبي بكر وعمر وعثمان بالبيعة، ووثبك على عليّ عليه السلام، فوالله ما عليّ عليه السلام دون أحد منكم، وأمّا قولك: يمكّنني من قتلة عثمان. فما يخفى عليك من قتل عثمان؟ وأمّا قولك: إن أبى عليّ فالسيف. فوالله إنّك لتعلم أنّ عليّاً عليه السلام لا يتخوّف. فقال طلحة: دعنا من جدالك. فخرجت إلى عليّ عليه السلام وقد دخل البيوت، فقال: ما وراءك؟ فأخبرته، فقال: ﴿...اللهمّ افتح بيننا وبين قومنا وأنت خير الفاتحين﴾[1].

قوله عليه السلام في الثالث: «وايم الله لأفرطن» من (أفرطت المزادة ملاتها).

«لهم حوضاً» قال العماني:

وابن السقاة إذا الحجيج تفارطوا حوضاً بمكة واسع الأركان

«أنا ماتحه» أي: مستقيه، والماتح: الذي ينزع الدلو، وبئر متوح: قريبة

---

(١) الجمل للمفيد: ٣١٤ ـ ٣١٦، ونقله الشارح بتصرّف، والآية ٨٩ من سورة الأعراف.

المنزع كأنها تمتح بنفسها.

«لا يصدرون عنه ولا يعودون إليه» وقوله عليه السلام في الثاني. «وأيم الله لأفرطن حوضاً أنا ماتحه لا يصدرون بري» في (الصحاح): يقال: من أين ريتكم مفتوحة الراء أي: من أين ترتوون الماء[١]؟

«ولا يعبّون» العب: شرب الماء بغير مص.

«بعده في حسي» بالكسر؛ قال الجوهري: الحسي: ما تنشفه الأرض من الرمل فإذا صار إلى صلابة امسكته، فيحفر عنه الرمل فيستخرج[٢].

في (العقد): كان عدي بن حاتم فقئت عينه يوم الجمل فقال له ابن الزبير: متى فقئت عينك؟ قال: يوم قتل أبوك وهربت عن خالتك، وأنا للحق ناصر وأنت له خاذل[٣].

وروى الجاحظ: أنّ الحسن عليه السلام دخل على معاوية وعنده ابن الزبير، وكان معاوية يحب أن يغري بين قريش، فقال: يا أبا محمّد أيّهما أكبر سنّاً علي عليه السلام أم الزبير؟ فقال عليه السلام: ما أقرب بينهما وعلي عليه السلام أسنّ من الزبير رحم الله علياً. فقال ابن الزبير: رحم الله الزبير ـ وهناك أبو سعيد بن عقيل ـ فقال: يا عبدالله وما يهيجك من أن يترحّم الرجل على أبيه؟ قال: وأنا أيضاً ترحمت على أبي. قال: أتظنّه نداً له وكفواً؟ قال: وما يقعد به من ذلك، كلاهما من قريش، كلاهما دعا إلى نفسه ولم يتم له. قال: دع ذا ياعبدالله إنّ علياً عليه السلام من قريش ومن الرسول صلى الله عليه وآله حيث تعلم، ولمّا دعا إلى نفسه اتبع فيه وكان رأساً. ودعا الزبير إلى أمر كان الرأس فيه امرأة، ولما تراءت الفئتان نكص على عقبيه

---

(١) الصحاح ٦: ٢٣٦٤، مادة: (روى).

(٢) الصحاح ٦: ٢٣١٣، مادة: (حسا).

(٣) العقد الفريد ٤: ١٢٠.

وولى مدبراً قبل أن يظهر الحقّ فيأخذه الحق، أو يدحض الباطل فيتركه، فأدركه رجل لو قيس ببعض أعضائه لكان أصغر، فضرب عنقه وأخذ سلبه وجاء برأسه، ومضى علي عليه السلام قدماً كعادته مع ابن عمه الرسول صلى الله عليه وآله رحم الله علياً. فقال ابن الزبير: أمّا لو غيرك يا أبا سعيد تكلّم بهذا لَعَلِمَ، فقال: إنّ الذي تعرض به ـ يعني الحسن عليه السلام ـ يرغب عنك.

وأُخبرت عايشة بمقالتهم، ومر أبو سعيد بفنائها، فنادته: أنت القائل لابن أُختي كذا؟ فالتفت أبو سعيد فلم يرَ شيئاً، فقال: إنّ الشيطان يراك ولا تراه. فضحكت وقالت: لله أبوك ما أذلق لسانك[١].

وروى كتاب مصعب إلى عبدالملك وجواب عبدالملك له، وفي جوابه: ثم دعا الناس إلى علي وبايعه أبوك، فلما دانت له أُمور الأمّة، وأجمعت له الكلمة أدركه الحسد القديم لبني عبد مناف، فنقض عهده ونكث بيعته بعد توكيدها، ففكّر وقدر وقتل كيف قدر، ومزّقت لحمه السباع بوادي الضباع[٢].

وفي (الطبري) عن ابن عباس قال: خرج أصحاب الجمل في ستمائة معهم عبدالرحمن بن أبي بكرة وعبدالله بن صفوان الجمحي، فلمّا جازوا بئر ميمون إذا هم بجزور قد نحرت، ونحرها ينثعب فتطيروا[٣].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ علياً عليه السلام دعا طلحة والزبير وأتمَّ عليهما الحجّة، ثم سئل عليه السلام بِمَ كلمتهما؟ فقال عليه السلام: إنّ شأنهما لمختلف، أمّا الزبير فزاده اللجاج ولن يقاتلكم، وأمّا طلحة فسألته عن الحق فأجابني بالباطل، ولقيته باليقين فلقيني بالشك، فوالله ما نفعه حقي ولا ضرَّني باطله، مقتول غداً

---

(١) نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١: ١٩ ـ ٢٠.

(٢) نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١: ١٨ ـ ١٩، ونقله الشارح بتلخيص.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٤، سنة ٣٦.

في الرعيل الأوّل[١].

وروى أبو مخنف عن جندب بن عبدالله قال: مررت بطلحة ومعه عصابة يقاتل بهم، وقد فشت فيهم الجراح وكثرهم الناس، فرأيته جريحاً والسيف في يده وأصحابه يتصدعون عنه رجلاً فرجلاً واثنين فاثنين، وهو يقول: الصبر الصبر فإن بعد الصبر النصر والأجر. فقلت له: النجا ثكلتك أُمّك، فوالله ما أُجرت ولا نصرت، ولكنّك هزمت وخسرت. ثم صحت بأصحابه فانزعروا عنه ـ إلى أن قال ـ: قلت له: وإنّ دمك لحلال...[٢].

وروى المدائني قال: لمّا أدبر طلحة وهو جريح يرتاد منزلاً، وجعل يقول لمن يمرّ به من أصحاب علي عليه السلام: أنا طلحة من يجيرني ـ يكررها ـ. فكان الحسن البصري إذا ذكر ذلك قال: لقد كان في جوار عريض[٣].

وروى الكلبي: أنّ العرق الذي أصابه السهم من طلحة إذا أمسكه بيده استمسك، وإذا رفع يده عنه سال، فقال طلحة: هذا سهم أرسله الله، وكان أمر الله قدراً مقدوراً، ما رأيت كاليوم دم قرشي أضيع. وكان الحسن البصري إذا حُكي له هذا يقول: ذق عقق[٤].

هذا وفي (الأغاني): نهض النبي صلى الله عليه وآله في بدر بإشارة الحباب بن منذر عليه بأن يأتي أدنى ماء من مياه القوم ينزله ويعوّر[٥] ما سواه من القلب، ثم يبني عليه حوضاً فيملؤه ماءً، ثم يقاتلهم فيشرب ولا يشربون ـ وفعل النبي صلى الله عليه وآله ما قال ـ فأقبل نفر من قريش حتى وردوا الحوض ـ إلى أن قال ـ:

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٧١ ـ ٧٢، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) أورده ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٩: ١١٤ ـ ١١٥.

(٣) المصدر نفسه ٩: ١١٥.

(٤) المصدر نفسه ٩: ١١٤.

(٥) عوّر عين الركيّة إذا كبسها وأفسدها حتّى نضب الماء. (أساس البلاغة: ٣١٦، مادة: عور).

وخرج الأسود بن عبدالأسد المخزومي حين الحرب، فقال: أعاهد الله لأشربنّ من حوضهم أو لأهدمنّه أو لأموتنّ دونه.

فلما خرج خرج له حمزة[١] فلمّا التقيا ضربه حمزة فأبان قدمه بنصف ساقه وهو دون الحوض، فوقع على ظهره، تشخب[٢] رجله دماً، ثم حبا إلى الحوض حتى اقتحم فيه ـ يريد أن يبرّ يمينه، وأتبعه حمزة فضربه حتى قتله في الحوض[٣].

١٦
الكتاب (٥٥)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا، لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً. وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا، وَلاَ بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا، وَقَدْ ابْتَلاَنِي اللّهُ بِكَ وَابْتَلاَكَ بِي، فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الآخَرِ، فَعَدَوْتَ عَلَى الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ، فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلاَ لِسَانِي، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي، وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُم، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ.

فَاتَّقِ اللّهَ فِي نَفْسِكَ، وَنَازِعِ الشَّيْطَانَ قِيَادَكَ، وَاصْرِفْ إِلَى الآخِرَةِ وَجْهَكَ، فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطرِيقُكَ، وَاحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ اللّهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ الأَصْلَ، وَتَقْطَعُ الدَّابِرَ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِاللّهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ، لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ الأَقْدَارِ لاَ أَزَالُ بِبَاحَتِكَ، حَتَّى يَحْكُمَ

(١) هو حمزة بن عبد المطّلب.

(٢) شخب المائع: درّ وسال. المصباح المنير ١: ٣٦٩، مادة: (شخب).

(٣) الأغاني ٤: ١٨٣ ـ ١٨٩. سيرة ابن هشام ٢: ٢٧٢ ـ ٢٧٧، بتصرّف وتلخيص من الشارح.

اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ.

«أمّا بعد فإن الله سبحانه قد جعل» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: (جعل) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[2]، إلّا أنّ المصرية جعلت (قد) بين قوسين، وهو دأبها فيما تأخذه من (شرح ابن أبي الحديد) وليس فيه، ولعل نسختها كانت مشتملة عليه.

«الدنيا لما بعدها» لأنّها مزرعتها ومتزودتها.

«وابتلى فيها أهلها ليعلم أيّهم أحسن عملاً» ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيّكم أحسن عملاً...﴾[3].

«ولسنا للدنيا خلقنا ولا بالسعي فيها» أي: لها.

«أُمرنا» بل بالسعي للآخرة ﴿...وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا...﴾[4].

«وقد ابتلاني الله بك» هكذا في (المصرية)[5]، والصواب: (وقد ابتلاني بك) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[6]، والضمير راجع إلى الله في قوله: «فإن الله».

«وابتلاك بي» كابتلاء موسى بفرعون وفرعون بموسى ومحمّد صلّى الله عليه وآله بأبي جهل وأبي جهل بمحمد صلّى الله عليه وآله.

«فجعل أحدنا حجّة على الآخر» كون المعصوم حجّة على الناس يجب عليهم

(١) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠.

(٣) الملك: ٢.

(٤) القصص: ٧٧.

(٥) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥ وشرح ابن ميثم ٥: ١٩٠: «وقد ابتلاني الله بك» أيضاً.

اتباعه معلوم، وأمّا كون غيره حجّة عليه فبمعنى أنّه إن سكت عن عطفه إلى الحق وكفّه عن الباطل يكن مؤاخذاً عند الله.

روى الكشّي في أبي الخطاب عن مصادف قال: دخلت على أبي عبدالله عليه السلام لمّا لبى القوم الذين لبوا بالكوفة له عليه السلام، فأخبرته بذلك فخرّ ساجداً ودق جؤجؤه بالأرض وبكى ويقول: بل عبدٌ قنٌّ صاغر ـ مراراً كثيره ـ ثمّ رفع رأسه ودموعه تسيل على لحيته، فقلت: جعلت فداك وما عليك أنت من ذا؟ فقال: يا مصادف إنّ عيسى عليه السلام لو سكت عمّا قالت النصارى فيه، لكان حقّاً على الله أن يصمّ سمعه ويُعمي بصره، ولو سكت عمّا قال فيَّ أبو الخطاب لكان حقّاً على الله أن يصمّ سمعي ويعمي بصري[1].

«فعدوت على الدنيا» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (على طلب الدنيا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[3]؛ قال ابن أبي الحديد: «عدوت» بمعنى: تعديت وظلمت. و «على الدنيا»: متعلّق بمحذوف، أي: متابراً على طلب الدنيا[4].

قلت: بل الظاهر أنّ «عدوت» هنا من قولهم (ذئب عدوان)، أي: يعدو على الناس فلا يحتاج إلى تقدير.

«بتأويل القرآن» قال ابن أبي الحديد: أراد عليه السلام به ما كان يموّه به معاوية على أهل الشام بأنّه ولي عثمان، وقال تعالى: ﴿...ومن قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليّه سلطاناً...﴾[5]، ثم يعدهم الظفر على العراق بقوله تعالى:

---

(١) اختيار معرفة الرجال (رجال الكشّي) ٢: ٥٨٧ ـ ٥٨٨ ح٥٣١.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٢٣.

(٣) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، ولكن في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٩٠ «على الدّنيا» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٦.

(٥) الإسراء: ٣٣.

﴿...فلا يسرف في القتل إنّه كان منصوراً﴾[١].

قلت: ومع ذلك أشار عليه السلام إلى قوله تعالى: ﴿...فأمّا الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله...﴾[٢].

وفي (صفين نصر): أنّ عمّاراً قام بصفين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه. فقالوا: ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكّنهم من الدنيا، فهم يأكلونها ويرعونها ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون الله، إنّهم ليعلمون إنّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤوها، وعلموا لو أنّ الحق لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً؛ ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً، وتلك مكيدة قد بلغوا بها ما ترون، ولولا هي ما بايعهم من الناس رجلان[٣].

«فطلبتني بما لم تجن» بكسر النون، من (جنى يجني) من الجناية.

«يدي» بمباشرة لقتل.

«ولا لساني» بالأمر لآخر بالقتل، ومعلوم أنّه عليه السلام لم يباشره، ولا أمر به كما فعل طلحة والزبير، بل جلس في بيته واعتزل الناس. ولمّا خدع معاوية

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٦، والآية ٣٣ من سورة الاسراء.

(٢) آل عمران: ٧.

(٣) وقعة صفّين: ٣١٩.

شرحبيل وهيّأ له رجالاً يشهدون عنده أن علياً عليه السلام قتل عثمان، كتب جرير إلى شرحبيل أبياتاً منها:

وقال ابن هندٍ في عليّ عضيهة ... ولله في صدر ابن أبي طالب أجل
وما لعليّ في ابن عفّان سقطة ... بأمر ولا جلب عليه ولا قتل
وما كان إلّا لازماً قعر بيته ... إلى أن أتى عثمان في بيته الأجل
فمن قال قولاً غير هذا فحسبه ... من الزور والبهتان قول الذي احتمل
وصيّ رسول الله من دون أهله ... وفارسه الأولى به يضرب المثل[1]

«وعصبته» أي: شددته.

«أنت وأهل الشام بي» في (صفين نصر): بعث معاوية الى عمرو بن العاص وقال له: إنّي أدعوك الى جهاد هذا الرجل الذي قتل الخليفة، وأظهر الفتنة وفرّق الجماعة وقطع الرحم. قال عمرو: إلى جهاد من؟ قال: إلى جهاد علي. فقال عمرو: والله يا معاوية ما أنت وعلي بعكمى بعير[2]، مالك هجرته ولا سابقته ولا صحبته ولا جهاده ولا فقهه ولا علمه، ولكن لك مع ذلك جدّاً وجدوداً وحظّاً وحظوة، فما تجعل لي إن شايعتك على حربه، وأنت تعلم ما فيه من الغرر والخطر؟ قال: حكمك. قال: مصر طعمة ـ الى أن قال ـ: فقال له عمرو إنّ رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، وهو عدوّ جرير الذي أرسله علي إليك، فأرسل إليه ووطّن له ثقاتك، فليفشوا في الناس أنّ علياً قتل عثمان، وليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنّها كلمة جامعة لك أهل الشام على ما تحب، وإن تعلّق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً.

---

(١) وقعة صفّين: ٤٦ ـ ٤٩.

(٢) العِكمان: عدلان يشدّان على جانبي الهودج بثوب؛ ومن أمثالهم قولهم: هما كعكمي البعير. يقال: للرجلين يتساويان في الشرف. لسان العرب ٩: ٣٤٤، مادة: (عكم).

فكتب معاوية الى شرحبيل: أنّ جريراً قدم علينا من عند علي بأمر فظيع فاقدم. ودعا يزيد بن أسد وبسر بن أرطاة وعمر بن سفيان ومخارق بن الحرث وحمزة بن مالك وحابس بن سعد ـ وهم رؤساء قحطان واليمن، وكانوا ثقات معاوية وخاصته وبني عمّ شرحبيل ـ فأمرهم أن يلقوه ويخبروه أنّ علياً قتل عثمان، فلما قدم قال له معاوية: إنّ جريراً يدعونا إلى بيعة عليّ، وعليّ خير الناس لولا أنّه قتل عثمان وحبست نفسي عليك، وإنّما أنا رجل من أهل الشام، أرضى ما رضوا وأكره ما كرهوا. فقال شرحبيل: أنا أخرج فانظر. فخرج فلقيه هؤلاء النفر الموطئون له، فكلّهم يخبره أنّ علياً قتل عثمان. فخرج مغضباً إلى معاوية، فقال: يا معاوية أبى الناس إلّا أنّ علياً قتل عثمان. والله لئن بايعت له لنخرجنّك من الشام أو لنقتلنّك. قال معاوية: ما كنت لأُخالف عليكم، إن أنا إلّا رجل من أهل الشام. قال: فاردد هذا الرجل إلى صاحبه. فعرف معاوية أنّ شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب أهل العراق، وأنّ الشام كله مع شرحبيل[1].

«وألّب» والتأليب: التحريض.

«عالمكم جاهلكم وقائمكم قاعدكم» في (صفين نصر): بعث معاوية الى شرحبيل: إنه قد كان من إجابتك الحق وقبله عنك صلحاء الناس ما علمت، وأن هذا الأمر لا يتمّ إلّا برضاء العامة، فسر في مدائن الشام وناد فيهم: بأنّ علياً قتل عثمان، وأنّه يجب على المسلمين أن يطلبوا بدمه. فسار فبدأ بأهل حمص، فقام خطيباً ـ وكان مأموناً في أهل الشام ناسكاً متألّهاً ـ فقال: أيّها الناس إنّ علياً قتل عثمان، وقد غضب له قوم فقتلهم عليّ وهزم الجميع وغلب على الأرض، فلم يبق إلّا الشام، وهو واضع سيفه على عاتقه، ثم

---

(١) وقعة صفّين: ٣٧ ـ ٤٧، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

خائض به غمار الموت حتى يفنيكم أو يحدث الله له أمراً، ولا نجد أحداً أقوى على قتاله من معاوية، فجدّوا فأجابه الناس الانساك من حمص. وجعل يستنهض مدائن الشام حتى استفرغها، لا يأتي قوم إلّا قبلوا ما أتاهم به[1].

«فاتق الله في نفسك ونازع الشيطان قيادك» ولا تدعه يقودك حيث شاء و(القياد): حبل يقاد به الدابة.

«واصرف الى الآخرة وجهك فهي طريقنا وطريقك» ﴿إنّك ميت وإنّهم ميتون * ثم إنّكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾[2].

«واحذر أن يصيبك الله منه بعاجل قارعة» أي: شديدة.

«تمسّ» هكذا في النسخ[3]، والظاهر كونه محرّف (تحس) أي: تستأصل.

«الأصل» قال ابن أبي الحديد: «تمسّ الأصل» أي: تقطعه. ومنه ماء مسوس، أي: يقطع الغلة[4].

قلت: لم يقل أحد: إنّ المس يجيء بمعنى القطع؛ وأمّا الماء المسوس فقال الجوهري: هو الذي بين العذب والملح قال الشاعر:

لو كنت ماء كنت لا عذب المذاق ولا مسوسا[5]

«وتقطع الدابر» أي: الآخر والباقي، وقطع دابر أمر معاوية بأخذ الله تعالى لابنه يزيد أخذ عزيز مقتدر.

«فإنّي أُولي» من الايلاء، أي: أُقسم.

---

(١) المصدر نفسه: ٥٠ ـ ٥١.

(٢) الزمر: ٣٠ ـ ٣١.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٢٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٥، شرح ابن ميثم ٥: ١٩٠.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٣٧.

(٥) الشاعر هو ذو الإصبع العدوانيّ، والبيت في الصحاح ٣: ٩٧٩ ـ ٩٧٨، مادة: (مسس).

«لك بالله أليّة» أي: قسماً؛ قال الشاعر:

قليل الألايا حافظ ليمينه　　وإن سبقت منه الأليّة برّت[١]

والألايا: جمع الأليّة.

«غير فاجرة» أي: كاذبة؛ قال الجوهري: فجر أي: كذب، وأصله الميل، قال الشاعر[٢]: وإن أخّرت فالكفل فاجر.

أي: مقعد الرديف مائل[٣].

«لئن جمعتني وإياك جوامع الأقدار لا أزال» أي: دائماً.

«بباحتك» أي: ساحتك، وفي (ابن ميثم)[٤] (ساحتك).

«حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين» ولمّا قال معاوية لجرير: اكتب الى صاحبك يجعل لي الشام ومصر جباية، واكتب إليه بالخلافة، كتب إليه الوليد بن عقبة:

وإنّ كتاباً يابن حرب كتبته　　على طمع يزجي إليك الدواهيا

سألت علياً فيه ما لن تناله　　ولو نلته لم تبق إلاّ لياليا

وسوف ترى منه الذي ليس بعده　　بقاء فلا تكثر عليك الأمانيا

أمثل علي تعتريه بخدعة　　وقد كان ما جربت من قبل كافيا؟!

ولو نشبت أظفاره فيك مرة　　حداك ابن هند منه ما كنت حاذيا[٥]

---

(١) أورده الجوهري في الصحاح ٦: ٢٢٧١، مادة: (ألا).

(٢) هو لبيد يخاطب عمّه أبا مالك.

(٣) الصحاح ٢: ٧٧٨، مادة: (فجر).

(٤) في شرح ابن ميثم المطبوع ٥: ١٩٠ «بباحتك» أيضاً.

(٥) وقعة صفّين: ٥٢ ـ ٥٣.

١٧
الكتاب (٦)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

إِنَّهُ بَايَعَنِي ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِين بَايَعُوا أَبَابَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتارَ، ولَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ، فَإِنِ ٱجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَاماً كَانَ ذَلِكَ لِلّهِ رِضىً، فَإِنْ خَرَجَ عَنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَوَلَّاهُ ٱللّهُ مَا تَوَلَّى.

وَلَعَمْرِي يَا مُعاوِيَةُ، لِئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ، لَتَجِدَنّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ، إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى؛ فَتَجَنَّ مَا بَدَالَك! وَالسَّلَامُ.

أقول: الذي يفهم من (صفين نصر) و(أخبار الدينوري) أنّ أوّل ما في المتن إلى قوله: «أبرأ الناس من دم عثمان»، كتابه عليه السلام إلى معاوية مع جرير البجلي في أوّل الأمر، وقوله عليه السلام بعد: «ولتعلمن أنّي كنت في عزلة عنه إلّا أن تتجنى فتجن ما بدا لك»، جزء كتابه عليه السلام إليه أخيراً مع أبي مسلم الخولاني[1].

ففي (أخبار الدينوري): فسار جرير إلى معاوية بكتاب علي عليه السلام، فقدم عليه فألفاه وعنده وجوه أهل الشام، فناوله كتاب علي عليه السلام وقال: هذا كتاب عليّ عليه السلام إليك وإلى أهل الشام، يدعوكم إلى الدخول في طاعته، فقد اجتمع له الحرمان والمصران والحجازان واليمن والبحران وعمان واليمامة ومصر وفارس والجبل وخراسان، ولم يبق إلّا بلادكم هذه، وإن سال عليها

---

(١) وقعة صفّين: ٢٩، الأخبار الطوال: ١٥٧.

وأدمن من أوديته غرقها.

وفتح معاوية الكتاب ففيه: أمّا بعد، فقد لزمك ومن قبلك من المسلمين بيعتي، وأنا بالمدينة وأنتم بالشام لأنّه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان، فليس للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد، وإنّما الأمر في ذلك للمهاجرين والأنصار، فإذا اجتمعوا على رجل مسلم فسمّوه إماماً كان ذلك لله رضى، فإن خرج من أمرهم أحد بطعن فيه أو رغبة عنه، رد إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين، وولّاه الله ما تولّى ويصله جهنم وساءت مصيراً، فادخل فيما دخل فيه المهاجرون والأنصار، فإنّ أحب الأمور إليّ فيك وفي من قبلك العافية، فإن قبلتها وإلّا فأذن بحرب. وقد أكثرت في قتلة عثمان، فادخل ما دخل فيه الناس ثم حاكم القوم إليَّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله، فأمّا تلك التي تريد فخدعة الصبي عن الرضاع[1].

ومثله (صفين نصر) وزاد بعد «وساءت مصيراً»: وأنّ طلحة والزبير بايعاني ثم نقضا بيعتي وكان نقضهما كردتهما، فجاهدتهما على ذلك حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون ـ وزاد في آخره ـ ولعمري لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان. واعلم أنّك من الطلقاء الذين لاتحل لهم الخلافة، ولا تعرض فيهم الشورى[2]. ومثله (خلفاء ابن قتيبة)[3].

وروى (اخبار الدينوري) ـ بعد ذكر كتاب معاوية إليه عليه السلام مع أبي مسلم الخولاني ـ أنّه عليه السلام كتب جوابه معه: أمّا بعد فإنّ أخا خولان قد قدم عليَّ

(١) الأخبار الطوال: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٢) وقعة صفّين: ٢٩.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٩٣.

بكتاب منك، تذكر فيه قطع رحمي عثمان وتأليبي الناس عليه، وما فعلت ذلك غير أنّه عتب الناس عليه، فمن بين قاتل وخاذل، فجلست في بيتي واعتزلت أمره إلاّ أن تتجنى، فتجنّ ما بدا لك[1].

ورواه (صفين نصر) مع إضافات[2].

وفي (العقد) في عنوان (أخبار علي ومعاوية): وكتب عليّ عليه السلام إلى معاوية بعد وقعة الجمل: أمّا بعد، فإنّ بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام لأنّه بايعني الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوا عليه، فلم يكن للشاهد أن يختار، ولا للغائب أن يرد ـ الى ـ لتجدني أبرأ قريش من دم عثمان، واعلم أنّك من الطلقاء...الخ بدون قوله (ولتعلمن...)[3].

وفي (خلفاء القتيبي) في عنوان (كتاب علي عليه السلام إلى معاوية مرة ثانية) أيضاً ذكره مثل (العقد)[4].

«إنّه بايعني القوم الذين بايعوا أبا بكر وعمر وعثمان على ما بايعوهم عليه» قال ابن أبي الحديد: هذا الفصل دال على كون الاختيار طريقاً إلى الإمامة، لأنه احتجّ ببيعة أهل الحل والعقد لأبي بكر، لأنّه لم يبايعه سعد بن عبادة ولا أحد من أهل بيته وولده، ولأنّ علياً عليه السلام وبني هاشم ومن انضوى إليهم لم يبايعوه في مبدأ الأمر، وامتنعوا ـ وهذا دليل على صحّة الاختيار وكونه طريقاً الى الإمامة ـ فأمّا الإمامية فتحمل هذا الكتاب منه عليه السلام على التقيّة، وتقول: إنّه ما كان يمكنه أن يصرح لمعاوية في مكتوبه بباطن الأمر، وبقوله أنا منصوص عليّ من النبي صلى الله عليه وآله، ومعهود الى المسلمين أن أكون خليفته فيهم بلا فصل،

---

(١) الأخبار الطوال: ١٦٣.

(٢) وقعة صفّين: ٨٨ ـ ٩١.

(٣) العقد الفريد ٥: ٨٠.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٩٣.

فيكون في ذلك طعن على الأئمة المتقدمين، ويفسد حاله مع الذين بايعوه من أهل المدينة. وهذا القول من الامامية لو عضدها دليل لوجب أن يقال بها ولكن لا دليل لهم(١).

قلت: دليلهم منع فاروقهم النبي صلى الله عليه وآله عن كتابة وصيته، لأنّه علم ـ كما أقرّ ـ أنّه أراد أن يكتب ما قاله شفاهاً، من حين بعثته الى ساعة وفاته من كونه عليه السلام وصيّه وخليفته، فمنع عنها وقال: إنّ الرجل ليهجر، ولا نحتاج إلى وصيته، وإنّ القرآن يكفينا. ودليلهم أيضاً تخلّف فاروقهم وصدّيقهم عن جيش أُسامة، مع لعن النبي صلى الله عليه وآله متخلّفيه كراراً، فإنّهما علما لو نفرا ولم يتخلّفا لبايع الناس من استخلفه النبي صلى الله عليه وآله. فإن أراد ابن أبي الحديد بالدليل أن ينزل تعالى عليهم كتاباً من السماء كما قالوا للنبي ﴿...ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه...﴾(٢) فلا دليل كذا لهم، وإلّا فلا دليل لهم إذا فرض عدم صحة نبوّة النبي صلى الله عليه وآله، ولا صحة أقواله، ولا حجية أفعاله، ومع عدم صحة الفرض يكون دليلهم بيناً، كالدليل على وجود الصانع، ولا يصح مذهبهم إلّا إذا بطلت العقول وانفك الملزوم عن اللازم، وارتفع اللازم وبقي الملزوم، واجتمع الضدان، وصح النقيضان، وكان لا أثر للتواتر. وبالجملة قال عليه السلام ما قال جدلاً، فالحكيم يجادل الخصم بما يسكته ويلزمه.

«فلم يكن للشاهد أن يختار ولا للغائب أن يرد» كما في بيعة أُولئك حتى إنّ طلحة مع كونه أحد ستّة الشورى، كان غائباً وقت بيعة الناس لعثمان بعد اختيار ابن عوف له، ولم يستطع أن يرد بيعته، مع أنّه قال عليه السلام ذلك ردّاً على معاوية؛ حيث كتب إليه عليه السلام ـ كما في (خلفاء ابن قتيبة) ـ: لو بايعك القوم الذين

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٦ ـ ٣٧.

(٢) الإسراء: ٩٣.

بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين وخذلت عنه الأنصار، فأطاعك الجاهل وقوى بك الضعيف، وقد أبى أهل الشام إلّا قتالك، حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإذا دفعتهم كانت شورى بين المسلمين، وقد كان أهل الحجاز أعلى الناس وفي أيديهم الحقّ، فلمّا تركوه صار الحقّ في أيدي أهل الشام. ولعمري ما حجّتك على أهل الشام كحجّتك على أهل البصرة، ولا حجتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير، لأنّ أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أحد من أهل الشام، وأنّ طلحة والزبير بايعاك ولم أُبايعك. ـ وأمّا فضلك في الإسلام وقرابتك من النبيﷺ، فلعمري ما أدفعه ولا أنكره[1].

«وإنّما الشورى للمهاجرين والأنصار فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه إماماً، كان ذلك لله رضى فإن خرج عن» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[2]، والصواب: (من) كما في (ابن ميثم والخطّيّة)[3].

«أمرهم خارج بطعن أو بدعة» قال ابن أبي الحديد: المشهور المروي «فإن خرج من أمرهم خارج بطعن أو رغبة» أي: رغبة عن ذلك الإمام الذي وقع الاختيار له[4].

قلت: وعليه فكلمة (بدعة) محرّفة (رغبة) وهو الأنسب.

«ردوه إلى ما خرج منه، فإن أبى قاتلوه على اتباعه غير سبيل المؤمنين وولّاه الله ما تولى» ما قاله عليه السلام من قوله: «فإن اجتمعوا على رجل وسمّوه اماماً...» وإن كان قاله جدلاً، إلّا انه عبّر عليه السلام بما يكون حقّاً، واقعاً فإنّ الاجماع حجّة لا من

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٠١ ـ ١٠٢.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٨ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٥.

(٣) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٥٢ «عن» أيضاً.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٦.

حيث هو، بل من حيث دخول المعصوم المأمون من الخطأ فيهم، فممن اجتمع من المهاجرين عليه عليه السلام، ووافقه المهاجرون والأنصار المؤمنون في تسميته عليه السلام إماماً النبي صلى الله عليه وآله. وسبحان الله من أولئك الناس وأفٍ لهم، لم يراعوا في هذا الرجل الجليل لا فضائله النفسانية الموجبة بتقدمه بشهادة العقول، ولا قول الله تعالى فيه عليه السلام في كتابه في آيات، ولا نص رسوله صلى الله عليه وآله عليه في موضع بعد موضع، ولا بيعتهم التي ابتدعوها، فبايعه طلحة والزبير ثم نكثاها بادعائهما عدم بيعتهما، وأبى معاوية الطليق من بيعته بكونه خليفة عمر وولي عثمان في دمه.

«ولعمري يا معاوية لئن نظرت بعقلك دون هواك لتجدني أبرأ الناس من دم عثمان، ولتعلمن أنّي كنت في عزلة عنه» قال ابن أبي الحديد: نهى علي عليه السلام أهل مصر وغيرهم عن قتل عثمان قبل قتله مراراً، ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده، فلم يغن شيئاً[1].

قلت: سبحان الله من الرجل إنّه عليه السلام يقول: «كنت في عزلة عنه»، وهو يقول: نهى عنه ونابذهم بيده ولسانه وبأولاده. فَلِمَ ما أجاب عليه السلام معاوية بذلك، وقد كان في مقام الدفاع عن تهمة قتله لعثمان؟ وكيف يكتب إليه عليه السلام معاوية ـ كما في (أخبار الدينوري) ـ أنّ عثمان قتل معك في المحلة وأنت تسمع من داره الهيعة، فلا تدفع عنه بقول ولا بفعل، وأُقسم بالله قسماً صادقاً لو كنت قمت في أمره مقاماً صادقاً فنهنهت عنه، ما عدل بك من قبلنا من الناس أحداً[2]؟ إلّا أنّهم وضعوا أخباراً في دفاعه عليه السلام عنه، حتى لا يكون إمامهم مهدور الدم (وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر) وكل يقول بهواه دون عقله؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٧ ـ ٣٨.

(٢) الأخبار الطوال: ١٦٢.

«إلاّ أن تتجنى فتجن ما بدا لك» التجني: نسبة الجناية إلى غيرك كذباً؛ قال:

واذا ما الجفاء جهز جيشاً   سبقته طليعة من تجن

وفي (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عند معاوية عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة، وقد كان بلغهم عن الحسن عليه السلام قوارص ـ إلى أن قال ـ: قال لهم معاوية: واعلموا أنّهم أهل بيت لا يعيبهم العائب، ولا يلصق بهم العار، ولكن اقذفوا الحسن بحجره، وقولوا له: إنّ أباك قتل عثمان وكره خلافة الخلفاء[1].

١٨
في الكتاب (٩)

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ، فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هَذَا الْأَمْرِ، فَلَم أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ، لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ، وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيانُهُ.

أقول: روى (صفين نصر) ـ ونقله ابن أبي الحديد أيضاً ـ عن عمر بن سعد عن أبي ورق قال: جاء أبو مسلم الخولاني في ناس من قراء أهل الشام إلى معاوية قبل مسيره، فقالوا له: علامَ تقاتل علياً عليه السلام وليس لك مثل صحبته ولا هجرته ولا قرابته ولا سابقته؟ فقال: إنّي لا ادّعي ذلك ولكن خبّروني، ألستم تعلمون أنّ عثمان قتل مظلوماً؟ قالوا: بلى. قال: فليدفع إلينا قتلته ولا قتال معه. قالوا: فاكتب إليه. فكتب مع أبي مسلم إليه عليه السلام ـ إلى أن قال في جوابه عليه السلام ـ: وأمّا ما ذكرت من أمر قتلة عثمان فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٦: ٢٨٥ ـ ٢٨٦، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

وعينه، فلم أرَ دفعهم إليك ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك، لتعرفنهم عن قليل يطلبونك لا يكلفونك ان تطلبهم في برّ ولا بحر ولا سهل ولا جبل، وقد كان أبوك أتاني حين ولّى الناس أبا بكر، فقال: أنت أحقّ بمقام محمّد وأولى الناس بهذا الأمر، وأنا زعيم لك بذلك على من خالف، ابسط يدك أُبايعك. فلم أفعل، وأنت تعلم أنّ أباك قال ذلك وأراده حتى كنت أنا الذي أبيت، لقرب عهد الناس بالكفر مخافة الفرقة بين أهل الاسلام ...[1].

«**وأمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإنّي نظرت في هذا الأمر، فلم أره يسعني دفعهم إليك ولا إلى غيرك**» هذا الكلام يدل على كون عثمان عنده عليه السلام مهدور الدم، وسقوط القصاص عن قاتليه، وبه صرّح شفاهاً لأبي مسلم الخولاني.

ففي (صفين نصر) في ذاك الخبر: أنّ أبا مسلم الذي جاء بكتاب معاوية إليه عليه السلام، وكتب عليه السلام معه هذا الكتاب ـ قال له عليه السلام: إنّك قد قمت بأمر وليته، وما أُحب أنّه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إنّ عثمان قتل مظلوماً فادفع إلينا قتلته وأنت أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجّة ـ فقال له علي عليه السلام: اغد عليَّ غداً فخذ جواب كتابك. فانصرف ثمّ رجع من غد ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء قبل فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملؤا المسجد فنادوا كلّنا قتلة عثمان، وأكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم له عليه السلام: لقد رأيت قوماً ما لك معهم أمر. قال عليه السلام: وما ذلك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجوا واجتمعوا ولبسوا السلاح، وزعموا أنّهم كلهم قتلة عثمان. فقال علي عليه السلام: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه، فما رأيته أن ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك. فخرج أبو

---

(١) وقعة صفّين: ٨٥ ـ ٩١، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٣ ـ ٧٨، ونقله الشارح بتلخيص.

مسلم وهو يقول: الآن طاب الضراب[١].

فترى أنّه عليه السلام أنكر أصل كون عثمان قتل ظلماً وتوجه قصاص على قاتليه، ولفهم أبي مسلم منه عليه السلام ذلك قال: الآن طاب الضراب.

وقد عرفت في ما مرّ تصريحه عليه السلام لرسل أُخر من معاوية إليه، أرادوا إقراره عليه السلام بكون قتل عثمان ظلماً، بأني ما أقول: إنّه قتل ظلماً. فقالوا: إنّا منك براء. وخرجوا من عنده عليه السلام، فقال عليه السلام: ﴿إنّك لا تسمع الصم الدعاء اذا ولّوا مدبرين﴾[٢].

بل روى الزبير بن بكار في (موفقياته): عن عمر بن أبي بكر الدؤلي، عن عبد الله بن أبي عبيدة بن محمّد بن عمار بن ياسر، قال: بلغني أنّ أبا مسلم الخولاني قام إلى معاوية فقال: على ما تقاتل علياً وهو ابن عم رسول الله، وله من القدر في الاسلام والسابقة والقرابة ما ليس لك، إنّما أنت رجل طليق ابن طليق؟ فقال معاوية: إنّي والله ما أُقاتله وأنا ادعي في الاسلام مثل الذي يدعي، ولي من الاسلام مثل ما له، ولكنّي أُقاتله على دم عثمان، فأنا أطلبه بدمه. فخرج أبو مسلم على ناقته فضرب حتى انتهى إلى الكوفة، فأناخها بالكناسة، ثم جاء يمشي حتى دخل على علي عليه السلام والناس عنده، فسلّم ثم قال: مَنْ قتل عثمان؟ فقال علي عليه السلام: الله قتله وأنا معه. فخرج أبو مسلم ولم يكلّمه، حتى أتى ناقته فركبها حتى أتى الشام...[٣].

«ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك» هو دالّ على أنّه يكون لقاتليه أن يقتلوا أولياءه وطالبي ثأره، فضلاً عن

---

(١) وقعة صفّين: ٨٥ ـ ٨٦، شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٧٣ ـ ٧٥.

(٢) وقعة صفّين: ٢٠٠ ـ ٢٠٢، والآية ٨٠ من سورة النمل.

(٣) أخبار الموفقيات لابن بكار: ٢٩٩ رقم ١٦١.

عدم توجه قصاص اليهم.

«ولا يكلفونك طلبهم في برّ ولا بحر ولا جبل ولا سهل إلّا أنّه طلب يسوؤك وجدانه وزور» بالفتح مصدر زار.

«لا يسرك لقيانه» يناسب كلامهعليه السلام قول الشاعر:

رويد بني شيبان بعض وعيدكم — تلاقوا غداً خيلي على سفوان
تلاقوا جبار لا تحيد عن الوغى — إذا ما غدت في المأزق المتداني
تلاقوهم فلتعرفوا كيف صبرهم — على ما جنت فيهم يد الحدثان

* * *

رويد أيضاً هد بالعراق جيادنا — كأنك بالضحاك قد قام نادبه
وكنّا إذا دب العدو لسخطنا — وراقبنا في ظاهر لا نراقبه
ركبنا له جهراً بكل مثقب — وأبيض يستسقي الدماء مضاربه
أولئك الألى شقوا العمى بسيوفهم — عن العين حتى أبصر الحق طالبه

١٩
في الكتاب (٦٤)

وقَدْ أكْثَرْتَ في قَتَلةِ عُثْمانَ؛ فادْخُل في ما دَخَلَ فيه النَّاسُ، ثُمَّ حاكِمِ القَوْمَ إلَيَّ، أَحْمِلْكَ وإِيَّاهُمْ عَلَى كِتاب اللّهِ تعالى، وأمَّا تِلْكَ الَّتي تُريدُ، فَإنَّها خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ في أَوَّلِ الْفِصَالِ، والسَّلامُ لِأَهْلِهِ.

«وقد أكثرت في قتلة عثمان فادخل في ما دخل فيه الناس، ثم حاكم القوم إليّ أحملك وإيّاهم على كتاب الله» قال ابن أبي الحديد: هي حجّة صحيحة، إنّهعليه السلام لم يسلّم قتلة عثمان إلى معاوية لأن الامام يجب أن يطاع، ثم يتحاكم إليه ...[1].

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢١.

قلت: إنّما قال عليه السلام: «أحملك وإيّاهم على كتاب الله» ولم يقل إذا دخلت في طاعتي أُسلّم إليك قتلة عثمان، وكيف وهو عليه السلام كان مأواهم وملجأهم وكانوا خواصه عليه السلام، ومعاوية إن لم يدخل في طاعته فبنوا أُميّة الذين كانوا بالمدينة حضروا لطاعته، وطلبوا منه ذلك، فصرّح عليه السلام بكون عثمان مهدور الدم وسقوط القصاص عن قاتليه؟

فقال أبو جعفر الاسكافي: إنّه عليه السلام خطب في أوّل خلافته بأنّه يقسم بينهم بالسوية، وأعلمهم بأن يشهدوا المال يقسمه فيهم. فبينا الناس في المسجد بعد الصبح إذ طلع الزبير وطلحة فجلسا ناحية عن علي عليه السلام، ثم طلع مروان وسعيد وعبد الله بن الزبير فجلسوا إليهما، ثم جاء قوم من قريش فانضموا إليهم، فتحدّثوا نجياً ساعة، ثم قام الوليد بن عقبة فجاء إلى علي عليه السلام فقال: إنّك قد وترتنا جميعاً، أمّا أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وخذلت أخي يوم الدار بالأمس. وأمّا سعيد فقتلت أباه يوم بدر في الحرب وكان ثور قريش. وأمّا مروان فسخفت أباه عند عثمان إذ ضمه إليه، ونحن اخوتك ونظراؤك من بني عبد مناف، ونحن نبايعك اليوم على أن تضع عنّا ما أصبناه من المال أيّام عثمان، وأن تقتل قتلته، وإنّا إن خفناك تركتنا فالتحقنا بالشام. فقال عليه السلام: أمّا ما ذكرتم من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم. وأمّا وضعي عنكم ما أصبتم فليس لي أن أضع حق الله عنكم ولا عن غيركم. وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني قتلهم اليوم لقتلتهم أمس...[1].

وقد نقله نفسه عند قوله عليه السلام: «دعوني والتمسوا غيري»[2].

---

(١) نقله ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٧: ٣٧ ـ ٣٩، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨٢، الخطبة ٩٢.

وروى قريباً منه اليعقوبي[١].

«وأمّا تلك التي تريد فإنّها خدعة الصبي عن اللبن في أوّل الفصال» روى هذا الكلام (صفين نصر وخلفاء ابن قتيبة وأخبار الدينوري)[٢]، جزء كتابه عليه السلام إلى معاوية مع جرير البجلي كما مرّ في (١٧). ولمّا كتب معاوية إلى شرحبيل بن السمط الكندي بإشارة عمرو بن العاص عليه بذلك ليجمع له كلمة أهل الشام ـ بأن يوطن له ثقاته فيقولوا له: إنّ عليّاً قتل عثمان ـ و عزم شرحبيل على المسير إلى معاوية بعث عياض اليماني ـ وكان ناسكاً ـ إلى شرحبيل بهذه الأبيات:

يا شرح يا بن السمط إنّك بائع ... بودّ على ما تريد من الأمر
ويا شرح إنّ الشام شامك ما بها ... سواك فدع قول المضلل من فهر
فإنّ ابن حرب ناصب لك خدعة ... تكون علينا مثل راغية البكر[٣]

هذا ومما يناسب كلامه عليه السلام قول الراجز:

برّح بالعينين خطّاب الكُثَبْ ... يقول إنّي خاطب وقد كذبْ
وإنّما يخطب عُسّاً من حلبْ[٤]

والمراد أنّه يجيء باسم الخطبة، ومقصوده الطعمة؛ والكثب: ملء القدح لبناً.

«والسلام لاهله» في (المصرية)[٥] أخذ أله من (ابن أبي الحديد) مع قوله: «في أوّل الفصال»، حيث جعل الكل بين قوسين إلّا أنّ كلمة «لأهله» من متفردات

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) وقعة صفّين: ٤٤ ـ ٤٥، والإمامة والسياسة ١: ٩٣، والأخبار الطوال: ١٥٧.

(٣) وقعة صفّين: ٤٤ ـ ٤٥.

(٤) أورد قول الراجز ابن منظور في لسان العرب ١٢: ٣٤، مادة: (كثب).

(٥) نهج البلاغة ٣: ١١.

(ابن أبي الحديد)[١] وليست في (ابن ميثم)[٢]، (كالخطية).

٢٠
في الكتاب (٢٨)

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمانَ، فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هَذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ؛ فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ، وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ! أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ، أَم مَنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ؛ حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ! كَلَّا وَاللّهِ لَقَدْ عَلِمَ ﴿اللّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلاً﴾[٣].

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً؛ فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ؛ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ. «وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ». وَمَا أَرَدْتُ ﴿إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٤].

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي عِنْدَكَ إِلَّا السَّيْفُ، فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبارٍ! مَتَى أَلْفَيْتَ بَنِي عَبْدِ المُطَّلِب عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ، وَبِالسَّيْفِ مُخَوَّفِينَ؟ «لَبِّثْ قَلِيلاً يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَل» فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِالإِحْسانِ شَدِيدٌ زِحَامُهُمْ، سَاطِعٌ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سِربالَ الْمَوْتِ؛ أَحَبُّ اللِّقاءِ إِلَيْهِمْ لِقاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ، وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِها فِي أَخِيكَ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٨.

(٢) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٣٦٠ «والسلام لأهله» أيضاً.

(٣) الأحزاب: ١٨.

(٤) هود: ٨٨.

وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ ﴿وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾[1].

أقول: نقل ابن أبي الحديد عن شيخه النقيب: أنّه جواب كتاب كتبه معاوية إليه عليه السلام مع أبي امامة الباهلي، وفي كتاب معاوية: ثم الخليفة الثالث المظلوم الذي نشر المله وطبق الآفاق بالكلمة الحنيفية، فلما استوسق الإسلام وضرب بجرانه، عدوت عليه فبغيته الغوائل، ونصبت له المكائد وضربت له بطن الأرض وظهره، ودسست عليه وأغريت به وقعدت حيث استنصرك عن نصرته، وسألك أن تدركه قبل أن يُمزّق فما أدركته. وما يوم المسلمين منك بواحد، لقد حسدت أبا بكر والتويت عليه، ورمت إفساد أمره، وقعدت في بيتك، واستغويت عصابة من الناس حتى تأخّروا عن بيعته، ثم كرهت خلافة عمر وحسدته واستطلت مدته، وسررت بقتله وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنّك حاولت قتل ولده، لأنّه قتل قاتل أبيه، ثم لم تكن أشدّ منك حسداً لابن عمّه عثمان، نشرت مقابحه وطويت محاسنه وطعنت في فقهه، ثم في دينه، ثمّ في سيرته، ثم في عقله، وأغريت به السفهاء من أصحابك وشيعتك حتى قتلوه بمحضر منك، لا تدفع عنه بلسان ولا يد، وما من هؤلاء إلّا من بغيت عليه وتلكأت عليه، حتّى حملت إليه قهراً، تساق بخزائم الاقتار كما يساق الفحل المخشوش، ثمّ نهضت الآن تطلب الخلافة وقتلة عثمان خلصاؤك وشجراؤك والمحدقون بك، وتلك من أماني النفوس وضلالات الأهواء، فدع اللجاج والعبث جانباً، وادفع إلينا قتلة عثمان، وأعد الأمر شورى بين المسلمين، ليتفقوا على من هو لله رضى، فلا بيعة لك في أعناقنا، ولا طاعة لك علينا، ولا عتبى لك عندنا، وليس لك ولأصحابك عندي إلّا السيف، والذي لا إله إلّا هو لأطلبنَّ قتلة عثمان أين كانوا وحيث كانوا، حتى أقتلهم أو تلحق روحي بالله.

---

(١) هود: ٨٣.

فامّا ما لا تزال تمنّ به من سابقتك وجهادك، فإنّي وجدت الله سبحانه يقول: ﴿يمنون عليك أن أسلموا...﴾[١]، ولو نظرت في حال نفسك لوجدتها أشدّ الأنفس امتناناً على الله بعملها، وإذا كان الامتنان على السائل يبطل أجر الصدقة، فالامتنان على الله يبطل أمر الجهاد ويجعله كـ﴿صفوان على تراب...﴾[٢].

«ثم ذكرت» يعني بعد ذكر أبي بكر وعمر، بأنّه عليه السلام حسدهما وبغى عليهما.

«ما كان من أمري وأمر عثمان فلك أن تجاب عن هذه» المقالة فيه دون ذينك لعدم ربطهما بك.

«لرحمك منه» يجمعهما أُمية بن عبد شمس، فعثمان هو ابن عفان بن أبي العاص بن أُمية، ومعاوية هو ابن أبي سفيان بن حرب بن أُمية.

«فأيُنا كان أعدى له» أي: أكثر تجاوزاً عليه.

«وأهدى إلى مقاتله» مقاتل الانسان المواضع التي اذا أُصيبت قتلته.

«أمَنْ بذل له نصرته فاستقعده واستكفه» لأنّ عثمان كان لا يحب أن يحضره عليه السلام، لأنّه كان إذا حضره ينهاه عن شنائع أعماله، حتى أحب ألّا يشهد معه المدينة، فكان يأمره بالخروج عن البلد، وإنّما يستغيث به إذا خاف القتل، وبعد نقض عهده مرّات تركه عليه السلام أخيراً حتى قتلوه.

«أم من استنصره فتراخى عنه وبث إليه المنون» أي: المنية؛ قال الجوهري: لأنّ المنيّة تقطع المدد وتنقص العدد.

سبحان من أُولئك طلحة والزبير وعايشة سعوا غاية السعي في قتل عثمان، حتى قتل ثم طلبوا دمه من أمير المؤمنين عليه السلام ـ و عمرو بن العاص

---

(١) الحجرات: ١٧.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٨٦ ـ ١٨٧، والآية ٢٦٤ من سورة البقرة.

أغرى الناس به حتى الرعاة على رؤوس الجبال، حتى قتل فافتخر بذلك، وقال: أنا أبو عبدالله، ما نكأت قرحة إلّا أدميتها ـ ومعاوية منع جنده من نصره بعد طلب عثمان منه ذلك، ليقتل ويطلب بدمه الملك ثم يطلبان دمه منه عليه السلام.

ففي (خلفاء ابن قتيبة): قال عمرو بن العاص لمعاوية: إنّ لعليّ في الحرب لحظاً ما هو لأحد من الناس، وإنّه لصاحب الأمر. فقال معاوية: صدقت، ولكن نلزمه دم عثمان. فقال عمرو: واسوأتاه إنّ أحق الناس ألّا يذكر عثمان لأنا وأنت، أمّا أنت فخذلته ومعك أهل الشام، واستغاثك فأبطأت عليه. وأمّا أنا فتركته عياناً وهربت إلى فلسطين. قال معاوية: دعني من هذا هلم فبايعني. قال: لا أُعطيك ديني حتى آخذ من دنياك. قال: سل تعط...[1].

وفيه ذكروا: إنّه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيل الكناني فارس أهل صفين وشاعرهم ـ وكان من أخصّ الناس بعلي عليه السلام ـ فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له من رجال معاوية، فأُخبر بقدومه، فأرسل إليه فأتاه وهو شيخ كبير، فلمّا دخل عليه قال له: أنت أبو الطفيل؟ قال نعم. قال: أكنت ممّن قتل عثمان؟ قال: لا، ولكن ممّن شهده فلم ينصره. قال: ولِمَ؟ قال: لأنّه لم ينصره المهاجرون والأنصار. قال: أما والله إن نصرته كانت عليهم وعليك حقّاً واجباً، وفرضاً لازماً، فإذ ضيعتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم. فقال له أبو الطفيل: فما منعك إذ تربصت به ريب المنون ألّا تنصره ومعك أهل الشام؟ فقال معاوية: أو ما ترى طلبي لدمه؟ فضحك أبو الطفيل، فقال: بلى ولكنّه وإيّاك، كما قال عبيد بن الأبرص:

لا الفينك بعد الموت تندبني وفي حياتي ما زودتني زادي

فدخل مروان بن الحكم وعبد الرحمن بن الحكم وسعيد بن العاص، فلمّا

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٩٨.

جلسوا نظر إليهم معاوية وقال: أتعرفون هذا الشيخ؟ قالوا: لا. قال: هذا خليل عليّ وفارس صفين وشاعر العراق، هذا أبو الطفيل. قال سعيد: فما يمنعك منه؟ ـ وشتمه القوم ـ فزجرهم معاوية وقال: مهلاً، فربّ يوم ارتفع عن الأسباب قد ضقتم به ذرعاً. ثم قال له: أتعرف هؤلاء القوم يا أبا الطفيل؟ قال: ما أنكرهم من سوء ولا أعرفهم بخير، وأنشد:

فإن تكن العداوة قد أكنت ... فشر عداوة المرء السباب

فقال معاوية: ما أبقى لك الدهر من حبّ عليّ؟ قال: حبّ أُم موسى، وأشكو إلى الله التقصير. فضحك معاوية وقال: ولكن والله هؤلاء الذين حولك لو سئلوا عنّي ما قالوا هذا. فقال مروان: أجل والله لا نقول الباطل[1].

وفي (صفين نصر): كتب معاوية إلى أبي أيوب كتاباً سطراً واحداً، وهو: «حاجيتك لا تنسى الشيباء أبا عذرها ولا قاتل بكرها». فلم يدر أبو أيوب ما هو، فأتى به علياً عليه السلام فقال له عليه السلام: إنّ معاوية كهف المنافقين كتب إليّ كتاباً لا أدري ما هو. فقال عليه السلام له: هذا مثل ضربه لك، الشيباء: المرأة البكر ليلة افتضاضها، يعني لا تنسى بعلها الذي افترعها؛ وبكرها: أول ولدها؛ يعني كما لا تنسى تلك، لا أنسى أنا قاتل عثمان.

فكتب إليه أبو أيوب كتبت «لا تنسى الشيباء أبا عذرها ولا قاتل بكرها» فضربتها مثلاً لقتل عثمان، وما نحن وقتل عثمان، إنّ الذي تربّص بعثمان وثبط يزيدَ بن أنس وأهلَ الشام عن نصرته لأنت[2].

وفي (تاريخ اليعقوبي): دخل ابن عباس يوماً على معاوية، فقال له: كيف رأيت فعل الله بنا وبأبي الحسن؟ فقال: فعل فعلاً والله غير مختل عجّله إلى جنّة

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٩٢ ـ ١٩٣.

(٢) وقعة صفّين: ٣٦٦ ـ ٣٦٨. ونقله الشارح بتلخيص.

لن تنالها، وأخّرك إلى دنيا قد كان أمير المؤمنين نالها. قال: وإنّك لتحكم على الله؟ قال: أحكم على الله بما حكم به على نفسه ﴿...ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1].

قال معاوية: والله لو عاش أبو عمرو -يعني عثمان- حتى يراني، لرأى أنّي نعم ابن العمّ له. فقال له ابن عباس: أمَا والله لو رآك أيقن أنّك خذلته حيث كانت النصرة له، ونصرته حيث كانت النصرة لك. قال: وما دخولك بين العصا ولحائها؟ قال: ما دخلت عليهما إلّا لهما[2].

«كلّا والله لقد علم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلمّ إلينا ولا يأتون البأس إلّا قليلاً» الآية في الأحزاب، وفيها ﴿قد يعلم الله المعوقين منكم...﴾[3]، لكن جعلها عليه السلام جزء كلامه وغيّر بما ناسب، ولعلّه أيضاً كانت قراءته عليه السلام.

ثُمّ في (ابن ميثم): «لقد علم المعوقين»[4].

«وما كنت لأعتذر من أنّي أنقم عليه» أي: أعتب عليه.

«أحداثاً» أي: أموراً منكرة، كعمله مع أبي ذر وعمّار وغيرهما، وفي أعمال عمّاله كالوليد وابن عامر ومعاوية وغيرهم.

«فإن كان الذّنب إليه إرشادي وهدايتي له» إلى الحقّ وإلى صراط مستقيم؛ قال الشاعر:

وكم من موقف حسن أُحيلت محاسنه فَعُدَّ من الذنوب[5]

«فربّ ملوم لا ذنب له» هو كالمثل؛ قال الشاعر:

---

(١) المائدة: ٤٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٣ ـ ٢٢٤.

(٣) الأحزاب: ١٨.

(٤) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٤٣٤: لقد علم الله المعوّقين أيضاً.

(٥) أورده أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١: ٤٧٥ والبيت للفزاريّ.

لعل له عذراً وأنت تلوم[1]

بل في (أمثال الكرماني): هو مثل من أكثم بن صيفي[2].

«وقد يستفيد الظنّة» أي: التهمة.

«المتنصح» أي: الناصح؛ وعن أكثم: يابني إيّاكم وكثرة التنصح فإنّه يورث التهمة)[3].

ومن البيت وقول أكثم يظهر لك ما في اقتصار الجوهري على قوله: تنصح: أي تشبه بالنصحاء[4].

وقلنا (البيت) لأنه عجز بيت تمثل عليه السلام به، وصدره:

وكم سقت في آثاركم من نصيحة[5].

قال المبرّد: انشدنيه الرياشي.

«وما أردت إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب» الأصل فيه قول شعيب عليه السلام لقومه: ﴿...إن أُريد إلّا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلّا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب)[6].

«وذكرت أنّه ليس لي ولا لأصحابي إلّا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار» أي: بعد جريان الدمع؛ يُقال: استعبرت أي: دمعت. والباكي لا يضحك من كلّ شيء يتعجب منه كغير الباكي، بل من عجيب في غاية الغرابة، والمراد: أتيت بعجب يُضحك الباكي، ومن شواهده ـ وإن كان من باب الهزل ـ أنّ أبا دلامة الشاعر

---

(١) أورده أبو هلال العسكري في جمهرة الأمثال ١: ٤٧٤.

(٢) أورده الميداني في مجمع الأمثال ١: ٣٠٥ تحت الرقم ١٦٢٨ وقال: هذا من قول أكثم بن صيفيّ.

(٣) نقله ابن منظور في لسان العرب ١٤: ١٥٩، مادة: (نصح).

(٤) الصحاح ١: ٤١١، مادة: (نصح).

(٥) أورد البيت ابن ميثم في شرح نهج البلاغة ٤: ٤٤٥.

(٦) هود: ٨٨.

دخل على أُم سلمة زوجة السفاح بعد وفاته، فعزاها به وبكى وبكت، وقالت له: يا أبا دلامة لم أرَ أحداً أُصيب به غيري وغيرك ـ وكان السفاح يعطي أبا دلامة جزيلاً ـ فقال لها أبو دلامة: ولا سواء، لك منه ولد وما ولدت أنا منه فضحكت أُم سلمة ـ ولم تكن منذ مات السفاح ضحكت ـ وقالت له: لو حدثت الشيطان لأضحكته.

«متى ألفيت» أي: وجدت.

«بني» هكذا في (المصرية)[1]، والصواب: «بنو» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[2] والخطيّة)، وحينئذ «فألفيت» بسكون التاء مجهولاً.

«عبد المطلب عن الاعداء ناكلين» أي: جبانين ضعيفين.

«وبالسيف مخوفين» فكانوا عموماً شجعان فضلاً عنه عليه السلام.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): لمّا أراد الزبير الاعتزال من الجمل، قالت له عايشة: خفت سيوف بني عبد المطلب طوال حداد يحملها فتية أنجاد[3].

وفي (نسب مصعب الزبيري): قال علي عليه السلام: رأيت يوم بدر طعيمة بن عدي بن نوفل بن عبد مناف قد علا رأس كثيب، وقد ساواه سعد بن خيثمة، فصمدت له ولم آته حتى قتل سعداً، فلما رآني أصعد الكثيب إليه انحط عليّ ـ وكان رجلاً جسيماً ـ فخشيت أن يعلو عليّ، فانحططت في السهل، فظنّ أنّي فررت منه فصاح بأعلى صوته: فرّ ابن أبي طالب. قلت له: قريباً مفر ابن الشتراء ـ وهذا مثل تضربه العرب ـ فلمّا استوت قدماي بالأرض وقفت له فانحدر إليّ وأهويت إليه، فسمعت قائلاً من خلفي: طأطئ رأسك. فجعلت

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٣٩.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٨٣، وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥: بني أيضاً.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٧٣.

رأسي في صدر طعيمة، وإذا برقة من السيف فأخذت قحف طعيمة فسقط ميتاً، وإذا هو حمزة بن عبد المطلب[١].

«لبّث قليلا يلحق الهيجا» أي: الحرب؛ قال الجوهري: يمد ويقصر[٢].

«حمل» قال ابن ميثم: أصل البيت أنّ حمل بن بدر ـ رجل من قُشيرْ ـ أُغير على إبل له في الجاهلية في حرب داحس والغبراء، وقال:

لبّث قليلاً يلحق الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا الموت نزل

وقيل: أصله أنّ مالك بن زهير توعّد حمل بن بدر فقال حمل: «لبث قليلاً يلحق الهيجا حمل»، ثم أتى وقتل مالكاً، فظفر أخوه قيس بن زهير به وبأخيه حذيفة فقتلهما، وقال:

شفيت النفس من حمل بن بدر وسيفي من حذيفة قد شفاني[٣]

قلت: وفي (الاستيعاب): حمل بن سعدانة الكلبي وفد على النبي صلى الله عليه وآله وعقد له لواء، وهو القائل: لبّث قليلاً يدرك الهيجا حمل. وشهد مع خالد مشاهده كلّها وقد تمثّل بقوله سعد بن معاذ رضي الله عنه يوم الخندق حيث قال:

البث قليلاً يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل[٤]

وقد عنونه الجزري عن أبي موسى أيضاً، ولكنه قال: حمل بن سعد. وزاد: شهد بلوائه صفّين مع معاوية[٥]. والأظهر كون البيت لحمل بن بدر الجاهلي دون ما قالاه، وقررهما الجزري من حمل بن سعدانة أو سعد الصحابي، ويؤيده تمثل سعد به يوم الخندق، وكيف كان، فنظيره قول آخر:

---

(١) قريب منه في المغازي للواقدي ١: ٩٢ ـ ٩٣، ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٤: ١٤٥.

(٢) الصحاح ١: ٣٥٢، مادة: (هيج).

(٣) شرح ابن ميثم ٤: ٤٤٥ ـ ٤٤٦.

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة ١: ٣٦٦.

(٥) أُسد الغابة ٢: ٥٢.

لبث قليلا يلحق الداريون أهل الحباب البدن المكفيون
سوف ترى إن لحقوا ما يبلون

«فسيطلبك من تطلب ويقرب منك ما تستبعد» في (العقد): خرج عليعليه السلام إلى معاوية في خمسة وتسعين ألفاً، وكان معاوية في بضع وثمانين ألفاً، وكان عسكر عليعليه السلام يسمّى الزحزحة لشدة حركته، وعسكر معاوية الخضرية لاسوداده بالسلاح والدروع[١].

وانقضت صفين عن خمسين ألف قتيل من أهل الشام وعشرين ألفاً من أهل العراق[٢].

«وأنا مرقل» في (الصحاح): الإرقال: ضرب من الخبب، أي: العدْو، ولقب هاشم بن عتبة الزهري المرقال، لأنّ علياًعليه السلام دفع إليه الراية يوم صفين فكان يرقل بها إرقالاً[٣].

«نحوك» أي: جانبك.

«في جحفل» أي: جيش.

«من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم» كذا في (المصرية)[٤]، وكلمة (لهم) زائدة لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٥].

«بإحسان» في (صفين نصر): خرج النعمان بن بشير يوماً فدعا قيس بن سعد، فقال له: ألستم معشر الأنصار تعلمون أنكم أخطأتم في خذل عثمان يوم الدار، وقتلتم أنصاره يوم الجمل، وأقحمتم خيولكم على أهل الشام

(١) العقد الفريد ٥: ٨٥.
(٢) العقد الفريد ٥: ٩١.
(٣) الصحاح ٤: ١٧١٢ مادة (رقل).
(٤) نهج البلاغة ٣: ٤٠.
(٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٥ : ١٨٤ وشرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥ «التابعين لهم» أيضاً.

بصفين؟ فلو كنتم إذ خذلتم عثمان خذلتم عليّاً، لكانت واحدة بواحدة، ولكنّكم خذلتم حقّاً ونصرتم باطلاً ـ إلى أن قال ـ: فقال له قيس: أمّا ذكرك عثمان فإن كانت الأخبار تكفيك فخذها منّي واحدة، قتل عثمان من لست خيراً منه، وخذله من هو خير منك. وأمّا أصحاب الجمل فقاتلناهم على النكث. انظر يانعمان؛ هل ترى مع معاوية إلّا طليقاً أو أعرابياً أو يمانياً مستدرجاً بغرور؟ انظر أين المهاجرون والأنصار والتابعون بإحسان الذين رضي الله عنهم؟ ثم انظر هل ترى مع معاوية غيرك وصويحبك ـ ولم يكن مع معاوية من الأنصار غيره وغير مسلمة بن مخلد ـ ولستما والله ببدريين ولا أُحديين، ولا لكما سابقة في الإسلام ولا آية في القرآن، ولعمري لو شغبت علينا لقد شغب علينا أبوك من قبل[1].

«شديد زحامهم» أي: اجتماعهم في الحرب؛ قال الشاعر:

إن تلق عمراً فقد لاقيت مدرعا ... وليس من همه إبل ولا شاء

في جحفل لجم جم صواهله ... بالليل يسمع في حافاته آء

«ساطع قتامهم» أي: غبارهم في الحرب؛ قال الشاعر:

في فتية صدأ الحديد عبيرهم ... وخلوقهم علق النجيع الأحمر

لا يأكل السرحان شلو عفيرهم ... مما عليه من القنا المتكسر

«متسربلين سربال الموت» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: «سرابيل الموت» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[3] والخطية).

وفي (صفين نصر): أنّ أبا عرفاء الذهلي أخذ الراية يوم صفين وقال: يا أهل

---

(١) وقعة صفّين: ٤٤٨ ـ ٤٤٩.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٤٠.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٥: ١٨٤، ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٤٣٥ : «سربال الموت» أيضاً.

هذه الراية إنّ عمل الجنّة كره كلّه، وإنّ عمل النّار خف كلّه، وإنّ الجنّة لا يدخلها إلّا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله وأمره، وليس شيء ممّا افترض الله على العباد أشدّ من الجهاد، فإذا رأيتموني قد شددت فشدّوا، ويحكم! أما تشتاقون إلى الجنّة؟ فشدّ وشدّوا معه، وقاتل حتى قُتل -إلى أن قال-: فلمّا أصبحوا في اليوم العاشر، أصبحوا وربيعة محدقة بعلي عليه السلام إحداق بياض العين بسوادها، وقام خالد بن المعمر فنادى: من يبايع على الموت ويشري نفسه لله؟ فبايعه سبعة الآف على ألّا ينظر رجل خلفه حتّى يرد سرادق معاوية، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وكسروا جفون سيوفهم[1].

«أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريّة بدريّة» في (صفين نصر): قام سعد بن قيس في صفين يخطب أصحابه فقال: إنّ أصحاب محمّد المصطفين الأخيار معنا وفي حيزنا، فوالله الذي هو بالعباد بصير، لو كان قائدنا حبشياً مجدعاً[2]، ومعنا من البدريّين سبعين رجلاً، لكان ينبغي لنا أن تحسن بصائرنا، وتطيب أنفسنا، وكيف وإنّما رئيسنا ابن عمّ نبيّنا؟ بدري صدق صلّى مع النبي صلى الله عليه وآله صغيراً، وجاهد معه كبيراً؛ ومعاوية طليق، من وثاق الاسار وابن طليق، إلّا أنّه أغوى جفاة، فأوردهم النار، وأورثهم العار، والله محلٌّ بهم الذل والصغار[3].

«وسيوف هاشمية» في (صفين نصر) -بعد ذكر خطبته عليه السلام أصحابه بصفين-: فقالوا له: انهض بنا يا أمير المؤمنين إلى عدوّنا وعدوّك إذا شئت، فوالله ما نريد بك بدلاً، نموت معك ونحيا معك. فقال عليه السلام لهم: والذي نفسي

---

(١) وقعة صفّين: ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

(٢) قال في هامش المصدر: ٢٣٦ مانصّه: هو إشارة إلى حديث أبي ذرّ، قال: إنّ خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبداً حبشياً مجدع الأطراف. انظر صحيح مسلم ٢: ٨٥.

(٣) وقعة صفّين: ٢٣٦ ـ ٢٣٧.

بيده، لنظر إلى رسول الله صلى الله عليه وآله أضرب قدّامه بسيفي، فقال: لا سيف إلّا ذو الفقار، ولا فتى إلّا علي ـ إلى أن قال ـ ثمّ نهض إلى القوم فاقتتلوا من حين طلعت الشمس حتى غاب الشفق، وما كانت صلاة القوم إلّا تكبيراً[1].

هذا ولما أمر سليمان الفرزدق بضرب عنق أسير من الكفّار فنبا سيفه، وقال جرير له يعيّره:

بسيف أبي رغوان سيف مجاشع ضربت ولم تضرب بسيف ابن ظالم

قيل: أراد بسيف ابن ظالم، سيف الحارث بن ظالم الغساني، الذي ضرب به ابن السموأل فقطعه نصفين.

«قد عرفت مواقع نصالها» أي: حديدها.

«في أخيك» حنظلة.

«وخالك» الوليد بن عتبة.

«وجدّك» عتبة بن ربيعة أبي أُمّه.

«وأهلك» شيبة عمّ أُمّها، والعاص بن سعيد بن أبي العاص، ومعاوية بن المغيرة بن أبي العاص من بني عمّه؛ وعنه عليه السلام: تعجبت من جرأة القوم يوم بدر، قد قتلت الوليد بن عتبة، وقتل حمزة عتبة وشركته في قتل شيبة، إذ أقبل إليّ حنظلة بن أبي سفيان، فلمّا دنا ضربته ضربة بالسيف، فسالت عيناه ولزم الأرض قتيلاً[2].

ومن رثاء هند أُمّ معاوية لأبيها:

تداعى له رهطه غدوة بنو هاشم وبنو المطلب
يذيقونه حدّ أسيافهم يعرونه بعد ما قد شجب

---

(١) وقعة صفّين: ٣١٥.

(٢) قريب منه ما في وقعة صفّين: ١٠٢.

وعن سعيد بن العاص: أنّه ذهب إلى مجلس عمر، فجلس ناحية، فقال له عمر: كأنّ في نفسك عليَّ شيئاً، أتظنّ أنّي قتلت أباك؟ والله لوددت أني كنت قاتله، مررت به يوم بدر فرأيته يبحث للقتال، كما يبحث الثور بقرنيه، واذن شدقاه، قد أزبد كالوزغ، فلمّا رأيت ذلك هبته وزغت عنه، فقال لي: إليّ يا بن الخطاب. وصمد له عليّ فو الله ما رمت مكاني حتى قتله. وكان عليعليه السلام حاضراً، فقال لعمر: مالك تهيج الناس عليّ؟ فكفّ عمرُ، فقال سعيد بن العاص: أما انّه ما كان يسرني أن يكون قاتل أبي غير ابن عمّه علي[1].

هذا، وممّا قيل في أثرات السيف، قول الواسطي والهذلي وثعلبة الفاتك:

ما أنكر الهامُ من أسيافه ظبة	وإنّما أنكرت أسيافه القرب
به يدع الكمي على يديه	يخر تخاله نسراً قشيبا
نحن الاولى أرْدَت ظبات سيوفنا	داود بين القرنتين يحارب
وكذاك إنّا لا تزال سيوفنا	تنفي العدى وتفيد رعب الراعب

«وما هي من الظالمين ببعيد» الأصل فيه قوله تعالى في قرية قوم لوط: ﴿...وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود * مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببعيد﴾[2].

والمراد أنّ تلك الحجارة التي أُمطرت على قوم لوط ليست من الظالمين من أُمّتك العاملين عملهم ببعيد.

وفي الخبر: لا يموت اللاطي حتّى يضرب بحجر من تلك على قلبه[3].

كما أنّ المراد من كلامهعليه السلام: أنّ مواقع نصال تلك السيوف الهاشمية،

---

(١) قريب منه ما في المغازي للواقدي ١: ٩٢، ونقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٤: ١٤٣ ـ ١٤٥.

(٢) هود: ٨٢ ـ ٨٣.

(٣) تفسير العياشي ٢: ١٥٨. تفسير القمّي ١: ٣٣٦ ـ ٣٣٧.

والمراد سيفه عليه السلام لست ببعيد من معاوية السالك مسالك أسلافه في البغي والعتو، أُولئك في قِبال النبي صلى الله عليه وآله وهو في قِبال الوصيّ عليه السلام، وكان عمّار يقول في صفين: قاتلت مع هذه الراية ـ أي راية معاوية ـ مرات في غزوات النبي صلى الله عليه وآله في بدر وغيرها، وما هي اليوم بأبر منها أمس[١].

هذا وله عليه السلام كتاب آخر إلى معاوية ـ وقد نقله ابن أبي الحديد في موضع آخر ـ وفيه: وقد أسهبت في ذكر عثمان، ولعمري ما قتله غيرك، ولا خذله سواك، ولقد تربصت به الدوائر، وتمنّيت به الأماني، طمعاً في ما ظهر منك ودلّ عليه فعلك، وإنّي لأرجو أن أُلحقك به على أعظم من ذنبه، وأكبر من خطئيته، فأنا ابن عبد المطلب صاحب السيف، وإنّ قائمته لفي يدي، وقد علمت من قتلت به من صناديد بني عبد شمس، وفراعنة بني سهم وجمح ومخزوم، وأيتمت أبناءهم وأيّمت نساءهم[٢].

وفي قوله عليه السلام: «أُلحقك به على أعظم من ذنبه» مالا يخفى.

٢١
الكتاب (٣٧)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية:

فَسُبْحَانَ اللّهِ ! مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ الْمُبْتَدَعَةِ ، وَالْحَيْرَةِ الْمُتَّبَعَةِ ، مَعَ تَضْيِيعِ الْحَقَائِقِ ، وَاطِّرَاحِ الْوَثَائِقِ ، الَّتِي هِيَ لِلّهِ طَلِبَةٌ ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ .

فَأَمَّا إِكْثَارُكَ الْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ، فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَكَ ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ النَّصْرُ لَهُ والسلام .

---

(١) وقعة صفّين: ٣٢١.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٥: ٨٣ ـ ٨٤.

أقول: قال ابن أبي الحديد: وأوّله أمّا بعد، فإنّ الدّنيا حلوة خضره ذات زينة وبهجة، لم يصب إليها أحد إلّا وشغلته بزينتها عمّا هو أنفع له منها، وبالآخرة أُمرنا وعليها حثثنا؛ فدع يا معاوية ما يفنى واعمل لما يبقى، واحذر الموت الذي إليه مصيرك، والحساب الذي إليه عاقبتك.

واعلم أنّ الله تعالى إذا أراد بعبد خيراً حال بينه و بين ما يكره، و وفّقه لطاعته، وإذا أراد الله بعبد سوءاً أغراه بالدنيا، وأنساه الآخرة وبسط له أمله، وعاقة عمّا فيه صلاحه. وقد وصلني كتابك فوجدتك ترمي فيه غير غرضك، وتنشد غير ضالّتك، وتخبط في عماية، وتتيه في ضلالة، وتعتصم بغير حجّة، وتلوذ بأضعف شبهة. فأمّا سؤالك المتاركة والإقرار لك على الشام، فلو كنت فاعلاً ذلك اليوم لفعلته أمس. وأمّا قولك: إنّ عمر ولّاكه فقد عزل من كان ولّاه صاحبه، وعزل عثمان من كان عمر ولّاه، ولم ينصب للناس إمام إلّا ليرى من صلاح الأُمّة، ما قد كان ظهر لمن قبله وأُخفي عنهم عيبه، والأمر يحدث بعده الأمر، ولكل وال رأي واجتهاد، فسبحان الله ...[1].

«فسبحان الله ما أشدّ لزومك للأهواء المبتدعة» كإقراره على الشام، لأن عمر ولّاه.

«والحيرة المتعبة» هكذا في (المصرية)[2]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[3] والخطية): «المتبعة».

«مع تضييع الحقايق» بأنّ للوالي أن يعمل بما يراه صلاحاً، حتى إنّ عمر أوّل ساعة خلافته عزل خالد بن الوليد، الذي فوّض أبو بكر أُموره إليه وجعله

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٣ ـ ١٥٤.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٦٩.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٣، وشرح ابن ميثم ٥: ٨٠.

أمير أُمرائه، لأنّ عمر رأى: أنّ خالداً قتل مسلماً، وهو مالك بن نويرة لحقد له معه، وزنا مع امرأته في أيّام أبي بكر، وأغضى أبو بكر منه.

«واطراح الوثائق التي هي لله طلبة وعلى عباده حجّة» وتلك الوثائق وجوب إطاعة الإمام، قال تعالى ﴿...أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم...﴾[1].

«فأمّا إكثارك الحجاج» أي: المحاجة.

«في عثمان وقتلته فإنّك إنّما نصرت عثمان حيث كان النصر لك وخذلته حيث كان النصر له» قال ابن أبي الحديد: روى البلاذري: أنّ عثمان لما أرسل الى معاوية يستمده، بعث معاوية يزيد بن أسد القسري جدّ خالد بن عبدالله القسري، أمير العراق وقال له: إذا أتيت ذا خشب فأقم بها ولا تتجاوزها، ولا تقل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب، فإنّني أنا الشاهد وأنت الغايب. فأقام بذي خشب حتى قتل عثمان، فاستقدمه فعاد بالجيش الذي كان أُرسل معه، وإنّما صنع ذلك معاوية ليقتل عثمان فيدعوا إلى نفسه.

وكتب معاوية عند صلح الحسن عليه السلام له كتاباً إلى ابن عباس يدعوه فيه إلى بيعته، ويقول له فيه: ولعمري لو قتلتك بعثمان رجوت أن يكون ذلك لله رضى، وأن يكون رأياً صواباً، فإنّك من الساعين على عثمان والخاذلين له، والسافكين دمه، وما جرى بيني وبنيك صلح فيمنعك منّي ولا بيدك أمان. فكتب إليه ابن عباس جواباً طويلاً، يقول فيه ـ: وأما قولك: إنّي من الساعين عليه والخاذلين له والسافكين دمه، وما جرى بيني وبينك صلح فيمنعك مني. فأقسم بالله لأنت المتربّص بقتله، والمحبّ لهلاكه، والحابس الناس قبلك عنه على بصيرة من أمره، ولقد أتاك كتابه وصريخه يستغيث بك ويستصرخ فما

---

(١) النساء: ٥٩.

حفلت به، حتى بعثت إليه معذراً بآخره، أنت تعلم أنّهم لن يتركوك حتى تقتل، فقتل كما كنت أردت، ثمّ علمت عند ذلك أنّ النـاس لن يـعدلوا بـيننا وبـينك، فطفقت تنعي عثمان وتلزمنا دمه وتقول: قتل مظلوماً. فإن يك قـتل مـظلوماً فأنت أظلم الظالمين، ثم لم تزل مصوباً ومصعداً وحائماً ورابضاً، تستغوي الجهّال، وتنازعنا حقّنا بالسفهاء، حتى أدركت ما طلبت ﴿وإن أدري لعلّه فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾[1].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): كتب معاوية إلى محمّد بن مسلمة الأنصاري: فهلّا نهيت أهل الصلاة عن قتل بعضهم بعضاً، أو ترى أنّ عثمان وأهل الدار ليسوا بمسلمين؟ عصيتم الله وخذلتم عثمان.

فكتب إليه محمّد بن مسلمة: لعمري يا معاوية ما طلبت إلّا الدّنيا، ولا اتبعت إلّا الهوى، ولئن كنت نصرت عثمان ميّتاً لقد خذلته حيّاً[2].

«والسلام» ليس في (ابن ميثم)[3].

٢٢
في الكتاب (٦٢)

إِنِّي وَاللّهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِداً وَهُمْ طِـلَاعُ الأَرْضِ كُـلِّهَا مَـا بَـالَيْتُ وَلَا اسْتَوحَشْتُ، وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي، وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي، وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللّهِ لَمُشْتَاقٌ، وَبِحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ؛ وَلكِنِّي آسَـى أَنْ يَـلِيَ أَمْـرَ هـذِهِ الْأُمَّـةَ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللّهِ دُوَلاً، وَعِبَادَهُ خَوَلاً، وَالصَّالِحِينَ

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٥٤ ـ ١٥٥، والآية ١١١ من سورة الأنبياء.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٠٠ ـ ١٠١.

(٣) شرح ابن ميثم ٥: ٨١.

حَزْباً، وَالْفَاسِقِينَ حِزْباً؛ فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قد شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ، وَجُلِدَ حَدّاً فِي الْاسْلَامِ\وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ؛ فَلَوْلَا ذَلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ وَتَأْنِيبَكُمْ وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ.

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ افْتُتِحَتْ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى!

انْفِرُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ، وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى الْأَرْضِ فَتُقِرُّوا بِالْخَسْفِ، وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ الْأَخَسَّ؛ وَإِنَّ أَخَا الْحَرْبِ الْأَرِقُ وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ، وَالسَّلَامُ.

قول المصنف «ومنه» أي: ومن كتابه عليه السلام إلى أهل مصر مع الأشتر لمّا ولّاه، إلّا أنّه قلنا في شرح صدره أنه خطبة خطب عليه السلام بها في الكوفة بعد فتح مصر وقتل محمّد بن أبي بكر، وسؤال الناس له عن قوله عليه السلام في أبي بكر وعمر وعثمان، رواه ابراهيم الثقفي في (غاراته)[١]، وابن قتيبة في (خلفائه)[٢]، والكليني في (رسائله)[٣]، على اختلاف، لكن كتبها عليه السلام لهم حتى تقرأ عليهم، كما صرّح به في رواية ابن قتيبة: فأمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يقرأها، وعيّن عليه السلام عشرة من ثقاته لئلّا يشغب الناس، كما صرح به في رواية الكليني، ومضمون فقرات الذيل تدلّ أيضاً على كون الكلام خطبة في التحريض على الجهاد، ولا مناسبة لها أن تكون كتاباً إلى أهل مصر، فالظاهر أنّ المصنّف رأى أنّه عليه السلام كتب للناس بعد فتح مصر، فلم يتدبّر وتوهّم أنّه عليه السلام كتب

(١) الغارات ١: ٣٠٢ ـ ٣٢٢.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ١٥٤ ـ ١٥٩.

(٣) لم أجد نسخته، ولكن نقله عنه السيد ابن طاووس في كشف المحجّة لثمرة المهجة؛ وعنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ١٨٤ ـ ١٨٨، ط الكمباني.

بالكتاب إلى أهل مصر. فزاد (مع الأشتر) من الخارج.

ثمّ «ومنه» في (المصرية)[١]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢]: «ومن هذا الكتاب»، فهو الصحيح.

روى الأوّل عن رجاله، عن عبد الرحمن بن جندب، عن أبيه قال: خطب علي عليه السلام بعد فتح مصر وقتل محمّد بن أبي بكر ـ إلى أن قال بعد ذكر بعثة النبي صلى الله عليه وآله وأيّام الثلاثة وآثام الثالث في أيامه ـ: وإنّ فيهم من قد شرب فيكم الخمر، وجلد الحدّ، يعرف بالفساد في الدين، وفي الفعل السيئ، وإنّ فيهم من لم يسلم حتّى رضخ له رضخة، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساويه من قادتهم مثل من ذكرت منهم، بل هو شرّ ويود هؤلاء الذين ذكرت لو ولّوا عليكم، فأظهروا فيكم الكفر والفساد والفجور والتسلّط بجبرية، واتّبعوا الهوى، وحكموا بغير الحقّ، ولأنتم على ما كان فيكم من تواكل وتخاذل، خير منهم وأهدى سبيلاً، فيكم العلماء والفقهاء، والنجباء والحكماء، وحملة الكتاب والمتهجّدون بالأسحار، وعُمّار المساجد بتلاوة القرآن، أفلا تسخطون وتهتمون أن ينازعكم أمري؟ فو الله لئن أطعتموني لاتغوون، وإن عصيتموني لا ترشدون، خذوا للحرب اهبتها وأعدّوا عدّتها، قد شبّت نارها، وعلا سناؤها، وتجرّد لكم فيها الفاسقون، كي يعذبوا عباد الله ويطفئوا نور الله، إلّا أنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والمكر والجفاء، بأولى في الجدّ في غيّهم وضلالهم من أهل البرّ والزهادة والإخبات في حقّهم وطاعة ربهم، والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما باليت ولا استوحشت، وإنّي من ضلالتهم التي هم فيها، والهدى الذى نحن عليه، لعلى ثقة وبيّنة ويقين

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٣١.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٥، ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠١: ومنه أيضاً.

وبصيرة، وإنّي إلى لقاء ربي لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر، ولكن أسفاً يعتريني وحُزناً، أن يلي أمر هذه الأُمّة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً، وعباده خولاً، والفاسقين حزباً. وايم الله لولا ذلك لمّا أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذا ونيتم وأبيتم، حتى ألقاهم بنفسي متى حمّ لقاؤهم، فو الله إنّي لعلى الحقّ، وإنّي للشهادة لمحبّ، فانفروا ﴿خفافاً وثقالاً، وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله ذلكم خيرٌ لكم إن كنتم تعملون﴾[1] ولا تثاقلوا إلى الأرض فتقرّوا بالخسف وتبوؤا بالذل، ويكن نصيبكم الأخس. إنّ أخا الحرب اليقظان، ومن ضعف أردى، ومن ترك الجهاد كان كالمغبون المهين، اللهمّ اجمعنا وإيّاهم على الهدى، وزهّدنا وإيّاهم في الدّنيا، واجعل الآخرة خيراً لنا ولهم من الأُولى[2].

وفي الثاني: قام حجر بن عدي وعمرو بن الحمق وفلان إلى علي عليه السلام، فسألوه عن أبي بكر وعمر، وقالوا: بيّن لنا قولك فيهما وفي عثمان، فقال كرم الله وجهه: أوَقد تفرغتم لهذا، وهذه مصر قد اُفتتحت وشيعتي فيها قد قُتلت؟ إنّي مخرج إليكم كتاباً أُنبئكم فيه ما سألتموني، فاقرؤه على شيعتي. فأخرج إليهم كتاباً ـ إلى ان قال ـ: وإنّ منهم لمن شرب فيكم وجلد حدّاً في الإسلام، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت ذكر مساويه منهم شرّ وأضر، وهؤلاء الذين لو ولّوا عليكم لأظهروا فيكم الغضب والفخر والتسلط بالجبروت، والتطاول بالغصب والفساد في الارض، ولاتبعوا الهوى، وما حكموا بالرشاء، وأنتم على ما فيكم من تخاذل وتواكل، خير منهم وأهدى سبيلاً، فيكم الحكماء العلماء والفقهاء، وحملة القرآن والمتهجدون بالأسحار، والعبّاد والزّهاد في

---

(١) التوبة: ٤١.

(٢) الغارات ١: ٣٠٢ ـ ٣٢٢، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

الدّنيا، وعُمّار المساجد وأهل تلاوة القرآن، أفلا تسخطون وتنقمون أن ينازعكم الولاية عليكم سفهاؤكم والأراذل والأشرار منكم؟ اسمعوا قولي إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، واعرفوا نصيحتي إذا نصحت، واعتقدوا حزمي إذا حزمت، والتزموا عزمي إذا عزمت، وانهضوا نهوضي وقارعوا من قارعت، ولئن عصيتموني لا ترشدوا ولا تجتمعوا، خذوا للحرب أهبتها وأعدّوا لها آلتها، فإنّها قد وقدت نارها وعلا سناها، وتجرّد لكم الظالمون كيما يطفئوا نور الله، ويقهروكم.

عباد الله إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء، بأولى في الجدّ في غيّهم وضلالهم وباطلهم، من أهل النزاهة والحق، والاخبات بالجدّ في حقّهم، وطاعة ربهم ومناصحة إمامهم، إنّي والله لو لقيتهم وحيداً منفرداً، وهم في أهل الأرض، إن باليت بهم أو استوحشت منهم، إنّي في ضلالهم الذي هم فيه، والهدى الذي أنا عليه، لعلى بصيرة ويقين وبيّنة من ربّي، وإنّي للقاء ربّي مشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر راج، ولكن أسفاً يعتريني، وجزعاً يريبني، من أن يلي هذه الأمة سفهاؤها وفجّارها، فيتخذوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً والصالحين حرباً والقاسطين حزباً، وايم الله لولا ذلك، ما أكثرت تأليبكم وتحريضكم، ولتركتكم، فوالله إنّي لعلى الحقّ، وإنّي للشهادة لمحبّ، أنا نافر بكم إن شاء الله...[1].

وفي الثالث: وروايته عن علي بن إبراهيم بإسناده عنه عليه السلام: وإنّ منهم من قد شرب الخمر وضرب حدّاً في الإسلام، وكلّكم يعرفه بالفساد في الدين، وإن منهم من لم يدخل في الإسلام وأهله حتى رضخ عليه رضيخه، فهؤلاء قادة القوم، ومن تركت لكم ذكر مساويه أكثر وأبور، وأنتم تعرفونهم بأعيانهم

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٥٤ ـ ١٥٩، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

وأسمائهم، كانوا على الاسلام ضداً، ولنبي الله ﷺ حرباً، وللشيطان حزباً، لم يتقدّم إيمانهم، ولم يحدث نفاقهم، وهؤلاء الذين لو ولّوا عليكم، لأظهروا فيكم الفخر والتكبر، والتسلّط بالجبرية والفساد في الأرض، وأنتم على ما كان منكم من تواكل وتخاذل، خيرٌ منهم وأهدى سبيلاً، منكم الفقهاء والعلماء والفهماء، وحملة الكتاب، والمتهجدون بالأسحار.

ألا تسخطون وتنقمون ان ينازعكم الولاية السفهاء البطاء عن الإسلام الجفاة فيه؟ اسمعوا قولي ـ يهديكم الله ـ إذا قلت، وأطيعوا أمري إذا أمرت، فوالله لئن أطعتموني لا تغووا، وإن عصيتموني... قال الله تعالى: ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ ان يتّبع أمّن لا يهدّي إلّا أن يُهدى فمالكم كيف تحكمون﴾[1]، وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿...إنّما أنت منذر ولكلّ قوم هاد﴾[2]. فالهادي بعد النبي ﷺ هاد لأمته على ما كان من رسول الله ﷺ، فمن عسى أن يكون الهادي إلّا الذي دعاكم إلى الحقّ وقادكم إلى الهدى؟ خذوا للحرب أُهبتها، وأعدّوا لها عدّتها، فقد شبّت وأُوقدت نارها، وتجرّد لكم الفاسقون لكيما يطفئوا نور الله بأفواههم، ويغزوا عباد الله، ألّا إنّه ليس أولياء الشيطان من أهل الطمع والجفاء، أولى بالحقّ من أهل البرّ والاخبات في طاعة ربّهم، ومناصحة إمامهم، انّي والله لو لقيتهم وحدي وهم وأهل الأرض ما استوحشت منهم ولا باليت، ولكن أسف يريبني، وجزع يعتريني، من أن يلي هذه الأمّة فجّارها وسفهاؤها، يتّخذون مال الله دولاً، وكتابه دخلاً، والفاسقين حزباً، والصالحين حرباً، وأيم الله لولا ذلك ما أكثرت تأنيبكم وتحريضكم، ولتركتكم إذ أبيتم، حتى ألقاهم متى حمّ لي لقاؤهم، فوالله إنّي لعلى الحقّ، وانّي

(١) يونس: ٣٥.

(٢) الرعد: ٧.

للشهادة لمحبّ، وإنّي إلى لقاء ربّي لمشتاق، ولحسن ثوابه لمنتظر، انّي نافرٌ بكم فانفروا ﴿خفافاً وثقالاً وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم في سبيل الله﴾ ولا تثاقلوا إلى الأرض فتعمّوا بالذل وتقرّوا بالخسف، ويكون نصيبكم الخسران، إنّ أخا الحرب اليقظان الأرق، إن نام لم تنم عينه، ومن ضعف أودى، ومن كره الجهاد في سبيل الله، كان المغبون المهين، إنّي لكم اليوم على ما كنت عليه أمس، ولستم لي على ما كنتم عليه. من تكونوا ناصريه، أخذ بالسهم الأخيب. والله لو نصرتم الله لنصركم وثبّت أقدامكم، إنّه حق على الله أن ينصر من نصره، ويخذل من خذله، أترون الغلبة لمن صبر بغير نصر، وقد يكون الصبر جبناً، وإنّما الصبر بالنصر، والورود بالصدور، والبرق بالمطر، اللهمّ اجمعنا...[1].

«إنّي والله لو لقيتهم واحداً وهم طلاع الأرض» أي: ملؤها.

«ما باليت» أي: ما اكترثت.

«ولا استوحشت» من وحدتي، كما أنّ إبراهيم عليه السلام ما استوحش من وحدته في توحيده، وكون جميع أهل الأرض مشركين، فإنّ الأنبياء وأوصياء الأنبياء لايبالون من قيام جميع أهل الدنيا على خلافهم، ولا يستوحشون من إنفرادهم. ولمّا كان الناس يشيرون على الحسين عليه السلام ببيعة يزيد، لكونه ذا سلطان والناس كلّهم معه، وعدم ناصر له، كان يقول: والله لو لم يكن لي في الدّنيا ملجأ ولا مأوى لمّا بايعت يزيد.

«وإنّي من ضلالهم الذي هم» أي: العثمانية والطالبين بدم عثمان.

«فيه والهدى الذي أنا عليه لعلى بصيرة من نفسي ويقين من ربّي» وكذلك

---

(١) نقله عنه السيد ابن طاووس في كشف المحجّة لثمرة المهجة: ، وعنه العلّامة المجلسي رحمه الله في بحار الأنوار ٨: ١٨٤ ـ ١٨٨، ط الكمباني.

كانت شيعتة عليه السلام؛ فكان عمّار يقول: والله لو ضربونا حتى نبلغ سعفات هجر، لعلمت أنّا على الحقّ وهم على الباطل.

«وإنّي إلى لقاء الله لمشتاق وبحسن» هكذا في (المصريه)[1]، والصواب: (ولحسن) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[2] والخطيّة).

«ثوابه لمنتظر راج» ان قتلت أو مت؛ وفي (الطبري): أن الحرّ لمّا كان يساير الحسين عليه السلام في الطريق، يقول له: أُذكّرك الله في نفسك، فإنّي أشهد لئن قاتلت لتُقتلن. فقال عليه السلام له: أفبالموت تخوفني؟! وهل يعدو بكم الخطب أن تقتلوني، ما أدري ما أقول لك؟ ولكن أقول كما قال أخو الأوس لابن عمّه ـ لقيه وهو يريد نصرة النبي صلى الله عليه وآله، فقال له: أين تذهب فإنّك مقتول ـ فقال له:

سأمضي وما بالموت عارٌ على الفتى ... إذا ما نوى حقّاً وجاهد مسلما
وآسى الرجال الصالحين بنفسه ... وفارق مثبوراً يغش ويرغما[3]

«ولكنّي آسى» بالفتح من (اسي) بالكسر، أي: حزن.

«أن يلي أمر هذه الأُمة سفهاؤها وفجّارها» من تواكلكم وتخاذلكم، كما كان كذلك أيّام عثمان؛ وفي (صفين نصر): أنّه عليه السلام لمّا أراد المسير إلى الشام، قام خطيباً وقال: سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقيّة الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار[4].

بل لم يختصّ ما ذكره عليه السلام بايّام عثمان، ألم يلِ أمر الناس أيّام أبي بكر خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة غدراً وفجر بامرأته؟ أو لم يلِ أمر الناس أيّام عمر المغيرة بن شعبة الذي زنا محصناً؟ وكان صاحب تلك النفس

---

(١) في نهج البلاغة ٣: ١٣١ «وحسن».

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٢٥، ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠١ «وحسن» أيضاً.

(٣) تاريخ الطبري ٥: ٤٠٤، سنة ٦١.

(٤) وقعة صفّين: ٩٤.

الخبيثة الذي حمل معاوية على استلحاق زياد بـه، وعلى استخلاف يـزيد السكير القمّير على الأُمّة، ولمّا اعترضوا على عثمان بتوليته المنافقين، أجابهم بتوليه عمر المغيرة مع نفاقه، وإنّما كانت تولية الفجّار والسفهاء أيّام عثمان أكثر.

وفي (حلية أبي نعيم) في أُبيّ، عن قيس بن عباد قال: قدمت المدينة للقاء أصحاب محمّد ﷺ، فلم يكن فيهم أحد أحبّ إليّ لقاء من أُبيّ بن كعب، فقمت في الصفّ الأوّل، فخرج، فلمّا صلّى حدّث فما رأيت الرجال متحت أعناقها إلى شيء منهم إلى أُبي، فسمعته يقول: هلك أهل العقد[١] ورب الكعبة ـ قالها ثلاثاً ـ هلكوا وأهلكوا. أما إنّي لا آسي عليهم، ولكنّي آسي على مَن يهلكون من المسلمين[٢].

«فيتخذوا مال الله دولاً» أي: متداولاً بينهم؛ وفي (الصحاح): قال محمّد بن سلام الجمحي: سألت يونس عن قوله تعالى: ﴿...كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم...﴾[٣]، فقال: قال أبو عمرو بن العلاء: الدولة بالضم في المال، والدولة بالفتح في الحرب. وقال عيسى بن عمر: كلتاهما تكون في المال والحرب سواء[٤].

في (المروج): قال سعيد بن العاص لمّا كان والياً على الكوفة من قبل عثمان، في بعض الأيّام: إنّما هذا السواد ـ يعني العراق ـ فطير لقريش. فقال له الأشتر: أتجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا ومراكز

(١) قال ابن الأثير: يريد البيعة المعقودة للولاة. النهاية ٣: ٢٧٠، مادة: (عقد).

(٢) حلية الأولياء ١: ٢٥٢.

(٣) الحشر: ٧.

(٤) الصحاح ٤: ١٧٠٠، مادة: (دول).

رماحنا بستاناً لك ولقومك؟[١]

وفيه: ذكر عبدالله بن عتبة: أنّ عثمان يوم قتل، كان عند خازنه من المال خمسون ومائة ألف دينار، وألف وألف درهم، وقيمة ضياعه بوادي القرى وحنين وغيرهما مائة ألف دينار، وخلف خيلاً كثيراً وإبلا[٢].

وفي (معارف ابن قتيبة): آوى عثمانُ الحكمَ بن أبي العاص، الذي سيّره النبي صلى الله عليه وآله، ثم لم يؤوه أبو بكر ولا عمر، وأعطاه مائة ألف درهم. وتصدق النبي صلى الله عليه وآله بمهزور ـ موضع سوق المدينة ـ على المسلمين، فأقطعه عثمان الحارث بن الحكم أخا مروان، وأقطع فدك ـ وهي صدقة النبي صلى الله عليه وآله ـ مروان، وفتح افريقية فأخذ الخمس، فوهبه كلّه لمروان، فقال عبدالرحمن بن حنبل الجمحي ـ وكان عثمان سيّره ـ:

وأعطيت مروان خُمس العباد فهيهات شأوُك ممّن سعى

وطلب إليه عبدالله بن خالد بن أُسيد صلة، فأعطاه أربعمائة ألف درهم[٣].

وفي (تاريخ اليعقوبي): وزوّج عثمان ابنته من عبدالله بن خالد بن أُسيد، وأمر له بستمائة ألف درهم، وكتب إلى عبدالله بن عامر أن يدفعها إليه من بيت مال البصرة.

وحدّث أبو إسحاق عن عبدالرحمن بن يسار، قال: رأيت عامل صدقات المسلمين على سوق المدينة، إذا أمسى أتاها عثمان، فقال له: ادفعها إلى الحكم بن أبي العاص. وكان عثمان إذا أجاز أحداً من أهل بيته بجائزة، جعلها فرضاً من بيت المال، فجعل يدافعه ويقول: يكون فنعطيك. فألحّ عليه فقال له عثمان:

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٤٦.

(٢) المصدر نفسه ٢: ٣٤١ ـ ٣٤٢.

(٣) المعارف لابن قتيبة: ١٩٥، دارالمعارف، مصر، ط ٢.

إنّما أنت خازن لنا، فاذا أعطيناك فخذ، وإذا سكتنا عنك فاسكت. فقال: كذبت والله، ما أنا لك بخازن ولا لأهل بيتك، إنّما أنا خازن المسلمين. وجاء بالمفتاح يوم الجمعة وعثمان يخطب، فقال: أيُّها الناس زعم عثمان أنّي خازن له ولأهل بيته، وإنّما كنت خازناً للمسلمين، وهذه مفاتيح بيت مالكم. ورمى بها، فأخذها عثمان ودفعها إلى زيد بن ثابت[1].

«وعباده خولاً» أي: رقيقاً لهم وملكاً؛ وفي (صفين نصر): لمّا أراد علي عليه السلام المسير إلى الشام، قام قيس بن سعد بن عبادة، فقال: انكمش بنا إلى عدوّنا، ولا تعرج فوالله لجهادهم أحبّ إليّ من جهاد الترك والروم، لإدهانهم في دين الله واستذلالهم أولياء الله من أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله، من المهاجرين والأنصار والتابعين بإحسان، وإذا غضبوا على رجل حبسوه، أو حرموه، أو سيّروه، وفيئنا لهم في أنفسهم حلال، ونحن لهم في ما يزعمون قطين. يعني: رقيق[2].

«والصالحين» كأبي ذر وعمّار.

«حرباً» وفي (تاريخ اليعقوبي): لمّا بلغ عثمان وفاة أبي ذر، فقال عمّار: نعم، رحم الله أباذر من كل أنفسنا. فغلظ ذلك على عثمان، وبلغه عن عمّار كلام، فأراد أن يسيّره أيضاً ...[3].

«والفاسقين» كالوليد بن عقبة الفاسق بنصّ القرآن فيه، وهو أخو عثمان لأُمّه، وعبد الله بن سعد بن أبي سرح، الذي أمر النبي صلى الله عليه وآله بقتله ولو وجد متعلقاً بأستار الكعبة، وهو أخوه من الرضاع.

«حزباً» وفي (صفين نصر): قام عمّار في صفين، فقال: امضوا عباد الله إلى

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٨ ـ ١٦٩.

(٢) وقعة صفّين: ٩٢ ـ ٩٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٤.

قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون، المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان. فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً. وذلك لأنه مكّنهم من الدّنيا فهم يأكلونها ويرعونها، والله ما أظنهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنّه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدنيا فاستحبوها واستمرؤها، وعلموا لو أن الحقّ لزمهم لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً...»[1].

وفيه: وقال هاشم بن عتبة المرقال لعليعليه السلام: سر بنا إلى هؤلاء القوم القاسية قلوبهم، الذين نبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعملوا في عباد الله بغير رضى الله، فأحلّوا حرامه وحرّموا حلاله، واستولاهم الشيطان ووعدهم الأباطيل، ومنّاهم الأماني حتّى أزاغهم عن الهدى، وقصد بهم قصد الردى، وحبّب إليهم الدنيا، فهم يقاتلون على دنياهم رغبة فيها، كرغبتنا في الآخرة ...»[2].

وما قالهعليه السلام من أنّه يأسى أن يلي أمر الأمّة من يتخذ مال الله دولاً، وعباده خولاً ... أخبر به النبيصلى الله عليه وآله قبل. فدخل أبو ذر على عثمان بعد إرسال معاوية له من الشام على قتب بغير وطاء وقد ذهب لحم فخذيه، فقال عثمان: بلغني أنّك تقول: سمعت النبي يقول: إذا كملت بنو أبي العاص ثلاثين اتّخذوا عباد الله خولاً ودين الله دغلاً. فقال له: نعم، سمعته يقول ذلك. فطلب منه شاهداً فشهدعليه السلام له لقول النبيّصلى الله عليه وآله المتّفق عليه في أبي ذر: ما أُظلت الخضراء ولا

---

(١) وقعة صفّين: ٣١٩.

(٢) المصدر نفسه: ١١٢.

أقلّت الغبراء ذا لهجة أصدق من أبي ذر.

روى ذلك المسعودي[١] واليعقوبي[٢] والواقدي[٣] وغيرهم.

«فإنّ منهم الذي قد شرب فيكم الحرام وجلد حدّاً في الإسلام» قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: «هو المغيرة». وأخطأ لأن المغيرة اتّهم بالزنا ولم يحدّ، ولم يجر للمغيرة ذكر في الشرب، وأيضاً لم يشهد المغيرة صفين مع معاوية، ولا مع علي عليه السلام، وما للراوندي وهذا؟! إنّما يعرف هذا الفن أربابه. والذي عناه عليه السلام الوليد بن عقبة بن أبي معيط[٤].

قلت: لا ريب في إرادته عليه السلام الوليد، كما يفصح عنه كلامه الآخر الّذي رواه الطبري عن زيد بن وهب: أنّ علياً عليه السلام مرّ على جماعة من أهل الشام بصفين، فيهم الوليد بن عقبة وهم يشتمونه، فأخبروه عليه السلام بذلك فوقف في ناس من أصحابه، فقال: انهدوا إليهم وعليكم السكينة وسيماء الصالحين ووقار الاسلام، والله لأقرب قوم من الجهل بالله عزّوجلّ، قوم قائدهم ومؤدّبهم معاوية، وابن النابغة، وأبو الأعور السلمي، وابن أبي معيط شارب الحرام والمجلود حدّاً في الاسلام، وهم أولى يقومون فيقصبونني ويشتمونني، وقبل اليوم ما قاتلوني وشتموني، وأنا إذ ذاك أدعوهم إلى الإسلام، وهم يدعونني إلى عبادة الأصنام، فالحمد لله، قديماً عاداني الفاسقون فعبّدهم الله. إنّ هذا لهو الخطب الجليل، أنّ فسّاقاً كانوا غير مرضيين، وعلى الإسلام وأهله متخوفين، خدعوا شطر هذه الأمّة، وأشربوا قلوبهم حبّ الفتنة، واستمالوا

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٤٨ ـ ٣٥٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧١ ـ ١٧٢.

(٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ٣: ٥٥ ـ ٥٦.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٧.

أهواءهم بالافك والبهتان، قد نصبوا لنا الحرب في إطفاء نور الله ...»[١].

لكن ردّه الراوندي: بأنّ المغيرة اتّهم بالزنا، و (لم يحدّ) تجنب عن الحقيقة، وإلّا فالمغيرة زنا محققاً، وإنّما منع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته كاملاً، حتّى لا يحدّه، وقد قال الحسن عليه السلام لمعاوية: بأنّ الله يسأله عن ذلك، كما ان قوله في ردّه: إنّ المغيرة لم يشهد صفين مع أحد، في غير محلّه، فإنّ كلامه عليه السلام ليس في من شهد صفين بالخصوص، لأنّ كلامه عليه السلام لم يكن في صفين، بل في الكوفة بعد النهروان كما عرفت، والمغيرة وإن اعتزل لدهائه لاحتماله غلبة أمير المؤمنين عليه السلام، كما اتّفقت ودفعوها بالحيلة، إلّا أنّه لم يكن أدون من الوليد، وقد ولّي بعده عليه السلام على الناس أيّام حياته لتخاذل أصحابه عليه السلام، وقد عرفت أنّه هو الذي حمل معاوية على استلحاق زياد واستخلاف يزيد، ومفاسدهما في الإسلام معلومة، وهو الذي أقام خطباء يسبّونه عليه السلام لمّا بويع معاوية، فضلاً عن سبّه بنفسه أيّام حياته على المنبر، بوصية معاوية إليه لمّا ولّاه.

ثم إنّ ابن أبي الحديد نقل عن (أغاني أبي الفرج) أحوال الوليد، شربه وغير شربه. ونحن نقتصر منها على ما له زيادة دخالة، فمن رواياته عن ابن شوذب: صلّى الوليد بأهل الكوفة الغداة أربع ركعات ـ ثم التفت اليهم ـ فقال: أُزيدكم؟ فقال ابن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم[٢].

وعن هشام الكلبي، وأبي عبيدة، والأصمعي، قالوا: كان الوليد زانياً، يشرب الخمر، فشرب بالكوفه وقام ليصلّي بهم الصبح، فصلّى بهم أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أأزيدكم؟ وتقيأ في المحراب! وأنشد في الصلاة:

---

(١) تاريخ الطبري ٥: ٤٥، سنة ٣٧.

(٢) الأغاني ٥: ١٢٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٩.

علّق القلبُ الربابا بعد ما شابت وشابا

فشخص أهل الكوفة إلى عثمان فأخبروه، فأُتي به، فأمر رجلاً أن يضربه الحدّ، فلمّا دنا منه قال: نشدتك وقرابتي من الخليفة. فتركه، فخاف علي عليه السلام أن يُعطّل الحدّ، فقام إليه فحدّه بيده، فقال له الوليد نشدتك: والقرابة. فقال علي عليه السلام له: اسكت. فإنّما هلك بنو إسرائيل لتعطيلهم الحدود. فلمّا فرغ من حدّه قال: لتدعوني قريش بعدها جلّاداً[1].

وعن مطر الوراق قال: قدم رجل من أهل الكوفة إلى المدينة، فقال لعثمان: إني صليت صلاة الغداة خلف الوليد، فالتفت في الصلاة إلى الناس فقال: أأزيدكم فإنّي أجد اليوم نشاطاً؟ وشممنا منه رائحة الخمر. فضرب عثمان الرجل، فقال الناس: عُطِّلت الحدود وضُربت الشهود[2].

وعن الزهري قال: خرج رهط من أهل الكوفة إلى عثمان في أمر الوليد، فقال لهم عثمان: أكلّما غضب رجل على أميره رماه بالباطل؟ لئن أصبحت لكم لأنكلنّ بكم. فاستجاروا بعايشة، وأصبح عثمان فسمع من حجرتها صوتاً وكلاماً فيه بعض الغلظة، فقال: أما يجد فسّاق العراق ومرّاقها ملجأً إلّا بيت عايشة؟ فسمعت ذلك، فرفعت نعل النبي صلى الله عليه وآله وقالت: تركت سنّة صاحب هذا النعل. وتسامع الناس فجاؤوا حتّى ملؤوا المسجد -إلى أن قال-: ودخل رهط من الصحابة على عثمان، فقالوا له: اتّق الله ولا تعطّل الحدود، واعزل أخاك عنهم. ففعل[3].

ولمّا عزله أمّر عليها سعيد بن العاص، فلمّا قدمها قال: اغسلوا المنبر فإنّ

---

(١) الأغاني ٥: ١٢٦، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٠.

(٢) الأغاني ٥: ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٣.

(٣) الأغاني ٥: ١٣٠ ـ ١٣١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٢ ـ ٢٣٣.

الوليد كان رجساً نجساً. فلم يصعده حتى غُسل[١].

وعن ابن الأعرابي: أنّ أبا زبيد وفد على الوليد حين استعمله عثمان على الكوفة، فأنزله الوليد دار عقيل عند باب المسجد، واستوهبها فوهبها له، فكان ذلك أوّل الطعن عليه من أهل الكوفة، لأنّ أبا زبيد كان يخرج من داره حتى يشق المسجد إلى الوليد فيسمر عنده ويشرب معه، ويخرج ويشقّ المسجد وهو سكران، فذاك نبههم عليه[٢]. وكان أبو زبيد نصرانياً.

ومات الوليد فويق الرقّة، ومات أبو زبيد هناك، فدفنا جميعاً في موضع واحد، فمرّ أشجع السلمي بقبريهما، وقال:

مررت على عظام أبي زبيد ... وقد لاحت ببلقعة صلود[٣]

فكان له الوليد نديم صدق ... فنادم قبره قبر الوليد[٤]

وعن الزهري: أنّ النبيﷺ رجز في غزاة بني المصطلق مواساة لأصحابه، فقالوا له: قلت قولاً لا ندري ما هو؟ كنت تقول: «جندب وما جندب وإلّا قطع زيد الخير» فقالﷺ: هما رجلان يكونان في هذه، يضرب أحدهما ضربة يفرّق بين الحقّ والباطل، ـ إلى أن قال ـ: وأمّا جندب هذا فدخل على الوليد وعنده ساحر يقال له: أبو شيبان، فيخرج مصارين بطنه ثم يردها، فجاء من خلفه فضربه وقتله، وقال:

العن وليداً وأبا شيبان ... وابن حبيش راكب الشيطان

---

(١) الأغاني ٥: ١٤٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٢.

(٢) الأغاني ٥: ١٣٥، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٦.

(٣) البلقع والبلقعة: الأرض القفر التي لا شيء بها. الصحاح ٣: ١١٨٨، مادة: (بلقع). وأرض صلود: لا تنبت. أساس البلاغة: ٢٥٧، مادة: (صلد).

(٤) الأغاني ٥: ١٤٦، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٣.

رسول فرعون إلى هامان[1]

وعن ابن عباس قال: قال الوليد لعليّ عليه السلام: أنا أحدّ منك سناناً، وأبسط منك لساناً، وأملأ للكتيبة. فقال له علي عليه السلام: اسكت يا فاسق! فنزل القرآن فيهما: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[2]. قال: وقال ابن عبد البرّ صاحب (الاستيعاب): لا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، إنّ قوله تعالى: ﴿...إن جاءكم فاسق بنبأ فتبيّنوا...﴾[3] أُنزلت في الوليد لمّا بعثه النبي صلى الله عليه وآله مصدقاً، فكذب على بني المصطلق وقال: إنّهم ارتدوا وامتنعوا من اداء الصدقة، وفيه وفي عليّ عليه السلام نزل ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً لا يستوون﴾[4] في قصتهما المشهورة[5].

قال: وروى أبو الفرج مسنداً: أنّ امرأة الوليد جاءت إلى النبي صلى الله عليه وآله تشتكي إليه الوليد بأنّه يضربها، فقال لها: قولي له إنّ النبي قد أجارني، فأنطلقت، فمكثت ساعة، ثمّ رجعت فقالت: إنّه ما قلع عنّي. فقطع النبي صلى الله عليه وآله هدبة من ثوبه، وقال لها: اذهبي بها إليه وقولي له: إنّ النبي قد أجارني، فانطلقت، فمكثت ساعة ثم رجعت، فقالت: ما زادني إلّا ضرباً. فرفع النبي صلى الله عليه وآله يده ثم قال: «اللهمّ عليك بالوليد» مرتين أو ثلاثاً[6].

وفي (المروج): كان الوليد يشرب مع ندمائه ومغنّيه من أوّل اللّيل إلى الصباح، فلمّا آذنه المؤذن بالصلاة، خرج في غلائه فتقدّم إلى المحراب في

---

(١) الأغاني ٥: ١٤٤، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤١.

(٢) السجدة: ١٨.

(٣) الحجرات: ٦.

(٤) السجدة: ١٨.

(٥) الأغاني ٥: ١٤٠ ـ ١٤١، شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٨ ـ ٢٣٩.

(٦) الأغاني ٥: ١٤١. وشرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٣٩ ـ ٢٤٠.

صلاة الصبح، فصلّى بهم أربعاً، وقال: تريدون أن أُزيدكم؟ قيل: وقال في سجوده ـ وقد أطال ـ: اشرب واسقني. فقال له بعض من كان خلفه في الصفّ الأوّل: ما تُريد لا زادك الله مزيد الخير، والله لا أعجب إلّا ممّن بعثك علينا والياً؟ والقائل عتاب بن غيلان الثقفي. وخطب الوليد الناس فحصبوه بحصباء المسجد، فدخل قصره يترنّح ويتمثل بأبيات لتأبط شرّاً:

ولست بعيداً عن مدام وقينة ... ولا بصفا صلد عن الخير معزل

ولكنني أروي من الخمر هامتي ... وأمشي الملا بالساحب المتسلسل

وفي ذلك يقول الحطيئة:

شهد الحطيئة يوم يلقى ربّه ... أنّ الوليد أحقّ بالغدر

نادى وقد تمّت صلاتهم ... أأزيدكم ثملاً وما يدري

ليزدهم أُخرى ولو قبلوا ... لقرنت بين الشفع والوتر

حبسوا عنانك في الصلاة ولو ... خلّوا عنانك لم تزل تجري

وأشاعوا في الكوفة فعله، وظهر فسقه ومداومته شرب الخمر، فهجم عليه جماعة، منهم أبو زينب بن عوف الأزديّ، وجندب بن زهير الأزدي وغيرهما، فوجدوه سكران مضطجعاً على سريره لا يعقل، فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ، ثم تقيّأ عليهم ما شرب من الخمر، فانتزعوا خاتمه من يده، وخرجوا من فورهم إلى المدينة، فأتوا عثمان فشهدوا عنده على الوليد: أنّه شرب الخمر. فقال عثمان: وما يدريكم أنّه شرب خمراً؟ قالوا: هي الخمر التي كنّا نشربها في الجاهلية. وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه، فرزأهما ودفع في صدرهما، وقال: تنحّيا عنّي. فخرجا وأتيا علياً عليه السلام وأخبراه بالقصة، فأتى عثمان وهو يقول: دفعت الشهود وأبطلت الحدود. فقال له عثمان: فما ترى؟ قال: أرى أن تبعث إلى صاحبك، فإن أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدل بحجة، أقمت

عليه الحدّ. فلمّا حضر الوليد دعاهما عثمان فأقاما الشهادة عليه، ولم يدل بحجّة، فألقى عثمان السوط إلى عليّ عليه السلام، فقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام: قم يا بني فأقم عليه ما أوجب الله عليه. فقال: يكفيه بعض من ترى. فلمّا نظر إلى امتناع الجماعة عن إقامة الحد عليه، توقّياً لغضب عثمان لقرابته منه، أخذ السوط ودنا منه، فلمّا أقبل نحوه، سبّه الوليد، وقال: يا صاحب مكس. فقال عقيل ـ وكان ممّن حضر ـ: إنّك لتتكلم يا ابن أبي معيط كأنّك لا تدري من أنت، إنّما أنت علج من أهل صفورية، ـ قرية بين عكا واللجون من أعمال الأُردن من بلاد طبرية، ذُكر أنّ أباه كان يهودياً منها ـ فأقبل الوليد يروغ من علي عليه السلام، فاجتذبه وضرب به الأرض وعلاه بالسوط، فقال عثمان: ليس لك أن تفعل به هذا. قال: بلى وشرّ من هذا، إذا فسق ومنع أن يؤخذ حقّ الله منه ـ إلى أن قال ـ: وبلغ الوليد عن رجل من اليهود من ساكني قرية ممّا يلي جسر بابل، يُقال له: زارة، يعمل أنواع من الشعبذة والسحر، يعرف بمطروي، فأُحضر فأراه في المسجد ضرباً من التخاييل، فأظهر له في الليل فيلاً عظيماً على فرس في صحن المسجد، ثم صار اليهودي ناقة يمشي على جبل، ثم أراه صورة حمار دخل من فيه ثم خرج من دبره، ثم ضرب عنق رجل ففرّق بين جسده ورأسه، ثم أمر السيف عليه فقام الرجل، وكان جماعة من أهل الكوفة حضوراً؛ منهم جندب بن كعب الأُزدي، فجعل يستعيذ بالله من فعل الشيطان، ومن عمل يبعد من الرحمن، وعلم أنّ ذلك هو ضرب من التخييل والسحر، فاخترط سيفه فضرب به اليهودي ضربة أدار رأسه ناحية من بدنه، وقال: ﴿...جاء الحق وزهق الباطل إنّ الباطل كان زهوقاً﴾[1]، فأنكر عليه الوليد ذلك وأراد أن يقيده به، فمنعه الأزد فحبسه وأراد قتله غيلة، ونظر السجّان إلى قيامه ليله إلى

---

(١) الإسراء: ٨١.

الصبح، فقال له: انج نفسك. فقال جندب: تُقتل بي. قال: ليس ذلك بكثير في مرضاة الله والدفع عن وليّ من أولياء الله. فلمّا أصبح الوليد، دعا به وقد استعدّ لقتله، فأخبره السجّان بهربه، فضرب عنق السجّان، وصلبه بالكناس[١].

«وإنّ منهم من لم يسلم حتّى رضخت له على الإسلام الرضائخ» جمع الرضيحة؛ وفي (الجمهرة) يُقال: رضخ فلان لفلان من ماله إذ: أعطاه قليلاً من كثير. والاسم الرضيخة يُقال: أعطاه رضيخة من ماله ورضاخة[٢].

قال ابن أبي الحديد: قال الراوندي: «يعني عمرو بن العاص» وليس بصحيح لأنّ عمراً لم يسلم بعد الفتح، وأصحاب الرضائخ كلّهم بعد الفتح صونعوا على الإسلام بغنائم، وإنّما يعني به معاوية[٣].

قلت: وفي (الطبري) في غنائم حنين عن عبد الله بن أبي بكر قال: أعطى النبيﷺ المؤلفة قلوبهم ـ وكانوا من أشراف الناس ـ يتألّفهم، فأعطى أبا سفيان مائة بعير، وأعطى ابنه معاوية مائة بعير ـ إلى أن قال ـ: قال أبو سعيد الخدري: لمّا أعطى النبيﷺ ما أعطى من تلك العطايا في قريش وقبائل العرب، ولم يكن في الأنصار منها شيء، وجدوا في أنفسهم حتى كثرت منهم القالة ـ إلى أن قال ـ: فقال لهم النبيﷺ: وجدتم في أنفسكم معشر الأنصار في لعاعة من الدّنيا، تألّفت بها قوماً ليسلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، أفلا ترضون يا معشر الأنصار أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله إلى رحالكم؟ فوالذي نفس محمّد بيده لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس شعباً وسلك الأنصار شعباً لسلكت شعب الأنصار، اللهمّ

---

(١) مروج الذهب ٢: ٣٤٤ ـ ٣٤٨، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٢) جمهرة اللغة ١: ٥٨٧، مادة: (رضخ).

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٦ ـ ٢٢٧.

ارحم الأنصار وأبناء الأنصار وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً[١].

«فلولا ذلك ما أكثرت تأليبكم» أي: تحريضكم.

«وتأنيبكم» أي: لومكم.

«وجمعكم وتحريضكم» أي: حثّكم.

«ولتركتكم إذ أبيتم ووَنَيْتم» أي: ضعفتم؛ في (صفين نصر): حرّض يزيد بن قيس الأرحبي الناس، فقال: إنّ هؤلاء القوم والله ما ان يقاتلوا على إقامة دين رأونا ضيعناه، ولا إحياء عدلٍ رأونا أمتناه، ولن يقاتلونا إلّا على إقامة الدنيا، ليكونوا جبابرة ملوكاً. فلو ظهروا عليكم ـ لا أراهم الله ظهوراً ـ إذن ألزموكم مثل سعيد والوليد وعبد الله بن عامر السفيه، الذي يحدث أحدهم في مجلسه بذيت وذيت، ويأخذ مال الله ويقول: هذا لي ولا إثم عليّ فيه، كأنّما أعطى تراثه من أبيه، قاتلوا عباد الله القوم الظالمين، الحاكمين بغير ما أنزل الله، ولا تأخذكم في جهادكم لومة لائم، إنّهم إن يظهروا عليكم يفسدوا عليكم دينكم ودنياكم، وهم من قد عرفتم وجرّبتم[٢].

«ألا ترون إلى أطرافكم قد انتقضت» فكان معاوية يبعث الجيوش إلى الأطراف والثغور، فيقتل الناس ويغير عليهم.

«وإلى أمصاركم قد افتتحت» ومنها مصر، وهي كانت قسمة مهمة من المملكة.

«وإلى ممالككم تُزوى» أي: تجمع وتقبض.

«وإلى بلادكم تُغزى» فأغزى جيوش معاوية اليمن والحجاز وأكثر

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٩٣ ـ ٩٤، سنة ٨.

(٢) وقعة صفّين: ٢٤٧ ـ ٢٤٨.

بلاد العراق.

«انفروا» أي: اشخصوا.

«رحمكم الله إلى قتال عدوّكم ولا تثّاقلوا» قال ابن أبي الحديد: بالتشديد، أصله «تتثاقلوا»[١].

قلت: إنّما قال ذلك لأنّ في القرآن ﴿...اثّاقلتم...﴾[٢]، إلّا أنّه يجوز أن يكون بالتخفيف حذفت إحدى تاءيه تخفيفاً.

«إلى الأرض» قال تعالى: ﴿يا أيّها الذين آمنوا مالكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم إلى الأرض...﴾[٣].

«فتقروا بالخسف» أي: النقيصة.

«وتبوءوا» أي: ترجعوا «بالذل».

«ويكون نصيبكم الأخس» أي: الدنيء؛ في (صفّين نصر): كتب عقبة بن مسعود عامله عليه السلام على الكوفة إلى سليمان بن صرد ـ وهو معه عليه السلام بصفين ـ: أمّا بعد، فإنهم ﴿...إن يظهروا عليكم يرجموكم أو يعيدوكم في ملّتهم ولن تفلحوا إذن أبداً﴾ فعليك بالجهاد والصبر[٤].

«وإنّ» هكذا في (المصرية)[٥]، والصواب: «ان» كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٦] والخطية).

«أخا الحرب الأرق» أي: لم ينم بالليل.

«ومن نام لم يُنم عنه» يعني إن نمت عن العدوّ فالعدو لا ينام عنك؛ لكن عرفت

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٦.

(٢ و ٣) التوبة : ٣٨.

(٤) وقعة صفّين : ٣١٣، والآية ٢٠ من سورة الكهف.

(٥) نهج البلاغة ٣: ١٣٢.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٢٥، وشرح ابن ميثم ٥: ٢٠٢ «وإنّ» أيضاً.

أنّ (رسائل الكليني) رواه: (إن نام لم تنم عينه)، فجعله بياناً للأرق، وهو صفة الذئب، قالوا: ينام بإحدى مقلتيه والأُخرى يقظى.

قال حميد بن ثور:

ونمت كنوم الذئب في ذي حفيظة أكلت طعاماً دونه وهو جائع

ينام بإحدى مقلتيه ويتقي بأُخرى الأعادي فهو يقظان هاجع[1]

هذا ومن كتبه عليه السلام إلى معاوية ـ لمّا كتب معاوية إليه عليه السلام يذكر اعتراضاته عليه السلام على عثمان، وأنّه قصر في الله فيه ـ: بلغني كتابك تذكر مشاغبتي، وتستقبح مؤازرتي، وتزعمني متحيّراً، وعن حق الله مقصّراً، فسبحان الله كيف تستجيز الغيبة وتستحسن العضيهة؟ إنّي لم أُشاغب إلّا في أمر بمعروف أو نهي عن منكر، ولم أضجر إلّا على باغٍ مارق، أو ملحدٍ منافقٍ، ولم آخذ في ذلك إلّا بقول الله سبحانه: ﴿لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم﴾[2]. وأمّا التقصير في حق الله، فمعاذ الله، والمقصّر في حقّ الله من عطّل الحقوق المؤكّدة، وركن إلى الأهواء المبتدعة، وأخلد إلى الضلالة المحيّرة[3].

٢٣
الخطبة (١٥٩)

ومن خطبة له عليه السلام:

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ، وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ الذُّلِّ وَحَلَقِ الضَّيْمِ؛ شُكْراً مِنِّي لِلْبِرِّ الْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقاً عَمَّا أَدْرَكَهُ

(١) أورد البيتين الجاحظ في كتاب الحيوان ٦: ٤٦٧، و ٤٧٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) نقله ابن ميثم وعنه العلّامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٥٤٠، ط الكمباني.

ٱلْبَصَرُ، وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ.

أقول: الظاهر أنّها إشارة إلى دفاعه عليه السلام عن الناس أيّام عثمان، وإذلال بني أميّة للناس؛ ففي (الطبري) قال الواقدي: كتب الصحابة في سنة (٣٤) بعضهم إلى بعض: إن كنتم تريدون الجهاد فعندنا الجهاد ـ إلى أن قال ـ: فاجتمع الناس وكلّموا عليّاً عليه السلام فدخل على عثمان فقال: الناس ورائي وقد كلّموني فيك ـ إلى أن قال ـ: ثم خرج عليّ عليه السلام من عنده وخرج عثمان على أثره فجلس على المنبر، فقال: أمّا بعد فإنّ لكل شيء آفة، ولكل أمر عاهة، وإنّ آفة هذه الأمّة وعاهة هذه النعمة عيّابون طعّانون، يرونكم ما تحبّون ويسرّون ما تكرهون، يقولون لكم ويقولون، أمثال النعام يتبعون أوّل ناعق، أحبّ مواردها إليها البعيد، لا يشربون إلّا نغصاً ولا يرون إلّا عكراً، لا يقوم لهم رائد، وقد أعيتهم الأمور وتعذّرت عليهم المكاسب ـ إلى أن قال ـ: فقام مروان فقال: إن شئتم حكّمنا بيننا وبينكم السيف[1].

وعن الواقدي أيضاً: جاء عليّ عليه السلام إلى عثمان بعد انصراف المصريين فقال له: تكلّم كلاماً يسمعه الناس منك، ويشهدون عليه، وتشهد الله على ما في قلبك من النزوع ـ إلى أن قال ـ: فقال عثمان لمروان: اخرج إلى الناس فكلّمهم، فإني أستحيي أن أكلّمهم. فخرج مروان إلى الناس فقال: ما شأنكم قد اجتمعتم كأنّكم قد جئتم لنهب، جئتم تريدون أن تنزعوا ملكنا من أيدينا اخرجوا عنّا؟ أمّا والله لئن رمتمونا ليمرّن عليكم منّا أمر لا يسرّكم، ولا تحمدوا غبّ رأيكم. ارجعوا فوالله ما نحن بمغلوبين على ما في أيدينا. فرجع الناس وأتى بعضهم عليّاً عليه السلام فأخبره، فدخل مغضباً على عثمان فقال له: أمّا رضيت من مروان ولا رضي منك إلّا بتحرفك عن دينك وعقلك، مثل جمل الظعينة يقاد حيث

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٣٦ ـ ٣٣٩، سنة ٣٤.

يسار به، والله ما مروان بذي رأي في دينه، وإنّي لأراه سيوردك ثمّ لا يصدرك، وما أنا بعائد بعد مقامي هذا لمعاتبتك[1].

وفيه: أنّ عثمان صعد المنبر، فقام رجل وقال له: أقم كتاب الله ـإلى أن قال ـ: فتحاثّوا بالحصباء حتى ما ترى السّماء، وسقط عثمان عن المنبر وحُمل إلى داره مغشيّاً عليه، ودخل عليه عليّ عليه السلام وبنو أُميّة حوله، فأقبلت بمنطق واحد على عليّ عليه السلام وقالوا له: أهلكتنا وصنعت هذا الصنيع به، أمّا والله لئن بلغت الذي تريد لتمرّن عليك الدّنيا. فقام عليه السلام مغضباً[2].

ويفهم من هذه الروايات درايات؛ ومنها: أنّ اعتقاد كون أمر النبي صلى الله عليه وآله ملكاً، لم ينحصر بيزيد بن معاوية الذي قال: لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحيٌ نزل. ولا بالوليد بن يزيد الذي قال: تلعّب بالخلافة هاشمي ولا بمعاوية بن أبي سفيان الذي تلهف للمغيرة بعدم استطاعته بإزالته اسم أخي هاشم ـأي: النبي صلى الله عليه وآله ـعن المأذنات، بل الأصل فيهم عثمان، فيوم نال الأمر قال أبو سفيان بمشهده: يا بني أُميّة اجعلوا هذا الأمر كرة بينكم فلا جنّة ولا نار ـوقال أيضاً أبو سفيان أيّام عثمان ـوقد مرّ بقبر حمزة وضربه برجله ـ: يا حمزة إنّ الأمر الذي اجتلدنا عليه بالسيف أمس، في يد غلماننا اليوم يتلعّبون به.

ويقول مروان ـالذي كان سفير عثمان وبمنزلة روحه بل فوقه، حيث رضي بقتله دون أن يصل أذى بمروان، وكان من الخبث فوق يزيد ـ: أتريدون أن تنزعوا ملكاً من أيدينا؟

بل يظهر حال المؤسّس له ولهم.

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٦٠ ـ ٣٦٢، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٦٤ ـ ٣٦٥، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتلخيص.

«ولقد أحسنت جواركم» في (القاموس): الجوار: كسحاب الماء الكثير القعر، وبالكسر أن تعطي الرجل ذمة فيكون بها جارك فتجيره[١].

«وأحطت بجهدي من ورائكم» في (الصحاح): قال الفرّاء: الجهد بالضم: الطاقة، وبالفتح: من قولك: اجهد جَهْدَك. أي: ابلغ غايتك[٢].

«وأعتقتكم من ربق الذل» في (الصحاح) الربق: حبل فيه عدّة عرى، يشدّ به البهم، الواحدة ربقة[٣].

«وحلق» جمع حلقة.

«الضيم» أي: الذلّ، قد كان الناس أيّام عثمان أرقّاء أذلّاء، في ربق ذلّ بني أُميّة وحلق ضيمهم؛ حسبما أخبر به النبي صلى الله عليه وآله في قوله: إذا بلغ آل أبي العاص ثلاثين رجلاً اتخذوا عباد الله خولاً ودينه دغلاً، وماله خولا[٤]. فأطلقهم أمير المؤمنين عليه السلام في أيّامه وأعتقهم بطرد بني أُميّة.

«شكراً منّي للبرّ القليل» من لجأهم إليه عليه السلام أيّام عثمان، واتفاقهم على بيعته بعده.

«وإطراقاً عمّا أدركه البصر» في (الصحاح) قال يعقوب: أطرق الرجل إذا سكت فلم يتكلّم، وأطرق أي: أرخى عينيه ينظر إلى الأرض[٥].

«وشهده البدن» من تركهم له عليه السلام وخذلانهم إيّاه، مع كونه بمنزلة نفس النبي صلى الله عليه وآله بنص القرآن علماً وعملاً وتعيين النبيّ صلى الله عليه وآله له عليه السلام من يوم بعثته إلى وقت وفاته قولاً وفعلاً، يوم السقيفة ويوم الشورى.

---

(١) القاموس المحيط ١: ٣٩٤، مادة: (جور).

(٢) الصحاح ٢: ٤٦٠، مادة: (جهد).

(٣) المصدر نفسه ٢: ١٤٨٠، مادة: (ربق).

(٤) مضت مداركه في هذا الفصل.

(٥) الصحاح ٤: ١٥١٥، مادة: (طرق).

٢٤
الخطبة (١٦٨)

ومن كلام له عليه السلام بعدما بويع له بالخلافة، وقد قال له قوم من الصحابة: لو عاقبت قوما ممن أجلبَ على عثمان. فقال عليه السلام:

يَا إِخْوَتَاه إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَٱلْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ، وَهَاهُمْ هَؤُلَاء قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عِبْدَاؤُكُمْ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ يَسُومُونَكُمْ مَاشَاؤُوا؛ وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ؟ وإِنَّ هَذَا الأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ؛ وَإِنَّ لِهَؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً. إِنَّ النَّاسَ مِنْ هَذَا ٱلْأَمْرِ إِذَا حُرِّكَ عَلَى أُمُورٍ: فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ، وفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هَذَا وَلَا ذَاكَ. فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ النَّاسُ وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا، وَتُؤْخَذَ الحُقُوقُ مُسْمَحَةً.

فَاهْدَؤُوا عَنِّي وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي؛ وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً، وَتُسْقِطُ مُنَّةً، وَتُورِثُ وَهَناً وَذِلَّةً. وَسأَسْتَمْسِكُ الأَمْرَ مَا اسْتَمْسَكَ. وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدًّا، فَآخِرُ الدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ.

أقول: كما نسبوا الخطبة (٣١) من الكتاب وهي: «أيُّها الناس قد أصبحنا في دهر عنود وزمن كنود...» إلى معاوية وهي من كلامه عليه السلام قطعاً ـ فقال المصنّف ثمّة: إنّ الجاحظ قال في (بيانه): هي بكلام علي عليه السلام أشبه، وبمذهبه في تصنيف الناس وبالإخبار عمّا هم عليه من القهر والإذلال، ومن التقيّة والخوف أليق، ومتى وجدنا معاوية في حال من الأحوال يسلك في كلامه مسلك الزُّهاد[1] ـ كذلك هذا الكلام نسبوه إلى أمير المؤمنين عليه السلام، وهو

---

(١) نهج البلاغة ١: ٧٦.

بكلام معاوية أشبه وبمذهبه في انتهازه الفرصة من قتلة عثمان، ولو كان مثل عمّار وعمرو بن الحمق أليق، ومتى وجدنا أمير المؤمنين عليه السلام في حال من الأحوال يذمّ قتلة عثمان؟ اللهمّ إلّا قتلوه قتوله وطلبوا دمه كطلحة والزبير وعايشة.

وممّا يوضّح كونه كلام معاوية ما قاله ابن عبد ربّه في (عقده): إنّ معاوية قدم المدينة بعد عام المجاعة فدخل دار عثمان، فصاحت عايشة ابنة عثمان وبكت ونادت أباها، فقال معاوية: يا ابنة أخي! إنّ الناس أعطونا طاعة وأعطيناهم أماناً، وأظهرنا لهم حُلماً تحته غضب، وأظهروا لنا ذُلّاً تحته حقد، ومع كلّ إنسان سيفه ويرى موضوع أصحابه، فإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري أعلينا تكون أم لنا، وإن تكوني ابنة عمّ الخليفة، خير من أن تكوني امرأة من عرض الناس[1].

وقد رواه الجاحظ في (بيانه): عن عيسى بن يزيد عن أشياخه.

وكيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السلام والدراية بخلافة؟ فقد عرفت كلامه عليه السلام في عناوين هذا الفصل وفي مواضع أُخر من النهج، وفي غير النهج، وكلام شيعته عليه السلام في قتله وقتلته، وكلّها بالضد لمّا هنا.

وكيف يمكن أن يكون هذا كلامه عليه السلام، وقد ثبت بالتواتر أنّه عليه السلام آوى قتلته، وكان يدافع عنهم لمّا كان معاوية يطلبهم؟ ثم من كان الطالب ذلك منه عليه السلام أولياؤه، فكلّهم كانوا من قاتلي عثمان وخاذليه، أم أعداؤه فلم يبايعوه، بل هربوا منه، فإن كان طلب منه ذلك أحد فليكن طلحة الذي كان على باب عثمان لحصره حتى قتل، ومنع من إدخال الماء عليه، ومن دخول أحد عليه ومنع الناس من دفنه، وأعدّ رجالاً يرمون جنازته.

---

(١) العقد الفريد ٥: ١١٣.

وكيف يمكن أن يكون هذا كلامه؟ ومن قتلته كان عمّار ومحمّد بن أبي بكر ومالك الأشتر؟

وفي (خلفاء ابن قتيبة) في عنوان قدوم أبي هريرة وأبي الدرداء على معاوية، ذكروا أنّ أبا هريرة وأبا الدرداء قدما على معاوية من حمص وهو بصفين، فوعظاه وقالا له: علام تقاتل عليّاً وهو أولى بهذا الأمر منك في الفضل والسابقة، لأنّه رجل من المهاجرين الأوّلين السابقين، وأنت طليق وأبوك من الأحزاب؟ فقال: لست أزعم أنّي أولى بهذا الأمر من عليّ، ولكنّي أُقاتله حتى يدفع إليّ قتلة عثمان. فقالا: إذا دفعهم إليك ماذا يكون؟ قال: أكون رجلاً من المسلمين -إلى أن قال-: فأتيا عليّاًعليه السلام فقالا له: إنّ لك فضلاً لا يُدفع، وقد سرت مسير فتى إلى سفيه من السفهاء، ومعاوية يسألك أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فإن فعلت ثم قاتلك كنّا معك. فقال لهما عليعليه السلام: أتعرفانهم؟ قالا: نعم. قال: فخذاهم. فأتيا محمّد بن أبي بكر وعمّار بن ياسر والأشتر، فقالا: أنتم من قتلة عثمان وقد أُمرنا بأخذكم. فخرج إليهما أكثر من عشرة آلاف رجل، فقالوا: نحن قتلنا عثمان. فقالا: نرى أمراً شديداً، البس علينا أمر الرجل. فانصرفا إلى منزلهما بحمص، فلمّا قدما حمص لقيهما عبد الرحمن بن عثمان فسألهما عن مسيرهما، فقصّا عليه القصّة، فقال: العجب منكما أنكما من صحابة النبيصلى الله عليه وآله، أمَا والله لئن كففتما أيديكما ما كففتما ألسنتكما، أتأتيان عليّاً وتطلبان إليه قتلة عثمان؟ وقد علمتما أنّ المهاجرين والأنصار لو حرموا دم عثمان نصروه وبايعوا عليّاً على قتلته فهل فعلوا؟ -إلى أن قال-: ففشى قوله وقولهما، فهمّ معاوية بقتله، ثم راقب عشيرته[1].

ثم من يطلب منهعليه السلام عقوبة المجلبين على عثمان، ولم يكن في

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٠٨ ـ ١٠٩، والنقل بتلخيص.

أصحابهعليه‌السلام من كان له هوى في عثمان، ولم يكن يطلب يومئذ دم عثمان إلّا من كان عدوّاً لهعليه‌السلام، وهم بنو أُميّة واتباعهم، وقد طلب ذلك منه مروان والوليد بن عقبة وسعيد بن العاص فنهرهم؟

قال اليعقوبي في (تاريخه): وبايع الناس علياًعليه‌السلام إلّا ثلاثة نفر من قريش: مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ـ وكان لسان القوم ـ فقال: يا هذا إنّك قد وترتنا جميعاً ـ إلى أن قال ـ: فبايعنا على أن تضع عنّا ما أُصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا، وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب عليّعليه‌السلام وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم، فالحقّ وتركم ـ إلى أن قال ـ: وأمّا قتلي قتلة عثمان فلو لزمني اليوم قتلهم، لزمني قتالهم، ولكن لكم أن أحملكم على كتاب الله وسنّة نبيّه، فمن ضاق عليه الحق، فالباطل عليه أضيق، وإن شئتم فالحقوا بملاحقكم[1].

ولم يرو ما نقل إلّا سيف الذي يقول الطبري: «كتب إلى السّريّ عن شعيب عن سيف»[2] وروایاته كلّها كذب وخلاف أهل السير. ومن أكاذيبه أنّه قال: إنّ أبا ذر خرج بنفسه إلى الربذة[3]، وإنّ عثمان نهاه عن ذلك، وقال له: إنّ خروجك إلى الربذة تعرّب بعد الهجرة. وروى أنّ سعد بن عبادة بايع أبا بكر[4]، مع تواتر الأخبار بعدم بيعته.

ومن خبثه أنّه يقلب الأشياء؛ مثل بدل كون (بيعة أبي بكر فلتة)، بأنّ عمل سعد كان فلتة قام دونها أبو بكر[5].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٢٨٤ ـ ٢٨٥، سنة ٣٠.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) تاريخ الطبري ٣: ٢٢٣، سنة ١١.

(٥) تاريخ الطبري ٣: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، سنة ١١.

وبدّل قصّة (نبح كلاب حوأب عايشة) بنبح كلاب حوأب أمّ زمل التي كانت عند عائشة[1].

ومن أكاذيبه: أنّ عثمان لمّا بايع أهل الشورى خرج وهو أشدّهم كآبة، فأتى منبر النبي فخطب الناس وقال: إنّكم في دار قلعة، وفي بقيّة اعمار ...[2] فإنّ السير رووا: أنّ عثمان لمّا بويع خرج إلى داره في غاية السرور، وبنو أُميّة حوله، وقال أبو سفيان: لازلت أرجو لكم الخلافة يا بني أُمية، اجعلوها كرة بينكم، فإنّما هي الملك، فلا جنّة ولا نار. ولمّا أراد خطبته الأُولى حصر وقال: إنّ أبا بكر وعمر كانا يعدان للمنبر وأنا ما أعددت[3].

وروى أنّ ابن الهرمزان قال: «إنّ عثمان لمّا ولّي دعاني فأمكنني من عبيد الله بن عمر قاتل أبي فعفوت عنه»[4]، مع أنّ أوّل طعن طعنوا به حتى أدّى إلى قتله تركه عبيد الله بلا قصاص[5].

وروى أنّ الوليد بن عقبة ما شرب الخمر، وإنّما اتّهموه بذلك، وأنّ زهير بن جندب ومورع بن أبي مورع وشبيل بن أبي زينب نقبوا على رجل فقتلوه فقتلهم الوليد، فكان آباؤهم حاقدين على الوليد منذ قتل أبنائهم، وأشاعوا ذلك، ولم يكن على بيت الوليد باب فاقتحموا عليه من المسجد، فدخلوا عليه وكان بين يدي الوليد تفاريق عنب، فاستحيى أن يروه فأدخله تحت السرير[6].

وأنّ عثمان أحدث القسامة ليصدّ الناس عن القتل، وأنّ الوليد أتي بساحر

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٦٣ ـ ٢٦٤، سنة ١١.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٢٤٣ سنة ٢٤.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ٢٧، تاريخ اليعقوبي ٢: ١٦٢ ـ ١٦٣.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، سنة ٢٤.

(٥) الشافي في الإمامة ٤: ٣٠٣ ـ ٣٠٥، شرح ابن أبي الحديد ٣: ٥٩.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٢٧٣ ـ ٢٧٤، سنة ٣٠.

فأرسل إلى ابن مسعود يسأله عن حدّه، فما أمهله جندب، وجاء فقتله، فاجتمع ابن مسعود والوليد على حبسه، وكتب الوليد فيه إلى عثمان، فتقدم عثمان إلى الناس ألّا يعملوا بالظنون، ولا يقيموا الحدود دون السلطان، وأن يستحلفوا جندباً أنّه صادق في ما ظنّ من تعطيل الحدود، ويقرره ويطلقه، فغضب لجندب أصحابه، فخرجوا إلى المدينة فاستعفوه من الوليد، فقال لهم عثمان: تعملون بالظنون وتخطئون في الإسلام، ارجعوا. فرجعوا فعملوا في عزل الوليد، فدخل أبو زينب وأبو مورد الأسدي عليه وهو نائم، فأخرجا خاتمه وذهبا به إلى عثمان، فقالا: دخلنا عليه وهو يقيء الخمر. فطلبه عثمان فحلف الوليد أنّ الأمر ما كان كذا، فقال عثمان: نقيم الحدود ويبوء شاهد الزور بالنار[1].

فتراه وضع في مقابل كلّ شيء شيئاً، لكنّه لم يدر كيف يصنع بصلاته الصبح وبقوله في الصلاة أُزيدكم، فسكت.

وقد قال صاحب (الاستيعاب) مع نصبه: كان الأصمعي وأبو عبيدة بن الكلبي وغيرهم يقولون: كان الوليد فاسقاً شرّيب خمر، وأخباره في شرب الخمر ومنادمته أبا زيد الطائي مشهورة كثيرة يسمج بنا ذكرها، وخبر صلاته بهم وهو سكران وقوله: أأزيدكم؟ بعد أن صلّى الصبح أربعاً مشهور من رواية الثقات، من نقل أهل الحديث وأهل الأخبار[2].

ولا خلاف بين أهل العلم بتأويل القرآن، أنّ قوله تعالى: ﴿...إن جاءكم فاسق بنبأ...﴾ نزل في الوليد[3]، ورواية الطبري: ـوأشار إلى روايته عن

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٢٧٥ ـ ٢٧٦، سنة ٣٠، والنقل بتلخيص.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٦٣٣ ـ ٦٣٤.

(٣) الاستيعاب بهامش الاصابة ٣: ٦٣٢، والآية ٩ من سورة الحجرات.

سيف المتقدّمة ـ أنّه تعصّبت عليه قوم من أهل الكوفة لا تصح عند أهل الحديث، ولا لها عند أهل العلم أصل...[١].

والأصل في قصّة الساحر ما عرفته من (مروج المسعودي)[٢] في العنوان (٢٢) عند قوله عليه السلام: «وإنّ منهم الّذي شرب فيكم الحرام وجلد حدّاً في الإسلام»[٣].

وقد وضع في مقابل خبر الإمامية: (أنّ الناس ارتدوا بعد النبي صلى الله عليه وآله إلّا ثلاثة أو أربعة)[٤]، ويصدقه قوله تعالى: ﴿...أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم...﴾[٥] أنّه ما تخلّف عن بيعة أبي بكر إلّا مرتد[٦].

وقد وضع في مقابل ما رووه أنفسهم: أنّ عمر لمّا وقف على باب بيت فاطمة عليها السلام وقال: «لتخرجن أو لاحرقنّها على من فيها»[٧]، فخرجوا وبايعوا إلّا عليّاً عليه السلام فإنّه قال: حلفت ألّا أخرج ولا أضع ثوبي على عاتقي حتى أجمع القرآن، وأنّه لمّا أحضروه للبيعة قهراً، لحق بقبر النبي صلى الله عليه وآله وصاح: ﴿يا بن أمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[٨] ـ أنّ عليّاً لمّا سمع بجلوس أبي

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٦٣٥.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٤٨.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٣٢.

(٤) اُنظر الكافي ٢: ٢٤٤، و ٨: ٢٤٥، اختيار معرفة الرجال للكشّي ١: ٢٦ ـ ٢٧، الاختصاص: ٦.

(٥) آل عمران: ١٤٤.

(٦) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٧، سنة ١١.

(٧) انظر: الإمامة والسياسة ١: ١٢، العقد الفريد ٥: ١٣، مروج الذهب (من منشورات دار الهجرة بقم) ٣: ٧٧، الشافي في الإمامة ٤: ١١٩ ـ ١٢٠، الاحتجاج ١: ٨٠، كشف المحجّة: ٦٧، روضة المناظر في أخبار الأوائل والأواخر: ١١٣.

(٨) الإمامة والسياسة ١: ١٢ ـ ١٣، العقد الفريد ٥: ١٣ ـ ١٤، الاحتجاج ١: ٨٠.

بكر للبيعة، خرج عجلاً بلا إزار ورداء كراهة أن يؤخّر عنها[١].

ووضع في مقابل قوله عليه السلام في ابن عمر لمّا تخلّف عن بيعته عليه السلام «إنّه ضعيف»[٢]، أنّه قال: إنّه ثقة[٣].

ووضع في مقابل ركوب عايشة البغل لمنع دفن الحسن عليه السلام[٤]، ركوب أُمّ كلثوم البغل لمنع أبيها عليّ عن تعاقب ابن عمر[٥].

وروى في تسيير عثمان أهل الكوفة وأهل البصرة إلى الشام أيضاً غير ما ذكره باقي أهل السير، دفعاً للطعن عن عثمان[٦].

وروى في مسير أهل البصرة إلى ذي خشب أشياء مضحكة، وأنّ ابن سبأ قدم مصر ووضع لهم رجعة النبيّ، وأنّ عليّاً وصيّه، وبثّ دعاته يكتبون إلى الأمصار بكتب في عيوب ولاتهم، فأرسل عثمان محمّد بن مسلمة إلى الكوفة وأُسامة إلى البصرة، وابن عمر إلى الشام، وعمّاراً إلى مصر، فرجع الجميع وقالوا: أُمراؤهم يقسطون بينهم إلّا عمّار، فكتب ابن أبي سرح: إنّه استماله قوم بمصر، منهم ابن سبأ، وأنّ السبائية توافوا بالمدينة فقالوا لرجلين: نريد أن نذكر لعثمان أشياء زرعناها في قلوب الناس، ونرجع إليهم ونقول: إنّا قررناه بها، فلم يخرج منها، ولم يتب. فنخرج فنخلعه أو نقتله. فخطب عثمان الناس وأخبرهم خبر القوم فقالوا جميعاً: اقتلهم فإنّ النبيّ قال: من دعا إلى

---

(١) تاريخ الطبري ٣: ٢٠٧، سنة ١١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٥٣ ـ ٥٤.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٧، سنة ٣٦.

(٤) انظر: تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٢٥، مقاتل الطالبيين: ٤٩، الإرشاد ٢: ١٧ ـ ١٩، شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٤٩ ـ ٥١، بحار الأنوار ٤٤: ١٥٦ ـ ١٥٧.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٤٤٦ ـ ٤٤٧، سنة ٣٦.

(٦) المصدر نفسه ٤: ٣٢٦ ـ ٣٢٩، سنة ٣٣.

نفسه أو إلى أحد وعلى الناس إمام، فعليه لعنة الله فاقتلوه. وقال عمر: لا أُحل لكم إلّا ما قبلتموه وأنا شريككم[1] -إلى أن قال-: وفي سنة (٣٥) خرج أهل مصر على أربعة أُمراء، وكانوا يشتهون عليّاً، وخرج أهل الكوفة في أربعة رفاق وعليهم زيد بن صوحان والأشتر، وكانوا يشتهون الزبير، وخرج أهل البصرة في أربع رفاق وعليهم حكيم بن جبلة العبدي وكانوا يشتهون طلحة، فنزل أهل البصرة ذا خشب، وأهل الكوفة الأعوص، وأهل مصر بذي المروة، فجاء جمع من المصريين عليّاً وقد أرسل ابنه الحسن إلى عثمان، وجاء البصريون طلحة وقد أرسل ابنيه إلى عثمان، وقد جاء الكوفيون إلى الزبير وقد أرسل ابنه إلى عثمان، فصاحوا بهم وأطردوهم وقالوا: لقد علم المؤمنون أنّ جيش ذي مروة وذي خشب والأعوص ملعونون على لسان محمّد، فخرجوا وأروا الناس أنّهم يرجعون فكرّوا مع عساكرهم، فقال لهم علي: ما ردّكم بعد ذهابكم؟ قالوا: أخذنا مع بريد كتاباً بقتلنا. فقال لهم: كيف علمتم يا أهل الكوفة وأهل البصرة بما لقي أهل مصر؟ وخطب عثمان فقال: أُدخلت في الشورى عن غير علم ولا مسألة، ثم أجمع أهل الشورى عن ملأ منهم، ومن الناس على غير طلب منّي ولا محبّة، فعملت فيهم ما يعرفون ولا ينكرون، تابعاً غير مستتبع، متبعاً غير مبتدع، مقتدياً غير متكلّف، فلمّا انتهت الأُمور وانتكث الشرّ بأهله، بدت ضغائن وأهواء على غير اجرام ولا ترة في ما مضى، إلّا امضاء الكتاب، فطلبوا أمراً وأعلنوا غيره بغير حجّة ولا عذر، فعابوا عليّ أشياء ممّا كانوا يرضون، وأشياء عن ملأ من أهل المدينة لا يصلح غيرها، فصبرت لهم نفسي وكففتها عنهم منذ سنين وأنا أرى وأسمع، فازدادوا على الله جرأة، حتى أغاروا علينا في جوار الرسول وحرمه وأرض الهجرة، وثابت

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٣٤٠ ـ ٣٤٦، سنة ٣٥، والنقل بتصرّف وتلخيص.

إليهم الأعراب، فهم كالأحزاب أيّام الأحزاب أو من غزانا بأُحد[١].

فإنّه من ابن سبأ بمصر وما فعل، وحيث إنّ بني أُميّة كانوا يعبّرون عن الشيعة ـ تهجينا لهم ـ بالسبأية أي: أتباع ابن سبأ القائل: بالهية أميرالمؤمنين عليه السلام، صنع هذا الواضع هذا الخبر هكذا، ولم يكن لابن سبأ اسم في أيّام عثمان في كلام غيره.

ثم كيف كان هوى الكوفيين في الزبير ورئيسهم الأشتر؟ وحاله معلوم وزيد ابن صوحان الذى قيل فيه: دينه دين عليّ؟ وكيف كان هوى أهل البصرة في طلحة ورئيسهم حكيم بن جبلة الذي حارب طلحة قبل قدوم أمير المؤمنين عليه السلام البصرة، حتى استشهد وجمع كانوا معه حالهم حاله؟

والأصل في وضعه: أنّ الزبير بايع أميرالمؤمنين عليه السلام طمعاً في الكوفة، وبايعه طلحة طمعاً في البصرة. وحديثه في الأحوص وذي خشب وذي المروة من الكذب الركيك يكاد يحصل الغثيان منه.

وقد وضعه في مقابل ما روي بطرق عن أميرالمؤمنين عليه السلام في أهل الجمل: والله لقد علمت صاحبة الهودج أنّ أهل الجمل ملعونون على لسان النبي الأُمّي، ﴿وقد خاب من افترى﴾[٢].

كما أنّ قوله: إنّهم أرسلوا أبناءهم لمعاونة عثمان[٣]. كذب محض؛ أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فكان يمنع الحسنين عليهما السلام عن الحرب في الجمل وصفين، لئلّا ينقطع بهما نسل النبي صلى الله عليه وآله. وكيف لم ينقل أحد أنّه عليه السلام أجاب معاوية عن نسبة قتل عثمان إليه، بأنّه أرسل ابنيه لمدده. وكيف يقول عمرو بن العاص

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٨ ـ ٣٥٢، سنة ٣٥، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٢) رواه فرات الكوفي في تفسيره: ١٤١، في تفسير الآية ٤٠ من سورة الأعراف، والآية ٦١ من سورة طه.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٠، سنة ٣٥.

للحسن عليه السلام ـ وقد رآه يطوف بالبيت ـ: أو من الحق أن تطوف بالبيت كما يدور الجمل بالطحن، وعليك ثياب كغرقي البيض وأنت قاتل عثمان؟

وأمّا طلحة فكان محرّضاً على عثمان إلى ساعة قتله، ومنع من دفنه، فكيف يرسل ابنه ولم يكن ابنه مخالفاً له، حتى يروح بنفسه؟ فمع كونه من العبّاد حضر لمحاربة أمير المؤمنين عليه السلام برأ له بأبيه، حتى قال عليه السلام: قتله برّه بأبيه. نعم، ابن الزبير ذهب من قبل نفسه لمساعدته طمعاً أن يحصل له سبب لادعاء الخلافة، وقد كان ادّعى أنّ عثمان أوصى إليه عند قتله. وبغضاً لأن يصل الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام، إن قتل عثمان كما قال له ذلك معاوية. وأمّا إرسال أبيه له فلا، وكيف وهو قال: إنّه يود أن يقتل عثمان، ولو قتل ابنه قبله، ولم يكن تابع أبيه حتى يمنعه، بل كان أبوه تابعاً له، فالزبير قبل نشوئه كان صالحاً ومعدوداً في عداد أهل البيت والهاشميين وما وضع له في خطبته من إجماع أهل الشورى على بيعته أيضاً خلاف المقطوع، فطلحة لم يكن وقت بيعته حاضراً، والزبير كان هواه في أمير المؤمنين عليه السلام، ومحاجّته عليه السلام ذاك اليوم كيوم السقيفة ممّا ملأ الخافقين، حتى أُكرهوه على البيعة، وقد كان عمر أعدّ الأمر لعثمان ووكّل أبا طلحة مع خمسين لقتله عليه السلام لو خالف.

ومن العجب عدم حيائه في قوله له: «إنّهم أجمعوا عليه كالأحزاب ويوم أُحد»[1]. فمؤسس الأحزاب كان حزبه بنو أُميّة، ويوم أُحد يوم فرار عثمان.

وروى سيف أيضاً: أنّ سعداً ممّن استقتل لعثمان[2]. مع أنّه كان باتفاق السير ممّن يطعن في عثمان إلى أن قتل.

ووضع لمغيرة بن الأخنس المنافق الذي مرَّ كلام أمير المؤمنين عليه السلام فيه:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٢، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٣، سنة ٣٥.

رؤيا في كون قاتله من أهل النار[١].

ووضع للزبير: أنّه لمّا سمع بقتل عثمان قال في قتلته: ﴿وحيل بينهم وبين ما يشتهون...﴾[٢]. مع أنّ الزبير قال ذلك في عثمان لمّا منع الماء، ولا مناسبة لأن يقوله في قتلته حين قتله لأنّهم كانوا غالبين.

ووضع لطلحة: أنّه لمّا سمع بقتل عثمان قال في قتلته: تبّاً لهم ﴿فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون﴾[٣]. مع أنّه أعدّ رجالاً يرمون جنازته ويقولون: نعثل نعثل، ولا يخلونه يدفنونه في مقابر المسلمين، مع أنّه لا مناسبة لمّا قال أيضاً.

وروى: أنّ عايشة خرجت ممتلئة غيظاً على أهل مصر لمّا جاؤوا إلى عثمان[٤]. مع أنّها في طريق الحجّ لمّا رأت ابن عبّاس صار أميراً على الموسم، قالت له: أُعطيت لساناً وإيّاك أن تدفع عنه[٥].

وروى: أنّ مروان طلب من عايشة الدفاع عن عثمان فقالت: أخاف أن يفعل بي كما فعل بأُم حبيبة لمّا أرادت الدفاع عنه[٦]. مع أنّ عايشة قالت لمروان: وددت أنّ صاحبك في غرائري فألقيه في البحر.

وروى: أنّه جعل الزبير وصيّه، وإنّما كان ابنه يدعيها[٧]، مع أنّ عثمان لمّا اشتد به الحصار نادى اسقونا الماء وأطعمونا ممّا رزقكم الله. فناداه

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٠، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٩٢، سنة ٣٥، والآية ٥٤ من سورة سبأ.

(٣) تاريخ الطبري ٤ : ٣٩٢، سنة ٣٥، والآية ٥٠ من سورة يس.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥.

(٥) تاريخ الطبري ٤: ٤٠٧، سنة ٣٥.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٧، سنة ٣٥.

(٧) تاريخ الطبري ٤: ٣٨٩، سنة ٣٥.

الزبير: يا نعثل، والله لا تذوقه.

وروى -وهو من المضحك الركيك-: أنّ الناس لمّا قتلوا عثمان جاء المصريون إلى عليّ، والكوفيون إلى الزبير، والبصريون إلى طلحة، لبيعتهم وهم يأبون وينشدون أرجازاً[١]، مع أنّ طلحة والزبير حرّضا على قتل عثمان لينالا الخلافة، وهو عليه السلام يكرّر الشكاية من غصبهم حقّه.

وروى: أنّ طلحة والزبير بايعاه مكرهين[٢]. مع أنّهما كانا مقرّين بأنّهما بايعاه طوعاً، وإنّما كانا مدعيين أنّهما خافا على أنفسهما لو لم يبايعاه، فقال عليه السلام: «أقرّا بالبيعة وادّعيا الوليجة»[٣]. وإنّما وضع ذلك ليصحّح بيعة أبي بكر.

وروى: أنّ طلحة والزبير اصطلحا مع عثمان بن حنيف على أن يرسلوا كعب بن سور إلى المدينة، هل بايعا طوعاً أو مكرهاً؟ فلم يجبه أحد خوفاً من سهل بن حنيف عامل عليّ عليه السلام سوى أُسامة، فقال: بايعاه كارهين. فضربوه حتى أطلقه جمع[٤]. وضع ذلك في مقابل أنّ طلحة والزبير ضربا عثمان بن حنيف، ونتفا لحيته وأرادا قتله، ولم يقتلوه خوفاً على مخلفيهما من أخيه سهل بن حنيف[٥].

وروى: أنّ طلحة والزبير ما غدرا بعثمان بن حنيف، بل هو غدر بهما[٦]،

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٢٩، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٠، سنة ٣٥.

(٣) قال في نهج البلاغة: ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك: يزعم أنّه قد بايع بيده ولم يبايع بقلبه؛ فقد أقرّ بالبيعة، وادّعى الوليجة. انظر نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٧ ـ ٤٦٨، سنة ٣٦.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٢٠ ـ ٣٢١.

(٦) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٣، سنة ٣٦.

على خلاف جميع السير؛ إلى غير ذلك من أكاذيبه.

ومن أكاذيبه العجيبة ما قاله: انّ عليّاً لمّا أراد الجمل خطب، فقال: لا يرتحلنّ أحد أعان على عثمان بشيء في شيء من أُمور الناس. فاجتمع علباء، وعدي بن حاتم وسالم بن ثعلبة، وشريح بن أوفى، والأشتر ـ ممّن سار إلى عثمان ـ فقال الأشتر: إن يصطلح طلحة والزبير وعلي نغل دمائنا، فهلمّوا فلنتواثب على علي عليه السلام فنلحقه بعثمان ـ وتكلّم كلّ منهم بشيء من قبيل الأشتر ـ وتكلّم ابن السوداء فقال: إنّ عزّكم في خلطة الناس فصانعوهم، وإذا التقى الناس غداً فانشبوا القتال، ولا تفرغوهم للنظر ويشغل الله عليّاً وطلحة والزبير ومن رأى رأيهم عمّا تكرهون[١].

وإنّ طلحة والزبير وعليّاً لم يريدوا القتال، وإنّما هؤلاء أنشبوا القتال، فقال طلحة والزبير لمّا رأيا ذلك: علمنا أنّ عليّاً غير منته حتّى نسفك الدماء. وقال عليّ لمّا رأى ذلك: علمت أنّ طلحة والزبير غير منتهيين حتّى يسفكا الدماء وإن رأى كلّ منهم ألّا يبدأ بالقتال. وإنّهم قالوا لعايشة: أدركي الناس، فأبوا إلّا القتال. فبرزت من البيوت فسمعت ضجّة فقالت: «المهزوم من كانت منه الضجّة» فما مجيئها إلّا الهزيمة فمضى الزبير في وجهه وجاء طلحة سهم غرب[٢].

وروى: أنّ عليّاً سُئل عن حالهم إن ابتلوا بالقتل؟ قال: أرجو أن لا يقتل أحد منّا ومنهم نقى قلبه لله إلّا أدخله الله الجنّة[٣].

وروى: أنّ عليّاً وعايشة قال كلٌّ منهما: وددت أنّي متّ قبل الجمل

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٣ ـ ٤٩٤، سنة ٣٦، والنقل بتلخيص.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٧ ـ ٥٠٨، سنة ٣٦.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

بعشرين عاماً[١].

وروى: أنّ عليّاً أمر لرجل قال لعايشة: «توبي فقد خطيت» بضرب مائة مجرَّداً[٢].

وكذا أمر بضرب آخر قال لها: «جزيت الأُم عقوقاً»: أيضاً بالضرب مائة مجرداً[٣].

وروى: أنّ النبي صلى الله عليه وآله سيّر الحكم بن أبي العاص من مكّة إلى الطائف، وهو أيضاً ردّه[٤] وما استحيى أن يقول خلاف المتواتر، ولم يكفه جعل امامه، فإنّه لمّا اعترضوا عليه في ردّه، قال: إنّ النبيّ أجازني في ردّه.

ولقد أغرب في وضع خبر في مقابل قصّة عمرو بن العاص في قتل عثمان، فروى الواقدي: أنّ عمراً لمّا عزله عثمان عن مصر واستعمل ابن أبي سرح، يأتي عليّاً عليه السلام مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي الزبير مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويأتي طلحة مرّة فيؤلّبه على عثمان، ويعترض الحاجّ فيخبرهم بما أحدث عثمان، فلمّا كان حصر عثمان الحصر الأوّل خرج من المدينة حتّى انتهى إلى أرض له بفلسطين يقال له السبع، فنزل في قصر له يُقال له العجلان وهو يقول: العجب ما يأتينا عن ابن عفّان خبر. فبينا هو جالس في قصره ذلك ومعه ابناه محمّد وعبدالله وسلامة بن روح الجذامي إذ مرَّ بهم راكب فناداه عمرو: من أين قدم الرجل؟ فقال: من المدينة. فقال: ما فعل الرجل ـ يعني عثمان ـ قال: تركته محصوراً شديد الحصار. قال عمرو: أنا أبو عبدالله قد يضرط العير والمكواة في النار. فلم يبرح مجلسه ذلك حتّى مرَّ به راكب آخر، فناداه عمرو:

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٥٣٧، سنة ٣٦.

(٢) تاريخ الأُمم و الملوك للطبري ٣ : ٥٨، دار الكُتب العلمية، بيروت.

(٣) المصدر نفسه ٣ :٥٨.

(٤) تاريخ الطبري ٤: ٣٤٧، سنة ٣٥.

ما فعل الرجل؟ قال: قُتل. قال: أنا أبو عبدالله إذا حككت قرحة نكأتها. إن كنت أُحرّض عليه حتّى إنّي لأُحرّض عليه الراعي في غنمه في رأس الجبل. فقال له سلامة بن روح: يا معشر قريش كان بينكم وبين العرب باب فكسرتموه، فما حملكم على ذلك؟ فقال: أردنا أن نخرج الحقّ من خاصرة الباطل، وأن يكون النّاس في الحقّ شرعاً سواء[1].

فقال سيف: قالوا: لمّا أُحيط بعثمان، خرج عمرو بن العاص من المدينة نحو الشام، وقال: والله يا أهل المدينة ما يقيم بها أحد فيدركه قتل هذا الرجل إلّا ضربه الله بذل، ومن لم يستطع نصره فليهرب. فسار مع ابنيه وخرج بعده حسّان، فبينا عمرو جالس بعجلان ومعه ابناه إذ مرّ بهم راكب، قال له: من أين قدمت؟ قال: من المدينة. قال: ما اسمك؟ قال حصيرة. قال عمرو: حصر الرجل فما الخبر؟ قال: تركته محصوراً. ثم مكثوا أياماً فمرَّ بهم راكب، فقال: ما اسمك؟ قال: قتال. قال عمرو: قُتل الرجل. ثم مكثوا أيّاماً فمرَّ بهم راكب، فقال: ما اسمك؟ قال: حرب. قال عمرو: يكون حرب، فما الخبر؟ قال: قُتل عثمان وبويع لعليّ. قال عمرو: أنا أبو عبدالله يكون حرب من حك فيها قرحة نكأها ...[2] وضع في مقابل ذاك هذا.

ثم إنّه بدل على وضع خبر العنوان خصوصاً، سوى ما قلنا من وضع أخباره عموماً صدره وذيله، ففي صدر الخبر: اجتمع إلى عليّ - بعدما دخل - طلحة والزبير في عدّة من الصحابة فقالوا: يا عليّ إنّا قد اشترطنا إقامة الحدود، وإنّ هؤلاء القوم قد اشتركوا في دم الرجل، وأحلّوا بأنفسهم[3].

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٦ - ٣٥٧، سنة ٣٥.

(٢) تاريخ الطبري ٤: ٣٥٧، سنة ٣٥.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٣٧، سنة ٣٥.

وفي ذيله: واشتد عليّ على قريش وحال بينهم وبين الخروج على حالها، وإنّما هيّجه على ذلك هرب بني أُميّة، وتفرّق القوم وبعضهم يقول: والله لئن ازداد الأمر لاقدرنا على انتصار من هؤلاء الأشرار لترك هذا إلى ما قال علي أمثل وبعضهم يقول: نقضي الذي علينا ولا نؤخّره، والله إنّ علياً لمستغن برأيه وأمره عنّا، ولا نراه إلّا سيكون على قريش أشدّ من غيره. فذكر ذلك لعليّ، فقام وذكر فضلهم وحاجته إليهم، ونظره لهم وقيامه دونهم، وأنّه ليس له من سلطانهم إلّا ذلك والأجر من الله، ونادى: برئت الذمة من عبد لم يرجع إلى مواليه، فتذامرت السبائية والأعراب، وقالوا: لنا غداً مثلها[1].

فكل منهما واضح الجعل، أمّا صدره فبيعته عليه السلام إنّما كانت بتداك الناس عليه حتى كاد يقتل بعضهم بعضاً، وطلحة والزبير قال، أوّلاً: إنّهما بايعا إكراهاً، فمن يبايع مكرهاً كيف يشترط شيئاً؟ وهما كانا مدعيين أنّهما بايعا خوفاً، والمبايع خوفاً أيضاً لا يمكنه، ثم دخالتهما في دمه كانت أمراً معلوماً، وكيف لا؛ وقتل مروان لطلحة إنّما كان بثأر عثمان، فكيف يعقل اشتراطهما؟ ثم أميرالمؤمنين عليه السلام كان قبل خلافته يجري الحدّ الذي يجب إجراؤه، كما حدّ الوليد أخا عثمان لشربه، وأراد قود عبيدالله بن عمر بهرمزان لمّا امتنع عثمان من إجراء الحدّ عليه والقصاص منه، حتّى فرَّ منه وخرج من المدينة إلى كوفان، فلم يكن محتاجاً إلى اشتراط. فيدل تركه عليه السلام القصاص من قتلة عثمان، كونه مباح الدم عنده، وإنّما قال الوليد بن عقبة من قبله وقبل مروان وسعيد له بعد: نبايعك على أن تقتل قتلة عثمان. فانتهره وقال له: لو لزمني ذلك لفعلته أوّلاً. وأمّا ذيله فمن قريش التي يقول عليه السلام: ليس له من سلطانهم إلّا ذلك. وإنّما كان عليه السلام يقول: أجمعوا على حربي كإجماعهم على حرب

---

(١) المصدر نفسه ٤: ٤٣٧ ـ ٣٤٨، سنة ٣٥.

النبيّ صلى الله عليه وآله. والخبيث سمع من بني أميّة سبائية فإنّهم كانوا يعبّرون عن شيعته عليه السلام بالسبائية تهجيناً لهم، بأنّهم مثل ابن سبأ في الغلو فيه والقول بالإلهية له، لا ان فرقة سبائية كانت موجودة.

وبالجملة: هذا الخبر كباقي أخبار سيف، التي ينقلها الطبري عن السدي عن شعيب عنه، كذب وافتعال، إلّا أنّ المصنف عفا الله عنه، كان مغرماً على جمع كلام فصيح منسوب إليه عليه السلام، مع أنّه ليس بتلك الفصاحة مع أنّ خطبة نسبها إلى عثمان التي نقلناها عنه أفصح، فالرجل كان أديباً تاريخياً شاعراً وكان خبيثاً داهياً، فكان يقلب كلّ شيء ويموهه بكلمات أدبيّة، ويضع له أراجيز حتّى يلبس الحقّ بالباطل، لكنّ الباطل زهوق، فكل أهل السير من الواقدي والمدائني وصاحب (المغازي) وغيرهم ـ وكلهم من رجالهم ـ أظهروا كذبه، والله يفضح الكاذب فقال: «إنّ طلحة كان من المدافعين عن عثمان»[١]، وقال: «لمّا أصاب طلحة سهم قال: اللهمّ خذ منّي لعثمان حتّى ترضى»[٢] إلى غير ذلك من تناقضاته.

وكيف غُرّ المصنف به؟ وقد نقل في باب كتبه في التاسع كتابه عليه السلام إلى معاوية: وأمّا ما سألت من دفع قتلة عثمان إليك، فإنّي نظرت في هذا الأمر وضربت أنفه وعينه، فلم أرَ دفعه إليه، ولا إلى غيرك، ولعمري لئن لم تنزع عن غيّك وشقاقك لتعرفنّهم عن قليل يطلبونك...[٣].

وحيث إنّ العنوان مفتعل وليس من كلامه عليه السلام قطعاً، لم نتعرّض لشرح فقراته ولكن (سأستمسك) في (المصريه)[٤] محرّف (وسأمسك) بشهادة (ابن

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٥١، و ٤٦٢، سنة ٣٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٥٢٧، سنة ٣٦.

(٣) نهج البلاغة ٣: ١١ الكتاب ٩.

(٤) في نهج البلاغة ٢: ٩٩ «وسأمسك» أيضاً.

أبي الحديد وابن ميثم[١] والخطيّة).

هذا وفي آخر خبر (الطبري): «فاهدؤوا عنّي وانظروا ماذا يأتيكم ثمّ عودوا»[٢]، والظاهر أن الرضي رحمه الله أخذ قوله «ولا تفعلوا فعله...»، من موضع آخر مناسب كما هو دأبه، فيجمع ما روي عنه عليه السلام في موضعين ومعناهما واحد.

هذا وفي (المصرية) التحريف في موضعين؛ أحدهما: في قوله: «وإنّ هذا الأمر»[٣] وثانيهما: في قوله: «ولا ذاك»[٤] ففي (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٥] والخطيّة): «إنّ هذا الامر» بدون واو وفيها «ولا هذا».

٢٥
الكتاب (٥٨)

ومن كتاب له عليه السلام كتبه إلى أهل الأمصار يقتصّ فيه ما جرى بينه وبين أهل صِفّين:

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا الْتَقَيْنَا وَالْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ، وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي الْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ، لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي الْإِيمَانِ بِاللّهِ وَالتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ صلى الله عليه وآله وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا، الْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا اخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا: تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا يُدْرَكُ الْيَومَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ، وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩١، شرح ابن ميثم ٣: ٣٢١.

(٢) تاريخ الأمم والملوك ٢: ٧٠٢، دار الكتب العلميّة بيروت.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٩٨.

(٤) نهج البلاغة ٢: ٩٩.

(٥) كذا شرح ابن أبي الحديد ٩: ٢٩١، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ٣٢٠ «وإنّ هذا الأمر» أيضاً، مع الواو و «ولا ذاك» كما في النهج.

وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ فِي مَوَاضِعِهِ. فَقَالُوا: بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ. فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ، وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِشَتْ.

فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذَلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا، حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ؛ وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ، فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذَلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللّهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ الَّذِي رَانَ اللّهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ.

أقول: لم أقف على سند له، ولا يبعد كونه مثل سابقه من روايات سيف الموضوعة، والطبري وإن لم ينقله لكن لا يبعد أخذ المصنف له من أصل كتاب سيف، وإلّا فكيف يقول عليه السلام: الأمر واحد إلّا ما اختلفنا فيه من دم عثمان، ونحن منه برآء؟ فإن المراد بقوله (ونحن) هو عليه السلام وأهل الحجاز وأهل العراق، في مقابل أهل الشام، مع أنّ من المقطوع أنّه كان في أصحابه المجلبون على عثمان والمباشرون لقتله، وانّما الاختلاف بينهم أنّ أصحابه كانوا يقولون مثله عليه السلام ان عثمان كان حلال الدم، لا يستحق قاتله قصاصاً، وأهل الشام كانوا يقولون: كان عثمان خليفة حقّاً، يجب قتال قاتليه وقتال المحامين عنهم، وإن لم يكونوا من القاتلين، كأمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته.

ففي (صفين نصر): قال زيد بن وهب الجهني: إنّ عمّاراً نادى يومئذ: أين من يبتغي رضوان ربه، ولا يؤب إلى مال ولا ولد؟ فأتته عصابة، فقال: اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان، ويزعمون أنّه قتل مظلوماً، والله إن كان إلّا ظالماً لنفسه، الحاكم بغير ما أنزل الله[1].

(١) وقعة صفّين: ٣٢٦.

وروى عن عبدالرحمن بن جندب عن أبيه، قال: قام عمّار بصفّين فقال: امضوا عباد الله إلى قوم يطلبون في ما يزعمون بدم الظالم لنفسه، الحاكم على عباد الله بغير ما في كتاب الله، إنّما قتله الصالحون المنكرون للعدوان، الآمرون بالإحسان، فقال هؤلاء الذين لا يبالون إذا سلمت لهم دنياهم لو درس هذا الدين: لِمَ قتلتموه؟ فقلنا: لأحداثه. فقالوا: إنّه ما أحدث شيئاً، وذلك لأنّه مكّنهم من الدُّنيا، فهم يأكلونها ويرعونها، ولا يبالون لو انهدت عليهم الجبال، والله ما أظنّهم يطلبون دمه، إنّهم ليعلمون إنه لظالم، ولكن القوم ذاقوا الدُّنيا فاستحبوها واستمرؤها، وعلموا لو أن الحقّ لزمهم، لحال بينهم وبين ما يرعون فيه منها، ولم يكن للقوم سابقة في الإسلام يستحقون بها الطاعة والولاية، فخدعوا أتباعهم بأن قالوا: قُتل إمامنا مظلوماً، ليكونوا بذلك جبابرة وملوكاً[١].

وعن الأفريقي بن أنعم ـ في حديث جمع ذي الكلاع بين عمّار وعمرو بن العاص، لحديث سمعه ذو الكلاع من عمرو في أيام عمر، ان النبي ﷺ قال: عمّار تقتله الفئة الباغية[٢].

قال عمرو لعمّار: فما ترى في قتل عثمان؟ قال: فتح لكم باب كلّ سوء. قال عمرو: فعليّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ عليّ قتله، وعليّ معه. قال عمرو: فلِمَ قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه[٣].

وروى في حديث مشي القرّاء بين معاوية وبين أمير المؤمنين عليه السلام، أنّ القرّاء قالوا له عليه السلام: إنّ معاوية يقول لك: إن كنت صادقاً في أنّك لم تأمر بقتل

---

(١) وقعة صفّين: ٣١٩.

(٢) وقعة صفّين: ٣٣٢ ـ ٣٣٥، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٣) وقعة صفّين: ٣٣٨ ـ ٣٣٩.

عثمان، ولم تمالئ على قتله، فادفع إلينا قتلته أو أمكنا منهم؟ فقال علي عليه السلام: القوم تأوّلوا عليه القرآن، ووقعت الفرقة وقتلوه في سلطانه، وليس على ضربهم قود[١].

وروى في حديث بعث معاوية حبيب بن مسلمة و شرحبيل بن السمط إلى أمير المؤمنين عليه السلام أنّهما قالا لعلي عليه السلام: أتشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً؟ فقال لهما: إنّي لا أقول ذلك. قالا: فمَن لم يشهد أنّ عثمان قُتل مظلوماً فنحن منه برآء. ثم قاما وانصرفا، فقال علي عليه السلام: إنك ﴿لا تسمع الموتى ولا تسمع الصمّ الدّعاء إذا ولّوا مدبرين * وما أنت بهادي العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلّا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون﴾[٢].

وروى في حديث بعث معاوية أبا إمامة الباهلي وأبا الدرداء إليه عليه السلام ـ لمّا كانا قالا لمعاوية: عَلامَ تقاتل عليّاً؟ فوالله لهو أقدم منك إسلاماً وأقرب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله وأحقّ بالأمر. وقال لهما معاوية: على دم عثمان وإيوائه قتلته، فإن يقدني من قتلته أكن أوّل من يبايعه من أهل الشام. فقدما عليه عليه السلام وأبلغاه كلام معاوية ـ: أنّ علياً عليه السلام قال لهما: هم الذين ترون. فخرج عشرون ألفاً أو أكثر مسربلين في الحديد، لا يرى منهم إلّا الحدق، فقالوا: كلّنا قتله فإن شاؤوا فليروموا ذلك منّا[٣].

وروى في حديث بعث معاوية أبا مسلم الخولاني بكتاب إليه عليه السلام: فقال أبو مسلم لعليّ عليه السلام: إنك قد قمت بأمر ولّيته، والله ما أُحب أنّه لغيرك إن أعطيت الحق من نفسك، إنّ عثمان قُتل مسلماً محروماً مظلوماً، فادفع إلينا قتلته وأنت

---

(١) وقعة صفّين: ١٨٨ ـ ١٨٩.

(٢) وقعة صفّين: ٢٠٠ ـ ٢٠٢، والنقل بتلخيص، والآيات ٥٢ ـ ٥٣ من سورة الروم.

(٣) وقعة صفّين: ١٩٠.

أميرنا، فإن خالفك من الناس أحد كانت أيدينا لك ناصرة، وألسنتنا لك شاهدة، وكنت ذا عذر وحجّة.

فقال له علي عليه السلام: اغد عليّ غداً فخذ جواب كتابك. فانصرف ثم رجع من غدٍ ليأخذ جواب كتابه، فوجد الناس قد بلغهم الذي جاء فيه قبل، فلبست الشيعة أسلحتها، ثم غدوا فملؤوا المسجد فنادوا: كلّنا قتلة عثمان. وأكثروا من النداء بذلك، فقال أبو مسلم لعليّ عليه السلام: لقد رأيت قوماً مالك معهم أمر. قال: وما ذاك؟ قال: بلغ القوم أنّك تريد أن تدفع إلينا قتلة عثمان، فضجّوا واجتمعوا ولبسوا السلاح وزعموا أنّهم كلهم قتلة عثمان. فقال علي عليه السلام: والله ما أردت أن أدفعهم إليك طرفة عين قط، لقد ضربت هذا الأمر أنفه وعينه، فما رأيته ينبغي لي أن أدفعهم إليك ولا إلى غيرك.

فخرج أبو مسلم وهو يقول: الآن طاب الضراب[1].

وروى في حديث الفتى الشامي الذي حمل على هاشم المرقال وأصحابه القرّاء وجعل يلعن ويشتم: أنّ هاشماً قال له: اتّق الله فإنّك راجعٌ إلى ربّك فسائلك عن هذا الموقف وما أردت به، فقال: أُقاتلكم لأنّ صاحبكم قتل خليفتنا، وأنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: وما أنت وابن عفان، إنّما قتله أصحاب محمّد صلى الله عليه وآله وقرّاء الناس، حين أحدث أحداثاً وخالف حكم الكتاب؟ وأصحاب محمّد صلى الله عليه وآله هم أصحاب الدين وأولى بالنظر في أُمور المسلمين[2].

وروى في أراجيز الشاميين:

ان علياً قتل ابن عفّانْ   خليفة الله على تبيان

---

(١) وقعة صفّين: ٨٥ ـ ٨٦.

(٢) وقعة صفّين: ٣٥٤ ـ ٣٥٥.

ردوا علينا شيخنا كما كان[١]

وفي أراجيز العراقيين رجز بعضهم:

أبت سيوف مذحج وهمدانْ بأن نرد نعثلاً كماكانْ

خلقاً جديداً بعد خلق الرحمنْ[٢]

ورجز بعضهم:

نحن قتلنا صاحب المرّاقِ وقائد البُغاة والشقاقِ

عثمان يوم الدار والإحراقِ[٣]

ورجز بعضهم:

نحن قتلنا نعثلاً بالسيره إذ صدّ عن أعلامنا المنيره

يحكم بالجور على الشعيره نحن قتلنا قبله المغيره[٤]

والمراد بالمغيرة ابن عمّ عثمان، الذي كسر أسنان النبي صلى الله عليه وآله يوم أُحد وشجّ رأسه، ولمّا انهزم الكفار في الأحزاب كان المغيرة نائماً فأيقظته الشمس ـ وكان النبي صلى الله عليه وآله أهدر دمه ـ فاستجار بعثمان، فشفع له عثمان، فأمهله بشرط ألّا يرى بعد ثلاثة، فبقي بعدها، فبعث النبيّ صلى الله عليه وآله فقتله.

وروى: أنّ رجلاً من أهل الشام صاح:

ردّوا علينا شيخنا ثم بجل ولا تكونوا جزراً من الأسل

فأجابه رجل من العراق:

كيف نردّ نعثلاً وقد قحل نحن ضربنا رأسه حتى انجفل

---

(١) وقعة صفّين: ٢٢٨.

(٢) وقعة صفّين: ٢٢٨.

(٣) وقعة صفّين: ٣٨٣، والقائل: همّام بن الأغفل الثقفي.

(٤) وقعة صفّين: ٣٨٣، والقائل: محمّد بن أبي سبرة بن أبي زهير القرشيّ.

لمّا حكم حكم الطواغيت الأول   وجار في الحكم وجار في العمل(١)

وروى في حديث التحكيم: أنّ حمرة بن مالك خطيب الشام قام بين الصفّين، فقال: أُنشدكم الله يا أهل العراق ألّا أخبرتمونا لِمَ فارقتمونا؟ قالوا: لأنّ الله عزّوجلّ أحلّ البراءة ممّن حكم بغير ما أنزل الله، فتولّيتم الحاكم بغير ما أنزل الله، وقد أمر الله بعداوته وحرّمتم دمه وقد أمر الله بسفكه، فعاديناكم لأنكم حرّمتم ما أحل الله وحلّلتم ما حرم الله، وعطّلتم أحكام الله واتبعتم هواكم بغير هدى من الله.

فقال حمرة: قتلتم خليفتنا ونحن غيّب عنه، بعد أن استتبتموه فتاب، فعجلتم عليه فقتلتموه، فنذكركم الله لمّا أنصفتم الغائب المتّهم لكم، فإنّ قتله لو كان عن ملأ من الناس ومشورة كما كانت إمرته، لم يحل لنا الطلب بدمه، وقد رضينا أن تعرضوا ذنوبه على كتاب الله أوّلها وآخرها، فإن أحلّ الكتاب دمه برئنا منه وممّن تولّاه ومن يطلب بدمه، وكنتم أُجرتم في أوّل يوم وآخره. وإن كان كتاب الله يمنع دمه ويحرّمه تبتم إلى الله ربكم، وأعطيتم الحق من أنفسكم في سفك دم بغير حلّه، بعقل أو قود أو براءة ممّن فعل ذلك وهو ظالم، ونحن قوم نقرأ القرآن وليس يخفى علينا منه شيء، فأفهمونا الأمر الذي استحللتم عليه دماءنا -إلى أن قال-: فقالوا له: قد قبلنا من عثمان حين دعي إلى الله والتوبة من بغيه وظلمه، وقد كان منّا عنه كف حين أعطانا أنّه تائب، حتى جرى علينا حكمه بعد تعريفه ذنوبه، فلمّا لم يتم التوبة وخالف بفعله عن توبته، قلنا: اعتزلنا نولِّ أمر المسلمين رجلاً يكفيك ويكفينا، فإنّه لا يحل لنا أن نولّي أمرهم رجلاً نتّهمه في دمائنا وأموالنا. فأبى ذلك وأصرّ،

(١) وقعة صفّين: ٢٢٨ ـ ٢٢٩.

فلمّا ان رأينا ذلك قتلناه[١].

وبالجملة، فرض صحّة قوله (ونحن منه برآء)، يستلزم أن يكون قاتل عثمان الجن أو الملائكة.

ثمّ يظهر ممّا مرَّ أنّ طريقة عامّة الأعصار المتأخرة عن عصر أميرالمؤمنين عليه‌السلام، في قولهم بأبي بكر وعمر وعثمان وبه عليه‌السلام، خلاف إجماع الأمّة في عصره عليه‌السلام، لأنّ جمهور أهل السّنة كانوا يقولون بأبي بكر وعمر وبه عليه‌السلام، والأُموية ومن كان هواه هواهم، كأهل الشام عموماً ومعدود من ساير البلاد خصوصاً، كانوا يقولون بأبي بكر وعمر و عثمان دونه عليه‌السلام. وأما الجمع بينه عليه‌السلام وبين عثمان فكان كالجمع بين الضدّين. ولمّا حملت الأُموية في مدّة سلطنتهم القول بعثمان على رقاب الناس بالسيف، حتى صار ديناً عند متأخريهم وضعوا الجمع تصحيحاً لمذهبهم.

وأما قوله: (لا نستزيدهم في الإيمان بالله والتصديق برسوله) فإن أُوّل بجعله مربوطاً بقوله: (والظاهر أنّ ربّنا واحد، ونبيّنا واحد، ودعوتنا في الإسلام واحدة)، بمعنى أنّ الظاهر أنّا لا نستزيدهم لأنّهم يقولون: أشهد ألّا إله إلّا الله كما نقول، ويقولون: أشهد أنّ محمّداً رسول الله كما نقول، وإلّا فعدم استزادة الإيمان والتصديق مذهب أبي حنيفة؛ ففي (تاريخ بغداد): قال شريك: كفر أبو حنيفة بآيتين من كتاب الله تعالى ﴿...ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيّمة﴾[٢]، و ﴿وليزدادوا ايماناً مع إيمانهم...﴾[٣]، وزعم أبو حنيفة أنّ الإيمان لا يزيد ولا ينقص. وزعم أنّ الصلاة ليست من دين الله[٤].

---

(١) وقعة صفّين: ٥١٤ ـ ٥١٦.

(٢) البيّنة: ٥.

(٣) الفتح: ٤.

(٤) تاريخ بغداد ١٣: ٣٧٦.

وعن الفزاري، قال أبو حنيفة: إيمان آدم وإيمان إبليس واحد؛ قال إبليس: ﴿...ربِّ بما أغويتني...﴾[١] وقال: ﴿...ربِّ فأنظرني إلى يوم يبعثون﴾[٢]، وقال آدم: ﴿...ربنا ظلمنا أنفسنا...﴾[٣].

وعن القاسم بن عثمان: مرَّ أبو حنيفة بسكران يبول قائماً، فقال له أبو حنيفة: لو بلت جالساً. فنظر السكران في وجهه وقال: ألا تمرّ يا مرجئ؟ فقال أبو حنيفة: هذا جزائي منك صيّرت إيمانك كإيمان جبرئيل[٤].

مع أنّ معاوية وأصحابه لم يكونوا من الإسلام في شيء، فروى (صفين نصر): عن شيخ من بكر بن وائل: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين -إلى أن قال- فقال عليه السلام: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، ما أسلموا ولكن استسلموا، وأسرّوا الكفر حتّى وجدوا عليه أعواناً، رجعوا إلى عداوتهم منّا إلّا أنّهم لم يدعوا الصلاة[٥].

وعن أبي إسحاق الشيباني، قال: قرأت كتاب الصلح عند سعيد بن أبي بردة، في صحيفة صفراء عليها خاتمان، خاتم من أسفلها وخاتم من أعلاها، في خاتم علي عليه السلام -محمّد رسول الله- وفي خاتم معاوية -محمّد رسول الله- فقيل لعلي عليه السلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه وبين معاوية وأهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية ولا لأصحابه أنّهم مؤمنون ولا مسلمون، ولكن يكتب معاوية ما شاء ويسمّي نفسه وأصحابه ما شاء[٦].

---

(١) الحجر: ٣٩.

(٢) الحجر: ٣٦.

(٣) تاريخ بغداد ١٣: ٣٧٧، والآية ٢٣ من سورة الاعراف.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) وقعة صفّين: ٢١٥.

(٦) وقعة صفّين: ٥٠٩ ـ ٥١٠.

وعن الأصبغ قال: جاء رجل إلى علي عليه السلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوة واحدة، والرسول واحد، والصلاة واحدة، والحج واحد، فبِمَ نُسمّيهم؟ قال عليه السلام: بما سمّاهم الله في كتابه. قال: ما كلّ في الكتاب أعلمه. قال: أما سمعت الله عزّوجلّ قال: ﴿تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض... ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البيّنات * ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر...﴾[1] فلمّا وقع الاختلاف كنّا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق؟ فنحن الذين آمنوا وهم الذين كفروا، وشاء الله قتالهم فقاتلناهم هدىً بمشية الله ربّنا، وإرادته[2].

وعن أسماء بن الحكم الفزاري قال: كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين تحت راية عمّار ارتفاع الضحى واستظللنا ببرد أحمر، إذ أقبل رجل يستقرئ الصف حتّى انتهى إلينا، فقال: أيّكم عمّار؟ فقال عمّار: أنا. قال: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قال: إنّ لي إليك حاجة فأنطق بها سرّاً أو علانية؟ قال: اختر لنفسك أيّ ذلك شئت. قال: لا بل علانية. قال: فانطق. قال: إنّي خرجت من أهلي مستبصراً في الحق الذي نحن عليه، لا أشك في ضلالة هؤلاء القوم، وأنّهم على الباطل، ولم أزل على ذلك مستبصراً، حتى كان ليلتي هذه، فتقدّم منادينا فشهد ألّا إله إلّا الله، وأن محمّداً رسول الله، ونادى بالصلاة فنادى مناديهم بمثل ذلك، ثمّ أُقيمت الصلاة فصلّينا صلاة واحدة، ودعونا دعوة واحدة، وتلونا كتاباً واحداً، فأدركني الشّك، فبتّ بليلة لا يعلمها إلّا الله حتى أصبحت فأتيت أميرالمؤمنين عليه السلام فذكرت ذلك له، فقال: هل لقيت عمّاراً؟ قلت لا. قال: فالقه فانظر ما يقول لك فاتبعه فجئتك لذلك. فقال له عمّار: هل تعرف صاحب الراية

---

(١) البقرة: ٢٥٣.

(٢) وقعة صفّين: ٣٢٢ ـ ٣٢٣.

السوداء؟ ـ لمقابلتي ـ فإنّها راية عمرو بن العاص، قاتلتها مع النبيّ صلى الله عليه وآله ثلاث مرّات وهذه الرابعة، ماهي بخيرهنّ ولا أبرّهنّ، بل هي شرّهنّ وأفجرهنّ. أشهدت بدراً وأُحداً وحنيناً، أو شهدها أب لك فيخبرك عنها؟ قال: لا. قال: فإنّ مراكزنا على مراكز رايات النبي صلى الله عليه وآله يوم بدر ويوم أُحد ويوم حنين. وإنّ هؤلاء على مراكز رايات المشركين من الأحزاب، هل ترى هذا العسكر ومن فيه؟ فوالله لوددت أنّ جميع من أقبل مع معاوية كانوا خلقاً واحداً فقطعته وذبحته...[1].

وروى: أنّ عمّاراً خرج في اليوم الثالث من أيّام صفين وجعل يقول: يا أهل الإسلام أتريدون أن تنظروا إلى من عادى الله ورسوله؟ وجاهدهما وبغى على المسلمين وظاهر المشركين فلمّا أراد الله أن يظهر دينه وينصر رسوله أتى النبي صلى الله عليه وآله فأسلم، وهو والله في ما يرى راهب غير راغب، وقبض الله رسوله وإنّا والله لنعرفه بعداوة المسلم ومودة المجرم؟ ألا وإنّه معاوية فالعنوه ـ لعنه الله ـ وقاتلوه فإنّه ممّا يطفئ نور الله ويظاهر أعداء الله[2].

وروى عن منذر الثوري قال: قال عمار: والله ما أسلم القوم ولكن استسلموا، وأسروا الكفر حتّى وجدوا علينا أعواناً[3].

وروى المسعودي تأسفه على عدم قدرته على محو اسم النبي صلى الله عليه وآله وعدم سكون غليله بما فعل بعترته، مع وصوله السلطنة بواسطته[4].

وكما عرفت أنّ قوله (ونحن منه برآء) ـ لكونه خلاف الواقع ـ دالّ على وضع العنوان كذلك على ما رتب عليه من قوله: (فقلنا تعالوا نداو ما لا يدرك

(١) وقعة صفّين: ٣٢١.

(٢) وقعة صفّين: ٢١٤.

(٣) وقعة صفّين: ٢١٦.

(٤) لا وجود له في مروج الذهب للمسعودي ولا التنبية والاشراف للمسعودي.

اليوم بإطفاء النائرة وتسكين العامّة، حتى يشتدّ الأمر ويستجمع فنقوى على وضع الحقّ مواضعه)، فأيّ وقت قال عليه السلام: أمهلوني حتّى يستحكم أمري فأطلب القصاص من قتلة عثمان؛ وقتلة عثمان خواصه عليه السلام.

وقوله: (فقالوا بل نداويه بالمكابرة فأبوا)، مختلٌ فإنّما بالمناسب أن يُقال: (فأبوا وقالوا: بل نداويه بالمكابرة).

كما أنّ قوله: (حتّى جنحت الحرب وركدت ووقدت نيرانها وحمشت) ليست ألفاظه بتلك السلاسة و(جنح) يستعمل للميل إلى المحبوب كما في قوله تعالى: ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها...﴾[1]، ولم يعلم استعماله للميل إلى المكروه كما فيه، وإنّما يصحّ أن يُقال: (جنح البعير) إذا انكسرت جوانحه وأضلاعه من الحمل، ولا مناسبة لذلك المعنى هنا.

وأما قوله (فلمّا ضرّستنا وإيّاهم ووضعت مخالبها فينا وفيهم أجابوا عند ذلك إلى الذي دعوناهم إليه) فأيّ حكيم يتكلّم كذلك؟ فكلمة (لمّا) تفيد العلّية، فهل إجابة معاوية -إن فرضت إجابة- كانت لتضريس الحرب لأمير المؤمنين عليه السلام؟ وإنّما كانت لانهزامه حتى أراد الفرار، مع أنّ تسميته إجابة غلط واضح، وإنّما كانت دعوتهم إلى القرآن حيلة ليوقعوا بها الاختلاف بين أصحابه عليه السلام؛ ففي (صفين نصر): أنّ علياً عليه السلام لمّا خطب وقال: «وأنا غاد عليهم أُحاكمهم إلى الله عزّوجلّ»، بلغ ذلك معاوية فدعا عمرو بن العاص، فقال: يا عمرو إنّما هي الليلة حتى يغدو علينا عليّ بالفيصل، فما ترى؟ قال: أرى أنّ رجالك لا يقومون لرجاله، ولست مثله، هو يقاتلك على أمر، وأنت تقاتله على غيره، أنت تريد البقاء وهو يريد الفناء، وأهل العراق يخافون منك إن ظفرت بهم، وأهل الشام لا يخافون علياً إن ظفر بهم، ولكن الق إليهم أمراً إن

---

(١) الأنفال: ٦١.

قبلوه اختلفوا، وإن ردّوه اختلفوا؛ ادعهم إلى كتاب الله حكماً فيما بينك وبينهم، فإنّك بالغ به حاجتك في القوم، فإنّي لم أزل أؤخر هذا الأمر لحاجتك إليه. فعرف ذلك معاوية، فقال: صدقت[١].

وفيه: قال تميم بن حذيم: لمّا أصبحنا من ليلة الهرير نظرنا فإذا أشباه الرايات أمام صف أهل الشام وسط الفيلق من حيال موقف معاوية، فلمّا إن أسفرنا، فإذا هي المصاحف قد ربطت على أطراف الرماح، وهي عظام مصاحف العسكر، وقد شدوا ثلاثة رماح جميعاً وقد ربطوا عليها مصحف المسجد الأعظم، يمسكه عشرة رهط.

وقال أبو جعفر وأبو الطفيل: استقبلوا عليّاً بمائة مصحف، ووضعوا في كلّ مجنبة مائتي مصحف، وكان جميعها خمسمائة مصحف. قال أبو جعفر: ثمّ قام الطفيل بن أدهم حيال عليّ عليه السلام، وقام أبو شريح الجذامي حيال الميمنة، وقام ورقاء المعمّر حيال الميسرة، ثمّ نادوا: يا معشر العرب الله الله في نسائكم وبناتكم، فمن للروم والأتراك وأهل فارس غداً إذا فنيتم؟ الله الله في دينكم، هذا كتاب الله بيننا وبينكم. فقال علي عليه السلام: اللهمّ إنّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنّك أنت الحق المبين. فاختلف أصحاب علي عليه السلام في الرأي، طائفة قالت: القتال. وطائفة قالت: لا يحلّ لنا الحرب، وقد دعينا إلى حكم الكتاب. فعند ذلك بطلت الحروب ووضعت أوزارها[٢].

كما أنّ قوله: (فأجبناهم إلى ما دعوا وسارعناهم إلى ما طلبوا)؛ إفتراء محض، فقد عرفت أنّه عليه السلام قال: «اللهمّ انّك تعلم أنّهم ما الكتاب يريدون، فاحكم بيننا وبينهم إنّك أنت الحق المبين». فكيف يصحّ هذا الكلام؟ وقال عليه السلام

---

(١) وقعة صفّين: ٤٧٦ ـ ٤٧٧.

(٢) وقعة صفّين: ٤٧٨ ـ ٤٧٩.

لمّا أراد المسير إليهم: سيروا إلى بقيّة الأحزاب، سيروا إلى أعداء السُنن والقرآن.

وكيف سارع عليه السلام إلى ما طلبوا وأجابهم إلى مادعوا، أو يكون سارع أصحابه المستقيمون؟ وإنّما سارع الذين صاروا خوارج والأشعث.

وفي (صفين نصر) وغيره من السير: لمّا رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال علي عليه السلام: عباد الله أنا أحقّ مَن أجاب إلى كتاب الله، ولكنّ معاوية وعمرو بن العاص وابن أبي معيط، وحبيب بن مسلمة، وابن أبي سرح، ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إنّي أعرَف بِهم منكم، صحبتهم أطفالاً وصحبتهم رجالاً، فكانوا شرّ أطفال وشر رجال، إنّها كلمة حقّ يُراد بها باطل، إنّهم والله ما رفعوها لأنّهم يعرفونها ولا يعملون بها، وما رفعوها لكم إلّا خديعة ومكيدة، أعيروني سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة، فقد بلغ الحقّ مقطعه ولم يبق إلّا أن يقطع دابر الذين ظلموا.

فجاءه زهاء عشرين ألفاً مقنّعين في الحديد، شاكي السلاح سيوفهم على عواتقهم، وقد اسودت جباههم من السجود، يتقدّمهم مسعر بن فدكي وزيد بن حصين، وعصابة من القرّاء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه ـ لا بإمرة المؤمنين ـ: يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، وإلّا قتلناك كما قتلنا ابن عفّان، فوالله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال عليه السلام لهم: ويحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، وأوّل مَن أجاب إليه، وليس يحلّ لي ولا يسعني في ديني أن أُدعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّي إنّما أُقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله في أمرهم ونقضوا عهده، ونبذوا كتابه، ولكنّي قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم، وأنّهم ليس العمل بالقرآن يريدون. قالوا: فابعث إلى الأشتر ليأتينك.

وقد كان أشرف على عسكر معاوية بالفتح[1].

وكذلك قوله: (حتى استبانت عليهم الحجّة وانقطعت منهم المعذرة) بلا محصل، فإنّ معاوية وأصحابه إنّما كانت الحجّة عليهم مستبينة من أوّل الأمر، وإنّما الخوارج استبانت عليهم الحجّة، بأنّ دعوة معاوية إلى القرآن كانت مكيدة.

وكذلك قوله: (فمن تم على ذلك منهم فهو الذي أنقذه الله من الهلكة، ومن لج وتمادى فهو الراكس الذي ران الله على قلبه، وصارت دائرة السوء على رأسه) بلا مفاد، فإنّ معاوية وأصحابه لم يرضوا بحكم القرآن حتى يتمّوا عليه أو لا يتمّوا، وانّما الخوارج أمضوا أوّلاً عهد التحكيم، ثم لم يتمّوا عليه، وقالوا: انّه كفر.

وبالجملة هذا كسابقه افتراء عليه عليه السلام.

٢٦
الخطبة (٢٢٨)

ومن كلام له عليه السلام :

لِلّه بَلاءُ فُلانٍ؛ فَقَدْ قوّمَ الأوَدَ، وَدَاوَى الْعَهدَ، وَأَقامَ السُّنَّة، وَخَلَّف الفِتْنَةَ! ذَهَبَ نَقِيّ الثّوبِ، قَلِيلَ ٱلْعَيْبِ، أصَابَ خَيْرَهَا، وَسَبَقَ شَرَّهَا. أَدّى إلى اللّهِ طاعَتَهُ، وَٱتَّقاهُ بِحَقِّه. رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ، لاَيَهْتدِي فِيهَا الضّالُّ، ولا يَسْتَيْقِنُ ٱلْمُهْتَدِي.

أقول: قال ابن أبي الحديد: المراد بفلان عمر، حدّثني فخار بن معد الموسوي: أنّ في النسخة التي بخط المصنّف تحت (فلان): عمر. وسألت

---

(١) وقعة صفّين: ٤٨٩، تاريخ الطبري ٥: ٤٨ ـ ٤٩، سنة ٣٧، وشرح ابن أبي الحديد ٢: ٢١٦ ـ ٢١٧، والنقل بتصرف وتلخيص.

النقيب فقال: هو عمر. فقلت: أيثني عليه أميرالمؤمنين عليه السلام؟ فقال: نعم، أمّا الإمامية فيقولون: إنّ ذلك من التقيّة واستصلاح أصحابه. وأمّا صالحية الزيدية فيقولون: إنّه أثنى عليه. وأمّا جاروديتهم فيقولون: إنّه كلام قاله في أمر عثمان، أخرجه مخرج الذم والتنقص لأعماله، كما يمدح الآن الأمير الميّت في أيّام الأمير الحيّ بعده، فيكون ذلك تعريضاً به[١].

وقال الراوندي: المراد به بعض أصحابه عليه السلام. وهو بعيد، على أنّ الطبري صرّح أو كاد أن يصرّح، بأن المراد بهذا الكلام عمر، فقال: لمّا مات عمر قالت ابنة أبي خيثمة: واعمراه، أقام الأود وأبرأ العمد، أمات الفتن وأحيا السُنن، خرج نقي الثوب بريئاً من العيب[٢].

وروى صالح بن كيسان عن المغيرة، قال: لمّا دُفن عمر أتيت عليّاً وأنا أُحبّ أن أسمع منه في عمر شيئاً، فخرج ينفض رأسه ولحيته وقد اغتسل وهو ملتحف بثوب، لا يشك أنّ الأمر يصير إليه، فقال: رحم الله ابن الخطاب، لقد صدقت ابنة أبي خيثمة: ذهب بخيرها ونجا من شرّها. أمَا والله ما قالت ولكن قوّلت[٣].

أقول: إنّما الكلام في أصل الخبر وتحقق نسبة العنوان إليه عليه السلام، والظاهر أنّه كسابقيه، وإنما الرضي عفا الله عنه إذا رأى كلاماً فصيحاً منسوباً إليه عليه السلام يقبله بدون تدبّر في معناه، ولو مع وجود شواهد على خلافه، كما أنّه في (مجازاته النبويّة) نسب إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حديث من رأى الأذان في النوم[٤]، مع أنّه في متواتر أخبار الإمامية إنزال جبرئيل عليه السلام

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٣ ـ ٥.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) تاريخ الطبري ٤: ٢١٨، سنة ٢٣، شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٥.

(٤) المجازات النبويّة للشريف الرضي: ٣٩٣ ح ٣١٠، مؤسسة الحلبي، القاهرة.

الأذان من الله تعالى عليه صلى الله عليه وآله[١].

وأمّا ما نقله عن (الطبري) فمع أنّ رواية المخالف لنفسه غير مقبولة، لا يفهم منه سوى أنّه عليه السلام صدق من قول ابنة أبي خيثمة جملة (ذهب بخيرها ونجا من شرّها)، حتى إنّه عليه السلام قال: ما قالته ولكن قوّلته. يعني ما قالته من نفسها، ولكن حملت على قوله، وليس تحته شيء، لأن معناه أنّ في الخلافة والسلطنة خيراً وشرّاً، ولكنّ عمر ذهب بخيرها ونجا من شرّها بحبسه مثل طلحة والزبير عن الخروج عن المدينة، حتّى إلى الجهاد لئلّا يخرجا عليه، وأحدث شورى موجبة لنقض الأمور عليه عليه السلام وليس قوله عليه السلام: (ذهب بخيرها ونجا من شرّها) إلّا نظير قوله عليه السلام فيه وفي صاحبه في الشقشقية: لشد ما تشطر أضرعيها.

وأمّا باقي العنوان فإمّا افتراء تعمّداً ـ والافتراء عليه عليه السلام كالنبيّ عليه السلام كثير فالخصم يضع لنفسه على حسب هواه ـ وإمّا توهماً من قوله عليه السلام: لقد صدقت ابنة أبي خيثمة، أنّه راجع إلى جميع ما قالته، مع أنّه عليه السلام قيّده في قولها: ذهب بخيرها ونجا من شرّها. مع أنّ ما في (الطبري) تحريف، فعن ابن عساكر قال عليه السلام: (أصدقت) لا (لقد صدقت)[٢].

وممّا ذكرنا يظهر لك ما في قول ابن أبي الحديد، على أنّ الطبري صرّح أو كاد أن يصرّح بأنّ المراد بهذا الكلام عمر، فإنّ الطبري إنّما روى وصف بنت أبي خيثمة بما روى، وأنّ المغيرة كان يعلم أنّ علياً عليه السلام يكتم ما في قلبه على عمر كصاحبه، فأراد المغيرة أن يستخرج ما في قلبه ذاك الوقت فأجابه عليه السلام

(١) انظر الكافي ٣: ٣٠٢، ح١، ٢، من لا يحضره الفقيه ١: ١٨٣ ح٨٦٥، تهذيب الأحكام ٢: ٢٧٧ ح١٠٩٩.

(٢) نص ما أورده ابن عساكر: لله نادبة عمر عاتكة وهي تقول واعمراه، مات والله قليل العيب أمات العوج وأبرأ العمد، واعمراه ذهب والله بحظها ونجا من شرّها واعمراه ذهب والله بالسّنة وأبقى الفتنة، راجع صورة المخطوطة ١٣: ١٨٩ (تاريخ ابن عساكر، دار البشائر).

بحكمته بذم وشكوى في صورة الثناء.

وبالجملة؛ جميع ما رووه من هذا الخبر، أو ما كان من قبيله خلاف الدراية، والأخبار المتواترة والسير المحفوفة بالقرائن والشواهد، وكيف يصح العنوان وقد كتب معاوية إليه عليه السلام : ثم كرهت خلافة عمر وحسدته، واستطلت مدّته وسررت بقتله، وأظهرت الشماتة بمصابه، حتى إنّك حاولت قتل ولده ...

وكيف وقد روى المسعودي ونصر بن مزاحم وغيرهما حتى الطبري ـ وان كفّ عن نقل تفصيله لعدم احتمال العامّة له عنده ـ: أنّ محمّد بن أبي بكر لمّا كتب إلى معاوية كتاباً ـ وفيه بعد ذكر النبيّ صلى الله عليه وآله ـ: فكان أوّل من أجاب وأناب وصدّق ووافق وأسلم وسلّم، أخوه وابن عمّه علي بن أبي طالب، فصدّقه بالغيب المكتوم، وآثره على كلّ حميم، فوقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كلّ خوف، فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الأزل ومقامات الروع، حتى برز سابقاً لا نظير له في جهاده، ولا مقارب له في فعله، وقد رأيتك تساميه، وأنت أنت وهو هو، المبرز السابق في كلّ خير، أوّل الناس إسلاماً، وأصدق الناس نيّةً، وأطيب الناس ذرّيّةً، وأفضل النّاس زوجةً، وخير النّاس ابن عمّ، وأنت اللعين بن اللعين، ثم لم تزل أنت وأبوك تبغيان الغوائل لدين الله، وتجهدان على إطفاء نور الله، وتجمعان على ذلك الجموع، وتبذلان فيه المال، وتحالفان فيه القبائل، على ذلك مات أبوك، وعلى ذلك خلفته، والشاهد عليك بذلك من يأوي ويلجأ إليك من بقيّة الأحزاب ورؤوس النفاق والشقاق للرسول صلى الله عليه وآله، والشاهد لعليّ عليه السلام مع فضله المبين وسبقه القديم، أنصاره الذين ذكروا بفضلهم في القرآن، فأثنى الله عليهم من المهاجرين والأنصار، فهم معه عصائب وكتائب، حوله يجاهدون بأسيافهم، ويهريقون دماءهم دونه، يرون الفضل في اتّباعه والشقاء في خلافه، فكيف

ـ يا لك الويل ـ تعدل نفسك بعليّ؟ وهو وارث رسول الله ووصيه، وأبو ولده، وأولى الناس له اتّباعاً، وآخرهم به عهداً، يخبره بسرّه، ويشركه في أمره، وأنت عدوّه وابن عدوّه، فتمتع ما استطعت بباطلك، وليمدد لك ابن العاص في غوايتك.

أجابه معاوية: ذكرت حقّ ابن أبي طالب وقديم سوابقه، وقرابته من نبيّ الله، ونصرته له، ومواساته إيّاه في كلّ خوف وهول، واحتجاجك عليّ فقد كنّا ـ وأبوك معنا ـ في حياة نبيّنا، نرى حقّ ابن أبي طالب لازماً لنا، وفضله مبرزاً علينا، فلمّا اختار الله لنبيّه ما عنده، وأتمّ له ما وعده، وأظهر دعوته، وأفلج حجته، قبضه الله إليه، فكان أبوك وفاروقه أوّل من ابتزه وخالفه على ذلك، اتّفقا واتسقا، ثم دعواه إلى أنفسهم، فأبطأ عنهما وتلكأ عليهما، فهمّا به الهموم وأرادا به العظيم، فبايع وسلم لهما، لا يشركانه في أمرهما ولا يطلعانه على سرّهما، حتى قبضا وانقضى أمرهما ـ إلى أن قال ـ: فخذ حذرك يابن أبي بكر فسترى وبال أمرك، وقس شبرك بفترك، تقصر من أن تساوي أو توازي من تزن الجبال حلمه، لا تلين على قصر قناته ولايدرك ذو مدى أناته، أبوك مهّد مهاده وبنى ملكه وشاده، فإن يكن ما نحن فيه صواباً فأبوك أوّله، وإن يكن جوراً، فأبوك أُسّه ونحن شركاؤه، وبهديه أخذنا، وبفعله اقتدينا، فعب أباك ما بدا لك أوْ دع[1].

وكيف يثني عليهما؟ وقد قال ابن قتيبة وغيره: إنّ علياً عليه السلام أُتي به إلى أبي بكر وهو يقول: أنا عبدالله وأخو رسوله. فقيل له: بايع. فقال: أنا أحقّ بهذا الأمر منكم، لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار،

---

(١) وقعة صفّين: ١١٨، تاريخ الطبري ٤: ٥٥٧، سنة ٣٦، مروج الذهب ٣: ٢٠ ـ ٢٢، شرح ابن أبي الحديد ٣: ١٨٨ ـ ١٩٠.

واحتججتم عليه بالقرابة من النبيّ، وتأخذونه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر لمّا كان محمّد ﷺ منكم؟ فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الامارة، فإذن أحتجُّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله ﷺ حيّاً وميتاً، إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون. فقال له عمر: إنّك لست متروكاً حتى تبايع. فقال له عليّ عليه السلام: احلب حلباً لك شطره وشد له اليوم يردده عليك غداً ـ إلى أن قال ـ: قال عليّ عليه السلام: الله الله يا معشر المهاجرين لا تخرجوا سلطان محمّد ﷺ في العرب من داره وقعر بيته، إلى دوركم وقعور بيوتكم، وتدفعون أهله عن مقامه في الناس وحقّه، فوالله يا معشر المهاجرين لنحن أحقّ النّاس به، لأنّا أهل البيت، ونحن أحقّ بهذا الأمر. ما كان فينا القارئ لكتاب الله، الفقيه في دين الله، العالم بسنن رسول الله ﷺ، المتطلّع لأمر الرعيّة، الدافع عنهم الأمور السيّئة، القاسم بينهم بالسويّة، والله إنّه لفينا، فلاتتبعوا الهوى فتضلّوا عن سبيل الله، فتزدادوا من الحقّ بعداً.

فقال بشير بن سعد الأنصاري: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر ما اختلفت عليك.

فقال عليّ عليه السلام: أفكنت أدع رسول الله ﷺ في بيته لم أدفنه، وأخرج أُنازع الناس بسلطانه[1]؟

وفي (خلفاء ابن قتيبة) أيضاً: وخرج عليّ كرم الله وجهه يحمل فاطمة بنت النبيّ ﷺ على دابّة ليلاً في مجالس الأنصار، تسألهم النصرة فيقولون: يا بنت رسول الله قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق إلينا قبل أبي بكر ما عدلنا به. فقالت فاطمة: ما صنع أبو الحسن عليه السلام إلّا ما كان

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١١ ـ ١٢.

ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم وطالبهم[١].

وفيه: تفقّد أبو بكر قوماً تخلّفوا عن بيعته عند عليّ عليه السلام، فبعث إليهم عمر، فجاء فناداهم وهم في دار عليّ عليه السلام فأبوا أن يخرجوا، فدعا بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أوْ لأحرقنّها على من فيها. فقيل له: إنّ فيها فاطمة. فقال: وإنْ -إلى أن قال-: ثم قام فمشى معه جماعة حتى أتوا بيت فاطمة، فدقّوا الباب فلمّا سمعت أصواتهم نادت بأعلى صوتها: يا أبه يا رسول الله، ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب، وابن أبي قحافة؟ فلمّا سمع القوم صوتها وبكاءها انصرفوا باكين، وكادت قلوبهم تتصدّع وأكبادهم تتفطر، وبقي عمر ومعه قوم، فأخرجوا عليّاً فمضوا به إلى أبي بكر، فقالوا له: بايع. فقال: إن أنا لم أفعل؟ قالوا: إذن والله الذي لا إله إلّا هو، نضرب عنقك. قال: إذن تقتلون عبد الله وأخا رسوله. فقال عمر: أمّا عبد الله فنعم، وأمّا أخا رسوله فلا. وأبو بكر ساكت لا يتكلّم، فقال له عمر: ألا تأمر فيه بأمرك؟ فقال: لا أُكرهه على شيء ما كانت فاطمة إلى جنبه. فلحق عليّ عليه السلام بقبر النبيّ صلى الله عليه وآله، يصيح ويبكي وينادي: ﴿يا بن أُمِّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني﴾[٢] -إلى أن قال بعد ذكر ورودهما على فاطمة عليها السلام وتحويلها وجهها إلى الحايط، وعدم ردّها عليهما جواب سلامهما، ثم تقريرهما بقول النبيّ صلى الله عليه وآله فيها: (رضا فاطمة رضاه وسخطها سخطه) - فقالت لهما فاطمة: فإنّي أُشهد الله وملائكته، أنكما أسخطتماني وما أرضيتماني، ولئن لقيت النبيّ صلى الله عليه وآله، لأشكونكما إليه -إلى أن قال-: فقالت فاطمة لأبي بكر لمّا خرج من عندها: والله لأدعون الله عليك في كلّ صلاة أُصليها -إلى أن قال-: فقال المغيرة لأبي بكر وعمر: الرأي أن تلقوا

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢.

(٢) طه: ٩٤.

العباس، فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجّة على عليّ وبني هاشم إذا كان العباس معكم[١].

وفيه:(في عنوان مرض أبي بكر واستخلافه)، قال أبو بكر: والله ما آسي إلّا على ثلاث فعلتهن ليتني كنت تركتهن -إلى أن قال-: وليتني تركت بيت عليّ وإن كان أُغلق على الحرب -إلى أن قال-: قال أبو بكر لعمر: خذ هذا الكتاب واخرج به إلى النّاس، واخبرهم أنّه عهدي، وسلهم عن طاعتهم. فخرج بالكتاب وأعلمهم فقالوا: سمعاً وطاعة. فقال له رجل: ما في الكتاب؟ قال: لا أدري، ولكنّي أوّل من سمع وأطاع. قال: لكنّي والله أدري ما فيه، أمّرته عام أوّل وأمّرك العام[٢].

وفيه:-(في عنوان تولية عمر الشورى) - قال عمر: سأستخلف النفر الذين توفي النبيّ وهو عنهم راضٍ. فأرسل إليهم فجمعهم -إلى أن قال-: ثمّ قال: إن استقام أمر خمسة منكم وخالف واحد فاضربوا عنقه، وإن استقام أربعة واختلف اثنان فاضربوا أعناقهما، وإن استقام ثلاثة واختلف ثلاثة فاحتكموا إلى ابني عبد الله فلأيّ الثلاثة قضى فالخليفة منهم، فإن أبى الثلاثة الأُخر من ذلك فاضربوا أعناقهم. فقالوا: قل فينا مقالاً نستدل فيها برأيك، ونقتدى به. فقال: والله ما يمنعني أن أستخلفك يا سعد إلّا شدّتك وغلظتك، مع انّك رجل حرب، وما يمنعني منك يا عبدالرحمن إلّا انّك فرعون هذه الأُمّة، وما يمنعني منك يا زبير إلّا انّك مؤمن الرضا كافر الغضب، وما يمنعني من طلحة -وكان غائباً- إلّا نخوته وكبره ولو وليها وضع خاتمه في اصبع امرأته، وما يمنعني منك يا عثمان إلّا عصبيتك وحُبّك قومك، وما يمنعني منك يا عليّ إلّا حرصك

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٢ ـ ١٥، والنقل بتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ١: ١٨ ـ ٢٠، والنقل بتلخيص.

عليها، وانك أحرى القوم، ان ولّيتها تقيم على الحق المبين والصراط المستقيم -إلى أن قال ـ: ثم التفت إلى عليّ عليه السلام فقال: لعل هؤلاء القوم يعرفون لك حقّك وقرابتك وشرفك من النبيّ، وما آتاك الله من العلم والفقه والدين فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فاتق الله يا عليّ فيه، ولا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب الناس -ثم التفت إلى عثمان فقال: يا عثمان لعل هؤلاء القوم يعرفون لك صهرك من النبيّ وسنّك وشرفك وسابقتك فيستخلفونك، فإن وليت هذا الأمر فلا تحمل أحداً من بني أميّة على رقاب الناس -إلى أن قال ـ: فأخذ عبدالرحمن بيد عثمان فقال له: عليك عهد الله وميثاقه لئن بايعتك لتقيمنّ كتاب الله وسنّة رسوله وسنّة صاحبيك. وشرط عمر أن لا تحمل أحداً من بني أميّة على رقاب النّاس، فقال عثمان: نعم -ثم أخذ بيد عليّ عليه السلام فقال له: أبايعك على شرط ألّا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب النّاس. فقال عليّ عليه السلام عند ذلك: مالك ولهذا، إذا جعلتها في عنقي فإن عليّ الاجتهاد لأمّة محمّد حيث علمت القوّة والأمانة استعنت بها في بني هاشم كان أو غيرهم -قال عبد الرحمن: لا والله حتّى تعطيني هذا الشرط، قال عليّ عليه السلام: «والله لا أعطيكه أبداً»، فتركه فقاموا من عنده فخرج عبدالرحمن إلى المسجد فجمع الناس، ثم قال: انّي نظرت في أمر الناس، فلم أرهم يعدلون بعثمان، فلا تجعل يا عليّ سبيلاً على نفسك، فانّه السيف لا غير -ثم أخذ بيد عثمان فبايعه[1].

فترى ان عمر أخذ البيعة من أمير المؤمنين عليه السلام لأبي بكر بالسيف، وان عمر دبّر أيضاً لعثمان أن يؤخذ له من أمير المؤمنين عليه السلام البيعه بالسيف، فكيف يعقل ان يمدحه عليه السلام؟ ولو فرض ألا يكون عليه السلام منصوباً من قبل الله وقبل رسوله، وكيف يعقل ذلك، وقد عرف عليه السلام ان عمر تعمّد صرف الأمر

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢٤ ـ ٢٧، والنقل بتلخيص.

عنه؟ ففي (العقد الفريد) في الشورى، قال عليّ عليه السلام للعبّاس: عدلتْ عنّا، قال: وما أعلمك؟ قال قرن عمر بي عثمان، ثم قال: إن رضى رجلان رجلاً ورجلان رجلاً، فكونوا مع الذين فيهم عبد الرحمان، فلو كان الآخران معي ما نفعاني بعد كون عبد الرحمان مع عثمان[1].

ثم إذا كان في كلّ من السّتة عيب مانع من تعيينه، فكيف جعل الأمر بينهم، ثم إذا كانوا أهلاً للخلافه ومات النبيّ راضياً عنهم، كما زعم، وان ناقض بعد وقال لطلحة مات النبيّ غاضباً عليك للكلمة التي قلتها في نكاح نسائه بعده، كيف يأمر بقتلهم؟

ثمّ إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله عنهم راضياً بالفرض، فما كان عن عمر نفسه راضياً حين موته بالحتم، حيث منعه من وصيّته ونسبه إلى الهجر، حتى غضب النبيّ صلى الله عليه وآله وأمره مع من معه بالخروج عنه.

ثم من كذبه ونفاقه يقول لأمير المؤمنين عليه السلام انّك أحرصهم عليها، مع انّه كان يعلمه بخلافه، ومع كونها حقّه تركها لمّا طلب منه العمل بسنّة الشيخين، وشرط عمر كما تركها يوم السقيفه لئلّا يضمحل الإسلام.

ثم إذا كان اعترف بانّه أولاهم أن يقيم الناس على الحقّ المبين والصراط المستقيم، لِمَ لم يعيّنه؟ وقد قال تعالى: ﴿...أفمن يهدي إلى الحقّ أحقّ ان يتّبع أمن لايهدّي إلّا ان يُهدى فما لكم كيف تحكمون﴾[2]، وقد قال له ابنه عبدالله: إذا كان عليّ هكذا فلِمَ لا تعينه؟ فقال له: انّه لا يقدر أن يراه قائماً بالأمر لا في حياته ولا بعد وفاته.

ثم قوله لعثمان: يعرفون لك صهرك وسنّك وشرفك وسابقتك، فأبو

(١) العقد الفريد ٥: ٢٩.

(٢) يونس: ٣٥.

سفيان أيضاً كان صهره صلى الله عليه وآله، وكان أسنّ من عثمان وأشرف، فانّه كان شيخ بني أُميّة على الإطلاق، وامّا سابقته فلم نعرف له منها غير فراره الطويل العريض يوم أُحد، وفي باقي المواطن، ودفاعه عن أعداء الله وأعداء رسوله، كالمغيرة بن أبي العاص وابن أبي سرح. نعم؛ نعرف لعثمان لاحِقَتَهُ أيّام خلافته.

ثمّ انّ قوله لأمير المؤمنين عليه السلام: لعلّهم يعرفون لك حقّك وقرابتك وشرافتك من الرسول، كيف كانوا يعرفون له حقّه؟ وهو أوّل من أضعف مقامه وهيّأ تزلزل أمره وبه اقتدوا، كما اعترف به معاوية.

ثم انّ قوله له عليه السلام: (وما آتاك الله من العلم والفقه والدين)، كيف سوى مع ذلك بينه وبين عثمان؟ وقد قال تعالى: ﴿...هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون...﴾[1] وقال جل ثناؤه: ﴿أفمن كان مؤمناً كمن كان فاسقاً...﴾[2].

وكيف يقول لعثمان: (فلا تحمل أحداً من بني أُميّة على رقاب النّاس)؟ مع انّه كان يعلم ان ترك عثمان ذلك من المحالات العاديّة، فهل قوله ذلك إلّا نفاق منه وعلم ذلك عثمان، فقبل وما عمل.

وكيف يقول لأمير المؤمنين عليه السلام: لا تحمل أحداً من بني هاشم على رقاب النّاس؟ كما يقول لعثمان لا تحمل أحداً من بني أُميّة على رقاب النّاس، وبنو هاشم أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله ودينهم دينه، وبنو أُميّة أعداء الله وأعداء رسوله.

وكيف يسوّي بينه عليه السلام وبين عثمان؟ ويقول لكلّ منهما: (اتّق الله) وأمير المؤمنين عليه السلام يطلب منه أخوه صاعاً من بر بيت المال زائداً على حقّه اضطراراً، لجوع أطفاله، فيحمي له حديدة ويدنيها من جسمه ليعتبر بها،

---

(١) الزمر: ٩.

(٢) السجدة: ١٨.

وعثمان يُعطي خمس جميع افريقية لمروان الذي كان أخبث من يزيد بن معاوية، ولمّا سمع أمير المؤمنين عليه السلام بأن رجلاً من فتية البصرة دعا عامله عثمان بن حنيف إلى ضيافة فأجابه، كتب إليه ينكر عليه ذلك، بأن ذاك الإطعام لم يكن لله، لأنّه دعا الغني وجفا العائل، فلا ينبغي لعامله إجابته، وعثمان رأى أنّ أخاه لأُمّه الوليد بن عقبة، صلّى الصبح أربعاً بالنّاس في سكره، وغنّى في صلاته، وتكلّم في سجوده فقال: أأزيدكم على الأربع! ولم ينكر عليه ذلك. فهل منشأ تلك المنكرات إلّا عمر؟ فكيف يعقل ثناؤه عليه السلام عليه؟! إن هو إلّا افتراء محض.

ورووا عنه عليه السلام أخباراً أُخر في ثنائه عليه إفتراء وبهتاناً، مثل ما رواه ابن قتيبة، عن ابن عباس قال: وضع عمر على سريره فتكنّفه النّاس يدعون ويصلّون، قبل أن يرفع فلم يرعني إلّا رجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت فإذا عليّ يترحّم على عمر، وقال: والله ما خلفت أحداً أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر، وايم الله ان كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك انّي سمعت النبيّ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، وكنت أنا وأبو بكر وعمر، وإنّي كنت لأظن أن يجعلك الله معهما[1].

وعن عليّ قال: كنت جالساً عند النبيّ فأقبل أبو بكر وعمر فقال: هذان سيّدا كهول أهل الجنّة من الأوّلين والآخرين، إلّا النبيّين والمرسلين، ولا تخبرهما يا عليّ[2].

فانّ الخبر الأوّل وضعوا صدره، في مقابل خبر رواه (فضائل أحمد بن حنبل) عن أبي ذر قال: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: لينتهينّ بنو وليعة أو لأبعثن إليهم رجلاً

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١ ـ ٢.

(٢) المصدر نفسه ١: ١.

كنفسي، يمضي فيهم أمري، يقتل المقاتلة، ويسبي الذريّة، فما راعني إلّا بردّ كف عمر من خلفي فقال: مَن تراه يعني؟ فقلت: ما يعنيك وإنّما يعني عليّاً عليه السلام[١].

وأخذ ذيله من قوله: (والله ما خلّفت أحداً أحبّ أن ألقى الله بمثل عمله منك يا عمر) من قوله عليه السلام لمّا سجّي عمر: «ما أحد أحبّ أن ألقى الله بصحيفته من هذا المسجّى» يعني ليخاصم معه عند ربّه. فغيّره بما فعل.

ولا ننكر أن يقول عليه السلام لعمر: وايم الله إن كنت لأرجو أن يجعلك الله مع صاحبيك، أي: أبي بكر وأبي عبيدة، فإن الثلاثة كانوا أصل السقيفه ـ وزيد ذاك الكلام الركيك: (وذاك انّي كنت سمعت النبيّ يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر وكنت أنا وأبو بكر وعمر ...) تلبيساً.

والخبر الثاني وضعوه في مقابل ما تواتر عن النبيّ صلى الله عليه وآله في الحسنين عليهما السلام انّهما سيّدا شباب أهل الجنّة. ومن المضحك انّهم غيّروا ماورد أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توفي ارتجت الكوفة كالمدينة يوم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله، وجاء رجل باكياً وهو مسرع مسترجع وقال: «رحمك الله يا أبا الحسن، كنت أوّل القوم إسلاماً ...» بألفاظه في أبي بكر، فقالوا كما في (العقد): لمّا قبض أبو بكر وسجّي بثوب ارتجت المدينة كيوم قبض النبيّ صلى الله عليه وآله، وجاء عليّ باكياً مسرعاً مسترجعاً حتّى وقف بالباب، وهو يقول: رحمك الله يا أبابكر كنت أوّل القوم إسلاماً ...[٢].

ومن فقراته: (كنت كالجبل لا تحرّكه العواصف)[٣].

---

(١) فضائل الصحابة لأحمد بن حنبل ٢: ٥٧١ رقم ٩٦٦، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٩٨٣. وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد ٧: ١١٠.

(٢) العقد الفريد ٥: ١٨ ـ ١٩.

(٣) المصدر نفسه.

ولا أدري أين كان هذا الوقار منه، هل في يوم خيبر أو في باقي مشاهده. وبالجملة؛ لا نعلم من الرجل إلّا انّه لم يكن يشهد الحرب، أو يشهد فيفرّ حتّى قال النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا فرّ هو وصاحبه يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله كراراً غير فرار»، بمعنى أنّ الرجلين بالعكس لا يحبّان الله ورسوله ولا يحبّانهما فرارين غير كرارين.

ومن فقراته: (لم يكن لأحد عندك مطمع ولا هوى)[1].

فنسألهم لم يكن لأحد عنده مطمع، حتى لخالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة مسلماً وزنا بإمرأته، حتى أنكر عمر عليه عدم إنكاره على خالد.

والقول بكون الثلاثة غاصبين عند أمير المؤمنين عليه السلام وأهل بيته وشيعته من البديهيات، والأخبار فيه من المتواترات، فكيف يصح ما قالوا؟.

وقد نقل ابن أبي الحديد عند شرح قوله عليه السلام: (وقد قال لي قائل: انّك يابن أبي طالب على هذا الأمر لحريص):

عن يحيى بن سعيد الحنبلي المعروف بابن عالية، وأحد الشهود المعدلين ببغداد قال: كنت حاضراً عند الفخر إسماعيل بن علي الحنبلي الفقيه مقدم الحنابلة ببغداد في الفقه والخلاف، إذ دخل شخص من الحنابلة قد كان له دين على بعض أهل الكوفة، فانحدر إليه يطالبه به واتّفق أن حضرت زيارة الغدير فجعل الفخر يسائله: ما فعلت؟ ما رايت؟ هل وصل مالك إليك؟ وهل بقي منه بقيّة؟ وهو يجاوبه حتّى قال الرجل: يا سيدي لو شاهدت يوم الزيارة يوم الغدير، وما يجري عند قبر علي بن أبي طالب من الفضايح والأقوال الشنيعة وسبّ الصحابة جهاراً بأصوات مرتفعة من غير مراقب ولا خيفة! فقال الفخر: أي ذنب لهم، والله ما جرّأهم على ذلك ولا فتح لهم هذا الباب إلّا صاحب ذاك

(١) العقد الفريد ٥: ١٩.

القبر. فقال الرجل: ومن صاحبه؟ قال: عليّ بن أبي طالب. قال: يا سيدي هو الذي سنّ لهم ذلك وعلّمهم إيّاه؟ قال: نعم والله. قال: يا سيدي فإن كان محقّاً فمالنا نتولّى فلاناً وفلاناً، وان كان مبطلاً فمالنا نتولّاه؟ فقام الفخر وقال: لعنني الله إن كنت أعرف جواب هذه المسألة(١).

وروى الخطيب عن سويد بن غفلة، قال: مررت بنفر من الشيعة يتناولون أبا بكر وعمر بغير ما هما له أهل، فدخلت على عليّ عليه السلام وقلت له ذلك، وقلت له: ولولا أنّهم يرون أنّك تضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترؤا على ذلك. فقال: أعوذ بالله أن أضمر لهما إلّا الحسن الجميل.

وصدق سويد في قوله: لولا أنّهم يرون أنّه عليه السلام يضمر لهما على مثل ما أعلنوا ما اجترؤوا. وصدق عليه السلام في عدم إضماره غير الحسن الجميل، فانه عليه السلام كان لا يضمر غير الحقّ لأحد، والحقّ حسن جميل، ولم يفصح عليه السلام لأن عامّة النّاس كانوا غير عارفين به عليه السلام، وانما كان العارف منهم معدودين.

وضعوا ما مر من العنوان وغيره في قِبال ما جرى من الحقّ على لسانهم، فروى أحمد بن أبي طاهر صاحب (تاريخ بغداد) عن ابن عباس، قال: دخلت على عمر في أوّل خلافته، وقد ألقي له صاع من تمر على خصفة، فدعاني إلى الأكل، فأكلت تمرة واحدة، وأقبل يأكل حتى أتى عليه، ثم شرب من جر كان عنده، واستلقى على مرفقة له، ثم قال: من أين جئت؟ قلت: من المسجد. قال: كيف خلفت ابن عمّك؟ ـ فظننته يعني عبدالله بن جعفر ـ فقلت: خلفته يلعب مع أترابه. قال: لم أعن ذلك، إنّما عنيت عظيمكم أهل البيت. قلت: خلفته يمتح بالغرب على نخيلات من فلان، وهو يقرأ القرآن. قال: يا عبدالله عليك دماء البدن ان كتمتنيها هل بقي في نفسه شيء من أمر الخلافة؟ قلت: نعم. قال:

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

أيزعم أنّ النبيّ نصَّ عليه؟ قلت: نعم؛ وأزيدك: سألت أبي عمّا يدّعيه، فقال: صدق. فقال: لقد كان من النبيّ في أمره ذرو من القول لا يثبت حجّة، ولا يقطع عذراً، ولقد كان يربع في أمره وقتاً ما، ولقد أراد في مرضه أن يصرّح باسمه، فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطة على الإسلام، لا ورب هذه البنيّة لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لا نتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبيّ أنّي علمت ما في نفسه، فأمسك وأبى الله إلّا إمضاء ما حتم[١].

وروى أبو بكر الأنباري في (أماليه): أنّ علياً عليه السلام جلس إلى عمر في المسجد، وعنده ناس فلمّا قام عرض واحد بذكره ونسبه إلى العجب والتيه، فقال عمر: حق لمثله أن يتيه، والله لولا سيفه لمّا قام عمود الإسلام، وهو بعد أقضى الأُمّة وذو سابقتها وذو شرفها. فقال له ذلك القائل: فما منعكم عنه؟ قال: كرهناه على حداثة السنّ وحبّه بني عبدالمطلب[٢]، إلى غير ذلك ممّا لو أردنا استقصاءها لطال الكلام.

ثمّ ما وضعوا له على لسان غيره عليه السلام أكثر واكثر، وقد نقل ابن أبي الحديد الأشهر منها، من كتاب مسلم والبخاري عن عايشة قالت: إنّ النبيّ قال: كان في الأمم محدّثون فإن تكن في أُمّتي فعمر[٣].

وعن سعد بن أبي وقاص قال: استاذن عمر على النبيّ صلى الله عليه وآله وعنده نساء من قريش، يكلّمنّه عالية أصواتهن، فلمّا دخل ابتدرن الحجاب، فدخل والنبيّ يضحك، فقال: عجبت من هؤلاء اللائي كنّ عندي، فلمّا سمعن صوتك ابتدرن الحجاب، فقال عمر: أنت أحقّ أن يهبنك ـ ثم قال لهنّ: أي عدوات أنفسهن

---

(١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٢٠ ـ ٢١.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١٢: ٨٢.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٧.

أتهبنني ولا تهبن النبيّ؟ قلن: نعم أنت أغلظ وأفظّ ـ فقال النبيّ: والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان قط سالكا فجّاً إلّا سلك فجّاً غير فجّك(١).

ومن غير الكتابين خبراً (أنّ السكينة لتنطق على لسان عمر) وخبراً (أنّ الله ضرب بالحقّ على لسان عمر وقلبه) وخبراً (أنّ بين عيني عمر ملكاً يسدّده ويوفّقه) وخبراً (لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر) وخبراً (لو كان بعدي نبيّ لكان عمر) وخبراً (لو نزل إلى الأرض عذاب لمّا نجا إلّا عمر) وخبراً (ما أبطأعنّي جبرئيل إلّا ظننت أنّه بعث إلى عمر) وخبراً (سراج أهل الجنّة عمر) وخبراً (إنّ شاعراً أنشد النبيّ شعراً، فدخل عمر فأشار النبيّ إلى الشاعر أن أُسكت، فلمّا خرج عمر قال له: عد فعاد، فدخل عمر فأشار النبيّ إليه بالسكوت مرّة ثانية، فلمّا خرج عمر سأل الشاعر النبيّ عن الرجل، فقال: هذا عمر بن الخطاب، وهو رجل لا يحب الباطل) وخبراً (أنّ النبيّ قال: وزنتُ بأُمتي فرجحت، ووزن أبو بكر بها فرجح، ووزن عمر بها فرجح ثم رجح)(٢).

قال ابن أبي الحديد ـ بعد نقلها ـ: رووا في فضل عمر حديثاً كثيراً غير هذا، لكنّا ذكرنا الأشهر، وطعن أعداؤه في هذه الأحاديث فقالوا: لو كان محدّثاً لمّا اختار معاوية الفاسق لولاية الشام، ولكان الله تعالى قد ألهمه وحدّثه بما يواقع معاوية من القبايح والمنكرات والبغي، والتغلب على الخلافة والاستيثار بمال الفيء وغير ذلك(٣).

قلت: وان كان الخبر. (كان عمر محدِثاً) ـ بلفظ اسم الفاعل من الافعال ـ فصحيح، فقد أحدث تحريم المتعتين، والعول، والتعصيب، والتراويح، وغير

---

(١) المصدر نفسه ١٢: ١٧٧ ـ ١٧٨.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٨.

(٣) المصدر نفسه ١٢: ١٧٩.

ذلك ممّا أبدعه في الدين.

قال ابن أبي الحديد: قالوا: وكيف لا يزال الشيطان يسلك فجّاً غير فجّه وقد فرّ مراراً من الزحف في أُحد وحنين وخيبر، والفرار من الزحف من عمل الشيطان؟[١]

قلت: يمكن تصحيح الخبر بأن إن لقيه سالكاً فجّاً يطمئن بأنه يعمل عمله فيسلك فجاً آخر لأنّه كفاه ذلك الفج.

قال ابن أبي الحديد؛ قالوا: وكيف يدّعى له أنّ السكينة تنطق على لسانه، أترى كانت السكينة تلاج النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبية حتى أغضبه[٢].

قلت: وبسكينته التي تنطق على لسانه منَع النبيّ صلى الله عليه وآله من الوصيّة، وقال: إنّ الرجل ليهجر.

قال ابن أبي الحديد: قالوا: ولو كان ينطق على لسانه ملك أو بين عينيه ملك يسدده ويوفقه، أو ضرب الله بالحقّ على لسانه وقلبه، لكان نظيراً للنبي صلى الله عليه وآله، بل أفضل منه، لأنّ النبي صلى الله عليه وآله كان يؤدي عن ملك، وعمر كان ملك ينطق على لسانه، وزيد ملكاً آخر بين عينيه يسدده ويوفقه، وقد كان حكم في أشياء فيُخطئ فيها حتى يُفهمه إيّاها علي عليه السلام ومعاذ بن جبل وغيرهما، حتى قال: (لولا عليّ لهلك عمر) (ولولا معاذ لهلك عمر). وكان يشكل عليه الحكم فيقول لابن عباس: غص يا غواص فيفرج عنه. فأين كان الملك المسدّد له، وأين الحق الذي ضرب به على لسان عمر؟ ومعلوم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان ينتظر نزول الوحي، وعمر على مقتضى هذه الأخبار، لا حاجة به إلى نزول ملك عليه، لأن الملكين معه في كلّ وقت، وقد عززا بثالث وهي السكينة،

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٩.

(٢) المصدر نفسه.

فهو إذن أفضل من النبيّ صلى الله عليه وآله.

وقالوا: والحديث الذي مضمونه: (لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر)، يستلزم أن يكون النبيّ عذاباً على عمر لأنّه لو لم يُبعث لبعث، فالتنزيل له عن هذه الرتبة التي ليس وراءها رتبة، ينبغي ألّا يكون في الأرض أحد أبغض إليه منه.

وأمّا كونه سراج أهل الجنّة؛ فيقتضي أنّه لولا عمر لكانت الجنّة مظلمة لا سراج فيها.

قالوا: وكيف يجوز أن يُقال: (لو نزل العذاب لم ينج منه إلّا عمر)؟ والله تعالى يقول: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم﴾[1].

قالوا: وكيف يجوز أن يُقال إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان يسمع الباطل ويحبّه ويشهده، وعمر لا يسمع الباطل ولا يشهده ولا يحبه؟ أليس هذا تنزيهاً لعمر عمّا لم يُنزه عنه النبيّ صلى الله عليه وآله؟

قالوا: ومن العجب أن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله أرجح من الأمة يسيراً وكذلك أبو بكر، ويكون عمر أرجح منهما كثيراً[2].

ثم أجاب ابن أبي الحديد عن تلك الطعون بمغالطات وتأويلات، كما أنّه نقل مطاعنه التي ذكرها الإمامية، ونقل رد المرتضى على قاضي القضاة في دفاعه عنها، وأجاب عنها بمغالطات، وأغرب حيث قال ـ: واعلم أنّ من تصدّى للعيب وجده، ومن قصر همّته على الطعن على النّاس انفتحت له أبواب كبيرة، والسعيد من أنصف ورفض الهوى وتزوّد التقوى[3].

قلت: فإذا كان الأمر كما ذكر، فليكن الطعن على إلهية الأوثان وعلى نبوّة

---

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢ : ١٨٠ ـ ١٨٢.

مسيلمة، خلاف التّقوى، إلّا أنّ المكابر لا علاج له، وإلّا فمن أراد إحراق أهل بيت نبيّه الذين شَهِدَ كتاب الله بعصمتهم وطهارتهم، ومنع نبيّه ﷺ عن وصيّته ونسبه إلى الهجر، وأمر بقتل من كان بمنزلة نفس النبيّ ﷺ بنص القرآن، وتخلّف عن جيش لعن النبيّ ﷺ المتخلّف عنه، وآذى من كان أذاه أذى الله وأذى رسوله ـ وكلّ ذلك من المقطوع الذي يقرّ الخصم به ـ كيف يعقل أن يكون محقّاً؟ اللهمّ إلّا أنّ يقولوا: أن دين محمّد ﷺ كان باطلاً، وانما كان دين عمر حقّاً، وهو لازم قولهم.

ولقد حاجّ المأمون فقهاءهم في أحاديثهم المفتعلة، وقد نقل ذلك محمّد بن بابويه في (عيونه)، وابن عبد ربّه في (عقده) بزيادة ونقصان قال: واللفظ للأوّل، أمر المأمون يحيى بن أكثم بجمع أربعين رجلاً من أهل الكلام والحديث من أهل السنة، فجمع فقال لهم المأمون: إنّما جمعتكم لأحتجّ بكم عند الله؛ فاتّقوا الله وانظروا لأنفسكم وإمامكم، لا يمنعكم جلالتي ومكاني من قول الحقّ حيث كان، وردّ الباطل على من أتى به، فناظروني بجميع عقولكم.

إنّي رجل أزعم أنّ عليّاً عليه السلام خير البشر بعد النبيّ ﷺ، فإن كنت مصيباً فصوِّبوني، وإن كنت مخطئاً فردّوا عليّ، وإن شئتم سألتكم، وإن شئتم سألتموني. فقال له الذين يقولون بالحديث: بل نسألك، فقال قائل منهم: إنّا نزعم أن خير النّاس بعد النبيّ أبو بكر وعمر، من قبل أنّ الرواية المجمع عليها جاءت عن النبيّ أنّه قال: اقتدوا بالذين من بعدي أبو بكر وعمر، وعلمنا أنّه لم يأمر إلّا بالاقتداء بخير النّاس.

فقال المأمون: الروايات كثيرة، ولابد أن يكون كلّها حقّاً، أو كلّها باطلاً، أو بعضها حقّاً وبعضها باطلاً. فلو كانت كلّها حقّاً كانت كلّها باطلاً، من قبل أنّ بعضها ينقض بعضاً. ولو كان كلّها باطلاً، كان في بطلانها بطلان الدين

ودروس الشريعة، فلمّا بطل الوجهان ثبت الثالث بالاضطرار، وهو أن بعضها حقّ وبعضها باطل، فإذا كان كذلك فلابد من دليل على ما يحقّ منها ليعتقد وينفى خلافه.

ورواياتك هذه من الأخبار التي أدلّتها باطلة في أنفسها، وذلك أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله أحكم الحكماء، وأولى النّاس بالصدق، وأبعد النّاس من الأمر بالمحال، وحمل النّاس على التديّن بالخلاف -إلى أن قال-: فإن كان أبو بكر وعمر مختلفين فكيف يجوز الاقتداء بهما؟ وهذا تكليف ما لا يطاق، لأنّك إذا اقتديت بواحد فقد خالفت الآخر.

والدليل على اختلافهما: أنّ أبا بكر سبى أهل الردة وردّهم عمر أحراراً، وأشار عمر على أبي بكر بعزل خالد وقتله بمالك بن نويرة، فأبى أبو بكر عليه، وحرم عمر المتعتين ولم يفعل ذلك أبو بكر -إلى أن قال-:

فقال آخر: إنّ النبيّ قال: (لو كنت متّخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً).

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ رواياتكم ان النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا آخى بين أصحابه آخى عليّاً عليه السلام وقال له: (ما أخّرتك إلّا لنفسي).

فقال الآخر: إنّ عليّاً قال على المنبر: (خير هذه الأُمّة بعد نبيّها أبو بكر وعمر).

قال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لو علم أنّهما أفضل، ما ولّى عليهما مرّة عمرو بن العاص ومرّة أُسامة بن زيد. وممّا يكذب هذه الرواية قول عليّ عليه السلام لمّا قبض النبيّ صلى الله عليه وآله: أنا أولى بمجلسه منّي بقميصي، ولكنّي أشفقت أن يرجع النّاس كفّاراً.

فقال آخر: فإنّ أبا بكر أغلق بابه وقال: (هل من مستقيل فأقيله)؟ فقال عليّ: (قدّمك النبيّ فمن ذا يؤخرك).

فقال المأمون: هذا باطل من قبل أنّ علياً عليه السلام قعد عن بيعة أبي بكر. ورويتم حتّى قبضت فاطمة عليها السلام، وأنّها أوصت أن تُدفن ليلاً لئلّا يشهدا جنازتها. وأيضاً: إن كان النبيّ صلى الله عليه وآله استخلفه فكيف كان له أن يستقيل، وكيف يقول للأنصار: قد رضيت لكم أحد هذين الرجلين أبا عبيدة وعمر؟

فقال آخر: إنّ عمرو بن العاص قال: يا نبيّ الله من أحب النساء إليك من النساء؟ قال عايشة، فقال: مَنْ من الرجال؟ فقال: أبوها.

فقال: هذا باطل من قبل أنكم رويتم أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله كان بين يديه طائر مشوي فقال: اللهمّ ائتني بأحبّ خلقك إليك، فكان عليّ عليه السلام.

فقال آخر: فإنّ علياً عليه السلام قال: من فضّلني على أبي بكر وعمر جلدته حدّ المفتري.

فقال المأمون: كيف يجوز أن يقول عليّ عليه السلام: أجلد الحد على من لا يجب حدّ عليه، فيكون متعدياً لحدود الله عاملاً بخلاف أمره؟ وليس تفضيل من فضله عليهما فرية، وقد رويتم عن إمامكم أنّه قال: وليّتكم ولست بخيركم.

فقال آخر: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال: أبو بكر وعمر سيّدا كهول أهل الجنّة.

قال المأمون: هذا الحديث محال، لأنّه لا يكون في الجنّة كهل.

فقال آخر: جاء أنّ النبيّ قال: لو لم أُبعث فيكم لبعث عمر.

فقال المأمون: هذا محال لأن الله تعالى يقول: ﴿إنّا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيّن من بعده...﴾[1] ـ وقال ـ: ﴿وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم...﴾[2] فهل يجوز أن يكون من لم يؤخذ ميثاقه مبعوثاً ومن أُخذ مؤخّراً؟

---

(١) النساء: ١٦٣.

(٢) الأحزاب: ٧.

قال آخر: إنّ النبيّ نظر إلى عمر يوم عرفة فتبسم فقال: إنّ الله باهى بعباده عامّة وبعمر خاصّة.

فقال المأمون: هذا مستحيل من قبل أنّ الله لم يكن ليباهي بعمر ويدع نبيّه.

فقال آخر: قال النبيّ: لو نزل العذاب ما نجا إلّا عمر.

فقال المأمون :هذا خلاف الكتاب لأن الله تعالى يقول: ﴿وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم...﴾[١].

فقال آخر: فقد شهد النبيّ لعمر بالجنّة في عشرة من أصحابه.

فقال المأمون: لو كان هذا كما زعمتم لكان عمر لا يقول لحذيفة: نشدتك الله أمن المنافقين أنا؟ فان كان النبيّ صلى الله عليه وآله قد قال له إنّك من أهل الجنّة ولم يصدقه حتّى زكّاه حذيفة، فصدّق حذيفة ولم يصدّق النبيّ صلى الله عليه وآله فهو على غير الإسلام، وان كان قد صدَّقَ النبيَّ صلى الله عليه وآله فلِمَ سأل حذيفة؟

قال الآخر: قال النبيّ صلى الله عليه وآله: وضعت في كفّة الميزان ووضعت أُمّتي في كفّة أُخرى فرجحت بهم، ثم وضع مكاني أبو بكر فرجح بهم، ثم عمر فرجح بهم ثم رفع الميزان.

فقال المأمون: إن كانت أجسامهما فمحال أن ترجح بأجسام الأُمّة، وإن كانت أعمالهما فلم تكن بعد فكيف يرجح بما ليس ـ الخ[٢].

ثمّ أنّهم كما رووا عنه عليه السلام الثناء عليه، رووا عن ابن عباس أيضاً الثناء عليه، فقال ابن قتيبة في (خلفائه) ـ بعد ذكر طعن أبي لؤلؤ لعمر ـ: قال عمر لابن عبّاس: لو أنّ لي ما طلعت عليه الشمس وما غربت لافتديت به من هول

(١) الأنفال: ٣٣.

(٢) عيون الأخبار للصدوق ٢: ١٨٣ ـ ١٨٨، وعنه البحار ٤٩: ١٨٩ ـ ١٩٥، العقد الفريد ٥: ٣٤٩ ـ ٣٥٩، والنقل بتصرّف وتلخيص.

المطلع، فقال له ابن عبّاس: فإن يك ذاك فجزاك الله عنّا خيرا، أليس قد دعا النبي أن يعزّ الله بك الدين والمسلمون محتبسون بمكة، فلمّا أسلمتَ كان إسلامك عزّاً أعزّ الله به الإسلام وظهر النبيّ وأصحابه، ثم هاجرت إلى المدينة فكانت هجرتك فتحاً، ثم لم تغب عن مشهد شهده النبي من قتال، ومات وهو عنك راض، ثم ارتد النّاس بعد النبيّ ﷺ عن الإسلام فوازرت الخليفة على منهاج النبيّ، وضربتم من أدبر بمن أقبل حتّى دخل النّاس في الإسلام طوعاً وكرهاً، ثم قبض الخليفة وهو عنك راض، ثم ولّيت بخير ما يلي أحد من النّاس، مصر بك الأمصار وجبى بك الأموال ونفى بك العدو، وأدخل الله على أهل كل بيت من المسلمين توسعة في أرزاقهم، ثم ختم الله لك بالشهادة فهنيئاً لك فصبّ الله الثناء عليك صبّاً ـ فقال له عمر: أتشهد لي بهذا يا عبدالله عند الله يوم القيامة؟ قال: نعم، فقال عمر: اللّهمّ لك الحمد[1].

ولا نقول إنّه حتماً موضوع مثل ما رووه عن أميرالمؤمنين عليه‌السلام فيه، فإنّ ابن عبّاس لم يكن معصوماً وكان يستعمل السياسة، وقد كان أشار على أميرالمؤمنين عليه‌السلام أن يُبقي معاوية على الشام، ويولّي طلحة البصرة والزبير الكوفة حتى يستقر أمر خلافته، فأنكره عليه‌السلام؛ وخدع أبا موسى بوضع كتاب على لسانه عليه‌السلام إليه بإبقائه على الإمارة. ففي (جمل المفيد): أنّه عليه‌السلام كتب إلى أبي موسى مع ابن عبّاس كتاباً غلظ فيه، قال ابن عبّاس: فقلت في نفسي: أُقدم على رجل وهو أمير بمثل هذا الكتاب، ألا ينظر في كتابي هذا، ونظرت أن أشقّ كتاب أميرالمؤمنين عليه‌السلام وكتبت من عندي كتاباً عنه عليه‌السلام لأبي موسى: (أمّا بعد فقد عرفت مودّتك إيّانا أهل البيت وانقطاعك إلينا، وانّما نرغب إليك لمّا نعرف من حسن رأيك فينا، فإذا أتاك كتابي هذا فبايع لنا النّاس) فدفع إليه

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٢١ ـ ٢٣، والنقل بتلخيص.

الكتاب، فلمّا قرأه قال لي: أنت الأمير، قلت: بل أنت، فدعا النّاس إلى بيعة علي عليه السلام فلمّا بايع النّاس قمت وصعدت المنبر فرام إنزالي ـ الخ[١].

وابن عباس هو الذي كان يحاجّ عمر ويفحمه في كون الأمر لأمير المؤمنين عليه السلام وغاصبيته فكيف يُثني عليه لولا استعماله السياسة.

ومن محاجاته معه ما في (الطبري) وغيره؛ عن ابن عمر قال: كنت عند أبي يوماً فجرى ذكر الشعر فقال: من أشعر العرب؟ فقالوا فلان وفلان، فطلع ابن عبّاس فقال عمر: قد جاء الخبير، من أشعر النّاس يا عبد الله؟ قال: زهير بن أبي سلمى. قال: فأنشدني له ممّا تستجيده. فقال: إنّه مدح قوماً من غطفان يقال لهم بنو سنان، فقال فيهم:

لو كان يقعد فوق الشمس من كرم ... قوم بأولهم أو آخرهم قعدوا

قوم سنان أبوهم حين تنسبهم ... طابوا وطاب من الأولاد ما ولدوا

إنس إذا أمنوا جن إذا فزعوا ... مرزاون بها ليل إذا جهدوا

محسدون على ما كان من نعم ... لا ينزع الله عنهم ما له حسدوا

فقال عمر: قاتله الله لقد أحسن، ولا أرى هذا البيت يصلح إلّا لهذا البيت من هاشم لقرابتهم من رسول الله. فقال له ابن عباس: وفّقك الله فلم تزل موفّقاً، قال: يابن عبّاس أتدري ما منع النّاس منكم؟ قال: لا. قال: لكنّي أدري. قال: ما هو؟ قال: كرهت قريش أن تجمع لكم النبوّة والخلافة فتجحفوا النّاس جحفاً، فنظرت قريش لأنفسها فاختارت ووفقت فأصابت. فقال ابن عباس: أيميط الخليفة عنّي غضبه فيسمع. قال: قل ما تشاء. قال: أمّا قولك (إنّ قريشاً كرهت) فإنّ الله تعالى قال لقوم: ﴿ذلك بأنّهم كرهوا ما أنزل الله فأحبط أعمالهم﴾[٢].

---

(١) الجمل للمفيد: ٢٦٥.

(٢) محمّد: ٩.

وأمّا قولك: إنّا نجحف بالخلافة، فلو جحفنا بالخلافة جحفنا بالقرابة، ولكننا قوم أخلاقنا مشتقة من خلق رسول الله ﷺ، الذي قال تعالى فيه: ﴿وإنّك لعلى خلق عظيم﴾[١]، وقال له: ﴿واخفض جناحك لمن اتبّعك من المؤمنين﴾[٢].

وأمّا قولك إنّ قريشاً اختارت فإنّ الله تعالى يقول: ﴿وربّك يخلق ما يشاء ويختار ماكان لهم الخيرة...﴾[٣]، وقد علمت أنّ الله اختار من خلقه لذلك من اختار، فلو نظرت قريش من حيث نظر الله لها لوُفّقت وأصابت.

فقال عمر: على رسلك يابن عبّاس أبت قلوبكم يا بني هاشم إلّا غشّاً لقريش لا يزول، وحقداً عليها لا يحول.

فقال ابن عباس له: مهلاً لا تنسب قلوب بني هاشم إلى الغشّ فإنّ قلوبهم من قلب رسول الله الذي طهّره وزكّاه، وهم أهل البيت الذين قال تعالى فيهم: ﴿...إنّما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا﴾[٤].

وأمّا قولك (حقداً) فكيف لا يحقد من غصب شيئه ويراه في يد غيره؟

فقال عمر: أمّا أنت يا عبدالله فقد بلغني عنك كلام أكره أن أُخبرك به فتزول منزلتك عندي.

قال: وما هو أخبرني به؟ فان يكُ باطلاً فمثلي أماط الباطل عن نفسه، وإن يك حقّاً فإن منزلتي عندك لا تزول به.

قال: بلغني أنّك لا تزال تقول: أُخذ هذا الأمر منّا حسداً وظلماً.

قال: أمّا قولك حسداً فقد حسد إبليس آدم فأخرجه من الجنّة، فنحن بنو

---

(١) القلم: ٤.

(٢) الشعراء: ٢١٥.

(٣) القصص: ٦٨.

(٤) الأحزاب: ٣٣.

آدم المحسودون، وأمّا قولك ظلماً فإنّ الخليفة يعلم صاحب الحقّ مَنْ هو.

فقال عمر: قم الآن فارجع إلى منزلك.

فقام، فلمّا ولى هتف به عمر: أيّها المنصرف إنّي ـ على ما كان منك ـ لراعٍ حقّك.

فالتفت ابن عباس فقال: إنّ لي عليك وعلى كلّ المسلمين حقّاً برسول الله صلى الله عليه وآله، فمن حفظه فحقّ نفسه حفظ، ومن أضاعه فحقّ نفسه أضاع[1].

ثم مضى، فقال عمر لجلسائه: واهاً لابن عبّاس ما رأيته لاحى أحداً قط إلّا خصمه[2].

فكيف يُثني عليه هذا الثناء مع وضوح عدم واقعية تلك الفقرات، أمّا كون إسلامه عزّاً للإسلام فهل كان ذا شجاعة أو عشيرة؟ انّما كانت شجاعته على الأسراء لا في الحروب كما قال: اسدُ عليّ وفي الْحروبِ نعامة.

ولِمَ لم يذهب إلى مكة؛ لمّا أراد النبيّ صلى الله عليه وآله أن يرسله قبل الشجرة، مع عدم قتله أحداً من قريش أو غيرهم؟ فاعتذر بخوفه وعدم عشيرة له تمنعه كما تكون بنو أُميّة لعثمان، وانّما كان عزّ الإسلام أوّلاً بأمير المؤمنين عليه السلام، فمر كتاب محمّد بن أبي بكر إلى معاوية وآثر عليّ عليه السلام النبيّ صلى الله عليه وآله على كلّ حميم ووقاه كلّ هول، وواساه بنفسه في كل حرب، فحارب حربه وسالم سلمه، فلم يزل مبتذلاً لنفسه ساعات الازل ومقامات الروع. ومع أن قريشاً كانوا ينظرون إليه نظر الثور إلى الجازر، أخذ عليه السلام سورة (براءة) من أبي بكر، وذهب بها إلى مكّة وحده، وبلّغ آياتها، وكانت قريش معه عليه السلام كما قال القائل: (لو يشربون دمي لم يرو شاربهم). ثم بعده حمزة أسد الله وأسد رسوله، الذي

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٢٢٢ ـ ٢٢٤، سنة ٢٣، شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٥٢ ـ ٥٤.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٥٥.

كان له تلك الشجاعة المعروفة وتلك العزّة الهاشميّة، حتّى كان يقدر على ضرب أبي جهل الذي كان أكبر جبّاري قريش.

فإن قالوا إسلامه كان سبباً لنجاة المسلمين من شرّه فلعل.

فقالوا: أصحّ ما روي في إسلامه رواية أنس عنه، قال: خرجت متقلّداً سيفي فلقيت رجلاً من بني زهرة، فقال: أين تعمد؟ قلت: أقتل محمّداً، قال: وكيف تأمن في بني هاشم وبني زهرة؟ فقلت: ما أراك إلّا صبوت، قال: أفلا أدلّك على العجب، إنّ أُختك وزوجها قد صبوا، فمشى عمر فدخل عليهما وعندهما رجل من الصحابة يقال له خباب بن الارت، فلمّا سمع عمر حس عمر توارى، فقال عمر: ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم؟ وكانوا يقرؤون (طه) على خباب، فقالا: ما عندنا شيء إنّما هو حديث كنّا نتحدّثه بيننا، قال: فلعلّكما قد صبوتما، فقال له ختنه: «أرأيت يا عمر إن كان الحق في غير دينك». فوثب على ختنه فوطأه وطأً شديداً، فجاءت أُخته فدفعته عن زوجها، فنفحها بيده فأدمى وجهها، فجاهرته فقالت: ان الحقّ في غير دينك...

ثمّ إنّ من المضحك قوله: (فكانت هجرتك فتحاً)، فهل كانت المدينة حرباً حتّى تكون هجرته فتحاً. كما أن قوله: (لم تغب عن مشهد)، أي فائدة فيه؟ إذ كان لم يظهر فيها أثراً سوى الفرار وتولية الدبر.

كما أنّ قوله: (مات النبي صلى الله عليه وآله وهو عنك راض) كيف يصح؟ وقد اعترض عمر على النبيّ صلى الله عليه وآله في الحديبية، وفي مرض موته حتّى أغضبه فأخرجه من عنده، وبعد خروجه مات النبيّ صلى الله عليه وآله.

كما أنّ قوله: (فوازرت الخليفة على منهاج الرسول) كيف يصح؟ وعمر كان معتقداً أنّ الخليفة خالف الرسول في قضية خالد بن الوليد مع مالك بن نويرة، وأما قبض الخليفة راضياً عنه فلا ننكره، وكيف لا يكون راضياً عنه

وقد جعله خليفة وشكره فردّه عليه جزاء فعله.

كما أنّ قوله: (ومصّر بك الأمصار)، أي أثر فيه؟ وكان الأكاسرة والقياصرة أكثر آثاراً منه في ذلك.

وقوله: (ثم ختم الله لك بالشهادة)، فيه أنّ الشهادة المحققّة القتل في غزوات النبي صلى الله عليه وآله وقوله: (صبّ الله عليك الثناء صبّاً) فيه أنّه فرع ما عرفت أصله.

كما أنّ قول عمر: (وتشهد لي بهذا عند الله يا عبد الله) فيه دلالة على انّه كان شاكّاً في نفسه، ثم هل يحتاج الله إلى شاهد وهو حاكم شاهد؟ واذا كانت شهادة الاتباع نافعة لم يهلك أحد من الجبابرة.

ومن المضحك أنّ ابن أبي الحديد نقل خبراً: ان ابن عباس قال: قلت لعمر «كنت تقضي بالكتاب وتقسم بالسويّة»[1]، فأعجبه قولي، فاستوى جالساً، فقال: أتشهد لي بهذا يا بن عباس؟ فكفعت ـ أي: جبنت ـ فضرب عليّ بين كتفي وقال: اشهد.

فالرجل لم يكن عارفاً بالكتاب حتى يقضِ به، وقد ردّت عليه امرأة في أنفها فطس، لمّا حظر على النّاس الزيادة على مهر السنّة، بكون حكمه مخالف الكتاب فقال تعالى: ﴿...وأتيتم إحداهنّ قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً...﴾[2]، فقال عمر: ألا تعجبون من امرأة أصابت وإمام أخطأ.

ومن أين قسم بالسويّة؟ ومن مطاعنه عدم تقسيمه بالسوية، قبّح الله ديناً كلّه كذب وافتراء وتناقض وتخليط، وخلاف مقتضى العقول، وضد كلام الله تعالى ونص الرسول صلى الله عليه وآله.

ثم كيف يقول أمير المؤمنين عليه السلام لابن عباس: اشهد له بما قلت له، ثم

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٨: ٥٣ باب ٧٠.

(٢) النساء: ٢٠.

يقول عليه السلام في أوّل خلافته: غصبونا سلطان نبيّنا فصارت الإمرة لغيرنا، وصرنا سوقة يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور وجزعت النفوس.

وقد كان ينبغي عند سماع هذا الكلام منه عليه السلام، ان يشق الجيوب ويلطم الخدود لمّا جرى عليهم، فهل ماتت فاطمة التي كانت بضعة من الرسول صلى الله عليه وآله كمداً إلّا من عمر ؟ وهل قُتل أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو بمنزلة نفس الرسول، والحسنان اللذان ابنا الرسول، وشهد القرآن بعصمة جميعهم وطهارتهم من كلّ رجس، إلّا من عمل عمر؟

٢٧
الحكمة (٤٦٧)

وقال عليه السلام في كلام له:

وَوَلِيَهُمْ والٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتّى ضَرَبَ الدّينُ بِجرانِه.

قول المصنف:

«وقال عليه السلام في كلام له عليه السلام» قال ابن أبي الحديد: هذا الكلام من خطبة له عليه السلام طويلة، يذكر فيها قربه من النبيّ صلى الله عليه وآله واختصاصه عليه السلام به صلى الله عليه وآله، وإفضائه صلى الله عليه وآله بأسراره إليه عليه السلام، حتى قال عليه السلام فيها: «فاختار المسلمون بآرائهم رجلاً منهم، فقارب وسدّد حسب استطاعته على ضعف وجد كانا فيه، ثم وليهم بعده وال فأقام واستقام، حتى ضرب الدين بجرانه على عسف وعجرفية كانا فيه، ثم استخفلوا ثالثاً لم يكن يملك في أمر نفسه شيئاً غلب عليه أهله، فقادوه إلى اهوائهم كما تقود الوليدة البعير المخطوم، فلم يزل الأمر بينه وبين النّاس يبعد تارة ويقرب أُخرى، حتى نزوا عليه فقتلوه ثم جاؤوني

مدب الدبا يريدون بيعتي» وتمام الخطبة معروف[١].

«فاقام واستقام» أي: لم يكن عمر مثل عثمان لم يكن يملك أمر نفسه، وكان عمر بالضدّ، كان مستبداً.

«على عسف وعجر فية كانا فيه» كقوله عليه السلام في الشقشقية: «حوزة خشناء يغلظ كلمها ويخشن مسّها ويكثر العثار فيها، فصاحبها كراكب الصعبة، ان أشفق لها خرم وان أسلس لها تقحم[٢].

والعسف: الأخذ على غير طريق والعجرفيه الخرق،

«حتى ضرب الدين بجرانه» أي: الفتوحات الواقعة في أيّامه، في فارس والروم فإن السلطة سبب لاستحكام الأمر.

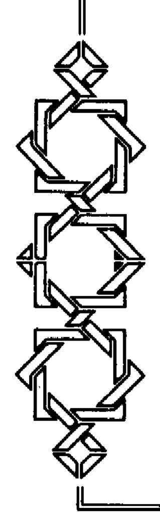
وجران البعير والفرس مقدم عنقهما.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢١٨.

(٢) نهج البلاغة ١: ٢٨، الخطبة ٣.

الفصل الثلاثون

في بيعته عليه السلام





١
الخطبة (٥٤)

ومن خطبة له عليه السلام :

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ الهِيمِ يَوْمَ وُرُودِها، قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا، وَخَلَعَتْ مَثَانِيهَا؛ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قاتِلِيَّ، أَوْ بَعْضُهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلَّبْتُ هَذَا ٱلْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ، فَما وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ الْجُحُودُ بِمَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وآله؛ فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ القِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ العِقَابِ، وَمَوْتَاتُ الدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ الآخِرَةِ.

والخطبة (٢٢٩)

ومن كلام له عليه السلام في وصف بيعته بالخلافة، وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة :

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا؛ حَتَّى ٱنْقَطَعَت النَّعْلُ، وَسَقَطَ

الرِّدَاءُ، وَوُطِئَ الضَّعِيفُ، وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ٱبْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ، وَهَدَجَ إِلَيْهَا ٱلْكَبِيرُ، وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا ٱلْـعَلِيلُ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا ٱلْكِعَابُ.

أقول: قال ابن أبي الحديد بعد الأوّل: ذكر أبو مخنف في كتاب (الجمل): أنّ الأنصار والمهاجرين اجتمعوا في مسجد النبي صلى الله عليه وآله لينظروا من يولّونه أمرهم حتّى غص المسجد بأهله، فاتفق رأي عمار وأبي الهيثم بن التهيان و رفاعة بن رافع ومالك بن عجلان وأبي أيوب على إقعاد أمير المؤمنين عليه السلام في الخلافة، وكان أشدهم تهالكاً عليه عمّار فقال لهم: «أيُّها الأنصار! قد سار فيكم عثمان بالأمس بما رأيتموه، وأنتم على شرف من الوقوع في مثله إن لم تنظروا لأنفسكم، وإنّ علياً عليه السلام أولى الناس بهذا الأمر لفضله وسابقته» فقالوا حينئذٍ بأجمعهم لبقيّة الناس من الأنصار والمهاجرين: «أيّها الناس إنّا لن نألوكم خيراً وأنفسنا إن شاء الله، وإنّ علياً عليه السلام من قد علمتم، وما نعرف مكان أحد أحمل لهذا الأمر منه، ولا أولى به». فقال الناس بأجمعهم: قد رضينا وهو عندنا على ما ذكرتم وأفضل وقاموا كلّهم فأتوا علياً عليه السلام فاستخرجوه من داره وسألوه بسط يده فقبضها، فتداكوا عليه تداك الإبل الهيم على ورودها حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً، فلمّا رأى ما رأى سألهم أن تكون بيعته في المسجد ظاهرة للناس، وقال عليه السلام: إن كرهني رجل واحد لم أُدخل في هذا الأمر.

فنهض الناس معه حتّى دخل المسجد، فكان أوّل من بايعه طلحة، فقال قبيصة بن ذؤيب الأسدي: تخوفت ألّا يتم أمره لأنّ أوّل يد بايعته شلاء، ثم بايعه الزبير وبايعه المسلمون بالمدينة، إلّا محمّد بن مسلمة وعبد الله بن عمر وأُسامة بن زيد وسعد بن أبي وقاص وكعب بن مالك وحسان بن ثابت وعبد

الله بن سلام، فأمر بإحضار عبد الله بن عمر فقال له: بايع. قال: لا أُبايع حتّى يبايع جميع الناس. فقال له علي عليه السلام: فأعطني حميلاً أن لا تبرح. قال: لا أُعطيك. فقال الأشتر له عليه السلام: إنّ هذا قد أمِن سوطك وسيفك، فدعني أضرب عنقه. فقال عليه السلام: لست أُريد ذلك منه على كره، خلوا سبيله، لقد كان صغيراً وهو سيئ الخلق، وهو في كبره أسوأ خلقاً. ثم أُتي بسعد بن أبي وقاص، فقال له عليه السلام: بايع، فقال له: خلّني فاذا لم يبق غيري بايعتك، فو الله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً. فقال عليه السلام: صدق، خلوا سبيله. ثم بعث إلى محمّد بن مسلمة، فلمّا أتاه قال له: بايع. قال: إنّ النّبي أمرني اذا اختلف الناس وصاروا هكذا ـ وشبّك بين أصابعه ـ أن أخرج بسيفي فأضرب عرض أحد، فإذا تقطع اتيت منزلي فكنت فيه، لا أبرحه حتّى تأتيني يدٌ خاطفة أو منيّة قاضية. فقال عليه السلام له: فانطلق اذن فكن كما أُمرت به. ثم بعث إلى أُسامة بن زيد، فلمّا جاء قال له: بايع. فقال له: إنّي مولاك ولا خلاف منّي عليك، وستأتيك بيعتي إذا سكن الناس. فأمره بالانصراف، ولم يبعث إلى أحد غيرهم.

وقيل له: ألا تبعث إلى حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبدالله بن سلام؟ فقال عليه السلام: لا حاجة لنا في من لا حاجة له فينا.

ثم قال ابن أبي الحديد: فأمّا أصحابنا ـ أي المعتزلة ـ فإنّهم يذكرون في كتبهم أنّ هؤلاء الرهط إنّما اعتذروا بما اعتذروا به لمّا ندبهم إلى الشخوص معه في حرب الجمل، وإنّهم لم يتخلفوا عن البيعة، وإنّما تخلّفوا عن الحرب[١].

ثم نقل ابن أبي الحديد خبراً شاهداً لقولهم[٢].

قلت: وروى ذلك (جمل المفيد) عن (جمل أبي مخنف) وعن غيره. وفي آخر خبره: أنّه عليه السلام قال لسعد وابن عمر وأُسامة: ألستم على بيعتي؟ قالوا:

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٨ ـ ١٠.

(٢) المصدر نفسه ٤: ١٠.

بلى. قال: انصرفوا فسيغني الله عنكم[١].

وقال ابن أبي الحديد أيضاً: وروى أبو مخنف عن ابن عباس، قال: لمّا دخل عليٌّ المسجد وجاء الناس ليبايعوه، خفت أن يتكلّم بعض أهل الشنآن لعليعليه‌السلام ممّن قتل أباه أو أخاه، أو ذا قرابته في حياة النبيصلى‌الله‌عليه‌وآله، فيزهد عليعليه‌السلام في الأمر ويتركه. فكنت أرصد ذلك وأتخوفه، فلم يتكلّم أحد حتّى بايعه الناس كلهم راضين مسلّمين غير مكرهين[٢].

قول المصنف في الأوّل: «ومن خطبة لهعليه‌السلام» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (ومن كلام لهعليه‌السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤] و(الخطيّة).

ثم إنّ ابن أبي الحديد زاد: (في ذكر البيعة)[٥]. قوله في الثاني: «ومن كلام لهعليه‌السلام في وصف بيعتهعليه‌السلام بالخلافة» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٦]، ولكن ليس في (ابن ميثم) كلمة (بالخلافة)[٧].

«وقد تقدم مثله بألفاظ مختلفة» ومراده في الخطبة (٥٤) كما مرّ هنا، وفي الخطبة (١٣٣) كما يأتي في الآتي.

ثمّ الأصل في الأوّل رواية أبي مخنف عن زيد بن صوحان، قال: شهدت علياًعليه‌السلام بذي قار وهو معتمّ بعمامة سوداء، فقال في خطبة: الحمد لله على كلّ أمر وحال في الغدوّ والآصال ـ إلى أن قال ـ ثم استخلف الناس عثمان فنال

---

(١) الجمل للمفيد: ٨٩ ـ ٩٦.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠.

(٣) نهج البلاغة ١: ٩٩.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، شرح ابن ميثم ٢: ١٤٣.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦.

(٦) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩، شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣.

(٧) في شرح ابن ميثم المطبوع ٤: ٩٩ «بالخلافة» أيضاً.

منكم ونلتم منه، حتى إذا كان من أمره ما كان أتيتموني لتبايعوني، فقلت: لا حاجة لي في ذلك، ودخلت منزلي فاستخرجتموني، فقبضت يدي فبسطتموها، وتداككتم عليّ حتّى ظننت أنكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل بعض، فبايعتموني وأنا غير مسرور بذلك ولا جذل ـ الخ ـ ورواه (الإرشاد)[١].

والأصل في الثاني: ما رواه الكليني في (رسائله) في ما كتب عليه السلام بعد النهروان، لمّا سألوه عن قوله عليه السلام في الثلاثة ليقرأ على الناس ـ إلى أن قال ـ: فلمّا قتلتموه أتيتموني لتبايعوني فأبيت عليكم وأبيتم عليّ، فقبضت يدي فبسطتموها، وبسطتها فمددتموها.

ثم تداككتم عليّ تداكّ الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها، حتّى ظننت أنكم قاتلي، وأنّ بعضكم قاتل بعض، حتى انقطعت النعل وسقطت الرداء، ووطىء الضعيف، وبلغ من سرور الناس ببيعتهم أن حمل اليها الصغير وهدج إليها الكبير، وتحامل اليها العليل وحسرت إليها الكعاب.

ورواه ابن قتيبة في (خلفائه)، وإبراهيم الثقفي في (غاراته)، وابن رستم الطبري في (مسترشده) باختلاف يسير[٢].

قوله عليه السلام في الأوّل: «فتداكوا عليّ»، وفي الثاني: «ثمّ تداككتم عليّ» الدك: الدق.

«تداك الإبل الهيم يوم ورودها» في الأوّل. و «تداك الإبل الهيم على حياضها يوم ورودها» في الثاني؛ الأصل فيه قوله تعالى: ﴿فشاربون شرب الهيم﴾[٣] أي: الإبل العطاش.

قوله عليه السلام في الأوّل:

---

(١) الإرشاد ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الاحتجاج ١: ١٦١، العقد الفريد ٤: ١٦٢ و٥: ٦٧، شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٠٩.

(٢) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ١٥٦، والغارات للثقفي ١: ٣١٠، المسترشد: ١٠٠ طبع الحيدرية، النجف.

(٣) الواقعة: ٥٥.

«قد أرسلها راعيها» زيادة كما بعده في بيان تداك الإبل الهيم.

«وخلعت مثانيها» المراد بالمثاني هنا ـ وهي جمع المثناة بالكسر ـ: العقالات.

«حتّى ظننت أنّهم قاتلي أو بعضهم قاتل بعض لديّ» من شدة ازدحامهم للتسابق على البيعة معي.

«وقد قلبت هذا الأمر بطنه وظهره» زاد ابن ميثم و ابن أبي الحديد: (حتى منعني النوم)[١]، ونسختهما الصحيحة، فتركه في (المصرية)[٢] نقص.

«فما وجدتني يسعني إلّا قتالهم أو الجحود بما جاءني» هكذا في (المصرية)[٣]، والصواب: (جاء) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٤].

«به محمّد ﷺ» هكذا في (المصرية)[٥]، ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦] و(الخطية): ﷺ.

«فكانت معالجة القتال» أي: مزاولته.

«أهون عليّ من معالجة العقاب» فيمكن الغلبة في القتال، ولا يمكن الغلبة على عقاب الله تعالى.

«وموتات الدّنيا أهون عليّ من موتات الآخرة» الموتات بالضم: جمع الموتة بالضم وهي: الصرع والغشوة.

وفي (صفين نصر): خرج رجل من أهل الشام ينادي بين الصفين: يا أبا الحسن ابرز لي. فخرج علي عليه السلام إليه فقال له الرجل: إن لك قدماً في الإسلام وهجرة، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء وتأخير هذه

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، وليست هذه الفقرة في شرح ابن ميثم ٢: ١٤٣.

(٢ و ٣) نهج البلاغة ١: ٩٩.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦، ولكن في شرح ابن ميثم ٢: ١٤٤ «جاءني» أيضاً.

(٥) نهج البلاغة ١: ٩٩.

(٦) كذا في شرح ابن ميثم ٢: ١٤٤، ولكن في شرح ابن أبي الحديد ٤: ٦ أيضاً: .

الحروب، حتى ترى من رأيك فترجع إلى عراقك ونرجع إلى شامنا؟ فقال عليه السلام له: «لقد عرفت أنّه إنّما عرضت هذا نصيحة وشفقة، ولقد أهمّني هذا الأمر وأسهرني، وضربت أنفه وعينه فلم أجد إلّا القتال أو الكفر بما أُنزل على محمّد صلى الله عليه وآله، أنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض وهم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجة الأغلال في جنهم». فرجع الشامي وهو يسترجع[1].

قوله عليه السلام في الثاني: «حتى انقطعت» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (انقطع) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3]، وإن كان (انقطعت) أيضاً صحيحاً لكون النعل مؤنثاً.

«النعل و سقطت» هكذا في (المصرية)[4]، والصواب: (وسقط) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم)[5] أيضاً.

«الرداء ووطئ الضعيف» في (صفين نصر) ـ بعد ذكر شرح خفاف بن عبد الله لمعاوية قتل عثمان ـ فقال له معاوية: ثم مه؟ قال: ثمّ تهافت الناس على عليّ عليه السلام بالبيعة، تهافت الفراش حتى ضلت النعل وسقط الرداء ووطئ الشيخ[6].

«وبلغ من سرور الناس ببيعتهم إيّاي أن ابتهج» أي: سرّ.

«بها الصغير وهدج» الهدج: مشي الشيخ في ارتعاش؛ قال: (وهدجانا

---

(١) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤ ـ ٤٧٥.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩.

(٣) في شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣: «انقطعت» في المتن و«انقطع» في الشرح، ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ٩٩ «انقطعت» أيضاً.

(٤) في نهج البلاغة ٢: ٢٤٩ «سقط» أيضاً.

(٥) في شرح ابن ميثم ٤: ٩٩، وشرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣ «سقط» أيضاً.

(٦) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ٦٥.

لم يكن من مشيتي)[١].

«إليها الكبير وتحامل» أي: حمل نفسه على المشي.

«نحوها» أي: جانبها.

«العليل وحسرت» أي: كشفت.

«إليها» هكذا في (المصرية)[٢]، ويصدقه (ابن أبي الحديد)[٣]، ولكن في (ابن ميثم)[٤]: «عن ساقها».

«الكعاب» بالفتح؛ قال الجوهري: وهي الجارية حين يبدو ثديها للنهود كالكالب[٥].

والكل الثلاثة والأربعة بيان لوصف شدّة شوق الناس إلى بيعته عليه السلام.

٢
من الخطبة (١٣٧)

منها:

فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ ٱلْعُوذِ الْمَطَافيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا، تَقُولُونَ: ٱلْبَيْعَةَ! ٱلْبَيْعَةَ! قَبَضْتُ يَدي فَبَسَطْتُمُوها، وَنَازَعْتُكُمْ يَدِي فَجَذَبْتُمُوهَا.

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ. فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَما، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِي مَا أَمَّلَا وَعَمِلَا وَلَقَدِ ٱسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ ٱلْقِتَالِ، وَٱسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ ٱلْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا ٱلْعافِيَةَ.

---

(١) لسان العرب ١٥: ٤٨ مادة (هدج).

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٥٠.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٣: ٣.

(٤) في شرح ابن ميثم ٤: ٩٩ «إليها» أيضاً.

(٥) الصحاح ١: ٢١٣، مادة: (كعب).

قول المصنف «منها» هكذا في جميع النسخ[1]، والظاهر أنّ المصنف توهم أنّه قال في أوّل عنوانه: (ومن خطبة له عليه السلام) مع أنّه قال: (ومن كلام له عليه السلام).

قوله عليه السلام «فأقبلتم إليّ إقبال العوذ المطافيل على أولادها» نظير قوله عليه السلام في سابقه: (فتداكوا عليّ تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها)[2]، شبّه ثمّة شوق الناس في بيعته بإبل عطاش مخلاة السرب، مطلقة العنان يوم سقيها، كيف ترد الماء، وشبّهه هنا بإبل معها أطفالها وهي قريبة العهد بالنتاج، كيف تقبل على ولدها.

وقال ابن أبي الحديد: (العوذ): إذا ولدت عن قريب و (المطافيل): التي زال عنها اسم العياذ ومعها طفلها، وقد تسمى المطافيل عوذاً إلى أن يبعد العهد بالنتاج مجازاً، وعلى هذا قال عليه السلام: (العوذ المطافيل) وإلّا فالاسمان لا يجتمعان حقيقة[3].

قلت: ما ذكره غلط، كيف لا يجتمع الاسمان (العوذ) و(المطافيل) وقد قال في (الجمهرة): والعوذ المطافيل من الإبل الحديثات العهد بالنتاج التي معها أولادها، والظباء المطافيل التي معها أولادها وهي قريبة عهد بالنتاج[4].

وكيف لا يجتمعان وقد أكثر الشعراء من الجمع بينهما؛ قال الأعشى:

الواهب المائة الهِجان وعبدَها عُوذاً تُزجّي خلفَها أطفالَها[5]

وقال الأخطل يصف سحاباً:

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٨، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦، وشرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨: منه.

(٢) نهج البلاغة ١: ٩٩، الخطبة ٥٤.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨.

(٤) جمهرة اللغة ٢: ٩٢٠، مادة: (طفل).

(٥) جمهرة اللغة: وقال في هامشه: البيت للأعشى في ديوانه: ٢٩، وقد استشهد به سيبويه ١: ٩٤ على عطف «عبدها» على «المائة» وهو مضاف إلى غير الألف واللام.

إذا زَعزعته الريح جرَّ ذيولَه كما رجّعت عوذٌ ثِقالٌ تُطفّل[1]

وقال أبو ذؤيب في وصف تكلّم امرأة:

وإنّ حديثاً منك لو تبذلينه جني النحلِ في ألبان عُوذٍ مَطافلِ

مَطافيلَ أبكارٍ حديثٍ نَتاجُها تُشاب بماءٍ مثلِ ماء المفاصلِ[2]

والأصل في وهمه قول (الصحاح) في (عوذ): العوذ: الحديثات النتاج من الظباء والإبل والخيل، واحدتها عائذ، مثل حائل وحول، تقول: هي عائذ بينة العوذة؛ وذلك إذا ولدت عشرة أيّام أو خمسة عشر يوماً، ثم هي مطفل بعد ...[3].

فإن حمل على أنّ مراده أنّ المطفل أعم، وإلّا فهو غلط منه، وكيف لا، وقد قال نفسه في (طفل): والطفل: الظبي معها طفلها وهي قريبة عهد بالنتاج، وكذلك الناق،ة والجمع مطافل ومطافيل. ثم استشهد ببيتي أبي ذؤيب المتقدمين[4].

«تقولون البيعة البيعة» أي: ليس لنا همّ إلّا ببيعتك ولا نرضى إلّا بيعتك.

«قبضت يدي» هكذا في (المصرية)[5]، والصواب: (كفّي) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[6] و(الخطيّة).

«فبسطتموها» روى (مقاتل أبي الفرج) بأسانيد في جعل المأمون الرضا عليه السلام وليّ عهده: أنّ المأمون أمر ابنه العبّاس فبايعه أول الناس، فرفع الرضا عليه السلام يده فتلقى بظهرها وجه نفسه وبطنها وجوههم، فقال له المأمون:

---

(١) لسان العرب ٨: ١٧٥، مادة: (طفل).

(٢) أوردهما الجوهري في الصحاح ٥: ١٧٥١، مادة: (طفل).

(٣) الصحاح ٢: ٥٦٧، مادة: (عوذ).

(٤) الصحاح ٥: ١٧٥١، مادة: (طفل).

(٥) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

(٦) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦ «يدي» أيضاً.

ابسط يدك للبيعة. فقال عليه السلام: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله هكذا كان يبايع. فبايعه الناس...[١].

«ونازعتكم يدي فجذبتموها» هكذا في (المصرية)[٢]، والصواب: (فجاذبتموها) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٣] و(الخطية).

في (خلفاء القتيبي): قال أبو ثور: كنت فيمن حاصر عثمان، فكنت آخذ سلاحي وأضعه وعليّ عليه السلام ينظر اليّ، لا يأمرني ولا ينهاني، فلمّا كانت البيعة له خرجت في أثره والناس حوله يبايعونه، فدخل حايطاً من حيطان بني مازن فألجأوه إلى نخلة وحايلوا بيني وبينه، فنظرت إليهم وقد أخذت أيدي الناس ذراعه يختلف أيديهم على يده...[٤].

ثم قوله عليه السلام هنا: «قبضت كفّي...» كقوله عليه السلام في سابقه: «وبسطتم يدي فكففتها...»[٥] دال على قول الامامية: إنّ الإمامة بالنص من النبيّ صلى الله عليه وآله، لا ببيعة الناس «وإنّ الإمام كالكعبة يؤتى ولا يأتي»[٦]، فلم يكن هو عليه السلام ولا المعصومون من عترته يكترثون ببيعة الناس لهم، وإنّما كانوا يدعون الناس أحياناً إلى أنفسهم إتماماً للحجّة، فهو عليه السلام بعد قتل عثمان يمدّ الناس يده لأن يبايعوه فيقبضها، ـ كما أنّه عليه السلام يوم الشورى يعرض ابن عوف عليه البيعة بشرط العمل بسنّة الشيخين، فيطوي الكشح عنها، دلالة على بطلان أمرهم ـ وكان الحسين عليه السلام يقول لمن تبعه: قد رفعت بيعتي عن أعناقكم. وكان الرضا عليه السلام لم يقبل ولاية عهد المأمون حتى أكرهه.

ففي (مقاتل أبي الفرج): أنّ المأمون قال للفضل بن سهل وأخيه: إنّي

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٦.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣٨، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٦ «فجذبتموها» أيضاً.

(٤) الإمامة والسياسة لابن قتيبة ١: ٤٦ ـ ٤٧.

(٥) نهج البلاغة ٢: ٢٤٩، الخطبة ٢٢٩.

(٦) كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر: ٢٤٨.

عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع أن أُخرجها إلى أفضل آل أبي طالب، وما أعلم أحداً أفضل من هذا الرجل، فأرسلهما إليه عليه السلام في ذلك فأبى، فأحضره المأمون وقال له كالمتهدّد: إنّ عمر جعل الشورى في ستّة أحدهم جدّك، وقال: من خالف فاضربوا عنقه، ولابد من قبول ذلك...[1].

وفي (الطبري): أنّ الرضا عليه السلام أخبر المأمون بخلع أهل بغداد له، وبيعتهم لعمّه ابن شكله ـ وإن كان الفضل ستر ذلك عنه ـ وقال عليه السلام: لأنّ الناس ينقمون منك مكانه، ومكان أخيه منك، ومكان بيعتك لي من بعدك[2].

وفي (صفّين نصر): أنّ علياً عليه السلام كتب إلى معاوية: واعلم أنّ هذا الأمر لو كان إلى الناس أو بأيديهم لحسدونا ولامتنوا به علينا، ولكنّه قضاء ممّن امتن به علينا على لسان نبيّه الصادق المصدَّق، لا أفلح من شك بعد العرفان والبيّنة، اللهمّ احكم بيننا وبين عدوّنا[3].

«اللهم إنّهما» أي: طلحة والزبير.

«قطعاني وظلماني ونكثا بيعتي والّبا» أي: حرّضا.

«الناس عليّ فاحلل ما عقدا ولا تحكم لهما ما أبرما» أي: أحكما.

«وأرهما المساءة فيما أمّلا وعملا» روى أبو مخنف في (جمله): أنّه لمّا رجعت رسل علي عليه السلام من عند طلحة والزبير وعايشة يؤذنونه بالحرب، قام فقال: اللهمّ إنّ طلحة نكث بيعتي، وألّب على عثمان حتّى قتله، ثم عضهني ورماني، اللهمّ فلا تمهله. اللهمّ إنّ الزبير قطع رحمي ونكث بيعتي وظاهر عليّ عدوّي، فاكفنيه اليوم بما شئت[4].

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٣٧٥.

(٢) تاريخ الطبري ٨: ٥٥٥، سنة ٢٠١.

(٣) وقعة صفّين لنصر بن مزاحم: ١٠٩ ـ ١١٠.

(٤) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٥ ـ ٣٠٦.

وروى المدائني عن عبد الله بن جنادة، قال: قدمت من الحجاز أُريد العراق في أوّل إمارة علي عليه السلام، فمررت بمكّة فاعتمرت، ثم قدمت المدينة فدخلت مسجد النبيّ إذ نودي الصلاة جامعة، فاجتمع الناس وخرج علي عليه السلام متقلّداً سيفه، فشخصت الأبصار نحوه، فحمد الله وصلّى على رسوله، ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الله تعالى لمّا قبض نبيه صلى الله عليه وآله، قلنا: نحن أهله وورثته وعترته وأولياؤه دون الناس، لا ينازعنا سلطانه أحد، ولا يطمع في حقّنا طامع، إذ انبرى لنا قومنا فغصبونا سلطان نبينا صلى الله عليه وآله، فصارت الإمرة لغيرنا وصرنا سوقة، يطمع فينا الضعيف، ويتعزّز علينا الذليل، فبكت الأعين منّا لذلك، وخشنت الصدور وجزعت النفوس.

وايم الله لولا مخافة فرقة المسلمين، وأن يعود الكفر ويبور الدين، لكنّا على غير ما كنّا لهم، فولي الأمر ولاة لم يألوا الناس خيراً، ثم استخرجتموني من بيتي فبايعتموني على شنآن منّي لأمركم، وفراسة تصدقني ما في قلوب كثير منكم، وبايعني هذان الرجلان في أوّل من بايع ـ تعلمون ذلك ـ وقد نكثا وغدرا ونهضا إلى البصرة بعايشة، ليفرّقا جماعتكم ويلقيا بأسكم بينكم، اللّهمّ فخذهما بما عملا أخذة رابية، ولا تنعش لهما صرعة ولا تقلّهما عثرة ولا تمهلهما فواقاً، فإنّهما يطلبان حقّاً تركاه، ودماً سفكاه، اللهمّ إنّي اقتضيك وعدك، فإنّك قلت وقولك الحق: ﴿...ثمّ بغي عليه لينصرنّه الله...﴾[1]، اللهمّ فأنجز لي موعدي، ولا تكلني إلى نفسي إنّك على كلّ شيء قدير[2].

قال ابن أبي الحديد: دعاؤه عليه السلام على طلحة والزبير بإراءتهما المساءة، استجيب الّا انّه مساءة الدّنيا لا الآخرة، فانّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجنّة

---

(١) الحج: ٦٠.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١: ٣٠٧ ـ ٣٠٨.

بالتوبة التي نقلت عنهما، ولولاها لكانا من الهالكين[١].

قلت: أمّا قوله (إنّ الله وعدهما على لسان نبيّه بالجنّة) فسبحانك هذا بهتانٌ عظيم، إن كان خبرهم في العشرة المبشّرة حقّاً، كان الإسلام باطلاً، فمن العشرة طلحة والزبير وابن عوف وعثمان، وكل من الأولين يشهد على الأخير بالنفاق والكفر، والأخير يشهد على كلّ من الأولين كذلك، كما إنّ طلحة والزبير قتلا آلافاً من المسلمين بغير حق، وأفسدا في الأرض فساداً أثره باق إلى آخر الدّهر، وقاتلا من هو نفس النبيّ صلى الله عليه وآله بصريح التنزيل، ولم يندما عن فعلهما حتّى قُتلا وإنّما ترك الزبير قتاله عليه السلام، ولو كان تاب لَلَحِقَ به عليه السلام، كما تاب الحرّ الرياحي من قتاله مع الحسين عليه السلام، كما إنّ طلحة إنّما نقل عنه أنّه لمّا أصابه السهم قال: «اللهمّ خذ منّي لعثمان»[٢]، فإن صح النقل فقد تاب عن قتله عثمان، لا عن قتاله أمير المؤمنين.

«ولقد استثبتهما» من ثاب يثوب، أي: طلب منهما الرجوع، ويروى (ولقد استتبتهما)[٣].

«قبل القتال واستأنيت» أي: ترفقت وانتظرت.

«بهما أمام الوقاع» أي: الحرب.

«فغمطا» بالكسر والفتح، أي: حقرا.

«النعمة وردّا العافية» في (المروج): بعث علي عليه السلام من يناشدهم الله في الدماء، فأبوا إلّا الحرب، فبعث رجلاً من أصحابه يقال له مسلم، معه مصحف يدعوهم إلى الله فرموه بسهم فقتلوه، فحمل إليه عليه السلام. وقالت أُمّ مسلم:

يا ربّ إنّ مسلماً أتاهم ... يتلو كتاب الله لا يخشاهم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد

(٢) طبقات ابن سعد ٣: ٢٢٢ ـ ٢٢٣، تاريخ المدينة المنوّرة ٤: ١١٦٩ ـ ١١٧٠.

(٣) نهج البلاغة ٢: ٢٨.

فخضّبوا من دمه لحاهم وأمّــه قــائمة تـراهـم[١]

وحمل عليه السلام وحمل معه الناس، فما كان القوم إلّا ﴿...كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف...﴾[٢].

وكما استتابهما في البصرة قبل القتال، استتابهما قبل الخروج من المدينة؛ فرووا - وقد نقله ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام (يزعم انه قد بايع بيده)[٣] -: أنّ معاوية كتب إلى الزبير: «إنّي قد بايعت لك أهل الشام فأجابوا، فدونك الكوفة والبصرة لا يسبقك إليهما ابن أبي طالب، وقد بايعت لطلحة من بعدك، فادعوا الناس إلى الطلب بدم عثمان». فأقرأ الزبيرُ الكتابَ طلحةَ فأجمعا على نقض البيعة، فدخلا عليه عليه السلام فاستأذناه في العمرة، فقال: ما العمرة تريدان! فحلفا ما يريدان غيرها. فقال لهما: إنّما تريدان الغدرة ونكث البيعة، فحلفا لا يريدان النكث. فقال لهما: فأعيدا البيعة ثانية. فأعاداها بأشدّ ما يكون من الأيمان والمواثيق، فاذن لهما فلمّا خرجا قال عليه السلام: والله لا ترونهما إلّا في فئة يقتتلان فيها. فقالوا: فَمُرْ بردهما عليك. فقال عليه السلام: ﴿...ليقضي الله أمراً كان مفعولاً...﴾[٤] أما والله لقد علمت أنّهما سيقتلان أنفسهما أخبث مقتل، ويأتيان من وردا عليه بأشأم يوم، ولقد أتياني بوجهَيْ فاجرين ورجعا بوجهَيْ غادريْن ناكثَين، والله لا يلقياني بعد اليوم إلّا في كتيبة خشناء، يقتلان فيها نفسهما، فبُعداً لهما وسحقاً[٥].

---

(١) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٧٠، أنساب الأشراف للبلاذري ٢: ٢٤١.

(٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٣٧٥، والآية ١٨ من سورة إبراهيم.

(٣) نهج البلاغة ١: ٣٨، الخطبة ٨.

(٤) الأنفال: ٤٢.

(٥) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٣١ - ٢٣٣، والنقل بتلخيص.

٣
الكتاب (٧)

ومن كتاب له عليه السلام إليه أيضا:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ، نَمَّقْتَها بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَها بِسُوءِ رَأْيِكَ. وَكِتابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ يَهْدِيهِ، وَلَا قائِدٌ يُرْشِدُهُ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجابَهُ، وَقادَهُ الضَّلَالُ فاتَّبَعَهُ، فَهَجَرَ لَاغِطاً، وَضَلَّ خابِطاً.

منه:

لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لَا يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ، وَلَا يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ، الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ، وَالمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ.

أقول: قال ابن أبي الحديد: هذا الكتاب كتبه علي عليه السلام جواباً عن كتاب كتبه معاوية إليه في أثناء حرب صفين، بل في أواخرها ـ وكتاب معاوية: أما بعد؛ فان الله تعالى يقول في محكم كتابه: ﴿ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين﴾[1] واني أُحذرك الله أن تحبط عملك وسابقتك بشق عصا هذه الأُمّة وتفريق جماعتها، فاتّق الله واذكر موقف القيامة، واقلع عمّا أسرفت فيه من الخوض في دماء المسلمين، وإنّي سمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: (لو تمالأ أهل صنعاء وعمان على قتل رجل واحد من المسلمين لأكبّهم الله على مناخرهم في النار)، فكيف يكون حال من قتل أعلام المسلمين وسادات المهاجرين، بله ما طحنت رحاء حربه من أهل القرآن، من شيخ كبير وشاب غرير، كلّهم بالله مؤمن وله مخلص وبرسوله مقرّ عارف، فان كنت أبا حسن انّما تحارب على الإمرة والخلافة، فلعمري لو

---

(١) الزمر: ٦٥.

صحت خلافتك لكنت قريباً من ان تعذر في حرب المسلمين، ولكنّها ما صحّت لك وأنّى بصحّتها، وأهل الشام لم يدخلوا فيها ولم يرتضوا بها، وخف الله وسطواته واتّقِ بأسه ونكاله، واغمد سيفك عن الناس، فقد والله أكلتهم الحرب فلم يبق منهم إلّا كالثمد في قرارة الغدير.

فكتب عليه السلام اليه: أما بعد ـ إلى قوله: وضل خابطاً. فأما أمرك لي بالتقوى فأرجو أن أكون من أهلها، وأستعيذ بالله أن أكون من الذين إذا أُمروا بها أخذتهم العزّة بالإثم، وأما تحذيرك إيّاي أن يحبط عملي وسابقتي في الإسلام، فلعمري لو كنت الباغي عليك لكان لك أن تحذّرني ذلك، ولكني وجدت الله تعالى يقول: ﴿...فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله...﴾[1]، فنظرنا إلى الفئة الباغية فوجدناها الفئة التي أنت فيها، لأن بيعتي بالمدينة لزمتك وأنت بالشام، كما لزمتك بيعة عثمان بالمدينة وأنت أمير لعمر بالشام.

وأمّا شقّ عصا هذه الأُمّة فأنا أحقّ أن أنهاك عنه، فأما تخويفك لي من قتل أهل البغي، فإنّ رسول الله صلى الله عليه وآله أمرني بقتالهم وقتلهم ـ وقال لأصحابه: «ان فيكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» ـ وأشار إليّ ـ وأنا أولى من اتّبع أمره. وأما قولك: إن بيعتي لم تصحّ لأن أهل الشام لم يدخلوا فيها، كيف؟! وانّما هي بيعة واحدة تلزم الحاضر والغائب، لا يستثنى فيها النظر ولا يستأنف فيها الخيار، الخارج منها طاعن، والمروّي مداهن، فاربع على ظلعك، وانزع سربال غيك، واترك ما لا جدوى له عليك، فليس لك عندي إلّا السيف، حتّى تفيء إلى أمر الله صاغراً، وتدخل في البيعة راغماً[2].

وقال ابن ميثم: كتابه عليه السلام جواب كتاب معاوية إليه (وانّما كان أهل

---

(١) الحجرات: ٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٢ ـ ٤٣.

الحجاز الحكّام على الناس حين كان الحق فيهم، فلمّا تركوه صار أهل الشام الحكّام، وليس حجّتك عليهم كحجّتك على أهل البصرة، ولا حجّتك عليّ كحجّتك على طلحة والزبير، لأنّ أهل البصرة بايعوك ولم يبايعك أهل الشام، وان طلحة والزبير بايعاك ولم أُبايعك، وأمّا فضلك في الإسلام، وقرابتك من الرسول صلى الله عليه وآله، وموضعك من بني هاشم، فلست أدفعه) فكتب عليّ عليه السلام جوابه: أمّا بعد فإنّه أتاني كتابك كتاب امرئ ـ إلى قوله «خابطاً» ثم بعده ـ زعمت أنّه إنّما أفسد عليّ بيعتك خطيئتي في عثمان، ولعمري ما كنت إلّا رجلاً من المهاجرين، أوردت كما أوردوا وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال ولا يضربهم بعمي، وأمّا ما زعمت أنّ أهل الشام الحكام على أهل الحجاز، فهات رجلين من قريش الشام يقبلان في الشورى أو تحل لهم الخلافة، فإن زعمت ذلك كذّبك المهاجرون والأنصار، وإلّا فأنا آتيك بهما من قريش الحجاز، وأمّا ما ميّزت بين أهل الشام وأهل البصرة وبينك وبين طلحة والزبير، فلعمري ما الأمر في ذلك إلّا واحد ـ ثم بعده ـ لأنّها بيعة عامة ـ إلى آخره ـ ثم ـ وأما فضلي في الإسلام وقرابتي من الرسول صلى الله عليه وآله وشرفي في بني هاشم، فلو استطعت دفعه لفعلت[1].

قال ابن ميثم: وأما قوله عليه السلام (فقد أتتني ـ إلى ـ بسوء رأيك)، فهو صدر كتاب آخر في جواب معاوية بعد الكتاب الذي ذكرناه، وذلك أنّ معاوية لمّا وصل إليه هذا الكتاب منه عليه السلام، كتب إليه ثانياً: (أما بعد فاتّق الله يا عليّ ودع الحسد، فإنّه طالما لم ينتفع به أهله، ولا تفسد سابقتك بشرة من حديثك، فإن الأعمال بخواتيمها، ولا تلحدن بباطل في حقّ من لا حقّ لك في حقّه، فانّك إن تفعل لا تضلل إلّا نفسك، ولا تمحق إلّا عملك، ولعمري إنّ ما مضى لك من

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٥.

السوابق الحسنة لحقيقة أن تردُّك وتردعك عمّا اجترأت عليه من سفك الدماء، وإجلاء أهل الحقّ عن الحل والحرم، فاقرأ سورة الفلق وتعوّذ بالله من شرّ ما خلق ومن شر نفسك الحاسد إذا حسد، قفل الله بقلبك وأخذ بناصيتك وعجّل توفيقك، فانّي أسعد النّاس بذلك. فكتب عليه السلام إليه:

أمّا بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة ـ إلى ـ بسوء رأيك ـ ثم بعده ـ وكتاب ليس ببعيد الشبه منك، حملك على الوثوب على ما ليس لك فيه حق، ولولا علمي بك، وما قد سبق من رسول الله صلى الله عليه وآله فيك، ممّا لا مردّ له دون إنفاذه، لوعظتك، ولكن عظتي لا تنفع من حقّت عليه كلمة العذاب، ولم يخف العقاب، ولم يبرح لله وقاراً، ولم يخش له حذاراً، فشأنك وما أنت عليه من الضلالة والحيرة والجهالة، تجد الله في ذلك لك بالمرصاد من دنياك المنقطعة وتمنيك الأباطيل، وقد علمت ما قال النبيّ صلى الله عليه وآله فيك وفي أُمّك وأبيك[1].

قال ابن ميثم: والمصنّف أضافه إلى هذا الكتاب، كما هو عادته في عدم مراعاة أمثال ذلك[2].

قلت: لم يذكر أحدهما مستنداً، لكن ما ذكره ابن ميثم ـ من كون قوله عليه السلام: (كتاب امرئ ليس له بصر يهديه) إلى آخر العنوان، أوّل جوابه عليه السلام عن كتاب ذكره ابن ميثم ـ صحيح فذكره (كامل المبرد) و(خلفاء ابن قتيبة) و(عقد ابن عبد ربه) و(صفّين نصر)[3].

وأما كون قوله عليه السلام: فقد أتتني منك موعظة موصلة ـ إلى ـ: (وأمضيتها بسوء رأيك) جواباً عن كتاب ذكره أيضاً فلم أتحققه.

---

(١) شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٥ ـ ٣٥٦.

(٢) المصدر نفسه ٤: ٣٥٦.

(٣) الإمامة والسياسة ١: ١٠١ ـ ١٠٢، العقد الفريد ٥: ٨١.

وفي (صفّين نصر) ذكر كتاب معاوية: (ودع الحسد...)[١]، لكن لم يذكر جوابه.

قوله عليه السلام: «أما بعد فقد أتتني منك موعظة موصلة» أي: مرقعة أكثر فيها من الوصلة، وموعظته الموصلة له عليه السلام مثل ما عرفت في كتابه إليه عليه السلام: أما بعد فاتّق الله يا عليّ ـ الخ ـ في ما نقله ابن ميثم[٢] ويقول تعالى: ﴿ولقد أوحي إليك...﴾[٣] فيما مرّ عن ابن أبي الحديد[٤].

«ورسالة محبرة» أي: منقشة.

«نمقتها» أي: نقشتها.

«بضلالك وأمضيتها بسوء رأيك» كقوله (واقرأ سورة الفلق وتعوّذ بالله من شرّ ما خلق).

ونظير كلامه عليه السلام قول أبي دلامة:

كتبوا إليّ صحيفة مطبوعة جعلوا عليها طينة كالعقرب
فعلمت أنّ الشّر عند فكاكها ففككتها عن مثل ريح الجورب
وإذا شبيه بالأفاعي رقشت يوعدنني بتلمظ وتثاوب

وممّا يناسب قوله عليه السلام (موعظة وموصلة)، ما في (السير) أن المهدي لمّا تقلّد الخلافة بعد أبيه، وفد عبيد الله بن الحسن الهاشمي عليه معزّياً ومهنئاً، فتكلّم بكلام أعده وقال: سلوا أبا عبيد الله وزير المهدي عمّا تكلّمت، فسُئل أبو عبد الله عنه فقال: لم يعد الهاشمي بكلامه أن أخذ مواعظ الحسن البصري ورسائل غيلان، فلقح بينهما كلاماً. فأخبر عبيد الله بما قال أبو عبيد

(١) وقعة صفّين: ١١٠.
(٢) شرح ابن ميثم ٤: ٣٦٦.
(٣) الزمر: ٦٥.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٢.

الله فيه، فقال: لله أبوه، فوالله ما أخطأ حرفاً ولا تجاوزت ما قال.

هذا، وفي (المعجم): لمّا ورد عضد الدولة بغداد في سنة (٣٦٧)، نقم على الصابي أشياء من مكتوباته عن الخليفة وعن بختيار عزّ الدولة فحبسه، فسُئل فيه وعرف بفضله وقيل له: مثل مولانا لا ينقم على مثله ما كان منه، فإنّه كان في خدمة قوم لا يمكنه إلّا المبالغة في نصيحتهم، ولو أمره مولانا بمثل ذلك إذا استخدمه ما أمكنه المخالفة. فقال عضد الدولة: قد سوغته نفسه فإن عمل كتاباً في مآثرنا وتاريخنا أطلقته، فشرع في محبسه بكتاب (التاجي في أخباره) وقيل: إنّ بعض أصدقائه دخل عليه في الحبس وهو في تبييض وتسويد في هذا الكتاب، فسأله عمّا يعمله، فقال: أباطيل أُنمّقها وأكاذيب أُلفّقها، فأنهى الرجل ذلك إلى عضد الدولة، فأمر بإلقائه تحت أرجل الفيلة، فأكبّ عبد العزيز بن يوسف ونصر بن هارون على الأرض يقبلانه ويشفعون إليه في أمره حتى أمر باستحيائه وأخذ أمواله[1].

وقالوا: كتب عبد الحميد لمروان الحمار كتاباً إلى أبي مسلم الخراساني، حمل على جمل لعظمه وكثرته وتهويلاً على أبي مسلم، وقال: ان قرأه خالياً نحب قلبه، وان قرأه في ملأ خذلوا.

فلمّا وصل الكتاب إلى أبي مسلم أحرقه ولم يقرأه، وكتب على قطعة بياض إلى مروان:

محا السيف أسطار البلاغة وانتحت ... إليك ليوث الغاب من كلّ جانب

فإن تقدموا نعمل سيوفاً شحيذة ... يهون عليها العتب من كلّ عاتب

«وكتاب» هكذا في (المصرية)[2]، مثله (ابن أبي الحديد)[3]، ولكن في

---

(١) معجم الأدباء ٢: ٢١ ـ ٢٢.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤١.

(ابن ميثم)[١]: (كتاب).

«امرئ ليس له بصر يهديه» ﴿...لهم أعين لا يبصرون بها...﴾[٢].

«ولا قائد يرشده» ﴿...ومن يضلل فلن تجد له وليّاً مرشداً﴾[٣].

«قد دعاه الهوى فأجابه» ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه...﴾[٤].

«وقاده الضلال فاتّبعه» ﴿...ومن أضلّ ممّن اتّبع هواه بغير هدى من الله...﴾[٥].

«فهجر» أي: هذى من (هجر المريض)، والكلام مهجور، قيل: ومنه قوله تعالى حكاية عن رسوله صلى الله عليه وآله: ﴿إنّ قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً﴾[٦].

«لاغطاً» في (الصحاح): اللغط بالتحريك: الصوت والجلبة[٧].

«وضل خابطاً» من (خبط البعير الأرض بيده) ضربها، ومنه (خبط عشواء) وهي الناقة التي في بصرها ضعف تخبط إذا مشت لا تتوقى شيئاً.

قول المصنف «منه» هكذا في (المصرية)[٨]، والصواب: (ومن هذا الكتاب) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٩].

وقوله عليه السلام: «لأنّها بيعة واحدة لا يثنى» من ثناه تثنية، أي: جعله اثنين.

«فيها النظر ولا يستأنف» أي: لا يجدد.

«فيها الخيار» أي: الاختيار.

---

(١) في شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٤ «وكتاب» أيضاً.

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) الكهف: ١٧.

(٤) الجاثية: ٢٣.

(٥) القصص: ٥٠.

(٦) الفرقان: ٣٠.

(٧) الصحاح ٣: ١١٥٧، مادة: (لغط).

(٨) نهج البلاغة ٣: ٩.

(٩) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٤٤، شرح ابن ميثم ٣: ٣٥٤.

«الخارج منها طاعن» على المؤمنين.

«والمروي فيها» في (الصحاح): رويت في الأمر إذا نظرت فيه وفكرت يهمز ولا يهمز[١].

«مداهن» أي: مصانع.

في (عيون ابن بابويه)؛ عن الحاكم البيهقي، عن محمّد الصولي، عن أحمد بن محمّد بن إسحاق، عن أبيه قال: لمّا بويع الرّضا عليه السلام بالعهد، اجتمع الناس إليه يهنئونه فأومأ إليهم فأنصتوا، ثم قال عليه السلام ـ بعد ان استمع كلامهم ـ: الحمد لله الفعّال لمّا يشاء لا معقّب لحكمه، ولا رادّ لقضائه، يعلم خائنة الأعين وما تُخفي الصدور، وصلّى الله على محمّد وآله في الأوّلين والآخرين، وعلى آله الطيبين الطاهرين، إنّ أمير المؤمنين عضده الله بالسداد ووفّقه للرّشاد، عرف من حقّنا ما جهله غيره، فوصل أرحاماً قُطعت، وآمن نفوساً فزعت، بل أحياها وقد تلفت، وأغناها إذ افتقرت، مبتغياً رضى ربّ العالمين، لا يريد جزاءً إلّا من عنده، وسيُجزي الله الشاكرين ولا يضيع أجر المحسنين، وانّه جعل إليَّ عهده، والإمرة الكبرى إن بقيت بعده، فمن حل عقدة أمر الله تعالى بشدّها، وفصم عروة أحبّ الله إثباتها، فقد أباح حريمه وأحلّ محرمه، إذ كان بذلك زارياً[٢] على الإمام، منتهكاً حرمة الإسلام، بذلك جرى السالف فصبر منه على الفلتات ولم يتعرّض بعدها على العزمات، خوفاً على شتات الدين واضطراب حبل المسلمين، ولقرب أمر الجاهلية ورصد المنافقين فرصة تنتهز وبائقة تبتدر، وما أدري ما يفعل بي ولا بكم، إن الحكم إلّا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين[٣].

---

(١) الصحاح ٦: ٢٣٦٤، مادة: (روى).

(٢) زارياً أي: عاتباً ساخطاً غير راضٍ. الصحاح ٦: ٢٣٦٨، مادة: (زرى).

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ١٤٤ ـ ١٤٥ ح ١٧، وعنه البحار ٤٩: ١٤١.

٤
الخطبة (٨)

ومن كلام له عليه السلام يعني به الزبير في حال اقتضت ذلك:

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ؛ فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ، وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ. فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ، وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِي مَا خَرَجَ مِنْهُ.

أقول: الذي وقفت عليه كون العنوان كلام الحسن عليه السلام ابنه عليه السلام، ففي (جمل المفيد): لمّا تقرّر في الجمل أمر الكتائب في الفريقين، وقام ابن الزبير خطيباً في ذمّ أمير المؤمنين عليه السلام وتهمته بقتل عثمان، وبلغه عليه السلام ذلك، قال للحسن ابنه عليه السلام: قم يا بني فاخطب، فقام فحمد الله وأثنى عليه، وقال: أيُّها الناس! قد بلغتنا مقالة ابن الزبير، وقد كان أبوه والله يتجنّى على عثمان الذنوب، وقد ضيّق عليه البلاد حتى قتل، وإن طلحة راكز رايته على بيت ماله وهو حيّ.

وأمّا قوله: إنّ علياً ابتز النّاس أمرهم، فإن أعظم حجّته لأبيه زعم أنّه بايعه بيده ولم يبايعه بقلبه، فقد أقرّ بالبيعة وادّعى الوليجة، فليأت على ما ادّعاه ببرهان وأنّى له ذلك[١]؟

وقال ابن أبي الحديد عند قوله عليه السلام (فتداكوا عليّ): قال الزبيريّون عبد الله بن مصعب، والزبير بن بكار ومن وافقهم من تيم بن مرة عصبية لطلحة: إنّهما بايعا مكرهين، وإنّ الزبير كان يقول: بايعت واللجّ ـ أي: سيف الأشتر ـ في قفّي ـ أي: عنقي[٢].

قلت: كون بيعة الزبير والسيف في عنقه، رواية السيف الوضّاع، وإن صاحب السيف كان حكيم بن جبلة لا الأشتر، ففي رواية له: جاء حكيم بن

---

(١) الجمل للمفيد: ٣٢٧ ـ ٣٢٢.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ٧.

جبلة بالزبير حتّى بايع، فكان الزبير يقول جاءني لص من لصوص عبد القيس واللجّ على عنقي ـ وإنّما قال سيف الوضاع: إنّ بيعة طلحة كانت بإجبار الأشتر، ففي رواية أُخرى له: فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً ـ وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدي في نفر فجاؤوا به يحدونه بالسيف، وإلى طلحة كوفياً الأشتر في نفر فجاؤوا به يحدونه بالسيف ـ وفي رواية أُخرى له: (ذهب الأشتر فجاء بطلحة يتلّه تلاً عنيفاً) ـ وبالجملة؛ حيث إنّ سيفاً الوضّاع ادّعى افتراءً أن الكوفيين لم يريدوا غير بيعة الزبير، والبصريين غير بيعة طلحة ولم يحصل مرادهم، بل مراد المصريين الذين أرادوا بيعة عليّ عليه السلام اضطر إلى ان يجعل مُكرِه الزبير بصرياً حكيماً ومُكرِه طلحة كوفيّاً الأشتر.

وأما الزبيريون فقالوا بعدم بيعة الزبير أصلاً وأنّه أراد قتله عليه السلام.

ففي (الطبري): عن الزبير بن بكار، عن عمّه مصعب، عن أبيه عبد الله بن مصعب، عن موسى بن عقبة، عن أبي حبيبة مولى الزبير قال: لمّا بايع النّاس عليّاً عليه السلام جاء إلى الزبير فاستأذن، فأعلمت الزبير فسل السيف ووضعه تحت فراشه ثم قال: إيذن له. فأذنت له فدخل، فسلّم على الزبير وهو واقف بنجوه ثم خرج، فقال الزبير: قم في مقامه هل ترى من السيف شيئاً؟ فقمت في مقامه فرأيت ذباب السيف فأخبرته فقال: ذاك أعجل الرجل. فلمّا خرج عليّ سأله النّاس فقال: وجدت أبرّ ابن أُخت. فظنّ النّاس خيراً. فقال عليّ: إنّه بايعه[1].

والمكابر المعاند لا علاج له، ولو كان عليه السلام أكرههما أو لم يبايعه الزبير، كيف يخطب النّاس في مقام بعد مقام بأن بيعتي كانت بإجبار من النّاس لي، أفلم يكن أحد يقوم ويقول له: أنت أكرهت طلحة والزبير. وكيف ومخالفوه كانوا مقرّين بذلك، فكتب معاوية إليه عليه السلام: إنّ طلحة والزبير بايعاك وأنا ما

---

(١) تاريخ الطبري ٤: ٤٣١ ـ ٤٣٢، سنة ٣٥.

بايعتك. وكتب سعد إلى معاوية: ولو كان طلحة والزبير لزما بيعتهما لكان خيراً لهما، إلى غير ذلك ممّا لو أردنا استقصاءه لطال، وغاية ما يمكن الزبيريون أن يدّعوه للزبير كما في العنوان، وادّعاه أولاً ابنه أنّه بايع بيده فقط، وجوابه ما قاله عليه السلام هو وابنه. فلو كان مثله مسموعاً لزم إمكان نقض جميع العقود والعهود.

٥
الحكمة (٢٠٢)

وقال عليه السلام ـ وقَدْ قالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ: نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هَذَا ٱلْأَمْـر لا ـ: وَلَكِنَّكُما شَرِيكَانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَالاسْتِعَانَةِ، وَعَوْنانِ عَلَى ٱلعَجْزِ وَالْأَوَدِ.

أقول: هذا مربوط بما مرّ في أوّل هذا الفصل من كلامه عليه السلام في وصف بيعته، والأصل فيه كما عرفت ما كتبه للناس لمّا سألوه عن الثلاثة، وفيه برواية (رسائل الكليني): فبايعتكم على كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، ودعوت النّاس إلى بيعتي فمن بايعني طائعاً قبلت منه، ومن أبى تركته، فكان أوّل من بايعني طلحة والزبير فقالا: نبايعك على أنّا شركاؤك في الأمر، فقلت: لا ولكنكما شركائي وعوناي في العجز، فبايعاني على هذا الأمر، ولو أبيا لم أكرههما كما لم أكره غيرهما. وكان طلحة يرجو اليمن والزبير العراق، فلمّا علما أنّي غير مولّيهما استأذناني للعمرة يريدان الغدرة.

وفي (خلفاء ابن قتيبة) ـ في عنوان (اختلاف طلحة والزبير على عليّ كرم الله وجهه) ـ: ذكروا ان الزبير وطلحة أتيا عليّاً بعد فراغ البيعة فقالا له: هل تدري على ما بايعناك؟ قال: نعم؛ على السمع والطاعة وعلى ما بايعتم عليه أبا بكر وعمر وعثمان، فقالا: لا؛ ولكنّا بايعناك على أنّا شريكاك في الأمر. قال

عليّ عليه السلام: لا ولكنكما شريكان في القوّة والاستقامة والعون على العجز والأود، وكان الزبير لا يشكّ في ولاية العراق وطلحة في اليمن، فلمّا استبان لهما أنّ علياً عليه السلام غير موليهما شيئاً أظهرا الشكاة، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من عليّ؛ قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكُفي الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا ـ وقال: ما اللوم إلّا لنا، كنّا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده، فأصبحنا أخطأنا ما رجونا[1].

وفي (نقض الاسكافي لعثمانية الجاحظ) روى: أنّ طلحة والزبير قالا له عليه السلام وقت البيعة: نُبايعك على أنّا شركاءك في هذا الأمر. فقال لهما: لا؛ ولكنّكما شريكاي في الفيء، لا أستاثر عليكما ولا على عبد حبشي مجدع بدرهم فما دون، لا أنا ولا ولداي هذان، فإن أبيتم إلّا لفظ الشركة فأنتم عونان لي عند العجز والفاقة، لا عند القوّة والاستقامة.

قال الاسكافي: فاشترطا ما لا يجوز في عقد الإمامة، وشرط عليه السلام لهما ما يجب في الدين والشريعة.

وقد روى أيضاً: أنّ الزبير قال في ملأ من قريش: هذا جزاؤنا من عليّ، قمنا له في أمر عثمان حتّى أثبتنا عليه الذنب وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا غيرنا. وقال طلحة: كنّا ثلاثة من أهل الشورى، كرهه أحدنا وبايعناه، فأعطيناه ما في أيدينا، ومنعنا ما في يده، فأصبحنا قد أخطأنا اليوم ما رجوناه أمس، ولا نرجو غداً ما أخطأنا اليوم[2].

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥١.

(٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة ١١: ١٦.

وفي (تاريخ اليعقوبي): أتى عليّاًعليه السلام طلحة والزبير فقالا له: قد نالتنا جفوة بعد النبيّ صلى الله عليه وآله فأشركنا في أمرك، فقال: أنتما شريكاي في القوّة والاستقامة وعوناي على العجز والأود[١].

قوله عليه السلام «لا»، أي: لم تكن بيعتكما إياي على كونكما شريكي في أمر الخلافة.

«ولكنّكما شريكان في القوّة والاستعانة» هكذا في جميع النسخ[٢]، و(الاستعانة) تصحيف من المصنّف، والصواب: (والاستقامة)، كما عرفته من نقل (خلفاء ابن قتيبة) و(نقض الاسكافي) و(تاريخ اليعقوبي)[٣]، ولأنّ في مقابله (الأود)؛ ومقابل (الاود) الاستقامة لا (الاستعانة) فإنّه مقابل (الاستغناء).

وقال ابن أبي الحديد: الاستعانة هنا الفوز والظفر، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه (قد جرى ابناعيان) وهما خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، واستعان الإنسان إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة[٤].

قلت: ما قاله غلط في غلط، فانه استند إلى قول (الصحاح): (ابناعيان خطان يخطان في الأرض يزجر بهما الطير، وإذا علم ان القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان)[٥].

فالاستعانة لو فرض وجوده في كلامه، هل هي إلّا بمعنى الاستعانة في قوله تعالى: ﴿...وإياك نستعين﴾[٦]، لا بمعنى مصطلح عند القامرين في

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٧٩ ـ ١٨٠.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٩٨، شرح ابن ميثم ٥: ٣٤٦، شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢.

(٣) مضت آنفاً مداركه.

(٤) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ٢٢.

(٥) الصحاح ٦: ٢١٧٢، مادة: (عين).

(٦) الفاتحة : ٥.

الجاهلية، مع أنّ (الصحاح) إنّما قال: (وإذا علم القامر يفوز قدحه قيل جرى ابناعيان)، لا كما قال ابن أبي الحديد: استعان الإنسان، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة. مع أنّه أيّ ربط للاستعانه بمثل (ابناعيان) والاستعانة من العون، وابناعيان من العين وبينهما بون؛ ذكر (الصحاح) و(القاموس) الأوّل في الأوّل[1] والثاني في الثاني[2]، وقد عرفت كلام (الصحاح)، وفي (القاموس): ابناعيان ـ ككتاب ـ طائران أو خطان يخطهما العائف في الأرض، ثم يقول ابناعيان أسرعا البيان وإذا علم...[3]، مع أنك قد عرفت أنّ أصل الاستعانه تصحيف من المصنّف.

«وعونان على العجز والأود» بالتحريك مصدر أود الشيء بالكسر أي: اعوج.

ثم الظاهر أنّ طلحة والزبير لمّا رأيا أنّ عمر كان شريك أبي بكر في خلافته، وبني أُميّة لاسيما مروان كانوا شركاء عثمان في خلافته، طمعا منه عليه السلام ذلك.

٦
الخطبة (٢٠٥)

ومن كلام له عليه السلام كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة، وقد عتبا عليه من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما:

لَقَدْ نَقَمْتُمَا يَسِيراً، وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيراً. أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُما فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُما عَنْهُ! وَأَيُّ قَسْمٍ ٱسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُما بِهِ! أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ المُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ، أَمْ جَهِلْتُهُ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ!

---

(١) الصحاح ٦: ٢١٦٩، مادة: (عون)، القاموس المحيط ٤: ٢٥٠ مادة(عون).

(٢) الصحاح ٦: ٢١٧٢، مادة: (عين)، القاموس المحيط ٤: ٢٥٢، مادة: (عين).

(٣) القاموس المحيط ٤: ٢٥٢، مادة: (عين).

وَٱللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي ٱلْخلاَفَةِ رَغْبَةٌ، وَلاَ فِي ٱلْوِلاَيَةِ إِرْبَةٌ؛ وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا، وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا، فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ ٱللّٰهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا، وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ، وَمَا ٱسْتَنَّ ٱلنَّبِيُّ صلى الله عليه وآله فَاقْتَدَيْتُهُ.

فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا، وَلاَ رَأْيِ غَيْرِكُمَا، وَلاَ وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا وَإِخْوَانِي ٱلْمُسْلِمِينَ. وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُما وَلاَ عَنْ غَيْرِكُمَا.

وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي، وَلاَ وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي، بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُما مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللّٰهِ صلى الله عليه وآله قَدْ فَرَغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُما فِي مَا قَدْ فَرَغَ ٱللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ، وَأَمْضَى فِيه حُكْمَهُ، فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللّٰهِ عِنْدِي وَلاَ لِغَيْرِكُمَا فِي هَذَا عُتْبَى.

أَخَذَ ٱللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ الصَّبْرَ!

ثُمَّ قال عليه السلام:

رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱمْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْراً فَرَدَّهُ، وَكَانَ عَوْناً بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ.

أقول: رواه أبو جعفر الاسكافي في (نقض العثمانية) فقال ـ بعد ذكر قصّة بيعته عليه السلام ـ: ثم بعث عليّ عليه السلام بعمّار بن ياسر وعبد الرحمن بن حنبل إلى طلحة والزبير وهما في ناحية المسجد، فأتياهما فدعواهما فقاما حتّى جلسا إلى عليّ عليه السلام فقال لهما: نشدتكما الله هل جئتماني طائعين للبيعة، ودعوتماني إليها وأنا كاره لها؟ قالا: نعم، فقال عليه السلام: غير مجبرين ولا مقسورين فأسلتما لي بيعتكما وأعطيتماني عهدكما؟ قالا: نعم، قال: فما دعاكما بعد إلى ما أرى؟ قالا: أعطيناك بيعتنا على أن لا تقتضي الأمور ولا

تقطعها دوننا، وتستشيرنا في كلّ أمر ولا تستبد بذلك علينا، ولنا من الفضل على غيرنا ما قد علمت، وأنت تقسم وتقطع الأمر وتمضي الحكم بغير مشاورتنا ولا علمنا. فقال عليّ عليه السلام: لقد نقمتما يسيراً وأرجأتما كثيراً، فاستغفرا الله يغفر لكما، ألا تخبرانني أدفعتكما عن حقٍّ واجب لكما فظلمتكما إيّاه؟ قالا: معاذ الله. قال: فهل استأثرت من هذا المال لنفسي بشيء؟ قالا: معاذ الله. قال: أفوقع حكم أو حقّ لأحد من المسلمين فجهلته أو ضعفت عنه؟ قالا: معاذ الله. قال: فما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالا: خلافك عمر بن الخطاب في القسم، إنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا، وسوّيت بيننا وبين من لا يماثلنا فيما أفاء الله تعالى بأسيافنا ورماحنا، وأوجفنا عليه بخيلنا، وظهرت عليه دعوتنا، وأخذناه قسراً عمّن لا يرى الإسلام إلّا كرهاً. فقال عليه السلام: أما ما ذكرتموه من الاستشارة بكما فو الله ما كانت لي في الولاية رغبة، ولكنّكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها، فخفت أن أردّكم فتختلف الأمّة، فلمّا أفضت إليّ نظرت في كتاب الله وسنّة رسوله، فأمضيت ما دلّاني عليه واتّبعته، ولم احتج إلى رأيكما فيه ولا رأي غيركما، ولو وقع حكم ليس في كتاب الله بيانه ولا في السنّة برهانه، واحتيج إلى المشاورة فيه تشاورتكما.

وأما القسم والأُسوة فإن ذلك أمر لم أحكم فيه باديً بدء، قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك، وكتاب الله ناطق به، وهو الكتاب الذي لا يأتيه الباطل بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وأمّا قولكما: جعلت فيئنا وما أفاءته سيوفنا ورماحنا سواء بيننا وبين غيرنا، فقديماً سبق إلى الإسلام قوم ونصروه بأسيافهم ورماحهم، فلا فضّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله في القسمة ولا آثرهم بالسبق، والله سبحانه موف السابق والمجاهد يوم القيامة أعمالهم، وليس لكما والله عندي ولا لغيركما إلّا

هذا، أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ وألهمنا وإيّاكم الصبر ـ ثمّ قال ـ: رحم الله امرأً رأى حقّاً فأعان عليه، ورأى جوراً فردّه وكان عوناً للحقّ على من خالفه.

ورواه ابن عقدة الحافظ بأسانيده، كما نقله محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر (أماليه)[1].

قوله عليه السلام: «لقد نقمتما» أي: أنكرتما وعتبتما.

«يسيراً وأرجأتما» أي: أخّرتما.

«كثيراً» نقمهما اليسير ما عرفت من طلبهما شيئاً ليس لهما فيه حق، وإرجاؤهما الكثير ترك طاعتهما الإمام الواجب الإطاعة.

قال ابن أبي الحديد: روى الجاحظ أن طلحة والزبير أرسلا إلى عليّ عليه السلام قبل خروجهما محمّد بن طلحة وقالا له: لا تقل له يا أمير المؤمنين، ولكن قُل له يا أبا الحسن، لقد فال فيك رأينا وخاب ظنّنا، أصلحنا لك الأمر ووطدنا لك الإمرة، وأجلبنا على عثمان حتى قُتل، فلمّا طلبك النّاس لأمرهم أسرعنا إليك وبايعناك، وقدنا إليك أعناق العرب، ووطئ المهاجرون والأنصار أعقابنا في بيعتك، حتّى إذا ملكت عنانك، استبددت برأيك عنّا ورفضتنا رفض التريكة، وأذللتنا إذلالة الإماء، وملكت أمرك الأشتر وحكيم بن جبلة وغيرهما من الأعراب ونزاع الأمصار، فكنّا في ما رجوناه منك وأمّلناه من ناحيتك كما قال الأوّل:

فكنتَ كَمُهْرِيقِ الذي في سِقَائِهِ لرقْراقِ آلٍ فوقَ رابيةٍ صَلْدِ

فلمّا أبلغه محمّد بن طلحة ذلك قال عليّ عليه السلام له: قل لهما فما الذي يرضيكما؟ فذهب وجاء فقال: إنّهما يقولون ولِّ أحدنا البصرة والآخر الكوفة.

---

(١) الأمالي للشيخ الطوسيّ رحمه الله ٢: ٣٣٧ ـ ٣٤١.

فقال: لاها الله إذن يحلم الاديم ويستسري الفساد، وتنتقض عليّ البلاد من أقطارها، والله إنّي لا آمنهما وهما عندي بالمدينة، فكيف آمنهما وقد وليتهما العراقين؟ اذهب إليهما وقل لهما: أيُّها الشيخان احذرا من الله ونبيّه على أُمّته، ولا تبغيا المسلمين غائلة وكيداً، وقد سمعتما قول الله تعالى: ﴿تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوّاً في الأرض ولا فساداً والعاقبة للمتّقين﴾[1]. فقام ولم يعد إليه وتأخرا عنه عليه السلام أيّاماً، ثم جاءاه فاستأذناه للخروج إلى مكة للعمرة، فأذن لهما بعد أن أحلفهما ألا ينقضا بيعة، ولا يغدرا به، ولا يشقّا عصا المسلمين، ولا يوقعا الفرقة بينهم، وأن يعودا بعد العمرة إلى بيوتهما بالمدينة، فحلفا على ذلك كلّه ثم خرجا ففعلا ما فعلا[2].

وروي انّهما لمّا خرجا قال عليّ عليه السلام: والله ما يريدان العمرة وإنّما يريدان الغدرة، ﴿...فمن نكث فإنّما ينكث على نفسه ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجراً عظيماً﴾[3].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): كان الزبير لا يشك في ولاية العراق، وطلحة في اليمن، فلمّا استبان لهما أنّ عليّاً عليه السلام غير موليهما شيئاً أظهرا الشكاة، فتكلّم الزبير في ملأ من قريش فقال: هذا جزاؤنا من علي قمنا له في أمر عثمان، حتّى أثبتنا عليه الذنب، وسببنا له القتل، وهو جالس في بيته وكفي الأمر، فلمّا نال بنا ما أراد جعل دوننا فوقنا. وقال طلحة: ما اللوم إلّا لنا، كنّا ثلاثة من أهل الشورى كرهه أحدنا وبايعناه وأعطيناه ما في أيدينا ومنعنا ما في يده[4].

«ألا تخبراني أي شيء لكما فيه حقّ دفعتكما عنه وأيّ» هكذا في

---

(١) القصص: ٨٣.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٦.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ١٧، والآية ١٠ من سورة الفتح.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ٥١.

(المصرية)[١]، ولكن في (ابن ميثم)[٢]: (أو أيّ)، وفي (ابن أبي الحديد)[٣]: (أم أيّ).

«قسم» أي: تقسيم.

«استأثرت» أي: استبددت.

«عليكما به» كما كان عثمان يستأثر نفسه وأقاربه على النّاس.

«أم أيّ حق رفعه إليّ أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته أم أخطأت بابه» كما في المتقدمين عليه فقالوا: أمر عمر برجم حامل، فقال له معاذ: إن يكن لك عليها سبيل فلا سبيل لك على بطنها. فرجع عن حكمه وقال: لو لا معاذ لهلك عمر[٤].

وأمر أيضاً برجم مجنونة فقال له عليّ عليه السلام: إنّ القلم مرفوع عن المجنون حتّى يفيق[٥]. فقال: «لو لا عليّ لهلك عمر»[٦].

«والله ما كانت لي في الخلافة رغبة» فهو عليه السلام كان إماماً بتعيين النبيّ صلى الله عليه وآله له من قبل الله تعالى، وليست الخلافة والسطلنة جزء للإمامة كالنبوة وإن كانت حقّها.

«ولا في الولاية» على النّاس.

«إربة» اي: حاجة.

«ولكنّكم دعوتموني إليها وحملتموني عليها فلمّا أفضت» أي: الخلافة.

«إليّ نظرت إلى كتاب الله وما وضع لنا وأمرنا بالحكم به فاتّبعته وما استن»

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١٠.

(٢) في شرح ابن ميثم ٤: ٩ «وأيّ» أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٧.

(٤) ذكره العلاّمة الأمينيّ رحمه الله مع مصادره في الغدير ٦: ١٣٢ فراجع.

(٥) مسند أحمد ١: ١٤٠ و ١٥٤، فضائل الصحابة ٢: ٧١٩، المناقب للخوارزمي: ٨٠.

(٦) هذه الكلمة قالها عمر بن الخطّاب في موارد شتّى، انظر في تبيين مواضعها ملحقات إحقاق الحقّ ٨: ١٨٢ ـ ١٩٢.

هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: (وما استسن) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٢] و(الخطية).

«النبيّ صلى الله عليه وآله فاقتديته» وهكذا كان مذهبه عليه السلام في عدم حجيّة غير كتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله.

«فلم احتج في ذلك إلى رأيكما ولا رأي غيركما» لأنّ كل شيء مذكور في كتاب الله وسنة نبيّه، وإن كان باقي الصحابة لم يعرفوا ذلك.

«ولا وقع حكم جهلته فأستشيركما وإخواني المسلمين» كما كان من تقدم عليه كذلك فقالوا: جاءت امرأة إلى عمر فقالت: إنّ زوجي يصوم النّهار ويقوم الليل، وإنّي أكره أن أشكوه وهو يعمل بطاعة الله. فقال لها عمر: نعم الزوج زوجك. فجعلت تكرّر إليه القول وهو يكرّر عليها الجواب. فقال كعب بن سور لعمر: إنّها تشكو زوجها في مباعدته إيّاها عن فراشه. ففطن عمر حينئذٍ وقال له: قد وليّتك الحكم بينهما. فقال كعب لعمر: إنّ الله أحلّ لزوجها من النّساء مثنى وثلاث ورباع، فله ثلاثة أيام ولياليهنّ يعبد فيها ربّه، ولها يوم وليلة. فقال له عمر: والله ما أعلم من أي أمر بك أعجب، أمن فهمك أمرهما، أم من حكمك بينهما، اذهب قد وليّتك قضاء البصرة[٣].

«ولو كان ذلك» على طريق الفرض.

«لم أرغب عنكما ولا عن غيركما» وإلّا فكان وقوع ذلك منه عليه السلام محالاً.

«وأما ما ذكرتما من أمر الاسوة» أي: المساواة بين النّاس في قسمة الغنيمة.

«فإنّ ذلك أمر لم أحكم أنا فيه برأيي ولا ولّيته هوى مني، بل وجدت أنا وأنت

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١٠.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٧ و شرح ابن ميثم ٤: ٩ «استنّ» أيضاً.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢: ٤٦ ـ ٤٧.

ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله قد فرغ منه، فلم احتج إليكما فيما قد فرغ الله من قسمه وأمضى فيه حكمه» وهذا دليل على كون التفضيل الذي أحدثه عمر بدعة منكرة، فقد عرفت من رواية الإسكافي[1] أنّه عليه السلام قال لهما: ما الذي كرهتما من أمري حتى رأيتما خلافي؟ قالوا: خلافك عمر في القسم أنّك جعلت حقّنا في القسم كحقّ غيرنا. فقال عليه السلام لهما: إنّ كتاب الله وسنّة نبيّه على التسوية فكيف يمكن إعمال الرأي في قبالهما.

وكما رضي عليه السلام بترك حقّه لمّا قال له ابن عوف: أُبايعك على أن تعمل بسنّة الرجلين، دلالة على بطلان سنتهما، كذلك رضي بتزلزل أمره بخروج طلحة والزبير عليه فيتعقبه قيام معاوية، دون إجابتهما إلى التفضيل، دلالة على كون فعل عمر مخالفاً لصريح القرآن والسنّة.

«فليس لكما والله عندي ولا لغيركما في هذا» أي: أمر الأُسوة.

«عتبى» أي: حقّ. عودا إلى مقصدكما وما يرضيكما، لكونها خلاف الشريعة.

«أخذ الله بقلوبنا وقلوبكم إلى الحقّ» حتى لا نستدعي الباطل.

«وألهمنا وإيّاكم الصبر» على العمل بالحقّ.

«ثم قال ـ رحم الله امرأً» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (رجلا) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3] و(الخطية).

«رأى حقاً فأعان عليه» ﴿...وتعاونوا على البرّ والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان...﴾[4].

---

(١) مضت آنفاً.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢١١.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨، ولكن في شرح ابن ميثم ٤: ١٠ «امرأً» أيضاً.

(٤) المائدة: ٢.

«أو رأى جوراً فردّه» فهو الواجب على كلّ مسلم.

«وكان عوناً بالحقّ على صاحبه» هكذا في النسخ[١]، والأصحّ ما في رواية الإسكافي[٢]: (وكان عوناً للحقّ على من خالفه).

٧
الخطبة (١٣٦)

ومن كلام له عليه السلام:

لَمْ تَكُنْ بَيْعَتُكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِداً، إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلَّهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونِي لِأَنْفُسِكُمْ.

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَعِينُونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ؛ وَآيْمُ ٱللَّهِ لَأُنصِفَنَّ ٱلْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمِ بِخِزَامَتِهِ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ ٱلْحَقِّ وإن كَانَ كَارِهاً.

أقول: الأصل في هذا الكلام ما رواه (الإرشاد): عن الشعبي عنه عليه السلام حين تخلّف ابن عمر وسعد وأسامة وحسان ومحمّد بن مسلمة عن بيعته، فقال الشعبي: لمّا توقف هؤلاء عن بيعته، حمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيُّها النّاس! إنّكم بايعتموني على ما بويع عليه من كان من قبلي، وإنّما الخيار للناس[٣] قبل أن يبايعوا، فإذا بايعوا فلا خيار لهم، وإنّ على الإمام الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وهذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام واتّبع غير سبيل أهله، ولم تكن بيعتكم إيّاي فلتة، وليس أمري وأمركم واحداً، وإنّي أُريدكم لله وأنتم تريدونني لأنفسكم، وايم الله لأنصحن للخصم

(١) نهج البلاغة ٢: ٢١١، شرح ابن أبي الحديد ١١: ٨، شرح ابن ميثم ٤: ١٠.

(٢) مضت آنفاً.

(٣) قال العلاّمة المجلسيّ رحمه الله في البحار ٣٢: ٣٣ ما لفظه: «إنّما الخيار» أي: بزعمكم وعلى ما تدّعون من ابتناء الأمر على البيعة.

ولأنصفن للمظلوم، وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأُسامة وعبد الله وحسّان أُمور كرهتها، والحقّ بيني وبينهم[١].

وما رواه الدينوري مرفوعاً قال: لمّا قُتل عثمان بقي النّاس ثلاثة أيّام بلا إمام، وكان الذي يصلّي بالناس الغافقي، ثم بايع النّاس عليّاً عليه السلام فقال: أيُّها النّاس! بايعتموني على ما بويع عليه من كان قبلي، وإنّما الخيار قبل أن تقع البيعة، فإذا وقعت فلا خيار، وإنّما عليّ الاستقامة وعلى الرعية التسليم، وإنّ هذه بيعة عامّة من ردّها رغب عن دين الإسلام وإنّها لم تكن فلتة[٢].

«لم تكن بيعتكم إيّاي فلتة» كما كانت بيعة أبي بكر، كما صرّح به عمر.

ففي (تاريخ اليعقوبي): استأذن قوم من قريش عمر في الخروج للجهاد فقال: قد تقدّم لكم مع النبيّ صلّى الله عليه وآله أنّي آخذ بحلاقيم قريش على أفواه هذه الحرّة، لا يخرجوا فيسللوا بالناس يميناً وشمالاً. فقال له عبد الرحمن بن عوف: ولِمَ تمنعنا من الجهاد؟ فقال: لأن أسكت عنك فلا أُجيبك خيرٌ لك من أن أُجيبك.

ثم اندفع يحدّث عن أبي بكر؛ حتّى قال: كانت بيعة أبي بكر فلتة وقى الله شرّها، فمن عاد لمثلها فاقتلوه[٣].

وفي (الطبري): عن ابن عباس قال: حججنا مع عمر وإنّي لفي منزلي بمنى إذ جاءني عبد الرحمن بن عوف فقال: شهدت اليوم عمر ـ وقام إليه رجل فقال: إنّي سمعت فلاناً يقول: لو قد مات عمر لبايعت فلاناً ـ فقال عمر: إنّي لقائم العشيّة في النّاس أُحذرهم هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغتصبوا النّاس أمرهم. فقلت له: إنّ الموسم يجمع رعاع النّاس وغوغاءهم، وهم الذين يقربون من مجلسك ويغلبون عليه، وأخاف أن تقول مقالة لا يعونها ولا

(١) الإرشاد ١: ٢٤٣ ـ ٢٤٤، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣.
(٢) الأخبار الطوال: ١٤٠.
(٣) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨.

يحفظونها فيطيروا، ولكن امهل حتّى تقدم المدينة وتخلص بأصحاب النبيّ صلى الله عليه وآله فتقول فيعوا مقالتك. فقال: والله لأقومن بها أوّل مقام أقومه بالمدينة.

قال ابن عباس: فلمّا قدمنا المدينة وجاء يوم الجمعة، هجرت للحديث الذي حدثنيه عبد الرحمن ـ إلى أن قال ـ فقال عمر على المنبر: بلغني أن قائلاً منكم يقول: لو قد مات عمر بايعت فلاناً، فلا يغرنّ آمرأً أن يقول إن بيعة أبي بكر كانت فلتة، فقد كانت كذلك، غير أن الله وقى شرّها، وليس فيكم من يقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر. وأنّه كان من خبره حين توفي النبيّ أنّ علياً والزبير ومن معهما تخلفوا عنّا في بيت فاطمة، وتخلّفت عنّا الأنصار بأسرها ...[1].

وقال الجاحظ: إنّ الرجل الذي قال: (لو مات عمر لبايعت فلاناً) كان عمّار بن ياسر فإنّه قال: لو قد مات عمر لبايعت علياًعليه السلام[2].

وروى الهيثم بن عدي في كتابه ـ كما نقل الفضل بن شاذان في (إيضاحه) والمرتضى في (شافيه) ـ والهيثم من مصنّفيهم كما ذكره المسعودي في أوّل (مروجه)[3] ـ عن عبدالله بن عباس الهمداني، عن سعيد بن جبير عن أبن عمر ـ في خبر ـ قال: أشهد أنّي كنت عند أبي يوماً وقد أمرني أن أحبس النّاس عنه، فاستأذن عليه عبد الرحمن بن أبي بكر فقال أبي: دويبة سوء ولهو خير من أبيه. فأوحشني ذلك منه فقلت: يا أبة عبد الرحمن خير من أبيه؟ فقال: ومن ليس بخير من أبيه لا أُمّ لك! ايذن له. فدخل فكلّمه في الحطيئة ـ وقد كان عمر حبسه في شعر قاله ـ فقال له عمر إنّ في الحطيئة أودأ فدعني أُقوّمه بطول حبسه، فألحّ عبد الرحمن عليه وأبى هو، فخرج عبد الرحمن فأقبل

---

(١) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٠٣ ـ ٢٠٥، سنة ١١، والنقل بتلخيص.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٢٥.

(٣) مروج الذهب ١: ٧١.

عليَّ أبي وقال: أفي غفلة أنت إلى يومك هذا عمّا كان من تقدم أُحيمق بني تيم عليّ وظلمه لي؟ فقلت: لا علم لي بذلك، قال: فما عسيت يا بنيّ أن تعلم؟ فقلت له: والله أحب إلى النّاس من ضياء أبصارهم، قال: إنّ ذلك لكذلك على رغم أبيك، قلت: أفلا تجلي عن فعله بموقف في النّاس تبيّن ذلك لهم؟ قال: فكيف لي بذلك مع ما ذكرت إذاً يرضخ رأس أبيك بالجندل. قال: ثمّ تجاسر والله فما دارت الجمعة حتى قام خطيباً فقال: أيّها النّاس إنّ بيعة أبي بكر كانت فلتة، وقى الله شرّها، فمن دعاكم إلى مثلها فاقتلوه(١).

وعن مجالد بن سعيد قال: غدوت يوماً إلى الشعبيّ إذ أقبل رجل من الأزد فجلس إلينا، فأخذ الأزدي في ذكر أبي بكر وعمر، فضحك الشعبي وقال: لقد كان في صدر عمر ضبّ(٢) على أبي بكر - إلى أن قال بعد ذكر استغراب الأزدي لذلك - فقال الشعبي له: فكيف تصنع بالفلتة التي وقى الله شرها، أترى عدوّاً يقول في عدوّ يريد ان يهدم ما بنى لنفسه في النّاس، أكثر من قول عمر في أبي بكر؟ فقال الأزدي: سبحان الله! أنت تقول ذلك؟ فقال: أنا أقوله قاله عمر على رؤس الأشهاد، فلم أدعه...(٣).

والمفهوم من سوق الكلام ومقتضى المقام؛ أنّ عمر كان ينكر أن يعقد إمامة ببيعة النّاس، كما صنعت لأبي بكر واعتقاده أنّ الامامة انّما يجب أن تكون إمّا بنص مفصل كما نصَّ أبو بكر عليه، أو مجمل كما صنع هو لعثمان.

وامّا من دعا النّاس إلى بيعته - كما أرادت قريش طلحة والزبير وغيرهما في أيّامه أن يخرجوا من المدينة باسم الجهاد، وكما خرج طلحة والزبير في أيّام أمير المؤمنين عليه السلام باسم العمرة إلى مكة، ويدعو النّاس إلى

---

(١) الإيضاح : ١٣٥ - ١٣٨، الشافي ٤: ١٢٦ - ١٢٩، الصراط المستقيم ٣: ٣٠٢، والنقل بتصرّف وتلخيص.
(٢) الضبّ: الحقد: تقول: أضبّ فلان على غلٍّ في قلبه، أي أضمره. الصحاح ١: ١٦٧، مادة: (ضبب).
(٣) الإيضاح : ١٣٩ - ١٤٠، الشافي ٤: ١٢٦ - ١٢٩، والنقل بتصرّف.

بيعتهم كأبي بكر؛ ويدل على ذلك قول ابن عوف له في رواية اليعقوبي[١]: لِمَ تمنعنا من الجهاد؟ وجواب عمر له: لا أُجيبك خيرٌ لك، وكما أراد عمّار في رواية الطبري[٢] دعوة النّاس بعد موت عمر إلى أمير المؤمنين، لعدم جرأته على ذلك في أيّام عمر ـ فهو عند عمر أمر منكر ذو مفاسد كثيرة، وإنّما كانت بيعة النّاس لأبي بكر كذلك فلتة وتصادفاً واتفاقاً سلموا من عواقبها بأمور:

الأوّل: اجتماع الأنصار ـ لمّا رأوا طمع قريش في الإمارة عليهم بمنعهم نبيّهم صلى الله عليه وآله عن الوصيّة، وتخلفهم عن جيش أكّد النبيّ صلى الله عليه وآله بتجهيزه حتى لعن المتخلّف عنه ـ فقالوا: لمّا رأوا ذلك؛ إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لبث بضع عشرة سنة في قريش بمكّة فما آمن به أكثرهم، ومن آمن به منهم ما قدروا أن يمنعوه عن أعدائه، وانّما استقامت العرب له طوعاً وكرهاً بنصر الأنصار له، فهم أولى بسلطانه من قريش الطامعين.

والثاني: أنّ سعد بن عبادة رئيسهم كان مريضاً، فقال لابنه قيس: إنّي لا أقدر لشكواي أن أسمع القوم كلّهم كلامي، فكان يتكلّم سعد ويحفظ ابنه قوله ويُسمعه النّاس[٣]، ولذا قال سعد لعمر ـ لمّا قال اقتلوا سعداً ـ: أما والله لو أن لي بكم قوّة أقوى على النهوض لسمعت مني في أقطارها وسككها زئيراً يحجرك وأصحابك، وإذن لألحقنّك والله بقوم كنت فيهم تابعاً غير متبوع[٤].

والثالث: أنّ بشير بن سعد الخزرجي ابن عمّ سعد بن عبادة حسده أن يصير أميراً، فبادر إلى بيعة أبي بكر قبل الجميع حتّى قبل عمر، فقال له الحبّاب بن المنذر: عققت عقاق أنفست على ابن عمّك الإمارة[٥].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢: ١٥٧ ـ ١٥٨.
(٢) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٠٥، سنة ١١.
(٣) تاريخ الطبريّ ٣: ٢١٨، سنة ١١، شرح ابن أبي الحديد ٦: ٥.
(٤) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٢٢، سنة ١١.
(٥) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٢١، سنة ١١، الإمامة والسياسة ١: ٩.

والرابع: أنّ الأوس كانوا منافسين للخزرج في الجاهليّة والإسلام، فاغتنموا الفرصة لمّا رأوا عمل بشير ابن عم سعد معه، فقال اسيد بن حضير رئيس الأوس لهم: والله لئن وليتها الخزرج عليكم مرّة لازالت لهم عليكم بذلك الفضيلة، ولا جعلوا لكم معهم فيها نصيباً أبداً. فقوموا فبايعوا أبا بكر فقاموا إليه فبايعوه، فانكسر على سعد والخزرج ما كانوا أجمعوا من أمرهم(١).

والخامس: أن أمير المؤمنين عليه السلام وبني هاشم كانوا مشتغلين بتجهيز النبيّ صلى الله عليه وآله، ولم يحضر أحد منهم السقيفة، ولو حضروا كيف يعقل أن يحاجّ أبو بكر مع الأنصار ويقول لهم في مقابل نصرتهم له: إنّ النبيّ صلى الله عليه وآله لمّا بعث عظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم فخصّ الله المهاجرين الأوّلين من قومه بتصديقه، والمواساة له، والصبر معه على شدّة أذى قومه وتكذيبهم له؟

وكيف يمكن لعمر أن يقول لهم: والله لا ترضى العرب أن يؤمروكم ونبيّها من غيركم، ولكن العرب لا تمتنع أن تولّي أمرها من كانت النبوّة فيهم، ومن ذا ينازعنا سلطان محمّد وإمارته ونحن أولياؤه وعشيرته إلّا مدلٍ بباطل(٢).

فلمّا أخرجوا أمير المؤمنين عليه السلام بعد قهراً إلى بيعتهم قال عليه السلام لهم: لا أُبايعكم وأنتم أولى بالبيعة لي، أخذتم هذا الأمر من الأنصار واحتججتم عليهم بالقرابة من النبيّ صلى الله عليه وآله، وتأخذوه منّا أهل البيت غصباً، ألستم زعمتم للأنصار أنّكم أولى بهذا الأمر منهم، لمّا كان محمّد صلى الله عليه وآله منكم؟ فأعطوكم المقادة وسلّموا إليكم الإمارة، فإذن أحتجّ عليكم بمثل ما احتججتم على الأنصار، نحن أولى برسول الله صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً، فأنصفونا إن كنتم تؤمنون، وإلّا فبوؤا بالظلم وأنتم تعلمون. وحتّى إنّ بشير بن سعد الذي كان أوّل من

---

(١) المصدر نفسه ٣: ٢٢١ ـ ٢٢٢، سنة ١١.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٧ ـ ٨.

بايع أبا بكر، حتّى قبل عمر، لمّا سمعه عليه السلام قال لأبي بكر وعمر نحن أحقّ بهذا الأمر لأنّا أهل البيت ـ إلى آخر ما مر ـ قال له عليه السلام: لو كان هذا الكلام سمعته الأنصار منك يا عليّ قبل بيعتها لأبي بكر، ما اختلفت عليك، فقال عليه السلام له: أفكنت أدع الرسول صلى الله عليه وآله في بيته لم أدفنه وأخرج أُنازع بسلطانه.

وكذلك لمّا كان عليه السلام يخرج بفاطمة ليلاً إتماماً للحجّة لسؤال الأنصار النصرة، كانوا يقولون لها: يا بنت رسول الله! قد مضت بيعتنا لهذا الرجل، ولو أنّ زوجك وابن عمّك سبق قبل أبي بكر ما عدلنا عنه، فتقول عليها السلام لهم: ما صنع أبو الحسن إلّا ما كان ينبغي له، ولقد صنعوا ما الله حسيبهم[1].

ولمّا دعا عمر بالحطب وقال: والذي نفس عمر بيده لتخرجنّ أو لأحرقنها على من فيها، وقفت فاطمة عليها السلام على بابها وقالت: لا عهد لي بقوم حضروا أسوأ محضر منكم، تركتم النبيّ صلى الله عليه وآله جنازة بين أيدينا وقطعتم أمركم بينكم[2].

والسادس: أن أمير المؤمنين عليه السلام كان وتر قريش، فلم يرضوا أن ينتقل الأمر إليه عليه السلام، ولم يكن فيهم أنفسهم من يتصديه بشخصه لكون أكثرهم من الطلقاء والمؤلفة، وكون إسلام أبي بكر أقدم من إسلامهم حتّى من إسلام عمر، وكونه ذا سياسة زائدة مع طبيعة لينة، وصيرورة مصاحبته للنبي صلى الله عليه وآله في الغار سبباً لاشتهاره ومستمسكاً للتلبيس به على العامّة، وكون بنته عايشة ـ التي لم تكن في السياسة والجلارة دون أبيها ـ في بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، وبواسطتها زيد على مصاحبة غاره أمر النبيّ صلى الله عليه وآله له بالصلاة في مرض موته، وبهما تمسّك عمر في تقديمه. وقد وصف عمر بغض قريش له عليه السلام كبغض الثور لجازره، فقال يوماً لابن عباس: أنتم أهل النبيّ وبنو عمّه فما

---

(١) المصدر نفسه ١: ١٢.

(٢) المصدر نفسه.

تقول منع قومكم عنكم؟ قال: لا أدري والله ما أضمرنا لهم إلّا خيراً، قال: اللهمّ غفرا ان قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم النبوّة والخلافة، فتذهبوا في السماء شمخاً وبذخاً، ولعلكم تقولون إنّ أبا بكر كان أوّل من أخّركم، أما إنّه لم يقصد ذلك ولكن حضر أمر لم يكن بحضرته أحزم مما فعل، ولولا رأي أبي بكر فيّ لجعل لكم من الأمر نصيباً، ولو فعل ما هناكم مع قومكم أنّهم ينظرون إليكم نظر الثور إلى جازره.

والسابع: أنّ قريشاً كانوا أهل دنيا، وكانوا يريدون الإمارة والسلطنة، وكانوا علموا أنّه إن تصدّى أمير المؤمنين عليه السلام للأمر لم يجعله إلّا في المعصومين من عترته، فجعلوه في أبي بكر وهو نظيرهم ليردّه إليهم، وليكون لهم به سبب يدعونه، فقال أمير المؤمنين عليه السلام في كتاب كتبه ليُقرأ على النّاس لمّا سألوه عن الثلاثة ـ وقد رواه ابن قتيبة والثقفي وغيرهما ـ: وجعلني عمر سادس ستّة فما كانوا لولاية أحد منهم بأكره منهم لولايتي، لأنّهم كانوا يسمعونني وأنا أُحاج أبا بكر وأقول: يا معشر قريش أنا أحقّ بهذا الأمر منكم ما كان منّا من يقرأ القرآن ويعرف السنّة، فخشوا إن وليت عليهم ألا يكون لهم في هذا الأمر نصيب، فتابعوا إجماع رجل واحد حتّى صرفوا الأمر منّي لعثمان، فأخرجوني منها رجاء أن يتداولوها حين يئسوا أن ينالوها، ثمّ قالوا لي: هلم فبايع وإلّا جاهدناك. فبايعت مستكرهاً وصبرت محتسباً...[1].

ورووا عن جندب خبراً طويلاً وأنّه عليه السلام قال لجندب ـ لمّا قال له عليه السلام: ادع النّاس إلى نفسك ـ: لا يجيبني من المائة واحد، سأخبرك أنّ النّاس إنّما ينظرون إلى قريش فيقولون هم قوم محمّد وقبيلته، وأما قريش في ما بينها

(١) الإمامة والسياسة ١ : ١٥٥، الغارات للثقفيّ ١: ٣٠٧ـ٣٠٨.

فيقولون إنّ آل محمّد يرون لهم على النّاس بنبوّته فضلاً، يرون أنّهم أولياء هذا الأمر دون قريش ودون غيرهم من النّاس، وأنّهم إن ولّوه لم يخرج السلطان منهم إلى أحد أبداً، ومتى كان في غيرهم تداولته قريش بينها، لا والله لايدفع النّاس هذا الأمر إلينا طائعين أبداً ...[1].

والثامن: أن معين أبي بكر كان مثل عمر تلك الحوزة الخشناء، التي يغلظ كلمها، ويخشن مسّها، ولولاه لمّا تم الأمر له، وقد صرّح النظام بأن عمر هو الذي جعل أبا بكر خليفة. فتارة كان عمر يخاصم الحباب بن المنذر بأنّه من ينازعنا سلطان محمّد ونحن عشيرته، وأُخرى يقول: اقتلوا سعداً قتله الله. ويقوم على رأسه ويقول: لقد هممت أن أطأك حتى يندر عضوك، وأُخرى يقول في الزبير لمّا خرج بالسيف من عند بني هاشم: عليكم بالرجل فخذوه. فوثبوا عليه وأخذوا السيف منه، وانطلقوا به فبايع. ويدعو بالحطب على باب أهل البيت ويقول: والذي نفس عمر بيده لتخرجن أو لأحرقنّها، فقيل له إنّ فيها فاطمة. فقال: وإن، فخرج الهاشميون غيره عليه السلام فبايعوا. وأُخرى يقول لأبي بكر مرة بعد مرة: ألا تأخذ هذا المتخلّف عنك بالبيعة ـ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ـ فيرسل أبو بكر قنفذاً بأنّ خليفة النبيّ يدعوك فيقول عليه السلام: سريعاً كذب على النبيّ صلى الله عليه وآله، فيجيء عمر بنفسه مع جماعة إلى الباب. ومع أنّ فاطمة عليها السلام تصيح: يا أبه يا رسول الله ماذا لقينا بعدك من ابن الخطاب وابن أبي قحافة ـ فانصرف عدّة منهم لأنّ قلوبهم كادت تتصدّع وأكبادهم تتفطّر من بكاء فاطمة عليها السلام وكلامها ـ لم يكترث عمر بذلك وبقي مع عدّة حتّى أخرج أمير المؤمنين عليه السلام ومضى به إلى أبي بكر ويقول له عليه السلام: إن لم تبايع والله الذي لا إله إلّا هو نضرب عنقك، وكان عليه السلام يصيح مخاطباً للنبي صلى الله عليه وآله: يا

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٧ ـ ٥٨.

﴿...ابن ام ان القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني...﴾[1] فلم يخلّه حتّى أخذ منه البيعة.

وأُخرى يقول للعبّاس ـ لمّا قال هو وأبو بكر له بإشارة المغيرة عليهما، أن يجعلا له سهماً في الأمر فيضعف عليّ لكون العباس عم النبيّ ـ إي والله؛ وأُخرى إنّا لم نأتكم حاجة منّا إليكم، ولكنّا كرهنا أن يكون الطعن منكم في ما اجتمع عليه العامّة، فيتفاقم الخطب بكم وبهم فانظروا لأنفسكم.

وأيضاً لمّا قدم خالد بن سعيد بن العاص من اليمن بعد النبيّ صلى الله عليه وآله، وقد كان صلى الله عليه وآله ولّاه ـ المدينة لم يبايع ـ كما في (سقيفة الجوهري) ـ أبا بكر أيّاماً، ثم أتى بني هاشم وقال: أنتم الظهر والبطن؛ والشعار دون الدثار والعصا دون اللحا ـ إلى أن قال: فولّاه أبو بكر الجند الذي استنفرهم إلى الشام، فقال عمر لأبي بكر: أتولّي خالداً وقد حبست عليك بيعتة. وقال لبني هاشم ما قال، ما أرى أن توليه وما آمن خلافه، فولّى أبو بكر أبا عبيدة ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل بن حسنة وانصرف عن خالد[2].

ثم ما ذكرنا من ميل قريش إلى أبي بكر رغبةً عن أمير المؤمنين عليه السلام، وقيام عمر بتلك الأُمور لإتمام بيعة أبي بكر، هو معنى قول عمر في خطبته في الفلتة: (وليس منكم من تقطع إليه الأعناق مثل أبي بكر)، إلّا أنّك عرفت الحقيقة؛ وأنّ قطع الأعناق إلى أبي بكر لبيعته، كان على أنحاء منها: تسابق عمر وأبي عبيدة للبيعة لتواطئهما معه بردّها اليهما، ومنها سبقة بشير بن سعد حسداً لابن عمّه سعد بن عبادة أن ينال الإمارة ثمّ جميع الأوس حسداً أن ينالها خزرجي، ثم بيعة باقي طوائف قريش من مخزوم وزهرة وأُميّة وغيرهم طمعاً أن ينالوها بواسطته، وثمّ بيعة بني هاشم بإحراق البيت وضرب

---

(١) الأعراف: ١٥٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٥٨ ـ ٥٩، السقيفة للجوهريّ: ٥٢ ـ ٥٣.

الأعناق لو لم يبايعوا وباقي النّاس بالإكراه.

فرووا عن البراء بن عازب ـ في خبر ـ قال: وإذا قائل يقول: القوم في سقيفة بني ساعدة، وإذا قائل آخر يقول: قد بويع أبو بكر. فلم ألبث وإذ أنا بأبي بكر قد أقبل ومعه عمر وأبو عبيدة وجماعة من أصحاب السقيفة، وهم محتجزون بالأزر الصنعانيّة لا يمرّون بأحد إلّا خبطوه، وقدموه فمدوا يده فمسحوها على يد أبي بكر يبايعه شاء ذلك أو أنكر ...[1].

ثم بيعة أمير المؤمنين لم تكن محتاجة إلى قطع الأعناق إليه، بل كانت الأعناق تتقطّع دونها، فتداكّوا عليه تداك الإبل الهيم يوم ورودها، قد أرسلها راعيها وخلعت مثانيها، وأقبلوا إليه إقبال العوذ المطافيل على ولدها، حتّى كاد أن يقتل بعضهم بعضاً، وحتّى شق عطفاه وحتى وطئ الحسنان عليهما السلام ـ وكان يقبض يده فيبسطوها، ويكفها فيجاذبوها بدون غرض نفساني، بل لكونه أقرب النّاس إلى النبيّ صلى الله عليه وآله حيّاً وميّتاً، وأعلم النّاس بكتابه وسنّته، وسوابقه التي لم يشاركه فيها أحد.

ثمّ إنّ عمر وإن قال في خطبته: «فمن عاد إلى مثل بيعة أبي بكر فاقتلوه»[2]، وأراد بذلك أن تبقى الخلافة فيهم ولا تنتقل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فيتداولونها بينهم من يد إلى يد ككرة اللعب ـ فقد عرفت أنّه خطب بما خطب لمّا سمع ان عمّاراً قال أنه يبايع عليّاً عليه السلام إن مات عمر ـ إلّا ان النّاس لمّا رأوا أن من عيّنه عمر في شوراه وهو عثمان، سار فيهم بما سار، خافوا أن يسير باقي أهل شوراه حقيقة (طلحة والزبير وسعد) بما عاملهم به عثمان، فبادروا إلى أمير المؤمنين عليه السلام بتلك الكيفيّة، وقد كان عمّار قال لهم: رأيتم سيرة عثمان بالأمس، فإن لم تنظروا لأنفسكم تقعون في مثله، فخاب

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢١٩.

(٢) الإيضاح: ١٣٥ ـ ١٣٨، الشافي ٤: ١٢٦ ـ ١٢٩.

أمل عمر وبطل ما دبّر في مدة، لكن آل الأمر إلى انقطاعه بقيام طلحة والزبير، لكونهما من شورى عمر، ثمّ قيام معاوية لكونه والي عمر -ولقد كان عمر يتأوّه شديداً حيث يفكّر ويدبّر ألا يدع يرجع الأمر إليه عليه السلام يوماً، فيحصل له بسط يد فيوضح الأمر للناس، ويحصل له شيعة فرأى أن ذلك لا يحصل له بتمامه، فكان يتمنّى تارة حياة أبي عبيدة الذي كان أبو بكر يقول للناس: «بايعوا عمر أو أبا عبيدة» وهما يقولان: «كيف نقدمك»، وأُخرى حياة سالم مولى أبي حذيفة، وهو من أعوانه وأعوان صاحبه يوم السقيفة.

ثم إنّ من المضحك أن سيف بن عمر -الذي طريق الطبري الغالبي إليه (السري عن شعيب عنه) وطريقه النادر (عبيد الله عن عمر عنه) - أنكر المتواتر من عدم بيعة سعد بن عبادة مع أبي بكر فقال ببيعته، وأنّ الفلتة تأمّل سعد أوّلاً - فقال: لمّا قام الحبّاب وانتضى سيفه، حامله عمر فضرب يده فندر السيف فأخذه، ووثبوا على سعد وتتابع القوم على البيعة، وبايع سعد وكانت فلتة كفلتات الجاهلية، قام أبو بكر دونها[1].

وكيف أراد سيف ستر كون بيعة أبي بكر فلتة وقد ضرب بها المثل؟ ففي (أدباء الحموي): انفلت ليلة في مجلس الصاحب بن عباد صوت من بعض الحاضرين، والصاحب في الجدل فقال: كانت بيعة أبي بكر فخذوا في ما أنتم فيه[2].

قوله عليه السلام في رواية (أخبار طوال) أبي حنيفة الدينوري و(إرشاد) المفيد: وإنّ هذه بيعة عامّة من ردّها -أو (من رغب عنها)- رغب عن دين الإسلام[3].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٣: ٢٢٣، سنة ١١.

(٢) معجم الأدباء ٦: ٢١٧.

(٣) الأخبار الطوال: ١٤٠، الارشاد ١: ٢٤٣.

قال عليه السلام ذلك لأنّها كانت بمنزلة بيعة الأنصار للنبيّ صلى الله عليه وآله ليلة العقبة، وبيعة المؤمنين له صلى الله عليه وآله تحت الشجرة.

وقال اليعقوبي: لمّا بايعوا عليّاً عليه السلام قام عقبة بن عمرو فقال: من له يوم كبيعة الرضوان والإمام الهدى الذي لا يخاف جوره، والعالم الذي لا يخاف جهله[1].

هذا وفي (تذكرة) سبط ابن الجوزي: ذكر صاحب كتاب (عقلاء المجانين)، عن أبي هذيل العلاف قال: سافرت مع المأمون إلى الرقة فبينا أنا أسير في الفرات إذ مررنا بدير فيه مجنون يتكلّم بالحكمة ـ إلى أن قال ـ: قال أبو الهذيل قال ذاك المجنون لي: أخبرني عن النبيّ صلى الله عليه وآله هل أوصى؟ قلت: لا. قال: فكيف ولّي أبو بكر مجلسه من غير وصيّة؟ فقلت: اختاره المهاجرون والأنصار ورضي به النّاس، فقال: كيف اختاره المهاجرون وقد قال الزبير لا أبايع الاّ عليّاً وكذا العباس، وكيف اختاره الأنصار وقد قالوا: منّا أمير ومنكم أمير وولوا سعد بن عبادة ـ وقال عمر اقتلوا سعداً قتله الله ـ وكيف تقول رضي به النّاس وقد قال سلمان الفارسي (كرديد نكرديد)، فوجئت عنقه، وقال أبو سفيان لعليّ عليه السلام: مد يدك أبايعك، وان شئت ملأتها خيلاً ورجالاً، ثم قعد بنو هاشم عن بيعة أبي بكر ستة أشهر، فأين الإجماع؟! ولمّا قُتل عثمان جاء المسلمون والصحابة ارسالاً إلى عليّ ليبايعوه، فلم يفعل حتى قالوا: والله لئن لم تفعل لنلحقنّك بعثمان، فأخبرني أيما آكد من ضرب سعداً ووجاء عنق سلمان كمن جاء النّاس إليه يكرهونه على البيعة معه؟!

قال أبو الهذيل فلم أحر جواباً وسقط في يدي، فحدثت المأمون حديثه فاستطرفه وبقي زماناً يستعيده منّي[2].

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٧٩.

(٢) تذكرة الخواصّ: ٦٠ ـ ٦٢، ونقله الشارح بتصرّف.

«وليس أمري وأمركم واحداً إنّي أُريدكم لله» في (تاريخ اليعقوبي): لمّا بويع عليّ عليه السلام قام صعصعة بن صوحان فقال له عليه السلام: والله لقد زينت الخلافة وما زانتك، ورفعتها وما رفعتك، ولهي إليك أحوج منك إليها.

وقام خزيمة بن ثابت ذوالشهادتين فقال له عليه السلام: ما أصبنا لأمرنا هذا غيرك، ولا كان المنقلب إلّا إليك، ولئن صدقنا أنفسنا فيك لأنت أقدم النّاس ايماناً، وأعلم النّاس بالله وأولى المؤمنين بالرسول صلى الله عليه وآله، لك ما لهم وليس لهم ما لك.

وقام ثابت بن قيس خطيب الأنصار فقال له عليه السلام: والله لئن كانوا تقدموك في الولاية فما تقدموك في الدين، ولقد كانوا وكنت لا يخفى موضعك ولا يجهل مكانك، يحتاجون إليك فيما لا يعلمون وما احتجت إلى أحد مع علمك.

وقام الأشتر فقال: أيّها النّاس! هذا وصيّ الأوصياء، ووراث علم الأنبياء، العظيم البلاء، الحسن العناء، الذي شهد له كتاب الله بالإيمان، ورسوله بجنّة الرضوان، من كملت فيه الفضائل، ولم يشك في سابقته وعلمه وفضله الأواخر والأوائل[1].

«وأنتم تريدوني» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (تريدونني) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[3] والخطيّة).

«لأنفسكم» قال عمّار للناس قبل بيعتهم له عليه السلام: أيّها النّاس رأيتم سيرة عثمان بالأمس، فان لم تنظروا لأنفسكم تقعون في مثله.

«أيّها النّاس أعينوني على أنفسكم، وايم الله لأنصفن المظلوم من ظالمه»

---

(١) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة ٢: ٢٦.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١، ولكن في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤ «تريدوني» أيضاً.

هكذا في (المصرية)[١]، والصواب: زيادة كلمة (من ظالمه) وكونها حاشية خلطت بالمتن، لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد وابن ميثم والخطية)[٢].

«ولأقودن الظالم بخزامة» الخزامة: حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير يشد بها الزمام؛ قال الجوهري: ويُقال لكل مثقوب مخزوم، والطير كلّها مخزومة لأن وترات أُنوفها مثقوبة[٣].

«حتّى أُورده منهل» المنهل: موضع الورود على الماء.

«الحقّ وإن كان كارهاً» في (تاريخ اليعقوبي): بايع النّاس علياًعليه السلام إلّا ثلاثة من قريش، مروان بن الحكم وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ـ وكان لسانهم ـ فقال: يا هذا إنّك وترتنا جميعاً؛ أما أنا فقتلت أبي يوم بدر صبراً، وأما سعيد فقتلت أباه يوم بدر حرباً، وأما مروان فشتمت أباه وعبت على عثمان حين ضمّه إليه، فبايعنا على أن تضع عنّا ما أصبنا، وتعفي لنا عمّا في أيدينا وتقتل قتلة صاحبنا. فغضب عليّعليه السلام وقال: أمّا ما ذكرت من وتري إيّاكم فالحقّ وتركم، وأما قتلي قتلة عثمان، فلو لزمني اليوم قتلهم لزمني غداً قتالهم، وأما وضعي عنكم ما أصبتم، فليس لي أن أضع حقّ الله، وأمّا إعفائي عمّا في أيديكم فما كان لله وللمسلمين فالعدل يسعكم[٤].

٨
الخطبة (٩٢)

ومن خطبة له عليه السلام لمّا أُريدَ عَلَى الْبَيعَةِ بعدَ قَتلِ عُثمان:

دَعُوني وَالتَمِسُوا غَيْري فإِنّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْراً لهُ وُجُوهٌ وَأَلْوانٌ لاَ تَقومُ لَهُ

---

(١) نهج البلاغة ٢: ٢٦.

(٢) كلمة «من ظالمه» ليست في شرح ابن أبي الحديد ٩: ٣١، ولكن كانت في شرح ابن ميثم ٣: ١٦٤.

(٣) الصحاح ٥: ١٩١١، مادة: (خزم).

(٤) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ١٧٨ ـ ١٧٩.

القُلوبُ وَلا تَثْبُتُ عَلَيهِ العُقُولُ، وَإِنَّ الآفاقَ قَدْ أَغامَتْ، وَالمَحَجَّةَ قَدْ تَنَكَّرَتْ، وَاعْلَمُوا إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُم ما أَعْلَمُ وَلَمْ أُصغِ إِلى قَولِ القائِلِ وَعَتَبِ العاتِبِ وَإِنْ تَرَكْتُمُوني فَأَنا كَأَحَدِكُمْ وَلَعلّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطوَعُكُمْ لِمَنْ وَلّيتُمُوهُ أَمْرَكُمْ وَأَنا لكم وَزيراً خيرٌ لَكُمْ مِنّي أَميراً.

أقول: الأصل في العنوان رواية سيف الذي قد عرفت في (٢٤) من فصل عثمان، ان رواياته كذب وافتعال، إمّا كلّاً وإمّا جزءاً، وأنّه يدخل في كل شيء شيئاً ويضع في مقابل أمر أمراً.

ومما يوضح تصرفه في هذا الخبر إدخاله فيه إكراه طلحة والزبير على بيعتهعليه‌السلام، مع وضوح أنّهعليه‌السلام لم يكن يجبر أحداً. وأيضاً إدخاله فيه أنّ أهل البصرة أرادوا جعل الأمر لطلحة، وأنّ أهل الكوفة أرادوا جعل الأمر للزبير، ولم يرد الأمر لهعليه‌السلام غير أهل مصر، وهو أيضاً واضح البطلان، فأهل البصرة جاؤوا كأهل الكوفة جاؤوا كلّهم كانوا شيعتهعليه‌السلام، كيف لا؟ ورئيس البصريين حكيم بن جبلة العبدي ورئيس الكوفيين الأشتر النخعي.

وهذه رواية سيف في (الطبري) كتب إلى السري، عن شعيب عن سيف، عن محمّد وطلحة قالا: قالوا ـ أي أهل الكوفة والبصرة ومصر الذين شهدوا قتل عثمان ـ لأهل المدينة: أجلناكم يومين، فوالله لئن لم تفرغوا لنقتلنّ غداً عليّاًعليه‌السلام وطلحة والزبير وأُناساً كثيراً، فغشى النّاس عليّاً فقالوا: نبايعك فقد ترى ما نزل بالإسلام وما ابتلينا به من ذوى القربى، فقال عليّ: «دعوني والتمسوا غيري فإنّا مستقبلون أمراً له وجوه وله ألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول» فقالوا: ننشدك الله ألا ترى ما نرى، ألا ترى الإسلام، ألا ترى الفتنة، ألا تخاف الله؟ فقال: «قد أجبتكم لمّا أرى، واعلموا إن أجبتكم ركبت

بكم ما أعلم، وإن تركتموني فأنا كأحدكم إلّا أنّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم».

ثم افترقوا على ذلك واتعدوا الغد، وتشاور النّاس في ما بينهم وقالوا: إن دخل طلحة والزبير فقد استقامت، فبعث البصريون إلى الزبير بصرياً وقالوا: احذر لا تحابه ـ وكان رسولهم حكيم بن جبلة العبدي ـ فجاؤوا به يحدونه بالسيف ـ وإلى طلحة كوفياً وقالوا له: احذر لا تحابه، فبعثوا الأشتر في نفر فجاؤا به يحدونه، وأهل الكوفة وأهل البصرة شامتون بصاحبهم، وأهل مصر فرحون بما اجتمع عليه أهل المدينة، وقد خشع أهل الكوفة وأهل البصرة أن صاروا أتباعاً لأهل مصر وحشوة فيهم ـ إلى أن قال ـ: وجاء القوم بطلحة فقالوا: بايع، فقال: إنّي إنّما أُبايع كرهاً. فبايع ـ إلى أن قال ـ ثمّ جيء بالزبير فقال مثل ذلك وبايع، وفي الزبير اختلاف ـ يعني هل بايع أو لا[1]؟

وأخذ قوله: «وأنا لكم وزيراً» من خبر آخر.

والعجب من المصنّف كيف يأخذ من رواياته ويرى اشتمالها على مقطوع الكذب، ألم ينقل كلامه عليه السلام في ٢/١٤ في كتابه عليه السلام إلى طلحة والزبير: «أنّي لم أرد النّاس حتى أرادوني، ولم أُبايعهم حتّى بايعوني، وإنّكما ممّن أرادني وبايعني»؟ إلى غير ذلك ممّا نقل.

قول المصنف:

«ومن خطبة له عليه السلام» هكذا في (المصرية)[2]، والصواب: (ومن كلام له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[3] و(الخطية)، ولأنّه واضح أنّ كلامه عليه السلام لم يكن خطبة، بل على فرض صحّة نسبته يكون جواباً منه عليه السلام

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٣٤، سنة ٣٥.

(٢) نهج البلاغة ١: ١٨٢.

(٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣، ولكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥ «ومن خطبة له» أيضاً.

لهم لمّا قالوا له: نبايعك.

«لمّا أريد على البيعة بعد قتل عثمان» هكذا في (المصرية)[١]، ويصدقه (ابن ميثم والخطية)[٢] ولكن في (ابن أبي الحديد)[٣] بدله: (لمّا أراده النّاس على البيعة)، وقال: وفي بعض النسخ (لمّا أداره النّاس على البيعة)[٤].

«رضي الله عنه» هكذا في (المصرية)[٥]، وهو زائد لعدم وجوده في (ابن ميثم)[٦] و(الخطية)، وكذا (ابن أبي الحديد)[٧] على ما عرفت نقله، وأيضاً واضح أنّ المصنّف لا يقول ذلك، كما أنّ في (المصرية) في المتن: (إن أجبتكم)[٨]، والأصل (أنّي إن أجبتكم) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[٩] والخطية).

ثمّ قد عرفت عدم تحقّق العنوان في كلامه عليه السلام، فلا نحتاج إلى شرحه أو تأويله، ولكن قال ابن أبي الحديد: يحمل أصحابنا كلامه عليه السلام على ظاهره ويقولون إنّه لم يكن منصوصاً عليه، وإن كان أولى النّاس بها، لأنّه لو كان منصوصاً عليه لمّا جاز أن يقول: «دعوني والتمسوا غيري»، ولا أن يقول: «ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن ولّيتموه أمركم» ولا أن يقول: «وأنا لكم وزيراً خير منّي لكم أميراً» وتحمله الإمامية على وجه آخر فيقولون: إنّ الذين أرادوه على البيعة هم كانوا عاقدين بيعة الخلفاء من قبل، وكان عثمان منعهم

---

(١) نهج البلاغة ١: ١٨٢.
(٢) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣.
(٤) المصدر نفسه.
(٥) نهج البلاغة ١: ١٨٢.
(٦) شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥.
(٧) في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣ «رضي الله عنه» أيضاً.
(٨) نهج البلاغة ١: ١٨٢.
(٩) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣، ولكن في شرح ابن ميثم ٢: ٣٨٥ إن أجبتكم أيضا.

أو منع كثيراً منهم عن حقّه من العطاء، لأن بني أُميّة استأصلوا الأنام في أيّام عثمان، فلمّا قُتل قالوا لعليّ عليه السلام نبايعك على أن تسير فينا بسيرة أبي بكر وعمر، فاستعفاهم وسألهم أن يطلبوا غيره ممّن يسير بسيرتهما، وقال عليه السلام للناس كلاماً تحته رمز وهو قوله عليه السلام: «إنّا مستقبلون أمراً له وجوه وألوان، لا تقوم له القلوب، ولا تثبت عليه العقول، وإنّ الآفاق قد أغامت والمحجّة قد تنكّرت» قالوا: هذا كلام له باطن وغور عميق، معناه الإخبار عن غيب يعلمه هو ويجهلون هم، وهو الإنذار بحرب المسلمين بعضهم لبعض، واختلاف الكلمة وظهور الفتنة.

ومعنى قوله عليه السلام «الآفاق قد أغامت والمحجة قد تنكرت»: أنّ الشبهة استولت على العقول والقلوب، وجهل أكثر النّاس محجّة الحق أين هي، فأنا لكم وزيراً عن الرسول صلى الله عليه وآله، أفتي فيكم بشريعته وأحكامه، خيرٌ لكم منّي أميراً محجوراً عليه، مدبراً بتدبيركم، فإنّي أعلم أنّه لا قدرة لي أن أسير فيكم بسيرة الرسول صلى الله عليه وآله في أصحابه، مستقلاً بالتدبير لفساد أحوالكم وتعذّر صلاحكم.

ومعنى قوله عليه السلام: «له وجوه وألوان» أنّه موضع شبهة وتأويل، فمن قائل يقول: (أصاب عليّ) وآخر يقول: (أخطأ).

وكذلك القول في تصويب محاربيه من الجمل وصفين والنهروان، وتخطئتهم فإنّ المذاهب فيه وفيهم تشعّبت وتفرّقت جداً. قال: وحمل بعضهم كلامه عليه السلام على محمل آخر، فقال: هذا كلام مستريب شاكّ من أصحابه، يقول لهم: «دعوني والتمسوا غيري» على طريق الضجر منهم، والتبرّم بهم، والتسخّط لأفعالهم، لأنّهم كانوا عدولاً عنه من قبل واختاروا عليه، فلمّا طلبوه بعد أجابهم جواب المتسخط العاتب.

وحمله بعضهم على محمل آخر فقالوا: إنّه أخرجه مخرج التهكم والسخرية أي: «أنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً» في ما تعتقدونه، كما قال سبحانه: ﴿ذق إنّك أنت العزيز الكريم﴾[1] أي: تزعم ذلك لنفسك وتعتقده. وما ذكروه من المحامل ليس ببعيد لو كان الدليل عليه دل[2].

قلت: قد عرفت عدم معلوميّة كونه كلامه عليه السلام وعلى فرض كونه كلامه عليه السلام فنقول: أمّا ما نقله عن أصحابه أنّه لو كان منصوصاً عليه لمّا جاز أن يقول: (دعوني والتمسوا غيري ولعلّي أسمعكم وأطوعكم لمن وليتموه أمركم، وأنا لكم وزيراً خير لكم منّي أميراً) فهل الإمامة هي السلطنة والرّياسة، فالإمام كالنبيّ صلى الله عليه وآله سواء كان له بسط يد أم لا، والسّلطنة وإن كانت حقّهما إلّا أنّ تلك السلطنة أيضاً من الله، وهم يريدون أن يجعلوه سلطاناً من قبلهم وببيعتهم، ولم يكونوا يعتقدوا أنّ طاعته عليه السلام طاعة الله، ومعصيته معصية الله كالنبيّ صلى الله عليه وآله فلم يكن واجباً عليه عليه السلام قبول رياستهم، فأي مانع أن يقول دعوني والتمسوا غيري لإمامتكم المصنوعة، وأمّا طاعته لمن ولوه فلوجوب التقيّة.

وأمّا كون كونه وزيراً لهم خيراً لهم من إمارته، لأنّ بامارته كانوا يخرجون عليه فيكفروا، فإن طلحة والزبير صارا بسبب إمارته عليه السلام في غاية الخزي والشقاوة، مع أنّ تكلّم الإنسان في مثله على عقيدة خصمه؛ فقالوا: ان طائفة بجيلة في صفين قالوا لأبي شداد قيس بن مكشوح: خذ رايتنا. فقال: غيري خير لكم منّي، قالوا: ما نريد غيرك. قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لا أنتهي بكم دون صاحب الترس المذهب -يعني معاوية فكان على رأسه رجل معه ترس مذهب يستره من الشمس-.

---

(١) الدخان: ٤٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٣ ـ ٣٥.

وأمّا ما نقل عن الإمامية من المحامل، وقال ليست ببعيدة لو دلّ عليها دليل، فيدلّ على المحمل الأوّل من عدم قبوله عليه السلام العمل بسيرة أبي بكر وعمر: إنّه لمّا قال له ابن عوف يوم الدار: أُبايعك على أن تعمل بسنّتهما أنكر عليه، وقال: لا أعمل إلّا بكتاب الله تعالى وسنّة نبيّه صلى الله عليه وآله، ولمّا بايعه عليه السلام أصحابه بيعة ثانية بعد التحكيم، أراد رجل خثعمي بيعته على شرط ذلك فأنكر عليه أيضاً، وكونه عليه السلام وزيراً عن الرسول صلى الله عليه وآله أمر معلوم بالضرورة، لا ينكره أحد حتّى انّ معاوية كان مقرّاً به، كما في كتابه إلى محمّد بن أبي بكر، وتواتر به الخبر في حديث المنزلة[١].

ويدلّ على الثاني: أنّ تسخطه عليه السلام على النّاس وعتابه لهم في عدولهم عنه أمر مقطوع من الواضحات، وقد كان يصرّح به في أيّام الثلاثة في غير مقام ويخطب به في أيّامه مقاماً بعد مقام، بل كان عليه السلام قلمّا يرقى المنبر إلّا ويشكو من مظلوميته.

ويدلّ على الثالث: أنّ كونه عليه السلام رائي نفسه بمنزلة النبيّ صلى الله عليه وآله أيضاً أمر معلوم، فكان عليه السلام يقول: «وأنا من رسول الله كالصنو من الصنو والذراع من العضد»[٢]، وكان يقول: «إنّا صنائع الله والنّاس صنائع لنا»[٣] وكيف لا يقول عليه السلام ذلك والقرآن في قوله تعالى: ﴿...وأنفسنا وأنفسكم...﴾[٤] و ﴿إنّما وليّكم الله ورسوله والّذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة وهم راكعون﴾[٥] يشهد له بذلك؟!

وكان عليه السلام لا يرى الإمامة لغيره وغير المعصومين من عترته، ولذا

(١) انظر في مصادر هذا الحديث إحقاق الحقّ ٧: ٤٢٨، بحار الأنوار ٣٧: ٢٥٤ الباب ٥٣، الغدير ٣: ١٩٩ ـ ٢٠١.
(٢) نهج البلاغة ٣: ٨١، الكتاب ٤٥.
(٣) نهج البلاغة ٣: ٣٦، الكتاب ٢٨.
(٤) آل عمران: ٦١.
(٥) المائدة: ٥٥.

أجمعت قريش ـ على طوائفها ـ إجماع رجل واحد على صرف الأمر عنه يوم السقيفة ويوم الدار، ليكون لكلّ منهم نصيب من الأمر ـ وكانوا يريدون أن يجعلوه كواحد من عرض النّاس، خواصهم عناداً وحسداً وعامّتهم قلّة معرفة، فكان حدّ معرفتهم أنّ أهل الشام لمّا رفعوا المصاحف، بأنّا حكمنا القرآن لم يعرفوا انّه عليه السلام مع سوابقه تلك في الإسلام والتقى أحقّ بالخلافة من معاوية مع سوابقه تلك في الكفر والفجور، ثم كَفَّره عليه السلام جمع منهم بمعاهدته في ذلك مع شرطه.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد قال: نذكر هاهنا قصّة بيعته عليه السلام عن كتاب (نقض عثمانية) أبي جعفر الاسكافي قال: لمّا أجمعت الصحابة في مسجد النبيّ صلى الله عليه وآله بعد قتل عثمان للنظر في أمر الإمامه، أشار أبو الهيثم بن التيهان ورفاعة بن رافع ومالك بن العجلان وأبو أيوب الأنصاري وعمّار بن ياسر بعليّ عليه السلام، وذكروا فضله وسابقته وجهاده وقرابته، فأجابهم النّاس إليه، فقام كلّ واحد منهم خطيباً يذكر فضل عليّ عليه السلام، فمنهم من فضّله على أهل عصره خاصّة، ومنهم من فضّله على المسلمين كافة، ثم بويع وصعد المنبر في اليوم الثاني من يوم البيعة وهو يوم السبت لاحدى عشرة ليلة بقيت من ذي الحجة. فحمد الله وأثنى عليه وذكر محمّداً فصلّى عليه، ثم ذكر نعمة الله على أهل الإسلام، ثم ذكر الدنيا فزهّدهم فيها وذكر الآخرة فرغّبهم إليها ثم قال ـ: أمّا بعد فإنّه لمّا قبض رسول الله استخلف النّاس أبا بكر، ثم استخلف أبو بكر عمر فعمل بطريقة ثم جعلها شورى بين ستة، فأفضى الأمر منهم إلى عثمان فعمل ما أنكرتم وعرفتم، ثم حصر وقتل، ثم جئتموني فطلبتم إليّ وإنّما أنا رجل منكم لي ما لكم وعليّ ما عليكم، وقد فتح الله الباب بينكم وبين أهل القبلة وأقبلت الفتن كقطع الليل المظلم، ولا يحمل هذا الأمر إلّا أهل الصبر والنصر والعلم

بمواقع الأمر، وإنّي حاملكم على منهج نبيّكم صلى الله عليه وآله ومنفّذ فيكم ما أمرت به، إن استقمتم لي وبالله المستعان ألا إنّ موضعي من رسول الله صلى الله عليه وآله بعد وفاته كموضعي منه أيّام حياته، فامضوا لمّا تؤمرون وقفوا عندما تنهون عنه، ولا تعجلوا في أمر حتّى نبيّنه لكم، فإنّ لنا عن كل أمر تنكرونه عذراً، ألا وإنّ الله عالم من فوق سمائه وعرشه أنّي كنت كارهاً للولاية على أمّة محمّد صلى الله عليه وآله، حتّى اجتمع رأيكم على ذلك لأنّي سمعته صلى الله عليه وآله يقول: أيما والٍ ولّي الأمر من بعدي أُقيم على حدّ الصراط ونشرت الملائكة صحيفته، فإن كان عادلاً أنجاه الله بعدله، وإن كان جائراً انتفض به الصراط تتزايل مفاصله، ثم يهوي إلى النّار فيكون أوّل ما يتقيها به أنفه وحر وجهه، ولكنّي لمّا اجتمع رأيكم لم يسعني ترككم ـ ثم التفت عليه السلام يميناً وشمالاً فقال ـ: ألا لا يقولن رجل منكم غداً: قد غمرتهم الدّنيا فاتّخذوا العقار وفجّروا الأنهار، وركبوا الخيول الفارهة واتخذوا الوصائف الروقة، فصار ذلك عليهم عاراً وشناراً، إذا ما منعتهم ما كانوا يخوضون فيه، وأَصَرْتُهم إلى حقوقهم التي كانوا يعلمون، فينقمون ذلك ويستنكرون ويقولون: حرمنا ابن أبي طالب حقوقنا، ألا وأيّما رجل من المهاجرين والأنصار من أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله يرى أنّ الفضل له على من سواه لصحبته، فإنّ الفضل النيّر غداً عند الله وثوابه وأجره على الله، وأيّما رجل استجاب لله وللرسول فصدقّ ملتنا ودخل في ديننا واستقبل قبلتنا، فقد استوجب حقوق الإسلام وحدوده، فأنتم عباد الله، والمال مال الله، يقسم بينكم بالسويّة لا فضل فيه لأحد على أحد، وللمتّقين غداً عند الله أحسن الجزاء وأفضل الثواب، لم يجعل الله الدّنيا للمتّقين أجراً وثواباً وما عند الله خير للأبرار...[1].

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٧: ٣٦ ـ ٣٧.

قلت: ورواه ابن عقدة الحافظ، كما نقله محمّد بن الحسن الطوسي في أواخر (أماليه)[١].

هذا، وفي قوله عليه السلام فيه: وسمعت النبيّ صلى الله عليه وآله يقول: «ايّما وال ...» تعريض بهلاك المتقدمين عليه، أمّا كون عثمان جائراً فواضح، كونه معدن كلّ خطيئة، وأمّا عمر فمعلوم أنّه جار في تفضيل العربي على العجمي والصحابي على التابعي.

ففي ذيل هذا الخبر: أنّه عليه السلام قال لطلحة والزبير: «ما الذي كرهتما من أمري»؟ قالا: خلافك عمر في القسم، فقال عليه السلام لهما: «قد وجدت أنا وأنتما رسول الله صلى الله عليه وآله يحكم بذلك وكتاب الله ناطق به». وأمّا أبو بكر فواضح جوره في قضية مالك بن نويرة، وتعطيله حدود الله تعالى في حق خالد بن الوليد كما اعترف به عمر ﴿إنّ في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد﴾[٢] ولو لم يكن لشيخيهم إلّا تفويض خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله إلى أعداء النبيّ صلى الله عليه وآله لكفاهم هلاكه.

٩
الكتاب (٧٥)

ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية في أول ما بويع له ذكره الواقديّ في كتاب (الجمل):

مِنْ عَبْدِ اللّهِ عَلِيٍّ أمِيرِ الْمُؤمِنِينَ إلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبي سُفْيَانَ:

أَمَّا بَعْدُ؛ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُم، وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ، حَتَّى كَانَ مَا لا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ، وَالْحَدِيثُ طَوِيلٌ، وَالْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ، وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ، وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ.

---

(١) الأمالي للطوسيّ ٢: ٣٣٦ ـ ٣٤٢.

(٢) ق: ٣٧.

قول المصنّف:

«ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية» هكذا في (المصرية)[1] وفيها سقط، والأصل: (ومن كتاب له عليه السلام إلى معاوية من المدينة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2] و(الخطيّة).

«في أوّل ما بويع له» هكذا في (المصرية)[3]، وفيها أيضاً سقط والأصل: (في أوّل ما بويع له بالخلافة) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] و(الخطيّة) أيضاً.

«ذكره» وفي نسخة (ابن ميثم)[5]: (وذكره).

«الواقدي» محمّد بن عمر بن واقد.

«في كتاب (الجمل)» وله كتب كثيرة.

قوله عليه السلام: «أمّا بعد فقد علمت إعذاري فيكم وإعراضي عنكم، حتّى كان ما لابد منه ولا دفع له» قال ابن أبي الحديد: كتابه عليه السلام لمعاوية ولكن مخاطبته لبني أُميّة جميعاً، والمعنى علمت كوني ذا عذر لو لمتكم وذممتكم في أيّام عثمان، ومع ذلك أعرضت عن إساءتكم إليّ حتّى كان ما لابد منه من قتل عثمان[6].

قلت: في (الطبري) كتب أهل المدينة إلى عثمان يدعونه إلى التوبة، ويقسمون له لا يمسكون عنه أبداً حتى يقتلوه، أو يعطيهم ما يلزمه من حق الله. فلمّا خاف القتل شاور نصحاءه وأهل بيته، فأشاروا عليه أن يرسل إلى عليّ عليه السلام ليردّهم عنه حتى يأتيه إمداد، فقال لهم عثمان: إنّهم لن يقبلوا التعليل

---

(١) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

(٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، ولكن ليست في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ عبارة «من المدينة».

(٣) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨، ولكن ليست كلمة «بالخلافة» في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢.

(٥) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٣٢ «ذكره» أيضاً.

(٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨.

وقد كان منّي في قدمتهم الأُولى ما كان. فقال مروان: مقاربتهم حتّى تـقوى أمثل من مكاثرتهم على القرب، فطاولهم ما طاولوك، فإنّهم بغوا عليك، فلا عهد لهم. فأرسل إلى عليّ عليه السلام وقال له: يا أبا الحسن قد كان من النّاس ما رأيت، وكان منّي ما قد علمت، ولست آمنهم فارددهم عنّي، فإنّ لهم أن أُعطيهم الحقّ من نفسي ومن غيري. فقال له عليّ عليه السلام: قد كنت أعطيتهم في قدمتهم الأُولى عهداً من الله لترجعنّ عن جميع ما نقموا فرددتهم عنك، ثم لم تف لهم بشيء فلا تغرّني هذه المرّة -إلى أن قال-: فقال له عثمان: أجّلني في ما بالمدينة ثلاثة أيّام. فخرج عليّ عليه السلام إلى النّاس فأخبرهم بذلك، فكفّوا عنه ورجعوا، فجعل يتأهب للقتال، وقد كان اتّخذ جنداً عظيماً من رقيق الخمس، فلمّا مضت الايّام الثلاثة وهو على حاله لم يغيّر شيئاً، ولم يعزل عاملاً ثار به النّاس وخرجوا إلى المصريين بذي خشب فأخبروهم فقدموا المدينة -إلى أن قال-: وجاء محمّد بن أبي بكر وجماعة حتّى انتهى إلى عثمان، وأخذ بلحيته وقال له: ما أغنى عنك معاوية، ما أغنى عنك ابن عامر، ما أغنت عنك كتبك. فقام رجل من القوم بمشقص حتى وجأ به في رأسه ثمّ تغادوا عليه حتّى قتلوه[1].

«والحديث طويل والكلام كثير» أي: في قتل عثمان ومعاملته مع النّاس حتى اضطروا إلى قتله.

«وقد أدبر ما أدبر وأقبل ما أقبل» هكذا في (المصرية)[2]، وصدقها ابن أبي الحديد ففسّره بأنه أدبر ذلك الزمان وأقبل زمان آخر[3]، ونقله (ابن ميثم): (وقد أدبر من أدبر وأقبل من أقبل) وفسّره بأنه يمكن أن يكون المراد خروج طلحة والزبير، وأن يكون المعنى صار ذا إدبار (من أدبر عنّي)

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٦٩ ـ ٣٧٢، سنة ٣٥، ونقله الشارح بتصرّف وتلخيص.

(٢) نهج البلاغة ٣: ١٤٩.

(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨.

وذا إقبال (من أقبل عليّ)[١].

والظاهر أنّ صحيحهُ ما في (ابن ميثم)[٢] لكون نسخته بخط مصنّفه.

«فبايع مَنْ قِبلَك وأقبل إليّ في وفد من أصحابك» قال ابن أبي الحديد: لكن معاوية لم يبايع ولا قدم، وكيف يبايع وعينه طامحة إلى الملك والرياسة منذ أمّره عمر على الشام؟ وكان عالي الهمّة تواقاً إلى معالي الأمور ...[٣].

قلت: وكان عليه أن يقول وأمّره عمر ليستطيع بذلك أن يقوم في قِبال أمير المؤمنين عليه السلام إن وصل الأمر إليه يوماً، وأن يستأصل أهل بيت النبيّ صلى الله عليه وآله، فكان يصفه بأنّه فتى قريش وابن كريمها الذي لا ينام إلّا على الرضا، وأنّه يضحك عند الغضب، وأنّه يتناول ما فوقه من تحته، وأنّه أدهى من كلّ كسرى وقيصر، يصفه النّاس بالدهاء، وقد شكره أبو سفيان في توليته، ولم يكتف بتأميره بل أكمل له الأمر بتدبيره الشورى لعثمان.

ومن المضحك أنّه بشوراه جعل طلحة والزبير وسعداً وابن عوف مستعدين للخلاف عليه عليه السلام، بجعلهم نظيره في الشورى، فقام عليه الأولان وتخلف عنه الثالث، ولو كان الرابع حيّاً لتخلّف عنه أيضاً، ومع ذلك يقول لهم: إن اختلفتم في أمر الشورى غلبكم معاوية.

روى معمّر بن سليمان عن أبيه عن سعيد بن المسيب عن ابن عبّاس قال: سمعت عمر يقول لأهل الشورى: إنّكم إن تعاونتم وتوازرتم وتناصحتم أكلتموها وأولادكم، وإن تحاسدتم وتقاعدتم وتقاطعتم وتدابرتم وتباغضتم غلبكم على هذا الأمر معاوية ـ وكان معاوية حينئذ أمير الشام[٤].

---

(١) شرح ابن ميثم ٥ ـ ٢٣٣.
(٢) شرح ابن ميثم ٥ ـ ٢٣٣.
(٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٦٨ ـ ٦٩.
(٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ١٨٧.

وكلامه هذا أيضاً كان محرّكاً آخر لمعاوية، وكان عمر يعلم أنّه كان موافقة أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان لا يرعى غير الله معهم محالاً، كما أنّه يعلم أنّ الجماعة الذين جعلهم في مقابله عليه السلام -وحرّضهم عليه عليه السلام بكون خلافة النبيّ صلى الله عليه وآله طعمة لهم، ولأعقابهم- وإن كان بينهم اختلاف، إلّا انّهم متّفقون على خلافه عليه السلام، فهل كان فعله وقوله إلّا نصباً لمعاوية.

وأما قول ابن أبي الحديد[1]: وكان معاوية عالي الهمّة، تواقاً إلى معالي الأمور، فالأمر كما ذكر؛ فمن علو همّته حربه؛ كانت محاربته كأبيه مع النبيّ صلى الله عليه وآله إلى آخر أيّامه، وما أسلم ولكن استسلم اضطراراً، وأسرّ كفره حتّى وجد أعوانا ممّا مهد له صدّيقهم وفاروقهم وذو نوريهم، فأخذوا من النبيّ صلى الله عليه وآله ثأر من قتل منهم ببدر وأُحد.

١٠
الحكمة (١٧)

وقال عليه السلام فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ:
خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ.

قول المصنف: «وقال عليه السلام في الذين اعتزلوا القتال معه» قال ابن أبي الحديد: هم ابن عمر وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأُسامة بن زيد ومحمّد بن مسلمة وأنس بن مالك وجمع آخر، وقال أبو الحسين من شيوخ المعتزلة في كتاب (غرره): إنّه عليه السلام لمّا دعاهم إلى القتال معه، واعتذروا بما اعتذروا به قال لهم: أتنكرون هذه البيعة؟ قالوا: لا؛ لكنّا لا نُقاتل فقال: «إذا بايعتم فقد قاتلتم» قال: فسلموا من الذم[2].

قلت: مع أنّ أصل بيعتهم غير معلومة والروايات فيها مختلفة، روايته

---

(١) مضى آنفاً.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١١٥.

رواية باطلة فكيف يعقل أن يقول عليه السلام لهم: «إذا بايعتم فقد قاتلتم»؟ بدون عذر صحيح وهم الذين ذكر الله تعالى عذرهم في الجهاد في قوله: ﴿ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج إذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور رحيم * ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولّوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً ألا يجدوا ما ينفقون﴾[1]، وأُولئك كان لهم معاذير كاذبة فهم مصاديق قوله تعالى: ﴿وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم﴾[2].

وكيف يصح ما روى؟ ومن بايعه عليه السلام كان الواجب عليه إطاعته، حتّى عند العامّة في جميع أُموره وأوامره، وكيف سلموا من الذم وقد خذلوا الحق؟ ويكفيهم ذلك خزياً.

وقلنا: إنّ الروايات في أصل بيعتهم مختلفة، والأصح روايات العدم لكثرتها وشهرتها، بل ليس بالبيعة إلّا خبر واحد قابل للتأويل. فروى الطبري: أنّهم جاؤوا بسعد فقال عليّ عليه السلام: بايع، قال: لا أُبايع حتّى يبايع النّاس والله ما عليك منّي بأس، قال: خلوا سبيله، وجاؤوا بابن عمر فقال: بايع، قال: لا أُبايع حتّى يبايع النّاس، قال: إنّني بحميل. قال: لا أرى حميلاً، قال الأشتر: خل عنّي أضرب عنقه. قال عليّ عليه السلام: دعوه أنا حميله إنّه ما علمت لسيئ الخُلق صغيراً وكبيراً[3].

وروى أبو مخنف في (جمله) في خبر: أنّ المسلمين بايعوا عليّاً عليه السلام إلّا محمّد بن مسلمة وعبدالله بن عمر وأُسامة بن زيد وسعد وكعب بن مالك

---

(١) التوبة: ٩١ ـ ٩٢.

(٢) التوبة: ٩٠.

(٣) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٢٨، سنة ٣٥.

وحسّان بن ثابت وعبد الله بن سلام، فأمر بإحضار ابن عمر فقال له: بايع، فقال: لا أُبايع حتّى يبايع جميع النّاس -إلى أن قال-: فلمّا انصرف قال عليه السلام: لقد كان صغيراً وهو سيئ الخلق وهو في كبره أسوأ خلقاً، ثم أتي بسعد فقال له: بايع، فقال له: خلني فإذا لم يبق غيري بايعتك، فوالله لا يأتيك من قبلي أمر تكرهه أبداً، فقال: صدق خلوا سبيله.

ثم بعث إلى محمّد بن مسلمة فلمّا أتاه قال له: بايع، قال: إنّ النبيّ أمرني إذا اختلف النّاس وصاروا هكذا -وشبك بين أصابعه- أن أضرب بسيفي فأضرب به عرض (أحد) فإذا انقطع أتيت منزلي لا أبرحه. فقال عليه السلام له: فانطلق إذن فكن كما أُمرت. ثم بعث إلى أُسامة فلمّا جاء قال له: بايع، فقال: إنّي مولاك ولا خلاف منّي عليك وستأتيك بيعتي إذا سكن النّاس. فأمره عليه السلام بالانصراف ولم يبعث إلى أحد غيرهم، فقيل له ألا تبعث إلى حسّان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن سلام فقال عليه السلام: لا حاجة لنا في من لا حاجة له فينا.

وروى أيضاً أنّه عليه السلام لمّا تكلم ابن عمر في البيعة فامتنع عليه، أتاه في اليوم الثاني فقال له: إنّي لك ناصح إنّ بيعتك لم يرض بها كلّهم فلو نظرت لدينك ورددت الأمر شورى بين المسلمين. فقال عليه السلام له: ويحك وهل كان ما كان عن طلب منّي، ألم يبلغك صنيعهم بي، قم عني يا أحمق ما أنت وهذا الكلام ...

وروى (الإرشاد) عن الشعبي قال: لمّا اعتزل سعد ومن معه وتوقفوا عن بيعته عليه السلام قال عليه السلام في جملة كلام له: «وهذه بيعة عامّة من رغب عنها رغب عن دين الإسلام، واتبع غير سبيل أهله -إلى أن قال-: وقد بلغني عن سعد وابن مسلمة وأسامة وعبد الله وحسّان أُمور

كرهتها والحق بيني وبينهم»[1].

وروى المسعودي في (مروجه): أنّ سعداً وأُسامة وابن عمر ومحمّد بن مسلمة ممّن قعد عن عليّ عليه السلام، وأبوا أن يبايعوه هم وغيرهم ممّن ذكرنا من القعاد عن بيعته وذلك أنّهم قالوا: إنّها فتنة، ومنهم من قال لعليّ عليه السلام: أعطنا سيوفاً نُقاتل بها معك فإذا ضربنا بها المؤمنين لم تعمل فيهم ونبت عن أجسامهم، فإذا ضربنا بها الكافرين سرت في أبدانهم. فأعرض عنهم عليّ عليه السلام وقال: ﴿ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون﴾[2].

وفي (خلفاء ابن قتيبة): ذكروا أنّ عمّاراً قام إلى عليّ عليه السلام فقال: ايذن لنا آت ابن عمر لعلّه يخف معنا في هذا الأمر. فقال عليه السلام: نعم. فأتاه وقال له: قد بايع عليّاً المهاجرون والأنصار ومن إنْ فضّلناه عليك لم يسخطك، وإنْ فضّلناك عليه لم يرضك، وقد أنكرت السيف في أهل الصلاة، وقد علمت أنّ على القاتل القتل وعلى المحصن الرجم.

فقال له ابن عمر: إنّ أبي جمع أهل الشورى فكان أحقّهم بها عليّ، غير أنّه جاء أمر فيه السيف ولا أعرفه، لكن ما أُحبّ أنّ لي الدنيا وما عليها وأنّي أضمرت عداوة علي. فانصرف عنه وأخبر عليّاً عليه السلام بقوله، فقال له: لو أتيت محمّد بن مسلمة. فأتاه فقال له محمّد بن مسلمة: لولا ما في يدي من النبيّ لبايعت عليّاً، ولكن كان منه أمر ذهب فيه الرأي فقال له عمّار: كيف؟ قال: قال النبيّ إذا رأيت المسلمين يقتتلون ـ أو إذا رأيت أهل الصلاة ـ فقال عمار: فإن كان قال لك (إذا رأيت المسلمين) فوالله لا ترى مسلمين يقتتلان بسيفهما أبداً، وإن كان قال (أهل الصلاة)، فمن سمع هذا معك إنّما أنت أحد الشاهدين،

---

(١) الإرشاد ١: ٢٤٤ ـ ٢٤٣، بحار الأنوار ٣٢: ٣٣.

(٢) الأنفال: ٢٣، مروج الذهب ٣: ٢٤ ـ ٢٥.

أفتريد من النبيّ صلى الله عليه وآله قولاً بعد يوم حجّة الوداع: «دماؤكم وأموالكم عليكم حرام إلّا بحدث»؟ فنقول أنت يا محمّد بن مسلمة لا تقاتل المحدثين. فقال له: حسبك.

ثم أتى سعداً فكلّمه فأظهر الكلام القبيح. فانصرف إليه عليه السلام فقال له عليّ عليه السلام: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، وأمّا سعد فحسود، وأمّا محمّد بن مسلمة فذنبي إليه انّي قتلت أخاه يوم خيبر[١].

وفي (أخبار الطوال) للدينوري -بعد ذكر بيعة النّاس له-: ثمّ إنّ عليّاً عليه السلام نادى في النّاس بالتّأهّب للمسير إلى العراق، فدخل عليه سعد وابن عمر ومحمّد بن مسلمة فقال لهم: قد بلغني عنكم هنات كرهتها لكم. فقال سعد: قد كان ما بلغك فأعطني سيفاً يعرف المسلم من الكافر -إلى أن قال-: فقال الأشتر له عليه السلام: إنّا وإن لم نكن من المهاجرين والأنصار فإنّا من التابعين بإحسان، وإنّ القوم وإن كانوا أولى بما سبقونا إليه فليسوا بأولى ممّا شركناهم فيه وهذه بيعة عامّة، الخارج منها طاعن مستعتب، فعظ هؤلاء الذين يريدون التخلّف عنك باللسان فإن أبوا فأدّبهم بالحبس. فقال عليّ عليه السلام: بل أدعهم ورأيهم الذي هم عليه[٢].

وفي (الاستيعاب): قيل لنافع: ما بال ابن عمر بايع معاوية ولم يبايع عليّاً؟ فقال: كان ابن عمر لا يعطي يداً في فرقه ولا يمنعها من جماعة، ولم يبايع معاوية حتّى اجتمعوا عليه[٣].

قلت: قبح الله ديناً يستلزم كون عدو النبيّ صلى الله عليه وآله أولى بالولاية من

(١) الإمامة والسياسة ١: ٥٣ ـ ٥٤.

(٢) أخبار الطوال: ١٤٠ ـ ١٤٣، والنقل بتصرّف وتلخيص.

(٣) ابن عبد البر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١: ٢٦٢ في ترجمة معاوية بن أبي سفيان، دائرة المعارف، حيدر آباد ١٣١٨ للهجرة.

ولي النبيّ صلى الله عليه وآله بل نفسه.

وفي (نقض عثمانية) الإسكافي: لم يميّز ابن عمر بين إمام الرشد وإمام الغيّ، فانّه امتنع من بيعة عليّ عليه السلام، وطرق على الحجّاج بابه ليلاً ليبايع لعبد الملك كيلا يبيت تلك الليلة بلا إمام، زعم لأنّه روي عن النبيّ صلى الله عليه وآله أنّه قال: «من مات ولا إمام له مات ميتة جاهليّة» وحتّى بلغ من احتقار الحجّاج له واسترذاله حاله أن أخرج رجله من الفراش وقال: اصفق بيدك عليها[1].

فهذه روايات تسع دالّة صريحة على عدم بيعتهم. وروى أبو مخنف ـ كما في (جمل المفيد) ـ أنّه عليه السلام لمّا همَّ بالمسير إلى البصرة، بلغه عن سعد وابن مسلمة وأُسامة وابن عمر تثاقلهم عنه، فبعث إليهم فلمّا حضروا قال لهم: قد بلغني عنكم هنات كرهتها لكم، وأنا لا أُكرهكم على المسير معي. ألستم على بيعتي؟ قالوا: بلى، قال: فما الذي يقعدكم عن صحبتي؟ فقال له سعد: إنّي أكره الخروج في هذه الحرب فأُصيب مؤمناً، فإن أعطيتني سيفاً يعرف المؤمن من الكافر قاتلت معك. وقال له أُسامة: أنت أعزّ الخلق عليّ ولكنّي عاهدت الله ألا أُقاتل أهل (لا إله إلّا الله) ـ وذكر في قتله رجلاً شهد بالوحدانية وظنّ أنّه قالها تعوّذاً في عهد النبيّ صلى الله عليه وآله وإنكار النبيّ صلى الله عليه وآله عليه ذلك ـ وقال عبد الله بن عمر: لست أعرف في هذه الحرب بشيء أسألك ألا تحملني على ما لا أعرف. فقال عليه السلام لهم: ليس كلّ مفتون يُعاتب. ألستم على بيعتي؟ قالوا: بلى، قال: فانصرفوا فسيغني الله[2].

ولم نقف في بيعتهم على غير هذا الخبر، مع أنّ أبا مخنف الذي رواه روى ضدّه، مع أنّه يمكن حمل قوله: (ألستم على بيعتي)، على أنّ المراد عدم

(١) الإسكافي: نقض العثمانية، ملحق بكتاب العثمانية للجاحظ، ٣٠١ تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي بمصر، ١٩٥٥ م.

(٢) الجمل للمفيد: ٩٥ ـ ٩٦.

الإخلال في بيعتي، فإنّهم وإن قعدوا عن مشاهده، إلّا أنّهم لم يخلّوا في خلافته كطلحة والزبير ومروان وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة.

وأمّا رواية أبي الحسن المعتزلي في (غرره) المرفوعة، فهي عين هذا الخبر بدليل أنّ ابن أبي الحديد نقلها عنه في شرح قوله عليه السلام: (فتداكوا علَيّ)، هكذا قال عليّ عليه السلام لهم: ما كلّ مفتون يعاتب، أعندكم شكّ في بيعتي؟ قالوا: لا، قال فإذ بايعتم فقد قاتلتم[1]. إلّا أنّه لمّا أراد تنزيه سعد أحد عشرتهم المبشّرة، وأحد ستّة شوراهم وابن فاروقهم، نقل كلامه عليه السلام عند نفسه بالمعنى فبدّل قوله عليه السلام: (انصرفوا فسيغني الله عنكم) بقوله: (فإذا بايعتم فقد قاتلتم)، لكنّه كما ترى وهل يصلح العطّار ما أفسد الدهر؟!

قوله عليه السلام «خذلوا الحقّ ولم ينصروا الباطل» في (الطبري): قال عبد خير الخيواني لأبي موسى: هل كان هذا الرجلان ـ يعني طلحة والزبير ـ ممّن بايع عليّاً؟ قال: نعم، قال: هل أحدث حدثاً يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت فإنّا تاركوك حتّى تدري، هل تعلم يا أبا موسى أحداً خارجاً من هذه التي تزعم أنّها فتنة؟ إنّما بقي أربع قرون عليّ عليه السلام بظهر الكوفة، وطلحة والزبير بالبصرة، ومعاوية بالشام وفرقة أُخرى بالحجاز، لا يجبى بها فيء ولا يُقاتل بها عدوّ. فقال له أبو موسى: أُولئك خير النّاس وهي فتنة، فقال له عبد خير: يا أبا موسى غلب عليك غشّك[2].

١١
الحكمة (٢٦٢)

وَقِيلَ: إنَّ ٱلْحَارِثَ بنَ حَوْطٍ أتاهُ فَقَالَ لَهُ: أَتَرَانِي أظُنُّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ؟

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٠.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤: ٤٨٥ ـ ٤٨٦، سنة ٣٦.

فَقَالَ عليه السلام :

يَا حَارِث، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ.

فَقَالَ الْحَارِثُ: فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللّهِ بْنِ عُمَر.

فَقَالَ عليه السلام :

إِنَّ سَعِيداً وَعَبْدَ اللّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ.

أقول: رواه الجاحظ في (بيانه) واليعقوبي في (تاريخه) ففي الأوّل: نهض الحرث بن حوط الليثي إلى عليّ عليه السلام وهو على المنبر فقال: أتظن أنّا نظن أنّ طلحة والزبير كانا على ضلال؟ قال: يا حار إنّه ملبوس عليك، إنّ الحق لا يعرف بالرجال، فاعرف الحق تعرف أهله[1] ـ ومثله الثاني وزاد ـ: واعرف الباطل تعرف من أتاه[2]. ورواه إبراهيم الثقفي كما يأتي كاملاً مع اختلاف.

قول المصنف:

«وقيل ان الحارث بن حوت» هكذا في (المصرية)[3]، والصواب: (حوط) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[4] و(الخطية) وكما عرفت من (مستنده). ثم ان ابن أبي الحديد قال: (حوط) بالحاء المهملة ويقال: ان الموجود في خط الرضي بالمعجمة[5].

قلت: لم يعلم كون خط الرضي بالمعجمة وإلّا لذكره ابن ميثم، لكون نسخته بخط مصنفه.

وكيف كان فقال (الجمهرة) في المهملة: إنّهم سمّوا به ولم يذكر في

(١) البيان والتبيين.
(٢) تاريخ اليعقوبيّ ٢: ٢١٠.
(٣) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.
(٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «حوت» أيضاً.
(٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٨.

المعجمة[١]، كما أنّ (القاموس) ذكر في المهملة جمعاً مسمين بـه[٢] -وإن لم يذكر هذا ـ ولم يذكر في المعجمة.

«أتاه فقال أتراني أظن أصحاب الجمل كانوا على ضلالة» نظير الحارث بن حوط الليثي هذا اربد الفزاري؛ ففي (صفين نصر) وغيره، لمّا خطب عليّ عليه السلام النّاس وأمرهم بالمسير الى صفين وقال لهم: سيروا إلى أعداء السنن والقرآن، سيروا إلى بقيّة الأحزاب وقتلة المهاجرين والأنصار؛ قام رجل من بني فزارة يقال له أربد فقال له: أتريد أن تسير بنا إلى إخواننا من أهل الشام فنقتلهم لك كما سرت بنا إلى إخواننا من أهل البصرة فقتلناهم؟ كلا والله إذن لا نفعل ذلك. فقام الأشتر فقال: من لهذا؟ وهرب الفزاري واشتد النّاس على أثره فلحقوه في مكان من السوق تباع فيه البراذين فوطئوه بأرجلهم وضربوه بأيديهم ونعال سيوفهم حتّى قتل، فقال عليه السلام: قتيل عميه ديته من بيت المال[٣].

فقال عليه السلام «يا حارث» هكذا في (المصريّة)[٤]، والصواب (يا حار) بالترخيم كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٥] و(الخطيّة) وكما في (مستنده).

«إنّك نظرت تحتك ولم تنظر فوقك فحرت» أي: صرت حيراناً من (حار يحار).

«إنّك لم تعرف الحق فتعرف من أتاه» هكذا في (المصرية)[٦]، والصواب:

---

(١) جمهرة اللغة ١: ٥٥٢ ـ حوط.
(٢) القاموس المحيط ٢: ٣٥٦، مادة: (حوط).
(٣) وقعة صفيّن: ٩٤ ـ ٩٥، شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٧٩.
(٤) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.
(٥) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «يا حارث» أيضاً.
(٦) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

(فتعرف أهله) كما في (ابن أبي الحديد وابن ميثم[١] والخطيّة ومستنده).

«ولم تعرف الباطل فتعرف من أتاه» هكذا في (المصرية وابن أبي الحديد)[٢]، ولكن في (ابن ميثم)[٣] أيضاً: (فتعرف أهله)، ونسبت ما في المتن إلى نسخة.

وكيف كان فهو كلام في غاية النفاسة نظير قوله عليه السلام: «لا تنظروا إلى من قال وانظروا إلى ما قال»[٤]، فإن النّاس الذين ليس لهم معرفة كاملة يجعلون الرجال ميزان الحقّ والباطل، والواجب العكس، فقال تعالى لنبيّه صلى الله عليه وآله: ﴿...لئن أشركت ليحبطن عملك...﴾[٥] وقد قال تعالى فيه صلى الله عليه وآله: ﴿ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين﴾[٦].

فالحارث رأى أنّ عايشة يُقال لها أُمّ المؤمنين أخذاً من قوله تعالى في حرمة نكاح أزواج نبيّه ﴿...وأزواجه أُمهاتهم...﴾[٧] إلّا انّه لم يلاحظ قوله تعالى: ﴿يا نساء النبيّ من يأت منكن بفاحشة مبيّنة يضاعف لها العذاب ضعفين وكان ذلك على الله يسيراً﴾[٨] ﴿وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهليّة الأُولى...﴾[٩].

كما أنّه رأى أنّ طلحة والزبير من المهاجرين، ومن ستّة الشورى، ولم

---

(١) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ ولكن في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «من أتاه» أيضاً.

(٢) نهج البلاغة ٣: ٢١٦، شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧.

(٣) في شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «من أتاه» أيضاً.

(٤) غرر الحكم و درر الكلم بشرح الخوانساري ٦: ٢٦٦ ح ١٠١٨٩.

(٥) الزمر: ٦٥.

(٦) الحاقّة: ٤٤ ـ ٤٦.

(٧) الأحزاب: ٦.

(٨) الأحزاب: ٣٠.

(٩) الأحزاب: ٣٣.

يلاحظ أنّهما نكثا وأفسدا في الأرض وقتلا آلافاً من المسلمين بغير حقّ، وقد قال تعالى: ﴿...فمن نكث فانّما ينكث على نفسه...﴾[١] و ﴿الذين ينقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما أمر الله به أن يوصل ويفسدون في الأرض أُولئك هم الخاسرون﴾[٢] ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتّقين كالفجّار﴾[٣].

والحارث ونظراؤه ـ في نظرهم إلى جانب دون جانب ـ مصاديق قول الشاعر:

حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء.

قول المصنف «فقال الحارث فإنّي اعتزل مع سعيد» هكذا في (المصرية)[٤] والصواب: (سعد)، فإنّ المراد سعد بن أبي وقاص المعروف.

«بن مالك وعبد الله بن عمر فقال عليه السلام إنّ سعيداً» الكلام فيه كالأوّل.

«وعبد الله بن عمر» هكذا في (المصرية)[٥]، و(بن عمر) زائدة لعدم وجوده في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[٦]، ولعدم الاحتياج إليه بعد ذكره في كلام الخصم كما في (سعد).

«لم ينصرا الحق» وهو هو عليه السلام، ففي متواتر الخبر وظاهر العيان والأثر كونه عليه السلام مع الحقّ وكون الحقّ معه عليه السلام[٧] من أوّله إلى آخره ﴿وسلام عليه

---

(١) الفتح : ١٠.

(٢) البقرة : ٢٧.

(٣) ص : ٢٨.

(٤) نهج البلاغة ٣: ٢١٦.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) في شرح ابن أبي الحديد ١٩: ١٤٧ و شرح ابن ميثم ٥: ٣٧٧ «ابن عمر» أيضاً.

(٧) هذا من الأحاديث المتواترة من طرق الخاصّة و العامّة. جملة من رواته من أعلام العامّة في كتاب الغدير ٣: ١٧٦ ـ ١٨٠. وكتاب التاج الجامع للأصول كتاب الفضائل في فضل عليّ بن أبي طالب، وإحقاق الحقّ ١: ٥٨ و ٧: ٤٧٠، و كذا في بحار الأنوار باب أنّه من الحقّ والحقّ معه ٣٨: ٢٦.

يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾[١].

«ولم يخذلا الباطل» وهو أعداؤه عليه السلام من الناكثين والقاسطين والمارقين، فإنّهما وإن لم يعاوناهم لم يعادياهم فلم يحصلا منهما خذلان كامل.

إلّا ان الثقفي رواه ـ كما في (أمالي الشيخ) ـ بلفظ آخر فروى عن أبي الوليد الضبي، عن أبي بكر الهذلي قال: دخل الحرث بن حوط الليثي على أمير المؤمنين عليه السلام وقال له عليه السلام: ما أرى طلحة والزبير وعايشة أضحوا إلّا على حقّ فقال عليه السلام: «يا حارث إنّك إن نظرت تحتك ولم تنظر فوقك جزت عن الحقّ. إنّ الحقّ والباطل لا يعرفان بالناس، ولكن اعرف الحق باتّباع من اتّبعه والباطل باجتناب من اجتنبه» قال: فهلا أكون كعبد الله بن عمر وسعد بن مالك؟ فقال عليه السلام: إنّ عبد الله وسعداً خذلا الحق ولم ينصرا الباطل متى كانا إمامين في الخير فيتبعان[٢]؟

هذا وأما سعد فقد مر عنه عليه السلام فيه أنّه لم يبايعه لكونه حسوداً، وروى سليم بن قيس في كتابه: أنّ سعداً إمام المذبذبين[٣].

وفي (مروج المسعودي): لمّا حجّ معاوية طاف بالبيت ومعه سعد، فلمّا فرغ انصرف إلى دار الندوة وأجلس سعداً معه على السرير، ثم وقع في سبّ عليّ عليه السلام فزحف سعد وقال لمعاوية: أجلستني معك ثم شرعت في سبّ عليّ، والله لئن يكون فيّ خصلة واحدة من خصال كانت لعليّ عليه السلام أحبُّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، والله لأن يكون النبيّ صلى الله عليه وآله قال لي ما قال له يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّه الله ورسوله ويحبّ الله ورسوله ليس بفرّار يفتح الله على يديه» أحبّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه

---

(١) مريم: ١٥.

(٢) الأمالي للشيخ الطوسيّ ١: ١٣٣ ـ ١٣٤، بحار الأنوار ٢٢: ١٠٥.

(٣) كتاب سليم بن قيس الهلالي العامري، ١٥٢، طبع النجف الأشرف.

الشمس. والله لأن يكون النبيّ ﷺ قال لي ما قال له في غزوة تبوك: «ألا ترضى أن تكون منّي بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» أحبُّ إليّ من أن يكون لي ما طلعت عليه الشمس، وايم الله لا دخلت لك داراً ما بقيت. ونهض.

ووجدت في كتاب علي بن محمّد بن سليمان النوفلي، في الأخبار عن ابن عايشة وغيره: أنّ سعداً لمّا قال هذه المقالة لمعاوية ونهض ليقوم ضرط له معاوية وقال له: اقعد حتّى تسمع جواب ما قلت، فما كنت عندي قط ألأم منك الآن، فهلا نصرت عليّاً؟ ولِمَ قعدت عن بيعته؟ فإنّي لو سمعت من النبيّ فيه مثل الذي سمعت فيه لكنت خادماً لعليّ ما عشت.

فقال سعد: والله إنّي لأحق بموضعك منك.

فقال معاوية: يأبى عليك بنو عذرة ـ وكان سعد فيما يقال لرجل من بني عذرة.

وفي ذلك يقول السيّد الحميري:

سائل قريشاً بها إن كنت ذا عمه	من كان أثبتها في الدين أوتادا
إن يصدقوك فلم يعدوا أبا حسن	إن أنت لم تلق للأبرار حسّادا
إن أنت لم تلق تيمياً أخا صلف	ومن عدي لحق الله جحّادا
أو من بني عامر أو من بني أسد	رهط العبيد ذوي جهد وأوغادا
ورهط سعد وسعد كان قد علموا	عن مستقيم صراط الله صدّادا
قوم تداعوا زنيماً ثم سادهمُ	لولا خمول بني زهر لمّا سادا[1]

وأما ابن عمر ففي (الطبري): أنّ عمر لمّا تمنى حين وفاته حياة أبي عبيدة وسالم مولى أبي حذيفة حتى يستخلفهما، قيل له: فابنك؟ قال: كيف

(١) مروج الذهب ٣: ٢٣ ـ ٢٤، والنقل بتصرّف وتلخيص.

استخلف رجلاً عجز عن طلاق امرأته[1]؟

وفي (مسترشد الطبري) الإمامي مخاطباً للعامّة: ومن فقهائكم ورواة أخباركم ابن عمر الذي قعد عن بيعة عليّ عليه السلام ثم مضى إلى الحجّاج فطرقه ليلاً فقال: هات يدك لأبايعك لأمير المؤمنين عبد الملك فإني سمعت النبيّ يقول: «من مات وليس عليه إمام فميتته جاهلية» حتى أنكرها عليه الحجّاج مع كفره وعتوّه[2].

ومرّ عن الإسكافي: أنّه بلغ من احتقار الحجّاج له أن أخرج رجله من الفراش، وقال اصفق بيدك عليها.

١٢
الحكمة (١٤)

وقال عليه السلام:
ما كلُّ مفتونٍ يُعاتَب.

أقول: قد عرفت في العنوان التاسع من رواية أبي مخنف التي نقلها (جمل المفيد): أنّه عليه السلام قال ـ لسعد وابن عمر وأُسامة ومحمّد بن مسلمة لمّا اعتذروا عن تخلّفهم عنه ـ: «ما كل مفتون يُعاتب ألستم على بيعتي؟ »قالوا: بلى. قال: «فانصرفوا فسيغني الله عنكم». وقلنا ثمة أنّ تبديل أبي الحسين المعتزلي ذيل الخبر: (فانصرفوا فسيغني الله عنكم) بقوله: (فاذا بايعتم فقد قاتلتم)، من تصرفاته في الخبر دفعاً للطعن عن سعد وابن عمر؛ مع أنّك قد عرفت أنّ عدم بيعتهم متواترة، وأنّ الخبر شاذ ولو لم نطرحه لابد من تأويله بكون المراد بكونهم على بيعته عليه السلام عدم إخلالهم بخلافته عليه السلام.

ثم إنّ المراد بقوله عليه السلام: (ما كلّ مفتون يعاتب)، أنّ المفتون إنّما يُعاتب

---

(١) تاريخ الطبريّ ٤: ٢٢٧ ـ ٢٢٨، سنة ٢٣.

(٢) ابن رستم الطبري: المسترشد: ١٦ ط الحيدرية، النجف.

إذا كانت الفتنة عن التباس الأمر عليه، فيُعاتب ويُقال له: ويحك الأمر حقيقته كذا وكذا، وإمّا إذا كانت عن تلبيس على نفسه لمرض في قلبه، فلا يُعاتب لأن العتاب لا يفيده ومثلهم المغيرة فيأتي أنّه عليه السلام قال: «المغيرة عمداً لبس على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته».

ومر أنّه عليه السلام قال لعمّار ـ لمّا ذهب إلى ابن عمر وابن مسلمة وسعد وحاجّهم وأفحمهم وانصرف إليه عليه السلام ـ: دع هؤلاء الرهط، أمّا ابن عمر فضعيف، وأما سعد فحسود، وذنبي إلى محمّد بن مسلمة أنّي قتلت أخاه يوم خيبر.

ومرّ في الحادي عشر: أنّ سعداً لمّا ذكر لمعاوية أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله قال فيه عليه السلام يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحبّ الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله». ويوم تبوك: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلّا أنّه لا نبي بعدي» قال له معاوية: ما كنت قط عندي ألأم منك الآن لعدم بيعتك معه مع ذلك.

وفي (خلفاء ابن قتيبة): أنّ معاوية لمّا كتب إلى سعد: (قد نصر عثمان طلحة والزبير وهما شريكاك في الأمر والشورى) كتب إليه سعد: أنّ أهل الشورى ليس منهم أحد أحقّ بها من صاحبه، غير أنّ علياً كان له من السابقة ما لم يكن فينا، وشاركنا في محاسننا ولم نشاركه في محاسنه، وكان أحقّنا كلّنا بالخلافة، ولكن مقادير الله التي صرفتها عنه حيث شاء لعلمه وقدره، وقد علمنا أنّه أحقّ بها منّا ولكن لم يكن بدّ من الكلام في ذلك والتشاجر...[1].

هكذا يقول سعد في حقّه ولا يبايعه، فأي عتاب يفيده.

---

(١) الإمامة والسياسة ١: ١٠٠.

وأمّا قوله: (ولكن مقادير الله التي صرفتها عنه) فيقال له: كل شيء يقع في الدّنيا بمقادير الله، ولكن الذي صرفتها عنه عليه السلام تدابير المنافقين لا مقادير الله.

١٣
الحكمة (٤٠٥)

وقالَ عليه السلام لِعَمَّارِ بْنِ ياسِرٍ وقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلاَماً:

دَعْهُ يا عَمَّارُ، فإِنَّهُ لَنْ يأخُذَ مِنَ الدِّينِ إِلَّا ما قارَبَهُ مِنَ الدُّنْيا، وعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ على نَفْسِهِ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهاتِ عاذِراً لِسَقَطاتِهِ.

أقول: رواه (أمالي المفيد) و(خلفاء ابن قتيبة)؛ ففي الأوّل: مسنداً عن مالك بن أنس عن عمّه أبي سهل عن أبيه قال: إنّي لواقف مع المغيرة عند نهوض عليّ عليه السلام من المدينة إلى البصرة إذ أقبل عمّار فقال له: هل لك في الله عزّوجلّ يا مغيرة، فقال: وأين هو لي يا عمّار؟ قال: تدخل في هذه الدعوة فتلحق بمن سبقك وتسود من خلفك.

فقال له المغيرة: أو خير من ذلك؟ قال عمّار: وما هو؟ قال: ندخل بيوتنا ونغلق علينا أبوابنا حتى يضيء لنا الأمر، فنخرج ونحن مبصرون، ولا تكون كقاطع السلسلة أراد الضحك فوقع في الغنم. فقال له عمّار: هيهات هيهات أجهل بعد علم وأعمى بعد علم وأعمى بعد استبصار واسمع لقولي، فوالله لن تراني إلّا في الرعيل الأوّل، فطلع عليهما أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أبا اليقظان ما يقول لك الأعور، فإنّه والله دائماً يلبس الحقّ بالباطل ويموّه فيه، ولن يتعلّق من الدين إلّا بما يوافق الدنيا، ويحك يا مغيرة إنّها دعوة تسوق من يدخل فيها إلى الجنّة.

فقال له المغيرة: صدقت يا أمير المؤمنين إن لم أكن معك فلن أكون عليك[١].

وفي الثاني: دخل المغيرة على عليّ عليه السلام فقال عليه السلام له: هل لك يا مغيرة في الله؟ قال: فأين هو يا أمير المؤمنين؟ قال تأخذ سيفك فتدخل معنا في هذا الأمر فتدرك من سبقك وتسبق من معك، فإنّي أرى أُموراً لابد للسيوف أن تشحذ لها وتقطف الرؤوس بها. فقال المغيرة: إنّي والله ما رأيت عثمان مصيباً ولا قتله صواباً، وإنّها لمظلمة تتلوها ظلمات، فأُريد إن أذنت لي أن أضع وأنا في بيتي، حتّى تنجلي الظلمة ويطلع قمرها فنسري مبصرين نقفو آثار المهتدين ونتّقي سبيل الجائرين.

فقال عليه السلام له: لقد أذنت لك فكن من أمرك على ما بدا لك.

فقام عمّار فقال له: معاذ الله يا مغيرة تقعد أعمى بعد أن كنت بصيراً، يغلبك من غلبته ويسبقك من سبقته، أُنظر ما ترى وما تفعل، فأما أنا فلا أكون إلّا في الرعيل الأوّل.

فقال له المغيرة: يا أبا اليقظان إيّاك أن تكون كقاطع السلسلة فرَّ من الضحاء فوقع في الرمضاء.

فقال عليّ عليه السلام لعمّار: دعه فإنّه لم يأخذ من الآخرة إلّا ما خالطته الدّنيا، أما والله يا مغيرة إنّها المثوبة تؤدي من قام فيها إلى الجنّة ولمّا اختار بعدها، فإذا غششتنا فنم في بيتك.

فقال المغيرة: أنت والله يا أمير المؤمنين أعلم منّي ولئن لا أُقاتل معك لا أُعين عليك، فإن يكن ما فعلت صواباً فإيّاه أردت، وإن خطأً فمنه نجوت، ولي ذنوب كثيرة لا قِبل لي بها إلّا الاستغفار منها[٢].

---

(١) الأمالي للمفيد: ٢١٧.

(٢) الإمامة والسياسة ١: ٥٠.

قول المصنف: «وقال عليه السلام لعمار بن ياسر وقد سمعه يراجع المغيرة بن شعبة كلاماً» قد عرفت من الروايتين أنّ مراجعة عمّار للمغيرة كلاماً إنّما كانت في دعوة عمّار للمغيرة إلى بيعة أمير المؤمنين عليه السلام ومساعدته على أعدائه، وإنّ المغيرة ما قبل ذلك، وقال لعمّار: مثلك في نصرتك له كمن فر من الضحاء فوقع في الرمضاء، بمعنى أنّك فررت من ضغطة أيّام عثمان فتقع بمساعدته عليه السلام في ضغطات معاوية التي هي أكثر.

قوله عليه السلام: **«دعه يا عمّار فإنّه لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربه من الدّنيا»** هكذا في (المصرية)[1] ولكن في (ابن أبي الحديد وابن ميثم)[2]: (إلّا ما قاربته الدّنيا) وحينئذ فالمراد لم يأخذ من الدّين إلّا ما قاربته الدّنيا إليه، وأما دين لم تقاربه الدّنيا إليه، فلا يكترث المغيرة به. ويمكن أن يكون (قاربته) فيهما مصحف (قاربه) ففي (الخطيّة): «قاربه الدنيا».

وصدق عليه السلام حتى أنّ أصل إسلام المغيرة إنّما كان كذلك.

ففي (الاغاني) ـ ونقله ابن أبي الحديد أيضاً ـ: أنّ المغيرة كان يحدِّث حديث إسلامه قال: خرجت مع قوم من بني مالك ـ ونحن على دين الجاهلية ـ إلى المقوقس ملك مصر فدخلنا إلى الاسكندرية وأهدينا للملك هدايا كانت معنا ـ وكنت أهون أصحابي على الملك ـ فقبض هدايا القوم وأمر لهم بجوائز، وفضّل بعضهم على بعض وقصر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له. وخرجنا فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون، ولم يعرض عليّ أحد منهم مواساة، فلمّا خرجوا حملوا معهم خمراً فكانوا يشربون منها فأشرب معهم، ونفسي تأبى أن تدعني معهم وقلت: ينصرفون إلى الطائف ويخبرون قومي بازدراء الملك إيّاي، فأجمعت على قتلهم، فقلت إنّي أجد صداعاً

---

(١) نهج البلاغة ٣: ٢٥٠.

(٢) في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨ وشرح ابن ميثم ٥: ٤٤٠ «إلاّ ما قاربه من الدنيا» أيضاً.

فوضعوا شرابهم ودعوني، فقلت: رأسي يصدع ولكن اجلسوا فأسقيكم فلم ينكروا من أمري شيئاً، فجلست أسقيهم فلمّا دبت فيهم اشتهوا الشرب فجعلت أصرف لهم الكأس وانتزع الكأس فأهمدتهم الخمر حتّى ناموا ما يعقلون، فوثبت إليهم فقتلتهم جميعاً وأخذت جميع ما كان معهم وقدمت بالمدينة فوجدت النبيّ في المسجد وعنده أبو بكر وكان عارفاً بي، فلمّا رآني قال: ابن أخي عروة، قلت: نعم، قد جئت أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسوله، فقال أبو بكر: أمن مصر أقبلت؟ قلت: نعم، قال: فما فعل المالكيون الذين كانوا معك؟ قلت: كان بيني وبينهم بعض ما يكون بين العرب ونحن على دين الشرك فقتلتهم وأخذت أسلابهم، وجئت بها إلى النبيّ ليخمسها فإنّها غنيمة من المشركين، فقال النبيّ صلى الله عليه وآله: أمّا إسلامك فقبلته ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمسها، لأنّ هذا غدر والغدر لا خير فيه، فأخذني ما قرب وما بعد، فقلت: انّما قتلتهم وأنا على دين قومي ثم أسلمت حين دخلت إليك الساعة، فقال: الإسلام يجب ما قبله ـ وكان قتل منهم ثلاثة عشر رجلاً واحتوى على ما معهم ـ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف فتداعوا للقتال ثم اصطلحوا على أن حمل عمّه عروة بن مسعود ثلاث عشرة دية[1].

وقال ابن أبي الحديد: ولمّا جاء عروة بن مسعود إلى النبيّ صلى الله عليه وآله عام الحديبية، نظر إلى المغيرة قائماً على رأس النبيّ صلى الله عليه وآله متقلّداً سيفاً، فقال: من هذا؟ فقيل له: ابن أخيك المغيرة. قال: وأنت هاهنا يا غدر، والله إنّي إلى الآن ما غسلت سوأتك[2].

وقال أيضاً: قال أصحابنا البغداديون: من كان إسلامه على هذا الوجه، وكانت خاتمته ما قد تواتر به الخبر من سبّه على المنابر ـ إلى أن مات ـ

(١) الأغاني ١٦: ٨٠ ـ ٨٢، شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٩ ـ ١٠، والنقل بتصرّف وتلخيص.
(٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٨.

علياً عليه السلام، وكان المتوسط من عمره الفسق وإعطاءه البطن والفرج سؤلهما وممالاة الفاسقين، كيف نتولّاه ولا نكشف فسقه وأي عذر لنا في الإمساك عنه[١].

قلت: لم ينحصر كشف فسقه بل نفاقه بمعتزلة بغداده، بل كشف ذلك قبلهم عبد الرحمن بن عوف أحد عشرتهم وستتهم وعثمان بن عفان أحد عشرتهم وستتهم وإمامهم الثالث وذو نوريهم.

أمّا الأوّل ففي الجوهري في (سقيفته) وعوانة في (شوراه): أنّه لمّا بايع ابن عوف عثمان قال المغيرة لعثمان: أما والله لو بويع غيرك لمّا بايعناه. فقال له ابن عوف: كذبت والله لو بويع غيره لبايعته، وما أنت وذاك يا بن الدباغة؟ لو وليها غيره لقلت له مثل ما قلت الآن تقرّباً إليه وطمعاً في الدّنيا[٢].

وأمّا الثاني ففي (الطبري): أنّ النّاس لمّا استسفروا علياً عليه السلام بينهم وبين عثمان، دخل على عثمان وقال له: ممّا أنكر النّاس عليك توليتك الفسقة كابن عامر والوليد بن عقبة. فقال له عثمان: أُنشدك الله يا عليّ هل تعلم أنّ المغيرة بن شعبة ليس هناك؟ قال: نعم، قال: فتعلم أنّ عمر ولّاه؟ قال: نعم، قال: فلِمَ تلومني إن وليت ابن عامر في رحمه...[٣].

وان كان فاروقهم أنكر نفاقه حيث جعله من المهاجرين لمّا دافع عنه في زناه، ومانع الشاهد الرابع من أداء شهادته حتى لا يُرجم.

ففي (الأغاني) لأبي الفرج ـ بعد ذكر أداء أبي بكرة ونافع وشبل بن معبد شهادتهم في رؤيتهم زنا المغيرة، كالميل في المكحلة ـ: فأمر عمر أن ينحوا ولا يجالسهم أحد من أهل المدينة، وانتظر قدوم زياد فلمّا رآه مقبلاً قال: إنّي

---

(١) المصدر نفسه ٢٠: ١٠.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ٥٣.

(٣) تاريخ الطبريّ ٤: ٣٣٨، سنة ٣٤.

لأرى رجلاً لن يخزي الله على لسانه رجلاً من المهاجرين(١).

وفي حديث ابن شبه عن السري، عن عبد الكريم بن رشيد عن أبي عثمان قال: لمّا جاء الثالث فشهد بزنا المغيرة، كان عمر كانّما نثر الرماد على وجهه، فلمّا جاء زياد جاء شاب يخطر بيديه، فرفع عمر رأسه إليه وقال له: ما عندك أنت يا سلح العقاب ـ وصاح أبو عثمان صيحة تحكي صيحة عمر ـ قال عبد الكريم: لقد كدت أن يغشى عليّ لصيحته ـ فقال زياد لعمر: أما أن أحقّ ما حق القوم فليس عندي، ولكني رأيت مجلساً قبيحاً وسمعت نفساً حثيثاً وابتهاراً، ورأيته متبطنها، فقال عمر أرأيته يدخل ويخرج كالميل في المكحلة؟ قال: لا(٢).

وفي كثير من الروايات: قال زياد: رأيته رافعاً برجليها ورأيت خصييه مترددين بين فخذيها وسمعت خفراً شديداً ونفساً عالياً، فقال عمر: أرأيته يدخله ويخرجه كالميل في المكحلة؟ قال: لا. فقال عمر: الله أكبر قم يا مغيرة إليهم فاضربهم. فضربهم ـ فقال أبو بكره بعد أن ضرب: أشهد أنّ المغيرة فعل كذا وكذا، فهمَّ عمر بضربه. فقال له عليّ عليه السلام: إن ضربته رجمت صاحبك.

وحجّ عمر بعد ذلك مرّة فوافق الرقطاء التي رمي بها المغيرة بالموسم فرآه ـ وكان المغيرة يومئذ بالموسم ـ فقال عمر للمغيرة: أتعرف هذه؟ قال: نعم، هذه أم كلثوم بنت عليّ، فقال له: ويحك أتتجاهل عليّ؟ والله ما أظن أبا بكرة كذب عليك، وما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بحجارة من السماء ـ وكان عليّ بعد ذلك يقول: إن ظفرت بالمغيرة لأتبعته أحجاره(٣).

وفي (نقض الاسكافي): كان المغيرة يسبّ عليّاً عليه السلام على منبر الكوفة

---

(١) الأغاني ١٦: ٩٥ ـ ٩٧، والنقل بتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ١٦ : ٩٧ ـ ٩٨.

(٣) المصدر نفسه.

لأنّه بلغه أيّام عمر أن عليّاً قال: لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره[١].

وفي (مفاخرات الزبير بن بكار): اجتمع عمرو بن العاص والوليد بن عقبة وعتبة بن أبي سفيان والمغيرة بن شعبة عند معاوية ـ وقد كان بلغهم عن الحسن بن عليّ عليه السلام قوارص ـ فقالوا لمعاوية: إنّ الحسن قد أحيا أباه ابعث إليه فليحضر لنسبّه ونسبّ أباه ونوبّخه ونخبّره أن أباه قتل عثمان ـ إلى أن قال ـ: فتكلّم المغيرة فشتم عليّاً عليه السلام وقال: والله ما أُعيبه في قضية يخون ولا في حكم يميل ولكنّه قتل عثمان ـ فقال له الحسن عليه السلام: وأما أنت يا مغيرة فلم تكن بخليق أن تقع في مثل هذا، وإنّما مثلك مثل البعوضة إذ قالت للنخلة استمسكي فإنّي طائرة عنك، فقالت النخلة وهل علمت بك واقفة عليّ فأعلم بك طائرة عني؟ والله ما نشعر بعداوتك إيّانا ولا اغتممنا إذ علمنا بها ولا يشقّ علينا كلامك، وإنّ حدّ الله في الزنا لثابت عليك، ولقد درأ عمر عنك حقّاً الله سائله عنه، ولقد سألتَ النبيّ صلى الله عليه وآله هل ينظر الرجل إلى المرأة يريد أن يتزوجها؟ فقال: لا بأس بذلك يا مغيرة ما لم ينو الزنا؛ لعلمه بأنّك زانٍ ...[٢].

ولم يكتف عمر بمنع زياد عن شهادته حتى لا يرجم، بل رفع درجته، فإنّه وإن عزله عن البصرة لكون زناه فيها، إلّا انّه ولّاه الكوفة التي كانت أهم، حتّى صار مثلاً بين النّاس (غضب الله عليك كما غضب أمير المؤمنين على المغيرة عزله عن البصرة وولّاه الكوفة).

إلّا أنّ عمر كان معذوراً في ذلك، فعل ذلك به شكراً له لحمله له ولصاحبه على طلب الخلافة ومساعدته لهما في ذلك.

فروى الجوهري في (سقيفته): أنّ المغيرة مرّ بأبي بكر وعمر وهما جالسان على باب النبيّ صلى الله عليه وآله حين قبض فقال لهما: ما يقعدكما؟ قالا: ننتظر هذا

(١) أورده ابن أبي الحديد في نهج البلاغة ٢: ٦٩.

(٢) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢٨٥ ـ ٢٩٤، والنقل بتصرّف وتلخيص.

الرجل يخرج فنبايعه -يعنيان علياًعليه السلام- فقال لهما المغيرة: أتريدون أن تنظروا خيل الحلبة من أهل هذا البيت وسعوها في قريش تتسع، فقاما إلى سقيفة بني ساعدة[١].

ولكن في أخبارنا أنّ إبليس تمثل بصورة المغيرة يوم السقيفة وقال: أيّها النّاس لا تجعلوها كسرانية ولا قيصرانية وسعوها تتسع ولا تردوها في بني هاشم[٢].

وفي (خلفاء ابن قتيبة) -بعد ذكر امتناع أمير المؤمنينعليه السلام عن بيعة أبي بكر ولحوقه بقبر النبيّصلى الله عليه وآله وخطابه للنبي: يا ﴿... ابن أُمّ إنّ القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني...﴾[٣]، وقول فاطمةعليها السلام لأبي بكر: «والله لا دعون الله عليك في كلّ صلاة أُصلّيها». وقولها له ولعمر -بعد تقريرهما بأنّ سخطها من سخط الله-: «أُشهد الله وملائكته انكما أسخطتماني ولأشكونكما إليه إذا لقيته» -فقال المغيرة لأبي بكر: أرى أن تلقوا العبّاس فتجعلوا له في هذا الأمر نصيباً يكون له ولعقبه، وتكون لكما الحجّة على عليّ وبني هاشم إذا كان العبّاس معكم[٤].

وفعل ذلك به لاحتياجه بنفسه إليه بعد، وليبقى بعده ويساعد ولاة الأمر بعده على استيصال أهل بيت النبيّصلى الله عليه وآله.

ففي (الطبري): لمّا ولّى معاوية المغيرة الكوفة سنة (٤١) قال له: أردت إيصاءك بأشياء كثيرة وأنا تاركها اعتماداً على بصرك بما يرضيني ويسعد سلطاني، ويصلح به رعيتي، ولست تاركاً إيصاءك بخصلة، لا تتحمَّ عن شتم

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٤٣، السقيفة وفدك: ٦٨.

(٢) الجوهري: السقيفة وفدك: ٦٨ مكتبة نينوى، طهران، وأورده المجلسي في بحاره ٢٨: ٢٠٥.

(٣) الأعراف: ١٥٠.

(٤) الإمامة والسياسة ١: ١٢ ـ ١٥، والنقل بتصرّف وتلخيص.

عليّ وذمه، والعيب على أصحابه والإقصاء لهم، وترك الاستماع منهم وعن الترحم على عثمان وإطراء شيعته والإدناء لهم والاستماع منهم. فقال له المغيرة: قد جَربتُ وجُربتَ، وعملت قبلك لغيرك فلا يذمم بي دفع ولا رفع ولا وضع...[1].

ومن اطمينان المغيرة بعمر لمّا قال في الموسم للمغيرة ـ وكان رأى ثمة تلك المرأة: أتعرفها؟ استهزأ به المغيرة وقال: له: هي امرأتك ـ كما مر، وعمر وإن قال له: ما رأيتك إلّا خفت أن أُرمى بحجارة من السماء، إلّا أنّه كان جواباً ظاهرياً، مع أنّه كان إقراراً من عمر بإبطاله الحدّ في حقّه وإلّا لِمَ خاف[2].

ثم إنّ المغيرة اجترأ ان يقول لعمر: هي امرأتك لكونها بنته عليه السلام، لعلمه بعداوته معه وأنّه نكحها إذلالاً له عليه السلام، ولو كان المغيرة تسمى امرأة أُخرى لعمر ولو كانت في غاية الدناءة ما احتمل عمر ذلك له مع منزلته تلك عنده.

ومن اطمينانه بعمر لمّا لم يأت زياد بلفظ الميل في المكحلة وإن أتى بمعناه، قال المغيرة لزياد حين أراد اداء شهادته: والله لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها[3].

ومن اطمينانه بعمر أنّه لمّا دعا بالشهود فتقدم أبو بكرة فقال له عمر: أرأيته بين فخذيها؟ فقال أبو بكرة: نعم، والله لكأنّي أنظر تشريم جدري بفخذيها، فقال له المغيرة: لقد أُلطفت النظر ـ أليس كلّ ذلك إقراراً من المغيرة في حضور عمر؟! وقد أراد المغيرة في قوله لزياد: «لو كنت بين بطني وبطنها ما رأيت أين سلك ذكري منها» إفهام زياد أنّ الاستشهاد مجرّد صورة، وعمر

---

(١) الطبري، تاريخ الامم والملوك ٣: ٢١٨ دار الكتب العلمية، بيروت في حوادث، سنة ٤٥١ وذكره ابن الاثير في الكامل ٣: ٤٧٢ دار صادر.

(٢) الأغاني ١٦: ٩٩.

(٣) الأغاني ١٦: ٩٨.

معه فلا يؤدي زياد شهادته[١].

ومن اطمينانه بعمر أنّه لمّا شخص من البصرة إلى عمر رأي: في طريقه جارية فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فقال له: أنت على هذه الحال ـ يعني يذهبون بك لإجراء الحدّ عليك ويرجموك ـ فقال لأبيها: وما عليك أن أعف، فهو الذي نريد، وإن أُقتل ترثني. فزوّجه وقدم بها على عمر فقال له: إنّك لفارغ القلب طويل الشبق[٢].

وكيف لا يكون فارغ القلب وكان مطمئناً به؟ ولمّا ضرب الثلاثة الحدّ قال لهم المغيرة: الله أكبر الحمد لله الذي أخزاكم.

وعمر وإن كان قال له: اسكت أخزى الله مكاناً واراك، إلّا أنّه قال ذلك لئلّا يفتضح بدفاعه عنه، مع أنّ الظاهر أنّه دعا على مكان وقع العمل من المغيرة، لعدم كونه مكاناً يواريه حتّى يروه ويحصل له كلفة.

وممّا يدلّ على إعماله الغرض في أَمرِهِ أنّه ضرب أبا بكرة ضرباً شديداً فوق الحدّ، حتّى أمرت أُمّه بشاة فذبحت وجعلت جلدها على ظهره[٣].

هذا وقد قال حسّان في هجو المغيرة في عمله هذا:

لو أنّ اللومَ ينسب كان عبداً ... قبيح الوجه أعور من ثقيف

تركت الدين والإسلام لمّا ... بدت لك غُدوةً ذاتُ النصيف[٤]

وكيف لا يدافع عمر عنه وهو سمّى عمرَ أميرَ المؤمنين؟ فقال الزبير بن بكار: لمّا ولّي عمر قال: كان أبو بكر يُقال له خليفة النبيّ، فكيف يُقال لي خليفة خليفة النبيّ بطول هذا؟ فقال له المغيرة: أنت أميرنا ونحن المؤمنون[٥].

---

(١) الأغاني ١٦: ٩٦ ـ ٩٨. والنقل بتلخيص.

(٢) الأغاني ١٦: ١٠٠.

(٣) الأغاني ١٦: ٩٨ ـ ٩٩.

(٤) الأغاني ١٦: ١٠٠.

(٥) لم يشر الزبير بن بكار الى هذا الموضوع في أخبار الموفقيات بل اكتفى بمخاطبة المغيرة بن شعبة لعمر بلقب أمير

وأقول: صدق المغيرة في كونه، أمير المؤمنين مثله ممّن لم يؤمن إلّا بهواه، فالمغيرة هو الذي قال يوماً في مجلس معاوية لإرضائه: انّ النبيّ لم ينكح عليّاً ابنته حبّاً له، ولكنّه أراد أن يكافئ بذلك إحسان أبي طالب إليه.

وهو الذي لمّا بويع معاوية، أقام خطباء يسبّون أمير المؤمنين عليه السلام لإرضاء معاوية قبل أن يأمر معاوية.

وهو الذي حرّض معاوية على إلحاق زياد به ومفاسده في الإسلام لاتخفى، كما أنّه هو الذي حرّضه على جعله يزيد ولي عهده لئلّا يعزله، لكبر سنّه، فأدّى ذلك إلى قتل الحسين عليه السلام وأهل بيته وسبي حريمه.

ثمّ إنّ ابن أبي الحديد إنّما قال: وأي عذر لنا في الإمساك عنه[1]؟ كما مر، لأنّ كثيراً من علمائهم أمسكوا عنه لرعاية فاروقهم، فهذا ابن عبد البر طوى الكشح في عنوانه له عن كيفية إسلامه، وعن ذكر شنائعه واقتصر على كونه من دهاة العرب، وأنّه أشار على أمير المؤمنين عليه السلام بإبقاء معاوية على الشام وتولية طلحة والزبير البصرة والكوفة، ليستقر أمر سلطنته فلم يقبل منه[2].

وأشدّ منه ما عليه حشويتهم وأصحاب حديثهم، ينسبون إلى أنبياء الله الأُمور العظام من القتل والزنا، فإذا تكلّم واحد في معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وأضرابهم من المنافقين والجبابرة وقتلة أولاد الانبياء، قالوا: مبدع بسبّ الصحابة ويشتم السلف ـ قبّحهم الله وأخزاهم ـ.

ونقل ابن أبي الحديد. عن أبي المعالي الجويني، منهم: تحريم التعرّض لذكر الصحابة وإنّ ما ينقله الشيعة من المشاجرة لم تثبت، وأنّهم كانوا كبني

المؤمنين راجع صفحة ٦٢٠ رقم (٤٠٣) ويذكر ابن هلال العسكري في الأوائل: ١٠٣ أن عمرو بن العاص هو أوّل من سمى عمر بأمير المؤمنين.

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠.

(٢) الاستيعاب بهامش الإصابة ٣: ٣٨٨ ـ ٣٩١.

أمّ واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه ولا وقع بينهم اختلاف[١].

والمكابر المنكر للبديهيات لا يحتاج إلى جواب، ولكنه نقل جوابهم عن النقيب في كلام طويل[٢].

هذا ومن مصاديق قولهعليه السلام في المغيرة: (لم يأخذ من الدين إلّا ما قاربته الدّنيا) ما رواه (الأغاني) أيضاً: أنّه كان بين المغيرة ومصقلة بن هبيرة الشيباني تنازع فضرع له المغيرة وتواضع في كلامه حتّى طمع فيه مصقلة، فاستعلى عليه وشتمه وقذفه، وقال له: والله إنّي لأعرف شبهي في حمزة ابنك فقدمه إلى شريح ـ وهو القاضي يومئذٍ ـ فأقام عليه البيّنة فضربه الحدّ، فآلى مصقلة ألا يقيم ببلدة فيها المغيرة مادام حياً، وخرج إلى بني شيبان فنزل فيهم إلى أن مات المغيرة، ثم دخل الكوفة فتلقّاه قومه وسلّموا عليه، فما فرغ عن التسليم حتّى سألهم عن مقابر ثقيف فأرشدوه إليها، فجعل قوم من مواليه يلتقطون له الحجارة فقال: ما هذا؟ قالوا: ظننّا أنّك تريد أن ترجم قبره، فقال: ألقوا ما في أيديكم. فألقوه، وانطلق حتّى وقف على قبره ثم قال: والله لقد كنت ما علمت نافعاً لصديقك ضارّاً لعدوّك، وما مثلك إلّا كما قال مهلهل في أخيه كليب:

إنّ تحت الأحجار حزماً وعزماً ... وخصيماً ألدّ ذا معلاق

حيّة في الوجار أربد لا ... ينفع منه السليم نفث الراق[٣]

«وعلى عمد لبس» بالتخفيف والتشديد.

«على نفسه ليجعل الشبهات عاذراً لسقطاته» فتخلف عن أمير المؤمنينعليه السلام لأنّه كان يعلم أن معاوية لا يطيعه، وأنّ طلحة والزبير يخرجان

---

(١) شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ١٠ ـ ١٢، والنقل بتلخيص.

(٢) المصدر نفسه ٢٠: ١٢.

(٣) الأغاني ١٦: ٩٢.

عليه عليه السلام، ولم يساعد طلحة والزبير لعلمه بعجزهما عنه عليه السلام، ولم يساعد معاوية حتّى وقع التحكيم ورأى اختلاف أهل العراق عليه عليه السلام، واتّفاق أهل الشام على معاوية وأطمأن بذلك فلحق به.

وفي (غارات الثقفي): ذكر المغيرة عند عليّ عليه السلام وجدّه مع معاوية فقال عليه السلام: وما المغيرة إنّما كان إسلامه لفجره وغدره بنفر من قومه فهرب وأتى النبيّ صلى الله عليه وآله كالعائذ بالإسلام، والله ما رأى عليه أحد منذ ادّعى الإسلام خضوعاً ولا خشوعاً، ألا وإنّ أُمّه كانت من ثقيف فراعنة قبل يوم القيامة، يجانبون الحقّ، ويوقدون الحرب، ويوازرون الظالمين[1].

وفي (جمل المفيد): الأحنف لمّا بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام في الجمل أنّي مقيم على طاعتك في قومي، فإن شئت أتيتك ومائتين من أهل بيتي، وإن شئت جلست عنك أربعة آلاف سيف من بني سعد؛ قال رجل له عليه السلام: من هذا؟ قال: أدهى العرب وخيرهم لقومه. فقال: كذلك هو وإنّي لأُمثل بينه وبين المغيرة، لزم الطائف فأقام بها ينتظر على من يستقيم الأمر، فقال الرجل: إنّي لأحسب أنّ الأحنف لأسرع إلى ما يحب من المغيرة، فقال عليه السلام: أجل ما يبالي المغيرة أي لواء رفع، لواء ضلالة أو هدى[2].

هذا وفي (تاريخ الطبري): أنّ المغيرة كان يدّعي أنّه أحدث النّاس عهداً بالنبيّ صلى الله عليه وآله ويقول للناس: إنّي أخذت خاتمي فألقيته في القبر وقلت: إنّ خاتمي سقط منّي وإنّما طرحته عمداً لأمسّ النبيّ لأكون آخر النّاس عهداً به؛ فدخل نفر من العراق على عليّ عليه السلام زمان عمر أو عثمان وقالوا: جئنا نسألك عن أمر نحبّ أن تخبرنا به. فقال عليه السلام: أظن أنّ المغيرة يحدّثكم، أنّه أحدث النّاس عهداً

(١) الغارات ٢: ٥١٧.
(٢) الجمل للمفيد: ٢٩٥ ـ ٢٩٦.

بالنبيّ صلى الله عليه وآله. قالوا: أجل عن ذا جئناك نسألك. قال: كذب[١].

وفي (ذيله): لمّا ألقى المغيرة خاتمه في القبر نزل عليّ عليه السلام، وقد رأى موقعه فتناوله فدفعه إليه، وقال له: لا يتحدث النّاس أنّك نزلت في القبر ولاتحدّث أنّ خاتمك في قبره[٢].

وفيه قال قبيصة بن جابر الأسدي: لو أنّ المغيرة جعل في مدينة لا يخرج من أبوابها كلّها إلّا بالغدر لخرج منها[٣].

وفي (المعارف): أوّل من رشا في الإسلام المغيرة، قال: ربّما عرق الدرهم في يدي أرفعه ليرفأ ليسهل إذني على عمر[٤].

وفي (الكامل) ولّى عمر جبير بن مطعم الكوفة وقال له: لا تذكره لأحد فسمع المغيرة أنّ عمر خلا بجبير فأرسل امرأته إلى امرأة جبير لتعرض عليها طعام السفر ففعلت، فقالت: نعم ما حييتني به. فلمّا علم المغيرة جاء إلى عمر وقال له: بارك الله لك في من ولّيت، فعزله عمر وولّى المغيرة[٥].

---

(١) تاريخ الطبريّ ٣: ٢١٤، سنة ١١.

(٢) ذيل تاريخ الطبريّ ١١: ٥١٣.

(٣) تاريخ الطبريّ ٥: ٣٢٧، سنة ٦٠.

(٤) ابن قتيبة: المعارف: ٥٨٨ دار المعارف مصر.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ٣: ٢٠ دار صادر.

فهرس المطالب

العنوان رقم الصفحة

